

المرجعية وأثرها في بناء الإنسان

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة

برعاية العتبة العلوية المقدسة

لسنة ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

الجزء السابع

المحور الاجتماعي

اعداد واشراف

أ.د. عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

ت	اسم الباحث	اسم البحث	الصفحة
١.	أ.د. عبد علي سفيح لازم	دور المرجعية الشيعية في النجف الاشرف بالحفاظ على وحدة النسيج الاجتماعي العراقي	١
٢.	أ.د. احسان عيدان عبد الكريم السيمري	دور المرجعية الدينية الفاعلة في التطور السياسي والاجتماعي للمجتمع العراقي وبناء شخصية الفرد العراقي : السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (قده) انموذجا	٣٠
٣.	أ.م.د خليل ابراهيم الأعسم	السيد العلامة محمد كلانتر(قدس) الموسوي سيرته ومنجزاته في بناء الإنسان	١٠٣
٤.	أ.م.د. صلاح عبد الحسين المنصوري	رؤية السيد محمد باقر الصدر في تحديد معالم الحياة المعاصرة	١٢٥
٥.	أ.م.د. طالب عبد الرضا كيطان	الخطاب الديني ومفهوم التعايش السلمي دراسة اجتماعية في ضوء الواقع الحالي	١٨٠
٦.	أ.م.د. إياد تركان ابراهيم م.م. اسراء تحسين علي	الدور الاصلاحى للمرجعية الدينية في فكر الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٨٧٧-١٩٥٣)	٢١٦
٧.	د. محمد الياسري د. بانه أحمد إبراهيم	(أنموذج المرجعية الدينية ورسائلها الموجهة إلى المجتمع: دراسة تحليل مضمون خطاب الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية العليا سماعة السيد علي السيستاني)	٢٤٦

٢٧٢	(المرجعية وأثرها في بناء الإنسان) (الموقف من القضايا الوطنية)	د.رقية سعيد خلخال الشيباني	٨.
٢٩٨	(الدور السياسي للمرجعية الدينية وأثاره على أمن المجتمع)	م.د. سعد عبد الحسين نعمة م.د. ابوطالب هاشم احمد	٩.
٣٣٠	اثر السيد محسن الحكيم في توجهات الشيخ أسد حيدر السياسية والفكرية	م.د صفاء شارد ناصر الركابي. م.د. زمن حسن كريدي غزاوي	١٠.
٣٥١	(موقف المرجعية من الآخر المختلف من " الأديان ، الطوائف)	م.م هند كامل خضير	١١.
٣٩٤	الاثار المكانية لنظرية التبادل الاجتماعي في المدن الدينية – دراسة في العلاقات الدينية ودورها في النمو العمراني لمدينة النجف الاشرف	م.م احمد حسين علاوي	١٢.

دور المرجعية الشيعية في النجف الاشرف بالحفاظ على وحدة النسيج

الاجتماعي العراقي

أ.د. عبد علي سفيح لازم

بروفسور ومستشار في وزارة التربية والتعليم الفرنسية

المقدمة:

المرجعية الدينية عند الشيعة الامامية كيان فقهي وتشريعي وقيادي كبير يرتبط بها الشيعة بأوثق العلاقات، وتعتبر تعليمات المرجعية بالنسبة للفرد الشيعي لها صفة الأمر والحكم الشرعي الملزم دينيا. تحتل المرجعية الدينية الشيعية مساحة واسعة في الحياة الدينية والاجتماعية، ومساحة أقل في الحياة السياسية.

يعتبر العراق تاريخيا ومنذ فترة ليست قصيرة واحدا من البلدان في الشرق ذات الأديان والمذاهب والقوميات المتعددة. وهذه الظاهرة في الشرق ليست غريبة وخاصة في بلد مثل العراق شهد حضارات وامبراطوريات وممالك وخلفاء وسلاطين عدة. كل هذه المكونات للمجتمع العراقي تركت بصماتها وكانت دائما عامل غنى ثقافي وروحي واجتماعي وعمراني عندما أحسن العراقيون استعمالها واستخدامها والاستفادة منها. العراق أصبح جسد جامع لهذه المكونات مع احتفاظ كل منها ببعض خصوصياته. هذه الهوية الجامعة هي التي ميزت العراق عن غيره باعتباره بتنوع مكوناته وقبول بعضه للبعض الآخر، بل حتى استعداد بعضه للدفاع عن البعض الآخر أثناء الملمات والمحن، أو بروز حاجة للأمان وممارسة التماسك المشترك. ولم يذكر لنا التاريخ بتعاون مسيحي عراقي أو عربي واحد مع المسيحيين في الحروب الصليبية على سبيل المثال.

إن المرجعيات الدينية الشيعية في العراق أكدت على أهمية وضرورة الاقتناع بأن الاعتراف والاحترام بالتنوع الديني والمذهبي والقومي في بلد مثل العراق يعتبر الطريق لتحقيق الأمن والاستقرار والسلام أولاً، وكذلك هي الأجواء الضرورية التي تسمح في تحقيق القيم التي دعا إليها الاسلام في التعايش وبناء مدينة فاضلة يعيش فيها الناس في سلام ومساواة. لذا فإن دعوات المرجعية الدينية العراقية اليوم تصب في هذا الطريق.

إن المرجعية الدينية في النجف تؤكد دائماً على التعايش السلمي وتدعو للابتعاد عما يثير الكراهية والبغضاء. فقد أكد ممثل السيد علي السيستاني، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، في خطبة الجمعة ليوم ٢٠١٧/١٢/١، أهمية حفظ العلاقة الوطنية المشتركة والتعايش السلمي، داعياً للابتعاد عما يثير الكراهية، فيما حذر من أن تكفير الآخر وتأويل النصوص على غير ما هو المراد منها، هي أمور خطيرة أريقَت بسببها دماء كثيرة. وأن التعايش السلمي ضرورة يفرضها الواقع وينبغي معرفة كيفية التعامل مع التعددية بما يصون المجتمع.

وكانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف دعت في وقت سابق، لتحقيق التعايش الاجتماعي والثقافي بين أهل الأديان والمذاهب، مؤكدة أن جميع ما جاءت به الشرائع السماوية، هو الدعوة إلى السلام وإشاعة روح المحبة لأنها تنبع من نفس المصدر الإلهي.

إن المرجعية الدينية في النجف منذ تأسيسها غلبت الدور الاجتماعي في سلوكها على الدور السياسي. وكانت تعتبر نفسها كوجود ضمن هوية عراقية جامعة للمكونات الأثنية والدينية المختلفة. تعتبر المرجعية سلطة الشيعة وليست السلطة الحكومية. أعطت المرجعية هبة إلى شيعة العراق حيث كان الملوك والرؤساء

يزورهم في النجف ولم نرى مرجعا زار الملوك او الرؤساء عدى صدام حسين الذي أراد أن يكسر هذا التقليد بإجبار السيد الخوئي بالقدوم الى قصره الجمهوري ولكن هذه كانت خطأ كبيرة تسجل عليه. أما الطائفة السنية فمرجعيتهم هي السلطة الحاكمة. وهذه الصورة مستمرة منذ تسعة قرون تقريبا. اليوم المعادلة اختلفت، لكن النسيج الاجتماعي العراقي يحتاج الى مرافقته بهدوء للتكيف على هذه الحالة الجديدة. الشيعة لا زالوا يعتبرون سلطتهم المرجعية الدينية، بينما المرجعية الدينية تؤكد وتطلب منهم ان يأخذوا دورهم ببناء سلطة دولة حديثة وان تكون المرجعية الدينية هي سلطتهم الروحية وليست السياسية، وسلطتهم السياسية هي الدولة ومؤسساتها. وهذا يحتاج الى وقت الا أن المرجعية تدرك بوضوح دورها بالحفاظ على النسيج الاجتماعي العراقي وعدم تمزقه. وبناء دولة مدنية حديثة وهذا أمر جدا معقد وخاصة في العراق. لقد أقصي العراقيون من فن بناء وقيادة وصيانة الدولة منذ أكثر من ٧ قرون خلال الحكم العثماني. اليوم المرجعية تريد من الشيعة ان يغيروا من سلوكهم بتعزيز مفهوم السلطة هي الدولة الحديثة، ومن السنة بان السلطة هي ليست فقه ديني بل مرجعية سياسية لكل العراقيين. لذلك لم تفرط المرجعية بوحدة النسيج الاجتماعي العراقي. السؤال الذي يطرحه العالم هو، من أين جاءت هذه النظرة الفلسفية للدولة ولعلاقة الانسان بالآخر للمرجعية الدينية في النجف الأشرف؟ هذا الدراسة سوف تكشف سر هذا السلوك الذي حير كثير من المهتمين بالفلسفة الدينية او علم الاجتماع الديني أو علم السياسة.

لقد اكتشف العالم بعد ٢٠٠٣، بان الشيعة هم الأكثرية السكانية في العراق. وقد أزيحوا من لعب دور سياسي وأقل منه روحيا وثقافيا منذ عدة قرون قد تطول الى عشرة قرون. وهذا الاقصاء يشمل كذلك تكوين الدولة العراقية

الحديثة في ١٩٢٠ والتي بنيت على اساس قومي وطائفي. توجه الشيعة نتيجة لذلك الى بناء روحي حر مستقل عن مؤسسة الدولة وقد ادى ذلك الى بروز حرية الاجتهاد وتعدد المراجع ثم تعدد المدارس كما كانت في أثينا حيث تكونت أكاديمية افلاطون وثانوية أرسطو. قاومت المرجعية الدينية الشيعية كل أنواع الاضطهاد وتحييد دورها وعدم امكانية ازالتها أو التقليل من شأنها، وذلك يعود الى تعدد المراجع ، أي تعدد الرؤوس. فبقت المرجعية الدينية الشيعية المؤسسة القانونية الوحيدة المستقلة عن الدولة حتى عام ٢٠٠٣، ولا زالت وستبقى

كذلك وجد العالم، المرجعية الشيعية في العراق لها تجربة اجتماعية كبيرة وأقل منها التجربة السياسية، لكنها تبقى تجربتها أكبر بكثير من السنة لأنه قد أصبح الفقه السني هو فقه الدولة. لذا عند سقوط الدولة العراقية في ٢٠٠٣، أحس السنة بالضيق والتهديد سياسيا واجتماعيا وروحيا. اقضاء الشيعة عن المشاركة في الحكم والوطن، فأصبح جمهور الشيعة هم الفقراء. لذلك أعطوا أهمية كبيرة للطقوس أي للدين المرئي والملموس. الدين الذي يعيشه الفقراء في حياتهم اليومية مثل عيد الفطر، عيد الأضحى، عاشوراء، المسيرات الحسينية، الحسينيات، المساجد، المدارس الدينية والأضرحة المقدسة. قد تكون هذه الشعائر نقطة خلاف بين المرجعيات الدينية، فقسم منهم يعطوا أهمية كبيرة للشعائر والطقوس ، بينما مرجعيات أخرى تعطي أهمية كبيرة للعقيدة والسياسة والفكر. بينما قسم آخر منهم قد أعطى توازن كبير بين الاثنين ومنهم السيد محسن الحكيم والسيد علي السيستاني.

لقد وجد العالم بأن الشيعة هم أفضل شريحة سياسية متقدمة في البناء السياسي وذلك نتيجة توجههم نحو الأحزاب السياسية مثل الحزب الشيوعي وحزب الدعوة

والأحزاب القومية ومنها حزب البعث حيث كانا الشيعة في قيادة قطر العراق في ١٩٦٣ يمثلون أكثر من تسعين بالمائة من القيادة القطرية لحزب البعث. فاكسبوا خبرة كبيرة في السياسة سواء كانت علمانية، أو اسلامية.

ورأى العالم الشيعة بعد ٢٠٠٣ قد عبروا عن حريتهم بطرق مختلفة:

فروحيا: ظهرت صور كبيرة لعلماء الدين والمراجع الشيعية في المدن والطرق. كذلك ظهور المسيرات الحسينية المليونية وحرية اداء الشعائر الحسينية في عاشوراء.

وسياسيا: تحويل مدينة صدام الثورة سابقا الى مدينة الصدر، وظهور حزب الدعوة والمجلس الأعلى وتكوين أحزاب وتجمعات شيعية مختلفة.

أما ثقافيا: ظهور ونشر الكتب التي منعت سابقا من النشر، مع حرية النشر والصحافة والرأي. كذلك عقد مؤتمرات وندوات وجمعيات على المستوى المحلي والاقليمي والعالمي.

النجف الأشرف هي مدينة بنيت حول ضريح الامام علي (عليه السلام). لذلك الحوزة العلمية في النجف لها بعد آخر لا تضاهيها حوزة علمية في العالم بالرغم كل ما يقال عنها بوجود تلك معرفي ومن جمود فكري ونمطية في الدروس، لكن تبقى حوزة النجف عندها خصوصية نابعة أولا من بعدها التاريخي، حيث يعود تاريخها الى ألف سنة تقريبا، وثانيا من بعدها المعرفي، النجف فيها أساطين الطائفة الشيعية، وثالثا من بعدها السياسي، الأدوار السياسية التي لعبتها مرجعية النجف أدوارا كبيرة جدا، لعبها الحنوبى، والسيد الحكيم، والسيد الخوئي، والسيد الصدر الأول والثاني، وأخيرا السيد السيستاني. ورابعها الجغرافي ووجود ضريح الامام علي (عليه السلام). وخامسا بعدها العراقي. أنا شخصا وجدت أن مرجعية

النجف تتميز عن غيرها من المرجعيات بالهوية العراقية التي تمتد جذورها الى أكثر من ٤٠٠٠ عام. وهذه الهوية هي التي تدفع النسيج الاجتماعي العراقي بأخذ هذه المسارات والمنحنيات. أي ممكن القول ان مرجعية النجف تحكمها خصوصيتان، هما خصوصية الزمان اي تاريخ وادي الرافدين والتاريخ الاسلامي، وخصوصية المكان فالنجف الأشرف المدينة التي بنيت حول ضريح الامام علي (ع)، وشخصية الامام علي(ع) زرعت منظومة من القيم الروحية والخلقية والسياسية في جسد مرجعية النجف وكأنها مدرسة طلابها المرجعية ومعلمها وحكيمها الامام علي (ع).

لم تختار المرجعية الدينية كربلاء الامام الحسين، ولا الكاظمية للكاظمين ولا سامراء العسكريين مكان ثابت للمرجعية مثلما اختارت النجف. السبب هو خصوصية الامام علي (ع). الامام علي (ع) كان يمثل الامامة والسياسة. امام وخليفة. يمثل الدين والدولة. الا انه قبل ان يكون خليفة، كان اماما ومرجعاً روحياً للمسلمين وكأنه المرجعية التقليدية الحالية. نزل عند رغبة الصحابة عندما فضلوا تأمير عثمان بن عفان عليه واحترم الخلافة والخليفة. لكن بعد موت عثمان بن عفان اجتمع الناس حوله لقيادته السياسية والروحية. وعندما اختلف الناس وطلبوا منه وقف الحرب والقبول بالتحكيم بعد معركة صفين، نرى الامام قد نزل عند رغبتهم السياسية. المرجعية الدينية في النجف التقليدية تلعب دور سياسي عندما يطلب الناس منهم لعبه. مثال، ثورة العشرين. أعلنت فتوى الجهاد ضد الغازي البريطاني لأن العشائر ثارت ورفضت الوجود البريطاني. كذلك فتوى السيد الحكيم ضد الشيوعية هي نتيجة لغزو ثقافي للعراق وفتواه ضد محاربة الكرد هي أيضا نتيجة الغزو العسكري لبغداد ضد الكرد. وفتوى السيد السيستاني

جاءت نتيجة الغزو العسكري لداعش. تميزت المرجعية بالفتوى اي بالدور السياسي عندما يكون هناك غزو للمجتمع العراقي.

الهدف من الدراسة:

إن الهدف من هذه الدراسة: هو الاجابة على عدة أسئلة قد وضعها الغرب مسبقا ومنها:
 أولا: لماذا شيعة العراق لم يتخذوا نفس المسار في بناء دولة حديثة مثل شيعة ايران؟
 ثانيا: سر عدم تغليب المرجعية، الوجود الشيعي على الهوية العراقية الثقافية؟
 ثالثا: سر اعطاء المرجعية الدينية الحرية الكاملة للشعب العراقي في تقرير نوع الدولة التي ينبغي تأسيسها وقيادتها وصيانتها خاصة لنظام ديمقراطي يعطي شرعية للأكثرية في الحكم.

مناهج البحث المتبعة:

إن البحث العلمي في وقتنا الحاضر أصبح واحد من المجالات الهامة التي تجعل الدول تتطور بسرعة هائلة وتتغلب على معظم المشكلات التي تواجهها بطرق علمية حديثة ومتطورة والتي لا تعتمد فقط على النقل والتكرار بل على الاسلوب الذي يتوخى الحقيقة من ميدان الحياة اليومية وبالنتائج المادية الملموسة.
 في العلوم الانسانية وفي منتصف القرن العشرين وجد العلماء بأن النهج الاستنباطي لا يكفي لكشف بعض الأسرار وهي قاصرة على أن تكشف الحقيقة. فحدثت أيضا طفرة وهي ايجاد وسيلة جديدة في تفسير الظواهر التاريخية والانسانية ضمن المنهج الاستنباطي وهي الجينيالوجيا مع علم الاجتماع الديني.

وهذه الوسيلة للبحث استوحيت من فلسفة نيتشة وخاصة من كتابه جينيلوجيا الاخلاق في عام ١٨٨٧ هذه الوسيلة البحثية تسمح للفلسفة أن تلتقي بالتاريخ، وهو عدم القفز على الواقع من خلال انشاء مفاهيم مجردة تولد عالم ينوب عن العالم

الحقيقي. أي هي تأريخ الحقيقة وليست حقيقة التاريخ، ودين الحقيقة وليس حقيقة الدين، ودين التاريخ وليس تأريخ الدين. أي الأحداث التاريخية تجد تفسيرها الحقيقي في تحديد طبيعة الحقيقة.

الجواب على السؤال الأول:

لم ابحث في هذا المبحث عن تاريخ المرجعية الدينية الشيعية، ولا عن وصفها ومفهومها عند الشيعة ولا عن تنظيمها وادارتها، بل ابحث في هذا المجال كمستشرق من أصل عراقي يعيش منذ ٤١ سنة في فرنسا بدون انقطاع. وحتى كلمة مستشرق لن تنطبق علي لأنني لست غريب اليدين والوجه واللسان عن العراق. مهما كانت التسميات، فالذي يهمني هنا هو الاجابة على تساؤلات تشغل الاوربيين هي، لماذا لم يسلك شيعة العراق نفس سلوك شيعة ايران في بناء الدولة الحديثة؟

إن فلسفة الغرب منذ زمن افلاطون حتى يومنا هذا بنيت على كيفية بناء وصيانة وقيادة دولة فاضلة يعيش فيها الناس بسلام وعدل ومساواة. ويعتبر القرن العشرين هو القرن الذي حدث فيه اكبر ثورة فلسفية في بناء الدولة (١). لذلك المستشرقين ورجال الفكر والصحافة يهتمون بهذا السؤال المركزي لهم. لقد اهتم المستشرقون في البدء في عموميات الاسلام او بالأحرى الاسلام السني وما كتبوه عن الفرق الأخرى، وهي صورة قد شابتها الكثير من العموميات المفرطة والمغالطات التاريخية (٢)، ثم بدأ بعد ذلك تحول كبير في تلك الدراسات، وتقديم رؤية جديدة، وربما يكون العامل المحفز في هذا مرتبط بالثورة الاسلامية في ايران في ١٩٧٩م، وبعد سقوط نظام الحكم في العراق في ٢٠٠٣م.

عندما نتكلم عن المرجعية الدينية الشيعية العراقية في النجف، فنحصل على ثلاث متغيرات هي، شيعية، عراقية ونجفية. بينما عندما نريد ان نقارنها مع

المرجعية الشيعية الايرانية في قم ، نلاحظ ايضا ثلاث متغيرات الا ان هناك متغيرين غير متشابهين هما ايران وقم. من هنا يمكن فك طلاسم السؤال الذي طرحناه في البداية وهو لماذا شيعة العراق لم يسلكوا نفس سلوك شيعة ايران في بناء دولة حديثة؟.

نحن هنا لم نأخذ مسألة تعدد المرجعيات كظاهرة صراع بالمعنى الحاد. إن تعدد المرجعيات في التاريخ الاسلامي الشيعي يمثل تقليدا لانها تعتمد على اساس الكفاءة العلمية والاستقامة الخلقية. وكذلك صحيح ان كل مرجعية تدرس الامور حسب الظروف التي تحيط بها وبحسب امكانياتها وقدراتها الذاتية في تلك البقعة (٣)، لكن هذا لا يمنع من وجود فرق بين شيعة ايران وشيعة العراق ناتج من تاريخ العراق وثقافة العراق وهوية العراق. قد يكون هناك تشابه او تقارب بين الوعي الجمعي الشيعي العراقي مع الوعي الجمعي الشيعي الايراني، الا انه هناك فرق واسع بين اللاوعي الجمعي الشيعي العراقي منه من الايراني.

السؤال الذي يطرح اليوم: هل السلوك الفردي والجمعي للعراقيين له علاقة بسلوك وموقف المرجعية الدينية الشيعية في العراق؟

اذا كان الجواب بنعم، فإلى أي حد ممكن للإرث الثقافي والتاريخي يلعب دورا؟ وهل ممكن ايجاد نظرية تفسر لنا هذا السلوك الذي يتميز به العراقيين عن غيرهم بدرجات متفاوتة؟.

هناك ظواهر اجتماعية حدثت مؤخرا في العراق قد وضعت المهتمين في العلوم الانسانية والسياسية أمام أسئلة كثيرة وخاصة ما يتعلق بالمرجعية الدينية الشيعية في النجف الأشرف. هل المرجع أي الفرد له تأثير على حركة بوصلة وسير

ودور المرجعية في الحياة الاجتماعية، ام أن هناك قوى أخرى خارج ارادة الفرد نابغة

من العمق التاريخي لتأسيس المرجعية وللمكان الذي ولدت ونمت فيه ؟

لو تفحصنا المشهد العراقي الحديث نرى ان المشاهد الشرقي والغربي يرى بأن شيعة العراق ليسوا بيد المرجعيات الدينية، ولا بيد المرجعيات السياسية، ولا بيد المرجعيات القبلية، بل هي بيد السيد السيستاني. ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: عندما وصلت داعش على حدود العاصمة بغداد ومدينة كربلاء المقدسة، وعجزت كل المرجعيات التقليدية العراقية سواء الدينية والقبلية والسياسية لصدها، أطلق السيد السيستاني الفتوى الشهيرة التي سميت بفتوى الجهاد الكفائي (٤).

ثانياً: في رمضان للعام الماضي، معظم المراجع أعلنوا يوم العيد ومنهم الجمهورية الاسلامية في ايران ومعظم الدول العربية والاسلامية، لكن السيد السيستاني في وقتها لن يعلن العيد. استجاب معظم العراقيين للسيد السيستاني وكتب احد الصحفيين مقالاً قال فيه، اذا صام السيستاني صام العراق (٥).

ثالثاً: في الدورة الأخيرة للانتخابات لم تعطي المرجعية الدينية في النجف رأياً وتركت الشعب العراقي هو الذي يختار الأصلح والذي لم تتلوث يده بالفساد (٦). فترجم معظم أفراد الشعب العراقي هذا الموقف من المرجعية بالحيرة وانعدام الثقة بالطبقة السياسية. لذا فإن نتائج الانتخابات كانت غير مشرفة حيث لم يذهب لصناديق الاقتراع أكثر من خمس الشعب العراقي.

هذه الأمثلة تعطي مؤشرات واضحة بقدرة السيد السيستاني الفردية بسيطرته وتحريك المجتمع العراقي بالاتجاه الذي يريده. ولكن من الناحية العلمية الأكاديمية صعب قبول هذه الفرضية وكأنما الفرد في المرجعية هو صانع الأحداث

وليست المرجعية ككيان اجتماعي تحكمه البيئة والتاريخ والمكان الذي تعيش فيه. ولتوضيح هذه النقطة نقول :

إن العديد من الباحثين يدرك الآن ان التاريخ يوجد في جسد الانسان وينعكس من خلال ممارساته اليومية. فالجسد بالنسبة لعلماء الانثروبولوجيا ليس فقط كأداة للمعرفة وانما طريقة للتذكر. ويؤكد " بول كونيرتون " في كتابه " كيف تتذكر المجتمعات " يقول بأن كل الممارسات والعادات المشتركة تنتقل عبر الجسد وتعمل الممارسات الجسدية على خلق الذاكرة الثقافية وتنشيطها (٧). ويعتبر الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو، يعتبر الجسد " كوثيقة تاريخية " باعتباره مخزناً لذاكرة المجتمع ومستودع لخبراته التاريخية، ولذلك ابتكر منهجين في البحث العلمي هما منهج الاركيولوجيا والجينالوجيا وأخذ الأخير من الفيلسوف الألماني نيتشة وهي " جينالوجيا الأخلاق " (٨). وعن طريق هذين المنهجين يمكن تحليل خطاب، الفرد، السلطة والمعرفة. فلمعرفة سلوكيات السلطة والفرد والمعرفة المنتجة، يفترض علينا القيام بالتشريح السياسي للجسد، والبايولوجي للسياسة الاجتماعية للسكان. قوة الجسد حسب فوكو هو ناتج من هذين القطبين. ويعزز هذا الرأي العالم الاجتماعي الفرنسي الكبير بورديو حيث يقول، ان عادات الجسد تمثل بمعنى ما " ذاكرة الجسد " التي تتبلور من خلال التفاعل العملي بين الجسد والبيئة المحيطة به. وهذه الأجساد البشرية هي تاريخ يمشي على الأرض، يذكر الفاعلين المعاصرين بما أنجزه السابقون من أعمال وبما ارتكبه من أخطاء، وهي وسيلة الاتصال بين الماضي والحاضر (٩).

لتفسير الحاضر، وعندما يكون من الصعب فك رموز كثيرة مرتبطة بالسلوك الفردي والجمعي للمجتمع، حينها نضطر اللجوء الى الماضي والتاريخ لتوضيح

الحاضر. وليست دراسة الماضي للماضي بل هو لأجل حل رموز الحاضر. لذا لفك رموز سلوكية الفرد العراقي اضطرت اللجوء للماضي اي للارث التاريخي والثقافي لوادي الرافدين. لكن اللجوء للماضي فيه محاذير. لأن هناك قراءات مختلفة للماضي. هذه القراءات بنيت على مناهج قديمة وليست حديثة. مناهج تقرأ حقيقة التاريخ وليس تأريخ الحقيقة. تقرأ حقيقة الدين وليس دين الحقيقة. تقرأ تأريخ الدين وليس دين التاريخ. المناهج الحديثة تفك هيمنة التاريخ على العقل البشري (١٠).

بماذا يتميز العراقي عن الآخرين؟. يتميز بامتلاكه تاريخ خاص به. العراق يملك نموذج خاص للحضارة نابع من عمقه الثقافي والتاريخي. هذا التاريخ يخفي رموز ومفاتيح خاصة به. المحرك الأساسي في تأريخ العراق منذ السومريين ليومنا هذا هو عملية تصادم الخارجي مع المحلي، الخارجي مع الداخلي يولد ظاهرة الهدم والبناء. ثقافات تنبع من الخارج وتصب في العراق مما تولد جيلا جديدا له رموز ومعاني جديدة. وهذه الرموز خارجة من اللاوعي الجماعي. آلية الشعور أو اللاوعي العراقي تحتوي على عالم من الرموز المتعددة الدلالات وأن المؤلف في دلالة الرمز اللاشعوري أن يأتي الشيء في صورة نقيضه أو ضده للتمويه على الرقيب الشعوري (١١). وهذا مما جعل العراق ساحة للصراعات الخارجية.

لماذا يسمح العراقيون بذلك؟ العراق يعلن ضد التدخل الخارجي ويحتج ويقاوم ولكن في الحقيقة اللاشعور هو الذي يرحب بذلك لأنه يعرف هذا التصادم يولد هدم القيم القديمة ومن ثم بناء قيم جديدة بها يبرز العراق وهذا سبب تميزه عن الآخرين، وهنا نتعرض لبعض الأمثلة:

المثال الأول: هو ما حصل في أواسط القرن السابع ميلادي، حيث خرجت الجيوش العربية الاسلامية من شبه جزيرة العرب وأسقطت الامبراطورية الساسانية الفارسية التي

كانت تهيم على العراق. وجدت هذه الجيوش أمامها حوالي سبعة ملايين من السكان أغلبيتهم الساحقة من المسيحيين (النساطرة) مع أقليات من الصابئة واليهود والمناوية، بالإضافة الى بعض المجوس. كانت لغة هؤلاء هي السريانية (الآرامية) العراقية (١٢). هدمت هذه الجيوش اللغة واستبدلت باللغة العربية، إضافة الى تغيير الدين المسيحي الى الدين الاسلامي. أصبح العراقيون من أكثر الشعوب في العالم التي تبنت العربية حرفا وكتابة واستعربت أسرع من غيرها ليس بسبب التجاور مع شبه الجزيرة العربية بل لأن العراق هويته ثقافية ويعطي أفضلية لكل ما هو جديد ونافع على القديم. الجديد هو العربية، والقديم هي السريانية. الجديد هو الاسلام، والقديم هي المسيحية. أي أن العراقي يعطي للعالمية (الخارج) أولوية الاختيار على المحلية (الداخل).

إن التبني السريع للعربية سمح لهم منذ بداية الفتح أن يشاركوا بصورة فعالة في صنع الحضارة الاسلامية، بل أن العراقيين هم من وضع للغة العربية نحوها وبلاغتها وتنقيطها وحركاتها وسكونها من خلال ميراث الحرف البابلي واللغة السريانية، ثم برزت في هذا المجال مدرستي الكوفة والبصرة. أما استبدالهم الدين المسيحي بالدين الاسلامي، أصبح العراقيون رواد المدارس والمذاهب الدينية. هذا المثال يعبر بشكل واضح عن نظرية الهدم ثم البناء. هدمت في العراق قيم وأعراف ورموز ودلالات قديمة بغيرها جديدة. بعد توقف قليل خلال حكم السلالة الأموية، وبعد أن اتخذوا دمشق عاصمة لهم بدلا عن الكوفة.

المثال الثاني: بعد أقل من ثمانين عاما، فتح العراقيون ابوابهم نحو جيوش أبي مسلم الخراساني القادمة من بلاد فارس لإسقاط الحكم الأموي وإعادة تجربة التلاحق الخارجي الداخلي وأصبحت بغداد حاضرة العالم ومنازلها مازجين المحلي هو اراث أكد

وسومر وبابل حمورابي وآشور الذي ورثوه من أسلافهم في نينوى وبابل وسومر، مع الخارجي العالمي الفارسي والاعريقي والهندي والمصري والشامي واصبحت بغداد مدينة عالمية.

المثال الثالث: تأسيس الدولة العراقية الحديثة. أكبر عملية هدم للقيم القديمة وبناء قيم حضرية جديدة حصلت في بداية القرن العشرين بعد غزو واحتلال بريطانيا للعراق. ثورة العشرين ماهي الا تصادم الخارج (بريطانيا) مع الداخل (الشعب العراقي) والذي ولد العراق الحديث. هذا التصادم في مبتداه هدم عالم الامبراطوريات والخلفاء والسلاطين والأمراء وعالم الولايات (البصرة، بغداد والموصل) الى عالم الدولة المركزية الحديثة وعاصمتها هي قلب التاريخ الذي عمره أكثر من ٦٠٠٠ عام وهي بغداد، بغداد العباسي (١٣). ويؤكد الباحث فالح عبد الجبار، أن تأسيس الدولة العراقية الحديثة أضعف عالم الرعايا والهويات القبلية والطائفية وأزيل أهل الذم (١٤).

المثال الرابع: هو الاحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣ م وهذا التصادم أدى الى انتهاء الدولة المركزية الدكتاتورية ووضع العراقيون أول دستور دائم منذ ١٩٥٨ م. وأصبح تناول للسلطة بصورة سلمية.

في المثالين السابقين أي في ١٩٢٠ في ٢٠٠٣ نرى ولادة دور بارز للمرجعية الدينية الشيعية على الصعيد القطري والعالمي. وبعد ٢٠٠٣ م تعد المرجعية الدينية صمام أمان ليس فقط محلي واقليمي بل عالمي للسلام في المنطقة. هذه الفرضية توضح تفسر جيدا خصوصية العراق ومنه ولدت خصوصية المرجعية الدينية في النجف الأشرف.

يمكن القول هنا أن العراق يحصل فيه بناء كبير عندما يكون هناك تصادم عنيف بين الخارج والداخل كما حصل في العصر الاسلامي الأول والعصر العباسي وأخيرا وجدت هذا التناقض ليس سببه صراع بين قيم البداوة وقيم الحضارة بل هذه الازدواجية ناتجة من اللاوعي الجمعي التي جذورها تمتد الى أكثر من ٦٠٠٠ عام ويعود بالدرجة الأولى الى هوية العراق التي هي ناتج ثقافي أكثر مما يكون حربي. هويته ناتجة من التصادم بين الخارج (عالمي) مع الداخل (محلي) والذي يولد من هذا التصادم (الهدم) بناء جديدا مميزا (١٥).

الجواب على السؤال الثاني:

ونجده في العلاقة بين الهوية والوجود: إن دور المرجعية في العراق دور اجتماعي وليس سياسي. وبما ان المجتمع العراقي متعدد المذاهب والأديان، المسلم، المسيحي، اليهودي، الصابئي، الايزدي، الشيعي والسني، فالمذهبية لا توحدهم بل تكسر النسيج الاجتماعي ، على خلاف ايران، متعدد الاعراق، العربي، الكردي، الفارسي، التركي، البلوش، فالمذهبية او التشيع يوحد هذا النسيج. لذلك المرجعية في النجف حاولت دائما ان لا يطغى الوجود على الهوية العراقية الأصيلة وهي الهوية الثقافية. وما فتوى السيد محسن الحكيم بتحريم محاربة المكون والوجود الكردي في العراق، وقول السيد السيستاني أخواننا السنة هم أنفسنا، ما هي الادالة وتأكيد على أن المرجعية الدينية الشيعية لا تسمح بتغليب الوجود العربي أو الطائفي على الهوية العراقية الجامعة لكل المكونات. الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك كان دائما ينصح حكومته عندما تقرر عمل اصلاح اجتماعي أو سياسي، كان ينصحهم ويقول لهم اياكم وتهزوا أو تمزقوا النسيج الاجتماعي الفرنسي. الرئيس الفرنسي الحالي ماكرون أراد أن يقوم بالإصلاح رغم معارضة النسيج الاجتماعي

له، فحصل ان الشعب الفرنسي انقسم على نفسه فتراجع عن اصلاحاته للحفاظ وعلى وحدة النسيج الاجتماعي الفرنسي.

الحلم الذي كان وما يزال يراود الانسانية هو ، كيفية بناء مدينة فاضلة يعيش فيها الناس باختلاف اجناسهم ومعتقداتهم وأعمارهم بعز وأمان وسلام. أي وجودات مختلفة ضمن هوية جامعة للجميع. أربع شعوب أكثر من أربعة قرون حكموا العالم وبنوا المدنية والحداثة الحالية ونظام الحياة العصرية من الكهرباء والطائرة والتلفون والثلاجة وكل ما نستخدمه في الحياة اليومية. هذه الشعوب هم: الشعب الانكليزي سواء بريطاني او امريكي، والشعب الجيرماني وهم الالمان، والشعب الفرنسي والشعب الروسي (١٦). الذي حدث هونشوب حروب طاحنة بينهم مما أدى الى قتل أكثر من ١٠٠ مليون إنسان خلال قرنين مع تدمير مدن. أرادت هذه الشعوب أن تجد مفتاحا يجد حل لكل مشاكلها. فعملوا في فرنسا وألمانيا عام ١٩٠٥ مدرسة الحوليات أو ما تسمى بالمدرسة الوثائقية دعوا كل الاختصاصات لبحث جذور المشكلة ووجدوا باستخدام طريقة البحث التي تسمى بالجينياولوجيا، وجدوا المفتاح السحري وهو الهوية والوجود. تذوب الأوطان وتدمر البلدان ويهاجر الولدان وتنشأ الحروب عندما تختزل الهوية الى انتماء أو وجود واحد. حينها يصبح الوجود والانتماء هوية وتلغي كل الوجودات الأخرى يتحول في حينها الانسان والمجتمع الى العزلة والمذهبية والعنصرية ويبرز روح التغالب وبعض الاحيان تصبح هوية انتحارية. مثال على ذلك:

الحرب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في فرنسا والتي دامت أكثر من ٣٠ عاما من ١٦١٨ الى ١٦٤٨. هذه الحرب الأهلية اندلعت عندما أراد الوجود الكاثوليك يعتبر نفسه هوية فرنسا وليس وجودا فيها مما حاول الغاء الوجود البروتستاني.

اندلعت حرب أهلية مما سهل تدخل القوى الخارجية من بريطانيا بدعمها للبروتستانت واسبانيا بدعمها للكاثوليك. واستمرار هذه الحرب أدى الى احتلال جزء من فرنسا من قبل بريطاني واسبانيا (١٧).

(ب) ألمانيا الهتلرية عندما غلبت الوجود الأري وجعلته هوية ألمانيا مما أدى الى حرب أهلية ثم اندلاع حرب عالمية ثانية أخيرا احتلال ألمانيا من قبل الحلفاء.
(ج) لبنان: عندما تغلب الوجود المسيحي واضعف الوجود الاسلامي الشيعي، أدى الى حرب أهلية ومن ثم الى احتلال لبنان.

(د) العراق: عندما تغلب الوجود العربي السني واضعف الوجود الكردي والشيعي أدى الى حرب أهلية ثم بعدها الى حرب مع الجوار وأخيرا احتلال العراق من قبل أمريكا.
كلما تعدد وتنوع الوجود كلما أغتنت وقاومت الهوية. الوجود الاسلامي الشيعي في لبنان هو الذي أنقذ لبنان من الانهيار ككيان، وكذلك الوجود الاسلامي الشيعي والكردي في العراق هما اللذان أنقذا العراق من الذوبان.

جواب السؤال الثالث:

نجد الجواب يأتي من خصوصية المكان: المكان هو النجف. مدينة بنيت حول قبر رجل له منزلة كبيرة في التاريخ الاسلامي وهو الامام علي (ع). المتخصصون في علم اجتماع الأديان ينبهون أمام مرجعية النجف اليوم التي تنادي وتطالب وتدعم دولة مدنية محكومة بنظام ديمقراطي تحصر السلاح بيد الدولة وتدفع باتجاه عراق خال من التدخلات الخارجية وتضمن اطار مؤسساتي ودستوري والشعب العراقي هو الفيصل في تقرير نوع الحكومة، اي الشرعية تعود الى العراقيين مهما كانت خياراتهم. هل اللاوعي الجمعي الايراني هو الذي دفع الجمهورية الاسلامية بتبني نظرية الفارابي بالحكم والتي هي نظرية مشابهة لنظرية افلاطون بشرعية

الحكماء والعلماء بحكم المدينة الفاضلة، بينما اللاوعي الجمعي العراقي اتبع نظرية ارسطو في الحكم بشرعية الناس بالحكم وليست النخبة؟ انا شخصيا اعزيه الى الامام علي (ع) وليس الى ارسطو. الحرية في مفهوم الامام علي (ع) ، قيمة مقدسة لا تعلوها قيمة أخرى. وقد تبنت المرجعية الشيعية في النجف هذه القيمة كقيمة أساسية في مسيرتها الفكرية والميدانية في العراق، بينما هذه القيمة في الشرق لم تكن من أولويات منظومة القيم في بناء دولة مدنية حديثة.

حرية الرأي في الغرب تعني ان لا يدعوا الى قتل الآخرين ولا الى العنف او الاقصاء والكرهية. بينما الحرية في الشرق تدعوا الى العنف والاقصاء. لماذا؟

في الغرب سابقا الدين حرق العلم. الخطاب الديني ضد الخطاب العلمي. مثال محاولة حرق العالم الفيزيائي غاليليو مجرد قوله بأن الأرض تدور حول الشمس. والفلسفة ألغت الدين وشكت فيه . والدولة ضربت الاثنين أي الدين والفلسفة ، وهو قتل سقراط.

منذ أكثر من قرن، تصالحت الدولة مع الدين والفلسفة، وتصالح الدين مع العلم، وتصالح العلم مع الدولة. منها نتجت الحرية كنتيجة للتصالح. اما في الشرق لم تولد الحرية لا من الدين ولا من الدولة ولا من الفلسفة. اذن من أين ولد مفهوم الحرية عند المرجعية في النجف والتي أدهشت المهتمين بعلم السياسة والأجتماع والفلسفة؟

الجواب نجده عند الامام علي (ع). كيف نشبت هذه الفرضية؟ فلنتكلم قليلا عن الامام علي (ع) ولكن من خلال قراءة حديثة مبنية على مناهج حديثة ومنها الجيولوجيا التي تساعدنا على توضيح هذه الفكرة الأساسية في فهم مرجعية العراق وايجاد المفتاح الذي يفسر كل تصرفاتها الفكرية والميدانية.

كتب العديد من المفكرين والمؤرخين والكتاب والشعراء والفلاسفة والباحثين بمختلف لغاتهم وهوياتهم وانتماءاتهم الفكرية والدينية عن الامام علي أمثال طه

حسين (١٨) ، عباس محمود العقاد (١٩) ، عبد الرحمن الشرقاوي (٢٠) ، جورج جرداق (٢١) ، وراجي أنور هيفا ، وسليمان كتاني ، وغيرهم (٢٢) ، كتبوا عن سيرة وشخصية وفلسفة وحكمة وسياسة الامام علي ، كل من زاوية أو مدخل. ورغم دراستي الدكتوراه وبحثي عن الامام علي بعنوان " علي بن أبي طالب امام وخليفة " والذي أعد في جامعة بوردو في فرنسا ، والذي أستند بصورة رئيسية على كتاب نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام وحكم الامام علي وقام بشرحه كل من بن أبي الحديد المعتزلي وابن ميثم البحراني والشيخ محمد عبده وصبحي الصالح وغيرهم ، ألا أني وجدت أن هناك قضية مهمة لم يجري بحثها بشكل كاف ودقيق أو يحاط بكل جوانبها ألا وهي: (فلسفة الامام علي للإنسان والحياة).

نظرة الامام علي للإنسان والحياة واضحة المعالم ، متجانسة ومتكاملة الابعاد في سياق يمسك بقاعدتين فكريتين ، دينية ودنيوية. (أعمل لدنياك كأنك تعيش أبد وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) (٢٣)

قد تبدو للبعض متناقضتين ولكن خلال تفحص فكر الامام علي نستطيع أن نجد أن هناك امكانية واضحة للتعايش بين هاتين القاعدتين ، لفهم حياة وسلوك الانسان وآفاق تطوره وتطور المجتمعات المرافقة له. أنها فلسفة في الحياة تفاؤلية ، ملتزمة بقاعدة التطور الانساني مع أفق واسع من الحرية الشخصية. كان الامام يشدد أن التغير والتطور الايجابي لحياة الانسان تخضع لضوابط يجب احترامها.

هذه النظرة الفلسفية العميقة للإنسان والحياة جعلت من بن أبي طالب عليا وسرا الأسرار ، ومشرق الأنوار ، وسر الأنبياء والمرسلين ، وسيد الأوصياء والصديقين ، والظاهر البرهان والباطن بالقدر والشأن. بهذه النظرة أصبح الامام علي سيد القوم ،

محب الشهود ، ومحبوب المعبود ، باب مدينة العلم ، ورأس المخاطبات ومستنبط الاشارات ، وراية المهتدين وزين العارفين ، وامام السائرين والعاقلين ، وأعظمهم حلما وأكثرهم علما

السؤال الذي يطرح وهو : كيف اجتمعت كل الخصال الحميدة ، والقيم المجيدة ، ومحاسن الأفعال ، وكمال الخصال ، في رجل واحد أسمه علي بن أبي طالب؟ لماذا لم تجتمع ولو أعشارها في رجل لا من قبله ولا في عصره ولا من بعده؟ هل لأنه كان يؤمن بالله الأحد القهار؟. الجواب لا. لأنه كان قبل الامام علي وحينه أناس يؤمنون بالله الواحد من اليهود والنصارى والمسلمين ، وقسم منهم استشهدوا بسبب عقيدتهم.

كان من أولئك الذين عاصروا رسول الله (ص) ولازمه فترة طويلة؟. الجواب لا. لأنه كان هناك من عاصروا وعاشوا النبي (ص) أكثر فترة من الامام علي. كان ممن صاهر رسول الله (ص)؟. الجواب لا. لان كان هناك من صاهر رسول الله مرتين

كان من أشجع بني قومه؟. الجواب وأن كان أشجعهم. لكن تم تجتمع في أقل شجاعة منه أعشار مما اجتمعت عند الامام علي.

إذا كانت لا، القرابة والصحبة والمصاهرة والمعايشة مع رسول الله (ص)، ولا الايمان بالله الواحد القهار، ولا الكرم والتقوى والزهد هي الوحيدة والكافية التي جعلت من بن أبي طالب أن يكون عليا وسرا إلهيا، اذن ياترى ما هو هذا اللغز والسر العجيب؟ الرجال الذين تركوا بصماتهم في مسيرة التاريخ الانساني ، بنوا جل أفكارهم على نقطة بداية. وعلى ضوئها بنوا صرحا من العلوم والمعرفة. مثال على ذلك:

كارل ماركس: وجد المفتاح الرئيسي الذي به يفسر التاريخ وهي نظرية "الصراع الطبقي" (٢٤).

دارون: الحياة نشأت من أصل واحد، ومنها وضع نظرية "أصل الأنواع" (٢٥).
 أينشتاين: أراد أن يعرف أول معادلة رياضية على أساسها بني الكون، فوجد
 "النظرية النسبية" (٢٦).

هويل وغيره وجدوا نقطة بداية الكون، ومنها نظرية "البيك بونك" (٢٧).
 نيتشة: بنى نظريته الفلسفية على أنه المحرك الأساسي للانسان هو "حب امتلاك
 القوة" (٢٨).

الاديان التوحيدية نقطة الانطلاق لها هي "التوحيد الالهي".
 السؤال هو: ما هي نقطة الابتداء للامام علي والذي بنى على ضوئها جل نظريته
 وفلسفته للانسان والحياة؟ هذه النقطة لا يمكن معرفتها الا من خلال شيء تفرد به
 الامام علي عن عامة الناس قاطبة. لم يشاركه أحد لا من قبله ولا في حينه.
 تفرد الامام علي دون سائر الناس جميعا في ما يتعلق بوصفه الدقيق والعميق لخلق
 الكون، والملائكة، والانسان، والطاووس، والخفاش، والنملة، والجراد. وصفها
 وكأنه عالم من علماء الحيوان والحشرات والفيزياء والبايولوجي. ومن اقواله:
 وصف خلق الكون: (أمال الأشياء لأوقاتها. محيطا بحدودها وانتهاءها، عالما بها قبل
 ابتداءها وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره) (٢٩).

وصف الملائكة: (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، عصمهم
 من ريب الشبهات. فما منهم زائع عن سبيل مرضاته) (٣٠).

وصف خلق الطير: (أسكنها أخاديد الأرض وخروق الجبال.... فالطير مسخرة لأمره
) (٣١).

وصف خلق الانسان : (جمع سبحانه من حزن الأرض وسبخها تربة.....فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول أجملها حتى استمسكت ثم نفخ فيها من روحه فتمثلت أنسانا ذات أذهان يجبلها. وفكر يتصرف بها وأدوات يقلبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل) (٣٢).

هل أراد الامام علي من هذه الأوصاف الدقيقة أن يرينا جميل صنع الباري ، وقدرته وعظمته ودقة صنعه ؟ إذا كان هذا هو السبب ، أولم يكفي وصف اثنين أ ثلاثة من هذه المكونات الكونية لكي تصل رسالته الى العالم ؟ الجواب هو ليس هذا السبب الرئيسي. إذن ماذا أراد الامام علي بالذات من هذه الأوصاف الدقيقة؟.

أراد الامام علي أن يقول أن الله خلق عالمين. الاول عالم غير الانسان وهو عالم الملائكة والشجر والحجر والطير والحيوان وكل الحيوانات الأخرى. صفات خلق هذا العالم أنه عالم مسير لامخير. لم يملك حق الاختيار. أنه مبرمج مسبقا. ولذا يقول : (، أمرها أن تقف مستسلمة لأمره. فما منهم زافع عن سبيل مرضاته. مسخرة لأمره. (أما العالم الثاني ، وهو عالم الانسان : عالم يملك حرية الاختيار ، لم يكن مبرمج مسبقا ، ولذا يقول يفرق بها بين الحق والباطل).

ماذا نستنتج من هذين التصنيفين ؟ ماذا كان يدور في ذهن وفكر الامام علي ؟ وكأنه أراد الامام علي أن يقول أن الحرية هي الفيصل بين العالمين. الانسان هو الكائن الكوني الوحيد الذي يمتلك الحرية. أنها هبة من الله لا يعطيها لغيره. أنها مقدسة. فقد هذه الحرية ، هو الانتقال من عالم الانسان الى عالم الحيوان. وسلب هذه الحرية هي الاعتداء على أكبر الحرمات المقدسة. ولذا يقول : (لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فأنهم مخلوقين لزمان غير زمانكم) (٣٣). وعلى ضوء هذه النقطة بنى الامام علي جل أفكاره ، ومنها نستطيع أن نفسر مجمل تصرفاته.

مثال: في حرب صفين : عندما أوشك جيش الامام أن ينتصر على معسكر معاوية ، وخذعة التحكيم التي وقع في فخها فريق الامام علي ، وبالرغم من تحذيره لهم ، إلا أن الأكثرية أرادة وقف الحرب. وكان الامام يعلم أن النزول عند رغبة الأكثرية سوف يضع أهم تجربة انسانية مقدسة في مهب الريح. احترامه لهذا المقدس الذي به تميز عالم الانسان من عالم الحيوان ، فقال لهم : (وليس علي أن أحملكم على ما تكرهون) (٣٤) . وقوله : (أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) (٣٥) ، يريد أن يقول : أن العامل الموحد لكم هو امتلاك الاثنين صفة الحرية. الاثنان ورثوا نفس الارث المقدس.

فلنذهب بعيدا في فكر الامام علي. ماذا كان يتحسس في قلبه وعقله لهذين العالمين ؟

الامام علي يرى العالم غير الانساني وهو عالم الحيوان ، عالم ذو طبع ثابت. الثعلب يبقى ماكرا منذ ملايين السنين. الأسد يبقى وحشا والكلب يبقى كلبا. أي أن هذا العالم يكرر ما عمله آباءه منذ ملايين السنين. لذا هذا العالم لا تأريخ له . لأن حياته بنيت على التكرار.

هذا العالم غير الانساني ، لا مكان فيه للضعيف. شريعة القوي يأكل الضعيف.. هذا العالم لا يتكلم. هزة أرضية أو بركان أو عاصفة أو الأسد عندما يهجم على فريسته، لا تنبيه ولا تحذير.

أما العالم الثاني ، وهو عالم الانسان ، عالم لا طبع له. تجد أخوة من نفس البيت كل يبني حياته بطريقة تختلف عن الآخر. لذلك للإنسان تأريخ. وهذا يفسر قول الامام (لا تقسروا أولادكم) أي. (العالم الانساني ، عالم يحمي القوي فيه الضعيف. حماية الفقير والمحتاج واليتامى والمساكين والأرامل والكهول.

هذا العالم يتكلم. أي يحذر وينبه ويصحح.

الامام علي كان يحذر الناس من الانتقال من عالمهم الى العالم الحيواني. رغم الضغوط التي كان يعاني منها ، لم تزعزعه قيد أنملة من عالمه الانساني. الامام علي كان انسانا كاملا بمعنى الكلمة. ولذا كان يقول : (أحذركم من الدنيا فأنها منزل قلعة - أي ليست مستوطنته وليست بدار نجعة - أي محط رحال ومنتجع. كم واثق بها فجعته وذي طمأنينة اليها قد صرعته. أفهذه الدنيا تأثرون أم اليها تطمئنون أم عليها تحرصون. ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب) (٣٦).

اما ما يخص الديمقراطية وشرعية حكم الأكثرية، أيضا ورثتها المرجعية الدينية الشيعية من الامام علي (ع). تغليب رأي الأكثرية واحترام الأقلية اعتبرها الامام علي (ع) كقاعدة للتعايش وضمان وحدة الأمة بقوله (ألزموا السواد الأعظم، ان يد الله مع الجماعة). بدون هذه القاعدة لا يمكن بناء حوار مع الآخر. مبدأ احترام الأكثرية (العامة) من قبل الأقلية (الخاصة) مهما كان قرب الأكثرية من الصواب والخطأ، نذكر قوله الى مالك الأشتر حينما ولاه على مصر (وليكن أحب الأمور اليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وان سخط الخاصة يغتفر برضى العامة).

قولي في المقدمة، المرجعية الدينية الشيعية في النجف منذ تأسيسها غلبت الدور الاجتماعي في سلوكها على الدور السياسي لأنها تدرك أن المجتمع يحرك السياسة وليست السياسة تحرك المجتمع. وهذه النظرة جاءت أيضا كإرث وراثته المرجعية من الامام علي (ع) قوله الى مالك الأشتر (ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه

الأمة، وأجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن).

مفهوم الدولة عند الامام علي (ع) كان لها مفهوم يختلف عن مفهوم الدولة لافلاطون الذي بنى فلسفته على أحقية الحكماء أو العلماء بقيادة الدولة السياسية وتنظيم المجتمع، وكذلك تختلف قليلا عن مفهوم الدولة عند أرسطو الذي قال بأن شرعية الحكم تأتي من الناس وليس من النخبة. لكن أرسطو حاول كيفية إيجاد التوازن بين الحرية والسلطة أي مثلما كتب في هذه الفكرة الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو وسماه بالعقد الاجتماعي. اما علي بن أبي طالب فقد جعل الحرية هي الفيصل في فصخ هذا العقد بين الناس والدولة حتى لو كانت في ساحة الحروب. أي فلسفة الامام علي للدولة كانت بالديمقراطية المباشرة مع الاستفتاء الشعبي الدائم حتى في ساحات الحرب. لا سلطان ولا قيمة اعلى من الحرية والناس هم لهم حرية الاختيار الدائم.

ممکن أختتم قلبي ، الامام علي(ع) كان ينادي ويدعوا الى قانون عالمي ليس فقط لحفظ الانسان بل لحفظ الانسانية جمعاء.

المرجعية الدينية في النجف منذ تأسيسها غلبت الدور الاجتماعي في سلوكها على الدور السياسي. وكانت تعتبر نفسها كوجود ضمن هوية عراقية جامعة للمكونات الاثنية والدينية المختلفة. تعتبر المرجعية سلطة الشيعة وليست السلطة الحكومية. أعطت المرجعية هبة الى شيعة العراق حيث كان الملوك والرؤساء يزورهم في النجف ولم نرى مرجعا زار الملوك او الرؤساء عدى صدام حسين اراد ان يكسر هذا التقليد باجبار السيد الخوئي القدوم الى قصره الجمهوري ولكن هذه كانت خطأ كبيرة تسجل عليه. أما الطائفة السنية مرجعيتهم هي السلطة الحاكمة. هذه الصورة مستمرة منذ تسعة قرون تقريبا. اليوم المعادلة اختلفت،

لكن النسيج الاجتماعي العراقي يحتاج الى مرافقته بهدوء للتكيف على هذه الحالة الجديدة. الشيعة لا زالوا يعتبرون سلطتهم المرجعية بينما المرجعية تؤكد وتطلب منهم ان يأخذوا دورهم ببناء سلطة دولة حديثة وان تكون المرجعية هي سلطتهم الروحية وليست السياسية، وسلطتهم السياسية هي الدولة ومؤسساتها. وهذا يحتاج الى وقت الا ان المرجعية تدرك بوضوح دورها بالحفاظ على النسيج الاجتماعي العراقي وعدم تمزقه. بناء دولة مدنية حديثة امر جدا معقد. خاصة في العراق، لقد اقصوا العراقيين من فن بناء وقيادة وصيانة الدولة منذ اكثر من ٧ قرون خلال الحكم العثماني. اليوم المرجعية تريد من الشيعة ان يغيروا من سلوكهم بتعزيز مفهوم السلطة هي الدولة الحديثة، ومن السنة بان السلطة هي ليست فقه ديني بل مرجعية سياسية لكل العراقيين. لذلك لم تفرط المرجعية بوحدة النسيج الاجتماعي العراقي. السؤال الذي يطرحه العالم هو، من اين جاءت هذه النظرة الفلسفية للدولة ولعلاقة الانسان بالآخر وللحياة لمرجعية النجف الأشرف؟ هذا الدراسة سوف تكشف سر هذا السلوك الذي حير كثير من المهتمين بالفلسفة الدينية او علم الاجتماع الديني. انا شخصا وجدت ان تميز مرجعية النجف عن غيرها من المرجعيات هو يعود للهوية العراقية التي تمتد جذورها الى اكثر من ٤٠٠٠ عام. وهذه الهوية هي التي تدفع النسيج الاجتماعي العراقي بأخذ هذه المسارات والمنحنيات. أي مرجعية النجف تحكمها خصوصيتان، هما خصوصية الزمان اي التاريخ الاسلامي وتاريخ وادي الرافدين، وخصوصية المكان هي النجف الاشرف المدينة التي بنيت حول قبر الامام علي ع وشخصية الامام علي ع زرعت منظومة من القيم الروحية والخلقية والسياسية في جسد مرجعية النجف وكانها مدرسة طلابها المرجعية ومعلمها وحكيمها الامام علي ع.

هذه الدراسة سوف تجيب لنا على عدة اسئلة منها، لماذا شيعة العراق لم يتخذوا نفس المسار في بناء دولة حديثة مثل شيعة ايران؟. كذلك، سر اعطاء الحرية الكاملة للشعب العراقي في تقرير نوع الدولة التي يبغى تأسيسها وقيادتها وصيانتها؟ والسؤال الأخير هو، عدم تغليب الوجود الشيعي على الهوية العراقية الثقافية. ان شاء الله قد اكون موفقا على الاجابة والتوضيح لما ذكرته اعلاه.

المصادر:

1-Ferry Luc , La maison de la philosophie, paris, 2012

٢. ناجي عبد الجبار، التشيع والاستشراق، المركز الأكاديمي للأبحاث، ٢٠١١

٣. فضل الله محمد حسين، مقابلة خاصة مع الباحث، ٢٠٠٣

٤. فتوى الجهاد الكفائي: أفتى السيد السيستاني في ١٣ حزيران ٢٠١٤م القادرين على حمل السلاح ومقاتلة الارهابيين الى التطوع للانخراط في صفوف القوات الأمنية، عقب سيطرة تنظيم داعش على مدينة الموصل وصلاح الدين وديالى.

٥. قاسم حسين مظفر، شبكة ZNN في 16/06/2018.

٦. بيان مكتب سماحة السيد السيستاني حول الانتخابات النيابية في العراق لعام ٢٠١٨م، موقع سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني.

7-Connerton Paul, How societies remember. Revue française de sociologie 1991.

8- Faucault Michel, Les corps, cahiers philosophique, 2012 no. 130

9- Bourdieu Pierre, le corps comme signifiant social. Acte de la recherche en science sociales, 1977.

١٠. سفيح عبد علي، دراسة حديثة في السلوك الفردي والجمعي للعراقيين. مؤتمر لندن ٢٠١٥.

11- Freud Sigmund : Introduction à la psychanalyse. Paris 2015

١٢. انتشار الاسلام والتعريب في العراق-سليم مطر.

١٣. بناء المفاهيم في الدولة الحديثة، المواطنة والدستور نموذجا. حكمت النحاتي- شبكة النبا المعلوماتية ٢٠١٧.

١٤. المنابع الاجتماعية والثقافية للعنف. فالح عبد الجبار. الفرات للنشر والتوزيع. بيروت ٢٠٠٨ ص ١٨.

١٥. سفيح عبد علي، دراسة حديثة في السلوك الفردي والجمعي للعراقيين. مؤتمر لندن ٢٠١٥.

16- Attali Jacques, les chemins de l'essentiel, 2018, paris.

17- BERSTEIN Serge, MILZA Pierre, Histoire de l'Europe. Tome 3. États et identité européenne (XIVe siècle-1815), Paris, Hatier, 1994

١٨. طه حسين: كتاب الفتنة الكبرى علي وبنوه. القاهرة ١٩٥٦

١٩. عباس محمود العقاد: كتاب عبقرية علي. المكتبة العصرية بيروت

٢٠. عبد الرحمن الشرقاوي: كتاب علي امام المتقين. بيروت لبنان ١٩٨٥

٢١. جورج جرداق: كتاب علي صوت العدالة الانسانية. بيروت ١٩٥٤

٢٢. محمد سعيد الطريحي: كتاب علي امام الامم. صدر بمناسبة مهرجان الغدير

العالمي الاول ٢٠١٢

٢٣. سيد عطية أبو النجا. كتاب نهج البلاغة مترجم الى الفرنسي. بيروت ١٩٨٦

٢٤. كارل ماركس: ١٨١٨-٨٣١٨. فيلسوف وعالم أقتصادي ومؤرخ. من

أصل ألماني

٢٥. داروين : ١٨٠٩-١٨٨٢. بريطاني الأصل.

٢٦. اينشتاين. عالم فيزياوي الماني ت ١٩٥٥.

٢٧. فرويده هوبل : عالم فلكي أول ما أطلق تسمية البيك بونك عام ١٩٥٠

٢٨. نيتشة : ١٨٤٤-١٩٠٠. فيلسوف ألماني الاصل

٢٩. سيد عطية أبو النجا : كتاب نهج البلاعة ص ٢٦ بيروت ١٩٨٦

٣٠. نفس المصدر السابق. ص ٣٦

٣١. نفس المصدر السابق. ص ١٥٠

٣٢. نفس المصدر السابق. ص ٣٦

٣٢. نفس المصدر السابق. ص ٤٦٥

٣٣. نفس المصدر السابق. ص ٣٨٤

٣٤. نفس المصدر السابق. ص ٤٦٠

٣٥. نفس المصدر السابق. ص ٥٨٨

٣٦. نفس المصدر السابق ص ٢١٥

دور المرجعية الدينية الفاعلة في التطور السياسي والاجتماعي للمجتمع

العراقي وبناء شخصية الفرد العراقي : السيد الشهيد محمد محمد

صادق الصدر (قده) انموذجا

أ.د. احسان عيدان عبد الكريم السيمري

كلية الطب – جامعة البصرة

الخلاصة:

لقد شكل الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر (قده) ظاهرة للمرجعية السياسية والعقائدية وكان الأوفر حظا في إستقطاب مختلف طبقات الشعب والعمل من أجل صيانة الحقوق الوطنية والإنسانية على أساس العدل الكامل. يمكن القول ان الثقل الأساسي الذي اتخذته تجربة الشهيد محمد محمد صادق الصدر في الواقع العراقي، هو الثقل الاجتماعي، فلقد طغى هذا الجانب الاجتماعي على الكثير من مضامينها وآليات وأساليب عملها وحتى على ما يميزها - اي هذه التجربة - عن غيرها من تجارب العمل والتحرك المرجعي. وكذلك في وعيها المسبق لضرورة رصد الحركة الاجتماعية وعلاقاتها بصورة عامة أي علاقتها الداخلية، علاقتها مع المؤسسة الدينية، علاقتها مع السلطة. هذا فضلا عن رصد البنية السلوكية والقيمية للمجتمع وبنية الاعراف والتقاليد التي تراكمت عبر سنين طويلة، وامتزجت فيها عدة عوامل وأسس دخيلة أظهرها بواقع يخالف أو يتناقض مع السلوك الديني. ان هذا الثقل الاجتماعي لتجربة ومشروع الشهيد محمد محمد صادق الصدر، لا يعني وضعه كهدف نهائي يتطابق ويتساوى مع نمط آخر من أنماط واتجاهات العمل الاجتماعي كالاتجاه المحدود في أفقه التغيير أو الاتجاه الخيري -

الإصلاحي الذي غالبا ما يعبر عن نفسه بمؤسسات أو هيئات اجتماعية تهدف إلى سد حاجات بعض القطاعات الاجتماعية، أو انها تعالج حالات طارئة في الساحة الاجتماعية، فليس خافيا أن مشروع الصدر الثاني عندما يأخذ هذا البعد الاجتماعي فهو يغاير تماما هذا المعنى، لأنه في واقع الحال مشروع تغيير كلي تمتزج فيه كل ابعاد التغيير الإسلامي وصولا إلى التغيير السياسي، وفق خطة ومنهج، إلا أن ظروفًا تاريخية وآنية فرضت هذا الثقل الاجتماعي للتحرك واكتشاف منهجه .

فالشهيد الصدر حتى لو كان متاحا له أن يقتحم ابواب «السياسة» مباشرة، فهذا الاقتحام سيكون اقتحاما فوقيا ما كان له أن يعالج من الواقع بالصورة التي حصلت. ولا أن يظهر مشروعه بالشكل الذي حصل، فهو سيشكل ظاهرة محدودة من ظواهر العمل المرجعي السياسي لها حيزها المناصر المحدود أو قد يتاح له أن يشكل «احتجاجا» سياسيا مرجعيا، اقرب إلى تسجيل الموقف الذي سينتهي به في واقع مثل الواقع العراقي إلى النهاية السريعة. ولذا فهو عندما فكر على مستوى الوطن وانجاز التغيير على مستوى كل الأمة فسيكون «مضطرا» أن يتعامل أولا مع البنى التحتية للعمل السياسي، أو الدور السياسي المباشر... وهي بنى اجتماعية يبقى التعامل معها بالضرورة من أصعب الصعوبات لأنه سيخضع إلى اشكالية تاريخية وسيحتاج إلى جهد فكري وعملي كبير، وسيفرض خطبا اجتماعيا لم يسعفه التاريخ المرجعي في العراق بسوابق كافية له، تتحول إلى ارضية انطلاق يمارس التطوير على ضوءها لانتاج خطابه الخاص، فهو عليه أن يخوض تجربة هذا الخطاب الاجتماعي، وأن يقدم نموذجا تأسيسيا معاصرا له خاصا بواقع العراق. إن المرجع الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر «رض» أقدم على تغيير هذا الظرف بتأسيس سليم يغاير (تسجيل المواقف) أو ممارسة السياسة بشكل فوقي.. إن طريق

السياسة الحقيقي تطلب منه أول ما تطلب عملا دؤوبا وبطيئا في وسط المجتمع لتصحيح منظومة وعيه وتأسيس منظومة جديدة تعطي الصراع مع السلطة جذور الديمومة وتلامس عصب الصراع المحلي الداخلي وإشكالاته التاريخية فيما يتعلق بعلاقة المرجع بالأمة وإزاحة التراكمات السلبية لانكفاء هذه العلاقة.

«وإذا كان الإصلاح والتجديد فعلا حضاريا محركا في الحياة الاجتماعية وله مجالات متنوعة ومظاهره المختلفة التي تتحدد على أساس حاجة الواقع الاجتماعي، فقد يفرض الواقع في بعض الفترات أن يكون مجال الإصلاح في البناء الفكري، وقد يفرض في فترات أخرى الحركة السياسية أو الموقف الثوري. وهنا يأتي دور الرمز المصلح المجدد وقدرته في تحديد الخيار المناسب»، إذا كان الأمر كذلك فإن الصدر الثاني جمع كل هذه الأبعاد التجديدية حسب الحاجة والمرحلة، وإن السياسة المباشرة كانت المرحلة الأخيرة في تجربة الصدر الثاني، وذلك بعدما تم إنجاز إصلاح البنى الاجتماعية وتسييسها عبر عمل مضني وسريع، فهذا العمل يبقى شرطا - في مثل الحالة العراقية بعدما عاشته من تراكمات سلبية في العمل السياسي الداخلي - للعمل السياسي المباشر، ولم يدرك المراقبون السطحيون هذه المنهجية الجذرية عندما اعتبروا تجربة الصدر الثاني بأنها تجربة إصلاح اجتماعي لا غير.

بسم الله الرحمن الرحيم

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون الآية (١٢٢) التوبة

مبررات الدراسة:

بسبب الضبابية والغفلة التي تعيشها الأمة في هذه الأيام العصيبة وذلك بعد إثارة الشبهات والاستفهامات على المرجعية الدينية من قبل الوصوليين والعملاء

والاستكبار العالمي، وبسبب الشك والالتباس الذي يدور بخلد الكثير من الناس حول هذه المؤسسة الحققة، لذلك رأينا أن نقوم بتكليفنا الشرعي للدفاع عن هذه المؤسسة العظيمة من خلال التعريف بالمرجعية الدينية وتوضيح المواقف والأدوار التي قامت وتقوم بها تجاه القضايا السياسية والاجتماعية والحياتية وغيرها من القضايا التي تهم الإسلام والمسلمين والتركيز على القضايا السياسية لأنها محور البحث الحالي، فضلاً عن ذلك تقديم عرض موجز لبعض المواقف العملية لعلمائنا العظام ضد الانحرافات الفكرية والسياسية السلبية منها أو الايجابية التي قام بها العملاء والاستكبار العالمي .

وبالاحص سنتناول بالبحث والتحليل دور المرجعية الدينية للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (قده) في بناء المقومات السياسية والاجتماعية للمجتمع العراقي ودورة المؤثر والفعال في بناء شخصية الفرد العراقي

المقدمة:

لقد كان للمرجعية الدينية الشريفة دور فاعل في أحداث العراق والمنطقة قبل سقوط النظام لا يمكن لأحد إن يتجاهله، إذ يعود تاريخ مشاركة علماء الدين العراقيين في صميم السياسة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى، حيث دعا علماء الشيعة للجهاد مع العثمانيين ضد الإنجليز، وساهم بعضهم في القتال فعلاً، ثم الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، إلا إن تنامي دورها الأساس والرئيسي في الشؤون العامة ظهر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣، وبعد صعود التيارات السياسية الإسلامية والقومية والمدنية إلى السلطة في العراق اثر سقوط النظام البائد ، ظهرت بعض الأصوات الشعبية تطالب بإشراف ورعاية المرجعية الدينية في النجف الاشرف للعملية السياسية في العراق وعدم ترك الأمور بيد الاحتلال وتلك التيارات السياسية

المختلفة، وفعلا دعت المرجعية الدينية الشريفة إلى اخذ رأي الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداء من الدعوة لتشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة، ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين، والدعوة أيضا لإجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخابات أعضاء المجالس المختلفة.

وانطلاقا من أهمية تظهير التجارب التي تجسد الأفكار الحية في الأمة، سنقترب في هذه الدراسة من تجربة دينية وسياسية واجتماعية مختلفة في ظروفها واليات عملها ، ألا وهي تجربة الشهيد السيد محمد صادق الصدر رحمه الله تعالى (١٩٤٣-١٩٩٩م) الذي استطاع في فترة زمنية وجيزة وفي ظل نظام الطاغوت في العراق من تطوير وتعزيز الحالة الدينية في المجتمع العراقي وربطها بأفاق الإصلاح والتغيير ، بحيث تحول السيد الصدر وتياره ومدرسته إلى قوة فاعلة في المشهد العراقي .

ويتضح من ما ذكر أعلاه ، أن تجربة السيد محمد صادق الصدر ، واجهت في العراق مشكلة قوى الاستبداد السياسي التي كانت تتمثل وتتجسد آنذاك في النظام السياسي الصدامي وامتداداته الأمنية والثقافية والاجتماعية ، وهي نموذج للأفكار القاتلة ، التي لا تحتمل الاختلاف . فإما أن تكون معها ، وخاضعا لأجندتها وخططها ، أو تتحول إلى موضوع لنبذها وممارسة أقصى أشكال الحيف والظلم تجاهها .

فالنظام السياسي الصدامي والذي يستند في إدارته وحكمه للعراق ، إلى بنية أمنية ، قمعية لا تعرف إلا لغة الاعتقال والاغتيال لذلك عانى السيد الصدر في ظل هذه القوى معاناة شديدة على أكثر من مستوى .

في ظل هذه الأوضاع ومتوالياتها الأمنية والسياسية والدينية والاجتماعية ، اجترح السيد الشهيد لنفسه طريقة جديدة تمكنه من الاستمرار في عمله الديني والاجتماعي ، دون القضاء عليه من قبل هاتين القوتين ، والذي يجمعها تحالف

موضوعي غير مباشر، يفضي إلى استمرار الهيمنة الأمنية والسياسية ومن جهة أخرى استمرار حالة الخضوع الديني والاجتماعي .

ملامح التجربة :

ولعل من أبرز ملامح حركة السيد الشهيد الصدر هي النقاط التالية :

١- التواصل والتفاعل المباشر مع المجتمع بكل شرائحه وفئاته ، وعدم التعالي على قضاياهم وهمومهم. وذلك ضمن رؤية عميقة تبناها السيد الشهيد مفادها : أن عالم الدين وبالذات في المجتمعات الإسلامية - الشيعية هو ضمير الناس والناطق بقضاياهم وهمومهم وآمالهم . ولا يمكن أن يتحقق مفهوم (ضمير الناس) بدون التواصل مع الناس والإنصات إليهم والتفاعل معهم والدفاع عن قضاياهم . وقد نجح السيد الشهيد على هذا الصعيد ، إذ توسعت قاعدته الاجتماعية على نحو هندسي ، وأضحى السيد الشهيد رمزهم الديني والاجتماعي والناطق باسمهم والمدافع عن حقوقهم . وتحول هذا التواصل والتفاعل إلى حالة مؤسسية ودائمة من خلال شبكة الوكلاء الشرعيين الذي عينهم السيد الشهيد في محافظات العراق المختلفة ، وساهموا بشكل مباشر في تطوير نظام العلاقة والتواصل بين شرائح المجتمع المختلفة وزعيمهم الديني - السياسي السيد الشهيد الصدر .

لذلك وخلال فترة زمنية وجيزة نسبياً تحول السيد الشهيد إلى قوة دينية واجتماعية رئيسية في المشهد العراقي .

٢- العمل على بناء نخبة دينية جديدة ، تأخذ على عاتقها مهمة التواصل الفعال مع تعبيرات المجتمع المختلفة ، وتوسيع دائرة الوعي الديني في المجتمع . لأنه في أي تجربة إصلاحية ثمة حاجة ماسة إلى حامل بشري واجتماعي للأفكار الإصلاحية ، لأنه بدون الحامل البشري تبقى التطلعات مجردة وبعيدة عن التحقيق والانجاز .

أما إذا توفر الحامل البشري ، فإن هذا الحامل قادر على ترجمة أفكار المشروع وتطلعاته إلى الواقع العملي ، كما أنه هو الذي يقود عملية الإصلاح الديني والاجتماعي ، ويكون هو جسر الارتباط بين الزعيم الديني وعموم الناس .

ولعل ما يلفت النظر أيضا في تجربة السيد الشهيد الصدر ، هو انخراطه المبكر في إعداد وتهيئة نخبة دينية واجتماعية ، تؤمن بمشروع الإصلاح وقادرة نفسيا وعمليا على تحمل تبعاته .

ولقد تمكن السيد الصدر خلال مدة وجيزة من بناء نخبة دينية انتشرت في كل محافظات العراق ، وأخذت على عاتقها مشروع التبليغ الديني وزيادة وعي الناس ومعارفهم الدينية والحياتية ، وربطهم بمشروع الإصلاح والتغيير الذي يقوده السيد الصدر من أجل تحرير العراق من الاستبداد والاستئثار ، عبر بناء كتلة وطنية منتشرة في كل العراق ، تمتلك الوعي والمعرفة الدينية والسياسية ، التي تؤهلها للوقوف ضد مشروع استمرار الاستبداد في العراق .

وقد عمل السيد الصدر في هذا السياق على أحياء دور النجف العلمي والثقافي لأنه لا يمكن بناء نخبة دينية جديدة بدون حاضن علمي ، يطور من مستوى اهتمام الناس بالمسألة العلمية والثقافية . وحتى ينجح السيد الصدر في هذا المشروع ، عمل السيد على تحييد السلطة السياسية وأبعادها قدر المستطاع عن التدخل في الشأن الحوزوي ، ومنع أية إثارة أو مشكلة تلفت نظر السلطة وتدفعها إلى معاودة إجهاض المشروع الديني والاجتماعي للسيد الصدر .

٣- الرهان على الناس لتغيير المعادلات السياسية والاجتماعية القائمة .. ففي ظل السيطرة المطلقة للنظام البعثي في العراق على مجريات الحياة ، وفي سياق هيمنة الأجهزة الأمنية و سطوتها ، ومنعها بقوة الحديد والنار لأي عمل ونشاط بعيد عن

إرادة السلطة ومشروعاتها الأمنية والسياسية ، تمكن السيد الشهيد الصدر من تغيير بعض جوانب هذه المعادلة ، وذلك عبر الاهتمام بالناس وإحاطتهم الدينية والاجتماعية ، والحوؤل دون انخراطهم في أنشطة وأجهزة السلطة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لإخراجهم من حالة اليأس والإحباط التي كانت تسودهم وبالذات بعض إحباط انتفاضة ١٩٩١م ووصولها إلى مآلات لم تكن منسجمة ومجريات ويوميات هذه الانتفاضة المجيدة .

فالسيد الصدر ومن خلال رهانه على الناس ، والعمل المستديم لصقل مواهب وقدرات هؤلاء وصبها في مشروع الإصلاح والتغيير ، تمكن من إخراج شريحة اجتماعية واسعة من الشعب العراقي من تأثيرات السلطة السياسية والأمنية في العراق ، كما نقلهم من مربع الفرجة والشعور العميق باليأس والإحباط ، إلى رحاب الفعالية والانخراط الفعلي في مشروع التغيير والإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي . وتعلمنا تجربة السيد محمد صادق الصدر ، أن عنصر القوة الحقيقي لدى أي جماعة ، يتجسد في قاعدتها الاجتماعية ومدى التفاف الناس حولها . ولقد أجاد السيد الصدر عبر آليات عمله الاجتماعي والخدمي والميداني ، من توسيع قاعدته الاجتماعية والتفاف الناس حوله . وعبر الناس وبطاقاتهم وجهادهم وجهودهم وتضحياتهم ، تمكن السيد الصدر من تغيير الكثير من المعادلات السياسية والاجتماعية القائمة آنذاك في العراق . فقوة المشروعات الدينية والاجتماعية والسياسية ، هو في مدى احتضان الناس إليها ، والناس بطبعهم يحتضنون المشروعات التي تعبر عن قضاياهم وآمالهم . فالقوة لا تستعار من أحد وإنما تبني بناء وهذا ما تمكن السيد الصدر من تحقيقه وإنجازه في ظل ظروف أمنية وسياسية صعبة .

وتجربة السيد الصدر على هذا الصعيد ، تؤكد حقيقة أن من أبجديات السياسة أن حقائق المجتمع المختلفة ، قادرة إذا أحسن الناس إدارتها وتوظيفها أن تتحول إلى حقيقة في الميدان السياسي .

وإن قضاء حوائج الناس سواء الخدمية أو التنموية أو في مجالات الحياة الأخرى ، هو أحد سبل التمكين في المجتمع . وحينما تتغير ثقافة الناس ، وتنتقل من ثقافة اللابالية إلى ثقافة المسؤولية ، فإن هؤلاء الناس سيتحولون إلى قوة دافعة ومؤثرة في مشروع الإصلاح والتغيير .

ولقد كانت لدروس السيد الصدر وخطب الجمعة الذي خاطب فيها الجمهور بلغة بسيطة ، مباشرة ، الدور الأساسي في تغيير ثقافة الناس ، وتحويلها من ثقافة الخوف والإحباط إلى ثقافة تحمل المسؤولية وضرورة مواجهة كل أشكال الظلم والحيث الذي نتعرض إليه . وأي جماعة أو تيار أو حزب تتسع قاعدته الاجتماعية ، ويتمكن من محيطه الاجتماعي ، فإن مساحة فعله وتأثيره ستتسع تبعاً لقوته الاجتماعية وبمدى قبول الناس لرؤيته ومواقفه المختلفة .

العراق في فكر السيد الصدر :

انطلاقاً من ملامح التجربة المذكورة أعلاه ، يمكن تلمس واكتشاف رؤية السيد الصدر حول العراق راهناً ومستقبلاً . ولعل جذر الرؤية التي امتلكها السيد الصدر حول العراق ، نابعة من حاجة هذا البلد العريق إلى الإصلاح والتغيير . وإن هذا الإصلاح والتغيير ، هو الذي سيعيد للعراق وحدته الصلبة ، وتخلصه من براثن الاستبداد الشمولي الذي دمر عناصر القوة الحقيقية في الواقع العراقي .

فالملبوس العراقي في رؤية السيد ، ليس الانزواء والانكفاء والاشتغال بعيداً عن القضية المركزية ، وإنما بناء مشروع ديني - ثقافي - اجتماعي ، يأخذ على عاتقه

تفكيك حوامل الاستبداد والاستقالة من المسؤولية والعطالة المجتمعية..ولإنجاز هذه المسائل توصل السيد الصدر بالوسائل الأساسية التالية :

١- بناء وتطوير علاقة المرجعية الدينية بكل مؤسساتها وهياكلها بالمجتمع ، وإنهاء حالة الجفاء أو التعالي التي ساهمت في تضييع الكثير من الفرص السياسية والمجتمعية .

وأطلق السيد الصدر في عملية البناء والتطوير من حقيقة مركزية في تجربة الشعب العراقي في العصر الحديث ، وهي أنه حينما تتحرك المرجعية الدينية وتحمل مسؤوليتها العامة بشكل مباشر ، فإن قوى الشعب العراقي المختلفة ستتحرك وتلاقى المرجعية في منتصف الطريق لحمايتها من المخاطر الداخلية والخارجية ودعم وإسناد مشروعها العام .

لذلك فإن لحظات العنفوان في تجربة الشعب العراقي ، هي تلك اللحظات الذي تلاحم فيها المشروع المرجعي مع مشروعات القوى السياسية والاجتماعية للشعب العراقي . وإن حجر الأساس في مشروع الإصلاح والتغيير هو المرجعية الدينية وتفاعلها المؤسسي مع قضايا الشعب العراقي .. لذلك فإن من أولويات الأعمال والأنشطة التي قام بها السيد الصدر الثاني هو العمل المباشر على تطوير نظام العلاقة بين المرجعية الدينية وقوى الشعب المختلفة .

٢- العمل عبر وسائط دينية وثقافية عديدة لزيادة وتيرة الوعي الديني والحقوقى والسياسي في المجتمع . وذلك ضمن قناعة أساسية وهي أنه كلما أزداد وعي الناس ، توفرت فرص فعلية في مشاركة شرائح اجتماعية عديدة في الشأن العام . وإن قوى الاستبداد السياسي تراهن دائماً لبقاء واستمرار هيمنتها على جهل الناس وهروبهم من تحمل المسؤولية . لذلك فإن جوهر النشاط الديني والثقافي الذي قام به الصدر

الثاني يستهدف تأسيس وتعزيز قيمة الوعي في الفضاء الاجتماعي ، وذلك بوصفه هو جسر عبور قوى المجتمع للتعبير عن ذاتها في الشأن العام . ولقد اشكلت صلاة الجمعة المحور التعبوي الأبرز في حركة الصدر الثاني أزاء المجتمع ، ونجاحها حرض السلطة لوضع حد لها من خلال اغتياله . ورغم أنها مثلت آلية تعبوية بشكل دوري ، فإنه - أي الصدر الثاني - لم يكتف بها في سياسة التحشيد الاجتماعي التي عمل بها . بل أنه حاول من خلال هذه السياسة أن يجعل من المناسبة الدينية محورا من محاور اهتمامه لما تحققه هذه المناسبة الدينية من حضور جمعي . ولذلك فهو تعامل مع مسيرة الأربعين إلى كربلاء بشكل يعكس اهتمامه بأي إجراء يحقق حالة تعبئة عامة في وسط الأمة . ومن ثم استثمر هذه المناسبات في مشروعه التغييري الكلي ، وحث عليها ، كما أنه حاول أن يؤسس لمناسبات جديدة ، بغية إيجاد أكبر عدد من آليات الاتصال بالناس ، ومحاولة تدريبهم على لعب دور ما وفق ضوابط ، وإرشادات القيادة الدينية وبالتالي ربطهم بها ، (٣) ..

٣- بناء كتلة مجتمعية متجانسة ومتعاونة وتعمل على تعميق حالة الوعي الديني والسياسي في المجتمع . وبفعل ما أبدعه السيد الصدر الثاني من وسائل للتواصل مع الناس ، وتوظيف المناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة لزيادة وتيرة التعبئة والتشيد الاجتماعي ، تمكن الصدر الثاني من بناء هذه الكتلة التي تضم آلاف المقلدين والمتزمين بمشروع ورؤية الصدر الثاني في العراق .. ومع سقوط الطاغية صدام في عام ٢٠٠٣ م ، برزت هذه الكتلة الاجتماعية الواسعة التي عمل السيد الصدر في زمن الطاغية على بناءها وتأهيلها دينيا ومعرفيا . والعراق بالنسبة إلى السيد الصدر الثاني يعني :

١- البلد العربي- الإسلامي الذي يجب أن يعود إلى عروبه الصافية وإسلامه الأصيل . وإن الأنظمة السياسية التي اضطرت بالعراق وعملت على تفريغ شعبه من جوهره الإيماني هي من ألد أعداء العراق ، وهي بحاجة إلى مواجهة ومجابهة . وبالتالي فإن مشروع السيد الصدر الديني والاجتماعي يتجسد في إعادة العراق إلى حضنه العربي والإسلامي الأصيل .

٢- إن الاستبداد السياسي الشمولي واستئثار فئة قليلة من أهل الحكم بمقدرات البلد وثرواته ، هو الذي ساهم في إبعاد العراق عن حضنه الإسلامي الأصيل . ولا عودة للعراق إلى إسلامه وقيمه الأصيل إلا بتحرير العراق من طغمة الاستبداد السياسي . لذلك فإن الساحة العراقية في منظور السيد الصدر الثاني ، هي ساحة للصراع والمجابهة بين خيارين : خيار الاستبداد والاستئثار والتغريب الذي تقوده طغمة البعث الحاكمة في العراق . وخيار الإيمان والحرية والكرامة الذي يقوده الصدر الثاني . وكل الجهود والتضحيات المبذولة من السيد الصدر الثاني وتياره وجمهوره العام ، هو من أجل تثبيت مشروع الحرية والكرامة للعراق والعراقيين .^٣ إن القوة الحقيقية لأنظمة الحكم الاستبدادي في العراق نابعة من غياب وتغييب الناس عن الشأن العام . لذلك فإن الخطوة الأولى في مشروع تحرير العراق من نزعات الاستئثار والاستبداد هو في استحضار الجمهور إلى الميدان العام . ولا حضور إلى هذا الجمهور إلى ميدان المواجهة والتصدي إلا بتغيير منظومته الثقافية ونظرتة إلى ذاته وفضائه العام . وهذا ما عمل من أجله السيد الصدر الثاني . فعمل بإرادة صلبة وعمل مستديم على بناء ثقافة جديدة للشعب العراقي ، تكنس ثقافة الفرجة والتخلف والخوف من مواجهة المستبد ، إلى ثقافة الحرية والمسؤولية والقدرة على التغيير والإصلاح . لأن الاستبداد ليس قدرا مقدرا علينا ، وإنما هو نتاج تخلفنا وتغييبنا عن الميادين العامة وصممتنا عن

مواجهة الأخطاء والانحرافات. ففي (ظل تحولات خطيرة وكبيرة عاشها العراق وأدخلته في ظروف الحصار والجوع والقمع الداخلي المتزايد ، تصدى الشهيد السيد محمد صادق الصدر للمرجعية ، ولم يحسب أحد في حينه أن هذه المرجعية ستخلق ظاهرة تحول كبيرة وستقود جهدا تغييرا للواقع العراقي ، وستهز هذا الواقع من جذوره ، ومن ثم توجد أنماطا جديدة من علاقة المرجع بالسياسة ، وعلاقته بالسلطة ، وعلاقته بالأمة وإصلاح حوزويا واجتماعيا بالشكل الذي حصل ، وبالإضافة إلى ذلك تكتشف آليات إصلاح وآليات تواصل ومنظومة مفاهيمية لم تكن سائدة ومتعارفة ، وتشكل إبداعا ذاتيا وخصوصيات لتجربة مرجعيته أضافت إلى تجارب الفقيه الشيعي عبر التاريخ الثوري إضافات معرفية وفقهية واضحة ، معززة بسلوكية ثورية ، وخيار فقهي استشهادي له خصوصيته ووضوحه) (٤) ..ومن المؤكد أن النهج والطريق الذي سار عليه السيد الصدر الثاني ، لم يكن معبدا أو سهلا ، لأنه عمل في ظل أوضاع العراق الأمنية والقمعية ومن خلال هذه الظروف الصعبة تم اكتشاف إمكانات العمل ، وتوسيع دائرة المتاح .. وهذا لا يتأتى في بداية العمل إلا ببذل الجهود والمواقف التي تستهدف تحييد السلطة والحوول دون إجهادها للعمل والتجربة في مهدها . ولقد تحمل الصدر الثاني في هذا الطريق الكثير من الاتهامات والظنون السيئة ، التي تشك في مسيرته وتتهمه في خياراته . إلا أن صبره وتحمله الأذى في سبيل الله ، هو الذي أوصل المشروع إلى مآلاته ، التي جعلت السلطة تستهدفه وتحاربه حتى وصل مشروع السلطة إلى اغتياله مع بعض أولاده بتاريخ ١٩٩٩/٢/١٩ م .. فالأوضاع السياسية الداخلية في العراق ، لا تتحمل آنذاك مشروعات دينية وسياسية قائمة على المعادلات الصفيرية . لذلك نجد أن الساحة الإسلامية العراقية انقسمت آنذاك إلى قسمين : من لديه الاستعداد للعمل

والحركة إما أصبح داخل السجون والمعتقلات وبالتالي الإعدام، أو هاجر خارج العراق للانطلاق في العمل السياسي بعيدا عن ضغوطات السلطة المباشرة . ومن بقي في العراق حاول أن يحافظ على نفسه بالابتعاد عن الأنشطة الحركية والسياسية . وهذا أفضى إلى حالة من الجمود والانزواء. ولعل القيمة الأساسية لتجربة الصدر الثاني هو أنه لم يختار الهجرة مع العلم أنه تعرض للاعتقال والتعذيب ثلاث مرات ، كما أنه لم يقبل لنفسه الانزواء والجمود والهروب من ساحة العمل الديني والاجتماعي . فاجترح لنفسه طريقة في العمل شائكة ومليئة بالتحديات سواء من قبل السلطة الغاشمة أو قوى المجتمع التي كانت تعيش الجمود ومتوالياته . ولو تأملنا في مآلات هذه التجربة وطبيعة التيار الذي أسسه الصدر الثاني في العراق ، فإنه يدفعنا إلى الاعتقاد الجازم أن ما قام به الصدر الثاني في العراق ، يعد ثورة دينية ، إصلاحية بدون ضوضاء ، وإنما بالعمل النوعي الذي أنتج هذا التيار الواسع في كل محافظات العراق . المباحث العامة:

المبحث الاول: قائد شعبي في الزمن الصعب لقد كان هذا الرجل الشهيد (الصدر الثاني) قائدا شعبيا وتلميذا نجيبا من تلامذة أهل البيت عليهم السلام، وكان علما بارزا قل نظيره في ذلك الزمن الصعب زمن الشح والتصحر الذي ظهر فيه الفساد. بناء خط جديد للمرجعية الشعبية بدأ منذ اوائل ايامه بالتمهيد لبناء شخصية مرجعية جماهيرية شعبية وخط جديد في الحوزة العلمية يعمل في صفوف المجتمع. مرجعية الثورة والحركة ضد قوى الدكتاتورية والاستبداد لقد كانت إمامة الشهيد في مسجد الكوفة الكبير للناس تعبيرا عن إنعطاف في تاريخ العراق الحديث ومسيرته النضالية، ومولدا لمرجعية الثورة والحركة ضد الاستبداد والدكتاتورية، وخرقا للخطوط الحمراء التي طبعها النظام الدكتاتوري مع

الجماهير.. وكانت شهادته رضوان الله عليه عام ١٩٩٧ هزة حقيقية للنظام الدكتاتوري الذي أرعبته الحركة الجماهيرية للشهيد ولم يكن ذلك النظام قادرا على الإفصاح بكرهه لها ولدوره العظيم.

إقامة لصلاة الجمعة في مسجد الكوفة

أقام السيد الصدر الثاني صلاة الجمعة في مسجد الكوفة وآثار الموضوع الكثير من اللغط بين مؤيد معارض ومتخوف من الموضوع واستمرت صلاة الجمعة الى العشرة الاولى او ما بعدها بقليل حتى ابتدأت السلطة بمضايقة الشهيد الصدر من خلال التهديد والتحذير من الاستمرار باقامتها من خلال العديد من الحجج الواهية اولها التهديد للامن الاجتماعي واحتمال مهاجمتها من خلال عملية اراهابية في الوقت الذي لم يشهد العراق فيه وجود اي نوع من النشاط الارهابي انذاك.

خطبة الجمعة وحاجة الناس الى قيادة جريئة:

لقد تتلمذت الطبقة المثقفة والمحرومة على يد هذا الرجل الإصلاحى عند كل جمعة يخطب فيها متفاعلا مع الجماهير ومتحركا عبر رسائله العملية التي أبدع فيها.. ولقد شكلت مؤلفاته في الفقه وفي شؤون الحياة المختلفة وفي المستجدات عصرا جديدا من المحاولات الفكرية الجادة لفهم موضوعي متحضر للإسلام ومنطلقاته المبدئية كما ظهر ذلك من خلال كتبه الموسومة كفقه الفضاء وفقه الطب وغيرها والتي شاع قرائتها، وليجيب على أهم التساؤلات في وقت عسير كان الناس فيه أشد حاجة لسماع فتاواه الجريئة.

منبر الجمعة بداية الثورة البيضاء:

لقد وقف السيد محمد صادق الصدر شامخاً على منبر الجمعة يتكلم بقوة ومعه الملايين من عشاق الحرية.. وأكتظ مسجد الكوفة بأهل المبادئ من مختلف أطياف شعبنا العراقي المظلوم الذي شهد بداية ثورة بيضاء بعد ما شهد الانقلاب الشعبي ضد أعتى الدكتاتوريات التي حكمت المنطقة العربية والشرق اوسطية.

الصدر الثاني وجه المرجعية في مواجهة الطغاة

لقد أثبت هذا الرجل الفذ من خلال مواقفه الشجاعة أن المرجعية قادرة على أن تنجب رجلاً ومرجعاً شجاعاً مثله يتحدى جبابرة عصره ومعه فئة من تلاميذه النجباء دون أن يجرح مشاعر الآخرين فهو حسيني الهوى ناب عن جميع من كان حوله من العلماء الصالحين.

انتقاده للحكومة والدولة للنظام السابق

انتقد السيد الصدر الثاني وعن طريق سلسلة من الخطابات الحكومة وموظفيها وأساليب الرشوة والفساد الإداري المستشري آنذاك.

قبول فكرة مبدأ الشهادة في مواجهة المنع من إقامة صلاة الجمعة

أخرج الشهيد الصدر السلطة من خلال إعلانه من على منبر الجمعة أنه وجميع المصلين مستعدين للشهادة في حالة تعرضهم لعمل إرهابي وسط تأييد من قبل المصلين لموقفه فأخرج لبذل السلطة التي أعيها التعامل من الصدر كونه يستطيع التملص من محاولاتها الرامية إلى إنهاء ما أصبحت تسمى بظاهرة صلاة الجمعة.

رفض السيد قبول الإقامة الجبرية

وبعد إبلاغ السيد الصدر الثاني بضرورة التزامه المنزل حسب ما أوردت مصادر مطلعة على الأمر جابه السيد هذا الأمر بالرفض.

هياً السيد محمد الصدر طلابه للإستمرار على أداء صلاة الجمعة في حالة الإستشهاد علم السيد محمد الصدر وبشكل مؤكد أنه سيتم تصفيته، وكان ذلك واضحاً من خلال خطب الجمعة ومحاضراته التي كان يلقيها لطلابه وكان يلمح مرة ويصرح أخرى بضرورة استمرارهم على النهج في حالة موته أو استشادة ولم يكن يتطرق الى الاعتزال مطلقاً متحدياً بشكل واضح لأوامر السلطة بالتقليل ممن نشاطه السياسي.

برامج السيد محمد الصدر قبل الرحيل:

سعى المرجع الصدر إلى الحفاظ على الحوزة العلمية في النجف الأشرف، فرمم وبنى ما فقدته وجاهد على تربية طلابها، وقام بخطوات جبارة وكبيرة في هذا المجال وفقاً لما تتطلبه الساحة الفكرية والحياة العصرية في تلك المرحلة، منها ارسال العلماء إلى كافة أنحاء العراق لممارسة مهامهم التبليغية وتلبية حاجات المجتمع، وبادر إلى إقامة المحاكم الشرعية الجعفرية وتعيين العلماء المتخصصين للقضاء وتسيير شؤون أبناء المجتمع.

ولعل أبرز ما اشتهر به هو اقامته صلاة الجمعة وتصديه بنفسه لإمامتها في مسجد الكوفة، وتعميم اقامتها بمختلف مدن العراق وهو لم يشهده تاريخ العراق السياسي منذ حقبة طويلة، وعبر هذه الحركة الفريدة والنوعية حركته إلى منبر إعلامي لتوعية أبناء الأمة.

وهذا ما وجد فيه النظام الحاكم في العراق خطراً مباشراً على مستقبله، فسارع إلى تدبير عملية اغتياله مع ولديه مساء الجمعة من الرابع ذي القعدة والمصادف في التاسع من شباط عام ١٩٩٩ من الميلاد عند عودته من مكتبه إلى بيته في مدينة النجف الأشرف.

ففي خارج العراق كان هنالك خطاب الامام الخميني الذي يختلف في اتجاهاته العامة وطابعه الثوري، ومع هذا الاختلاف، فإنه - أي خطاب الامام الخميني - شكل مجالا اوليا للاستفادة منه لتأسيس خطابه الخاص، وبعبارة أدق فإن تجربة الإمام الخميني شكلت مجالا أو نموذجا يمكن الاستفادة منه بصورة إجمالية، أما في الدائرة العراقية التي قلنا ان تاريخها لم يختزن سوابق خطابية تأسيسية ازاء الواقع الاجتماعي على الصعيد المرجعي، سيكون من الممكن ايضا الاستفادة من نموذج الخطاب الصدري الأول الذي كان محمدا بطرف سياسي استثنائي وبعده محدود من الوقائع منها خطابه إزاء ما عرف باسم «وفود البيعة»، ومنها بياناته الثلاثة التي كانت بيانات مواجهة سياسية موجهة إلى المجتمع، ومنها خطاب نظري موجه إلى الوسط الطلابي الديني، إلا أنه يحضر موضوع الأمة والمجتمع، كموضوع خطير وملح في المشروع الديني بشكل عام، وهو ما عرف بـ (خطاب المحنة). (ويمكن القول ان الشهيد محمد محمد صادق الصدر التقط الكثير من الاشارات على أهمية وخطورة اهمال المجال المجتمعي، والتقط اشارات اخرى ربما ضخمة فيما يمكن أن يؤديه المرجع الديني في هذا المجال، إلا أن هذه الاشارات والدلالات والمضامين تدخل في حيز التحفيز الذي يتحول إلى قناعة بضرورة التحرك على الأمة، أما منهج هذا التحرك وآلياته وأساليبه وما يحتاج اليه من اضافات في المادة الفقهية، ومن خطط اجمالية، ومن اكتشاف لمداخله... فهو عمل ضخم قام به الشهيد محمد محمد صادق الصدر، بفترة زمنية قياسية، ولقد ساعدته ظروف العراق السياسية والفرغ القيادي المرجعي على ذلك. ولكن قبل الخوض في هذه التفاصيل، لابد من عودة إلى الوراء لمعرفة حجم الخلل التاريخي في هذا الاطار... ومن ثم حجم الصعوبة فيما تم انجازه على يد الشهيد محمد محمد صادق الصدر.

المبحث الثاني : علاقة المرجع بالأمة... إشكالية تاريخية ففي السياق التاريخي العراقي المعاصر يمكن القول إن الشهيد محمد صادق الصدر هو المرجع الوحيد الذي استطاع أن يخلق ظاهرة احضار الأمة بالشكل الذي حصل منذ ثورة العشرين وتأسيس دولة العراق الحديثة، ولا يحتاج إلى تبيان بأن هذا القول، لا يصادر عمل الحركة الاسلامية في العراق بشقيها المنظم والمرجعي، ففي هذا المعنى يعتبر الشهيد الصدر الثاني كظاهرة تتويج طبيعي لجهود هذه الحركة وتاريخها... وهو انما استطاع ان يوظف نتائج هذا التاريخ من العمل توظيفاً سليماً... ومن ثم يضيف ابداعاته الخاصة ورؤاه الذاتية ليؤسس نمطاً جديداً من العمل، ومشروعاً جديداً، يعبأ فيه كل التاريخ الحركي وغير الحركي والممكنات الضائعة والمضيعة... لينطلق في تأسيس العمق الاجتماعي لهذا المشروع.. هذا العمق الذي خضع إلى اهمال تدريجي من المؤسسة الدينية، ومن ثم إلى اسقاط أو حذف خطير من برامجها وحركتها العامة. وابتدأ هذا الاهمال من فترة ما بعد عودة المرجعية» المشروطة» بالابتعاد عن السياسة من المنفى «ايران»... إذ كان يفترض لهذه «الشروط» أن تكون مرحلية في العقل المرجعي... وهذه المرحلة تقتضي التواصل مع العمق الاجتماعي الذي كان أداة للمواجهة بيد المرجعية في ثورة العشرين وما قبلها وما بعدها. فلو كان هذا التخطيط «المرحلي» قائماً... لما حصل التدهور في نسق علاقة المؤسسة الدينية مع النسيج المجتمعي العراقي، والذي حصل بالضبط، هو تراكم اهمال هذا النسيج بسبب انعدام الحاجة اليه بعدما تم التخلي عن الدور السياسي. بينما كانت معظم «المواقع الاجتماعية للقوى التي انضوت تحت راية الحركة الاسلامية وشكلت قاعدتها متباينة، ففضلاً عن سكان المدن، والقاعدة الواسعة التي يشكلها افراد العشائر، ضمت الحركة وجهاء المدن وزعماء العشائر والتجار

الذين شكلوا غالباً القادة الاجتماعيين المباشرين لسكان المدن والعشائر، وحيث كان أفراد العشائر وسكان المدن أكثر ارتباطاً بالقيادة الدينية وأكثر انصياعاً لأوامرها من منطلقات عقائدية إيمانية فإن مواقف زعاماتهم الاجتماعية والسياسية تجاه العلماء والحركة الإسلامية كان يحددها في الغالب مصالحهم ومواقفهم الاجتماعية».^{١١}]

إن هذه العلاقة ذات الطابع الشمولي مع كل فئات وشرائح المجتمع (سكان المدن، العشائر، التجار) انتابها تبدل جوهري خطير لمجرد تعيين الملك فيصل حاكماً للعراق، وبعد ذلك انحسار الدور السياسي لعلماء الدين، أو بالاحرى تخليهم عنه، فعندما نقول إن هذا التبدل أوصل العلاقات بين الأمة والقيادة الدينية إلى «اضيق دائرة»، فإن هذه الدائرة هي دائرة «التجار» و«الزعامات الاجتماعية» التي يصف النص المتقدم موقفهم إزاء الحركة الإسلامية بأنه محكوم إلى «مصلحتهم ومواقفهم الاجتماعية». «فيما إن الدائرتين الأخريين «سكان المدن» و«سكان العشيرة» الذين هم «أكثر ارتباطاً بالقيادة الدينية والأكثر انصياعاً لأوامرها من منطلقات عقائدية-إيمانية»، هما اللذان تصدعت العلاقة بينهما وبين القيادة الإسلامية.

وفيما أن علاقة المرجع بالتاجر بقيت في ايران - مثلا - متميزة ايضا، إلا أنها كانت تختلف اختلافا جذريا عما هي في العراق، فالتاجر في ايران بقي يلعب دورا سياسيا مهما طوال فترة القرن المنصرم، وانه سجل عبر «البازار» الايراني قوة فاعلة في المعادلة السياسية في البلاد إلى جانب الحوزة، ومثل هذا الدور للتاجر العراقي كان ولازال مفقودا في الواقع السياسي العراقي، لظروف مختلفة - باستثناءات ضيقة طبعاً - إذ لم يلعب التاجر العراقي لأسباب عديدة دورا سياسيا ملحوظا في تركيبة البلاد السياسية، كما انه لم يشكل ثقلا أو تكتلا فاعلا في هذه التركيبة، وربما ان احد اسباب غياب هذا التاجر عن المسرح السياسي يعود إلى انكفاء العمل المرجعي عن الواقع الاجتماعي والسياسي في العراق. فالتاجر الذي كان على علاقة «جيدة» مع المرجع، كان يشعر ربما بالاطمئنان لغياب هذا الدور السياسي من خلال رضا المرجع حول «دوره» المحدود في اعطاء الحقوق الشرعية.

ومن جهة اخرى، فان شيخ العشيرة الذي ضعفت علاقته بالمرجع وجد أن المجال متاح أمامه هو أن يؤسس علاقاته مع السلطة بالشكل الذي يلحظ مصلحته، حتى في ظل الحكم الطائفي، وإبعاد الشيعة من مؤسسات الدولة.

«ومما لاشك فيه أن تفتت الشيعة زاد من صعوبة إشراكهم بصورة مناسبة في مؤسسات الدولة مثل البرلمان والحكومة والجيش والادارة، وبالرغم من أن الشيعة في المدن مثل بغداد والكاظمية تجمعهم العقيدة الشيعية بكل من شيوخ القبائل ورجال الدين في الأماكن المقدسة مثل كربلاء والنجف والكاظمية، إلا أن الطائفية الدينية لا يمكن مضاهاتها بالطائفية السياسية، حيث أن الطائفية الدينية للشيعة كانت تقوم على أسس دينية تختلف عن تلك التي يؤمن بها السنة، في مقابل ذلك استخدمت الطائفية السياسية الانتماء العنصري العرقي كأداة ووسيلة للسياسة، وكان أساس النشأة المختلفة للطائفية السياسية لدى الشيعة، هو أن شيوخ القبائل كانوا يستطيعون تحقيق أطماعهم ومصالحهم في اطار النظام السياسي القائم».^[٢١]

لقد أدى هذا الواقع بالنهاية «الى تكريس المشاعر الطائفية والولاءات العشائرية في المجال السياسي العراقي بقوة في ربع القرن الأخير، وأدت في نهاية المطاف إلى هيمنة زمرة تستند إلى عوائل معينة من المدن «الريفية» للشمال الغربي العراقي على حزب البعث والحكومة العراقية.. هيمنة أساسها السياسة التأميرية والعصبية لتصفية المنافسين، وبدل أن تتطور الدولة لتتوسع في دائرة المحاصصة لجماعات وقطاعات أوسع، تحولت من تحالف جماعات إلى جماعة واحدة».^[٢١]

إن هذا التفكك في العلاقة وطبيعته تواصل على ذات الوتيرة مع مرور الزمن، حيث بقيت علاقة المرجعية مقتصرة على دائرة «الوجهاء الاجتماعيين والتجار» فيما هي تراجعت وسارت على وتائر مغايرة مع الأوساط المجتمعية الأخرى.

فهي مع الوسط العشائري اتخذت وتيرة الاهمال التام واكتفت بحالات الارتباط «الروتيني» المقتصر على مناسبات عاشوراء أو إرسال بعض المبلغين الذين لا يهمهم أي وعي ديني أو سياسي بقدر ما تحركهم دوافع «معيشية» مصلحة في الأعم الأغلب.. وأما مع الأوساط الأخرى فإن الامر لا يقل سوءاً عن وسط العشيرة، حيث تركت هذه الأمة مرتعاً للتيارات الفكرية اللادينية، ولعل من نتائجها البارزة طغيان المد الشيوعي الذي «استفز» فيما بعد مرجعية السيد محسن الحكيم ودخل في مواجهة» فتوائية» معه.

ومثلما إن العامل السياسي «لعب دوراً كبيراً في خلخلة وتفكك القاعدة الاجتماعية للحركة الإسلامية»^{٤١} فإن العامل السياسي، أو العنوان السياسي هو الذي مثل المدخل الطبيعي للعودة في بناء هذه القاعدة الاجتماعية، وذلك بعد الشعور المتفاقم بالخطر الكبير الذي سيطر على نخبة من العلماء والمفكرين في عام 1957 م وهو العام الذي أسس فيه «حزب الدعوة الإسلامية».

كما إن هذا «الفرز العلاقتي» بين المرجع والمجتمع، «التجار والوجهاء الاجتماعيين» من جهة والمرجع من جهة أخرى، أوحى بطابع «مصلحي»، أو أعطى العلاقة بينهما تفسير «المنفعة المتبادلة» «حيث إن «التجار» هم مصدر التمويل الأساسي الذي تحتاجه المؤسسة الدينية في تسيير أمورها الذاتية.

على أية حال: في ظل هذا التفكك لبنى العلاقات بين المجتمع والمرجع، والتي لم يكن المجتمع مسؤولاً عنها... بل انه بخلاف ذلك قدم نموذجاً رائعاً في التضحية والبسالة في ثورة العشرين استجابة لواجبه الديني، ونداء القيادة الإسلامية، فإن مناهج الفهم النظري لواقعه اللاحق بعدما تم التخلي عنه اختلفت اختلافاً كبيراً بين مرجع وآخر، أو بعبارة أدق فإن منهج الفهم السلبي للمجتمع بعدما انخرط أبناؤه الباحثون عن دور سياسي لهم يعبرون فيه عن إرادتهم وانتمائهم في تيارات فكرية أخرى كان منها مشككاً بالمجتمع، وسلبياً في النظرة إليه، وتصويره بأنه مجتمع لا يمكن الوثوق به من أجل تبني قضاياها.

وإن الناس بعيدون عن الدين فهم «لا يطيعوننا لو تحركنا بعنف، الناس يكذبون... انهم عبيد الشهوات... ولا يفتحون صدورهم للدين»^[٥]، على حد قول أحد المراجع.

وفي مقابل هذه النظرة السلبية للمجتمع كان المرجع الشهيد محمد باقر الصدر يذهب بهذه النظرة إزاءه إلى ذروة نقيضها أي ذروة الإيجابية فهو من وجهة نظره، المجتمع ضحية، وإذا كان ابتعاده عن الدين يمثل جريمة فهي «جريمتنا قبل أن تكون جريمتهم»^[٦] على حد قوله.

وفي وسط تعدد مناهج الفهم النظري للمجتمع من قبل المرجع، لم يكن من السهل إطلاقاً تصور فهم نظري بإمكانه أن يزيل تصدع العلاقة واعادتها مع أوسع دائرة من الأمة، كما أن المهمة الأصعب تكمن في تحويل هذا الفهم النظري إلى واقع عملي - تطبيقي على الأرض.

وخلاصة ما يمكن قوله هنا أن إشكالية علاقة المرجع بالمجتمع تبلورت عبر عدة أنماط:

- 1- علاقة المرجع بالتاجر بقيت علاقة جيدة، لكنها فارغة من البعد السياسي.
- 2- علاقة المرجع برئيس العشيرة بقيت «مقبولة» إلا أنها جردت هي الأخرى من بعدها السياسي، الأمر الذي اضطر رئيس العشيرة أن يبحث عن خيارات أخرى لتحقيق دوره.
- 3- علاقة المرجع بـ «الوجيه الاجتماعي» اندرجت أيضا ضمن نطاق «المقبولية».. وأيضاً بعيداً عن مجال التنسيق السياسي.

4- أما النمط الأخير من العلاقة، فتمثل بعلاقة المرجع مع سكان المدن وأفراد العشيرة، فهذا النمط هو الذي انتابه النكوص الخطير والذي أبرز الشكل الاخطر لتجلي الإشكالية التاريخية بين المرجع والأمة.

نقول لقد وعى الشهيد محمد الصدر خطورة هذه الإشكالية في العلاقة بين الفقيه والمجتمع، وإن بعض نصوصه يمكن أن تعكس بشكل واقعي هذا الوعي فهو يقول في هذا الاطار:

- «إن أجيال المرجعية كانت تتناساهم وتتغافل عن أمورهم «أي العشائر»، ويكفينا في ذلك أن المشهور هو الحكم القائل: لا يجب على الفقيه أن يذهب إلى المكلف ويبلغه حكمه بل يجب على المكلف نفسه أن يأتي إلى الفقيه ويسأله.. نعم تصح هذه المقولة إذا توجه السؤال للفقيه وجب عليه حينئذ الجواب، أما أنه يجب على الفقيه طرق باب المكلف بدون سؤال وأن يعطيه حكماً فهذا لا، وهذا مشهور، إذن فقد كان هنالك نحو من المقاطعة والانفصال النفسي والاجتماعي بين الحوزة والمرجعية من ناحية، وبين العشائر من ناحية أخرى»^[٧١]

«إن الذي كان يذهب اليهم «العشائر» يتصف بإحدى صفتين ناقصتين تحول دون حل المشاكل العشائرية:

- 1- إما أن يكون قليل التفقه وإما هو مجرد خطيب حسني «روزه خون.»
 - 2- وإما أن يكون ممن يحمل هم دنياه على دينه فيكون ذهابه لأجل الحصول على مبلغ من المال قبل التفقه والهداية، وأما من كان متفقهًا ومخلصًا فقليل جدا في العهود السابقة من ذهب اليهم «أقصد العشائر»... وهذا ما أوجد سوء الظن عند العشائر بالحوزة الشريفة وبمن ترسلهم اليهم، وللحقيقة إن الحوزة لا ترسل أحدا، وإنما يذهب بعض الاشخاص لقضاء مصالحهم الخاصة وليس أكثر من ذلك فيسيئون أكثر مما يحسنون».^{٨١]}
- إننا قد اعتدنا من تلك السياسة «المرجعية أن نحافظ على أربعة أشياء تقليدية لا غير: صلاة الجمعة، الاستخارة، الفتوى، الدرس».^{٩١]}
- إن هذه النصوص الثلاثة للشهيد محمد صادق الصدر توضح - كما أشرنا - أبنية وعيه لهذه الإشكالية الخطيرة.. فهذا الوعي يحيط:
- أولا: بأساس الإشكالية «الفقهية»، وكذلك مقولاتها «الفقهية».
- ثانيا: وأنه يحيط بما أسميناه سلفا إحياء «المنفعة» الذي حكم وتيرة علاقة المرجع أو المبلغين بالمجتمع.
- ثالثا: إنه يحيط بواقع الخلل في جهاز اتصال المرجع، فهذا الجهاز غير موجود أصلا وإذا ما وجد فهو جهاز غير فعال ومحكوم في معظمه إلى الاساس المصلحي، أو أساس عدم امتلاك الوعي الإسلامي المطلوب.

المبحث الثالث: إشكالية العلاقة والأثر السياسي الداخلي: إن الإشكال التاريخي في اطار علاقة المرجع بالمجتمع بالاضافة إلى دوره في تغييب الاسلام عن مسرح الحركة السياسية التاريخية خلال أكثر من ثلاثين عاما «١٩٢٣ - ١٩٥٧»، ومن ثم فترة اعادة اصلاح الواقع عبر العمل الحزبي السري التي استغرقت اكثر من عشرين عاما اخرى، فهو كان مسؤولا ايضا عن بطء حركة الوعي الديني في أوساط المجتمع... أو بالاحرى إنه أدى إلى حالة شبيهة بحالة انعدام هذا الوعي، فلقد تحولت فترة ثورة العشرين إلى تاريخ بالنسبة للأجيال اللاحقة...تاريخ لا يجد آليات تفريغه في الواقع واسقاطه فيه، أو مواصلته، الأمر الذي أدى إلى وقوع العراق، كل العراق في معادلة سياسية خطيرة، صحيح ان الفراغ الذي نجم من انسحاب القيادة الإسلامية ملأته تيارات سياسية علمانية اخرى، وان الجزء الميسر من المجتمع انخرط في هذه التيارات.. إلا أن كل هذه التيارات لم تنجح في نقل المجتمع إلى حالة تعبير مشتركة وشمولية عن ارادته السياسية الحقيقية، فالحزب الشيوعي حقق نفوذا اجتماعيا محددا عبأه واستدعاه في ممارسته الساسية، إلا أن هذه الممارسة حكمها منهج سياسي خاص وظروف سياسية خاصة... وهي بالتالي تعبر عن ارادته كحزب له نفوذ محدود، يمكن اعتباره «الذروة» فيما يمكن أن يصل إليه في بلد مثل العراق يبقى حتى في حال انعدام الوعي الديني له عمقه الخاص في الواقع...ولذا فان هذا الحزب لم يستطع ان ينجز منعطفًا يختصر فيه ارادة غالبية الشارع العراقي، انما هو عكس ارادة اعضائه والمنتسبين اليه.. وهو بالتالي لم يمسك بالسلطة... ولم يعبر عن ارادة الأمة في مسار الصراع وباختصار انه لم يقدر ثورة ضد السلطات الحاكمة

وكذلك الحال بالنسبة للتيار القومي عندما كان في موقع المعارضة، أما عندما أصبح في موقع السلطة فإنه لجأ إلى آليات الإكراه في التعبئة. لقد بقي التاريخ السياسي العراقي المعاصراًزوماً بواقع اللاتكافؤ في توازن الصراع الداخلي ومسرحاً لحركة من الانقلابات العسكرية والمؤامرات السرية... وبقيت الأمة تعبر عن ارادتها «لاسيما الجمهور الشيعي» عبر الانخراط الطوعي أو الجبري بالسلطة، أو بالاحزاب الاخرى، وكل ذلك حال دون فعل جمعي مشترك للمجتمع، ينسجم مع نظام سياسي يمثل فعلاً خيار هذا المجتمع بشكل متوازن، لا سيما وان انسحاب المرجعية عن الفعل السياسي واهمالها للمجتمع كرس من واقع «النظام الطائفي» وتركاته النفسية في الحس العام، ومن هنا قد لا تكون من الصدق أن القرن الماضي شهد ثلاثة أحداث وثورات، هي ثورة العشرين، وانتفاضة عام ١٩٩١م، وظاهرة الصدر الثاني... وهذه الأحداث والثورات الثلاث هي على علاقة مباشرة بدور المرجع وعلاقته بالمجتمع، وما عدا هذه الأحداث والثورات الثلاث لم يشهد القرن الماضي، ثورة أو حدثاً بمستواها ما عدا أحداث ١٩٧٩ - ١٩٨٠، وهي أحداث ذات علاقة بالمرجعية والحركة الاسلامية، فلم تفلح القوى العلمانية في العراق في انجاز حدث ثوري يمثل ارادة الأمة أو الجزء الاعظم من ارادتها، فدور هذه القوى - باستثناء الحالة الشيعية التي ناقشناها سلفاً - كان عبارة عن انقلابات عسكرية تمارس انماط علاقاتها مع المجتمع بشكل اكرهي، وصل ذروته بعد وصول صدام حسين إلى السلطة. إلى ماذا تشير هذه «المفارقات» في تاريخ العراق السياسي المعاصر؟ وما هو مضمون علاقتها بالصراع السياسي اللامتوازن الذي شهده هذا التاريخ؟ إن الاجابة على هذه التساؤلات ترتبط جوهرياً بأشكالية العلاقة بين المرجع والأمة، فعندما كانت هذه العلاقة طبيعية انتجت ثورة العشرين، وعندما عاد الاحساس بضرورتها وتم التأسيس لها من جديد

وتوجت فيما بعد بـ «وفود البيعة» للمرجع الشهيد آية الله الصدر الأول... اشتهرت تراكمات هذا المقطع من المواجهة ولو بعد حين، انتفاضة ١٩٩١م، وعندما تصدى المرجع الشهيد آية الله محمد محمد صادق الصدر حصلت ظاهرة الالتفاف المليونية حوله. ومن هنا يمكن اعتبار «التاريخ الثوري» للعراق في القرن الماضي هو نتاج اندكاك المرجعية بواقع الأمة... وان المآزق السياسي الخطير له وغياب حالة التوازن في الصراع الداخلي بما يغيب ارادة الأمة نابع في اساسه من تلك الاشكالية التاريخية بين المرجعية والمجتمع والتي برزت ما بعد قيام دولة العراق الحديث وابتعاد المرجعية عن الواقع السياسي، ومن ثم الواقع الاجتماعي. ولذا فإن اصرار الشهيد محمد محمد صادق الصدر على معالجة هذه الاشكالية بشكل لم يسبق إليه أحد ربما قام في أحد جوانبه على اختزان هذا المعنى السياسي الخطير في الواقع العراقي الداخلي... انه ادرك أن الفكر الاسلامي في العراق لم يفلح أن يقود المجتمع إلى حالة ثورية واحدة خلال قرن كامل، بحيث تقود هذه الحالة إلى ممارسة سياسية داخلية سليمة وإلى تنافس سياسي ايجابي ونظام سياسي عام نابع فعلا من تنوع هذا المجتمع الطوائفي والقومي ومحقق لارادته. فيما إن الفقيه والحركة الاسلامية استطاعا أن يقودا هذا المجتمع إلى ثورات أو تحشيد مجتمعي كبير، ولو أن هذا النجاح لم يستطع بالنهاية الحسم ويجاد مثل هذا النظام السياسي، إلا انه على أقل تقدير عبر عن ارادة المجتمع وطموحه نحو هذا الهدف السياسي، وهذا ما دعا أحد الكتاب إلى القول «من أين جاء السيد محمد محمد صادق الصدر بتلك الرهافة الحسية والوعي بالضرورة، وبهذا القدر من الشجاعة الخارقة حين قرر بعد الانتفاضة مباشرة الخروج إلى منعطف الالغاء المتبادل ومن طرف واحد؟»، ويضيف: «فإن ما أقدم عليه وما كرّسه محمد الصدر هو سلوك جديد ومبدع يستحق أن يسجل كعلامة

فاصلة وكبداية لعهد تاريخي جديد».^{١٠١} [إن ظروف تجربة الشهيد محمد محمد صادق الصدر ما كانت تسمح له أن يعبر عن هذا الفهم المختزن حول آليات الصراع السياسي الداخلي وتفصيلاته، لأن مدخله إلى التغيير افترض سياسة خاصة «غير صدامية» مع السلطة الحاكمة في البداية، وما كان متاحا له هو أن يتحدث بنظام الاشارة السياسية، أو أن خطابه السياسي كان يركز على محاور خارجية للحركة السياسية ازاء العراق، إلا إن السياق العام لمشروعه التغيير، وثقل هذا المضمون الاجتماعي، ووعيه لخطورة انعزال الفقيه عن الأمة وعن السياسة وتعاطيه السياسي في مجالات أخرى.. كل ذلك ينم عن قراءة مركزة لواقع الخلل في معادلة الصراع - السياسي الداخلي، ومعادلة السلطة من جهة والأمة من جهة أخرى، وغياب توازن الارادة القائم في هذه المعادلة، وبعبارة أخرى إن الخطوط العامة، والفرضيات الأساسية لمشروع الشهيد محمد محمد صادق الصدر تعبر عن معنى الاستيعاب الكامل لهذا الخلل المتمثل بتغييب ارادة الأمة، والسعي إلى ايجاد نظام سياسي داخلي متوازن يحقق هذه الارادة، وذلك لا يكون إلا عبر الاسلام، وفق وقائع تاريخ قرن كامل من عمر العراق. فوفق هذه الخطوط والفرضيات التي احضرها الصدر الثاني بنصوصه وحركته، تتجلى حالة من الوعي الكامل بآليات الصراع السياسي الداخلي، سواء احضرها بنصوص خطابه ام لم يحضرها إذ أن هذه الآليات هي بالنهاية بنى تحتية - تفصيلية - فرعية للفرضيات الأساسية للمشروع على الباحث أن ينقب عنها في سياق محاولة استيعابه لهذا المشروع ونتائجه وآثاره.

المبحث الرابع : التطرف العلماني ضد الدين في العراق:

وقبل أن تنتقل إلى فقرة ثانية، لابد من الإشارة هنا إلى مفارقة انتجها واقع العراق خلال القرن المنصرم فيما يخص الواقع السياسي الداخلي، إذ إن ما عقد هذا الواقع أكثر، ومثل فيما بعد سببا من أسباب العودة الواسعة إلى الاجواء الدينية من قبل الأمة ليس فقط انسحاب المرجعية الاسلامية عن العمل السياسي، بل إن الفراغ الذي ملأته تيارات فكرية وسياسية أخرى عقد صورة الصراع السياسي الداخلي حيث إن هذه التيارات اتخذت سياسية متطرفة إزاء الدين، بشكل ربما يغير ما حصل في معظم الدول العربية والإسلامية بصيرورتها الداخلية السياسية عبر القرن المنصرم، فالحزب الشيوعي العراقي مارس خصومة وعداء غير «مبرر» إزاء الدين، والفكر الديني، وربما إن شعارات الحزب في الخمسينات تعكس مضمون هذا العداء وهذا «الإصرار» الذي أعتقد أنه كان خطأ استراتيجيا «قاتلا» وقع فيه الحزب الشيوعي العراقي.

ويقول أحد الشيوعيين العراقيين إن «الماركسية لا تصدر حرية العقائد سواء كانت دينية أو علمانية، ولا حرية العبادة ولكنها متحيزة لفكر الطبقة العاملة ضد الفكر البرجوازي الاقطاعي والأفكار الغربية-دون ان تغلق على نفسها- إذ انها تقيم كل ما هو ايجابي في المدارس الفكرية الاخرى وتتبناه، وتناضل ضد كل ما هو سلبي وترفضه، وقد تبني ماركس وانجلز كل ما هو ايجابي وسليم من افكار الاشتراكيين الطوباويين والمثاليين مثل هيغل وانتقدا بصرامة علمية كل ما هو سلبي وزائف، ووفقا لذلك لم يلجأ إلى صراع مع الأديان والمتدينين، فلم يهدم الشيوعيون دور العبادة ولم يقتلوا أو يعدموا شيوخ الاسلام، ولكن إلى جانب ذلك لابد لي من ذكر ما قاله لينين «أنه لا أحد يستطيع الاساءة إلى الشيوعية أكثر من الشيوعيين أنفسهم»، وقد أساء الشيوعيون العراقيون وبالأخص الأوائل منهم في مسألة فهمهم للأمور وعدم مراعاتهم لدور العامل الديني في التطور الاجتماعي، مما سبب ذلك إلى افساح المجال لأعدائهم إلى التركيز على هذه المسألة واعتبارها نقطة ضعف ممكن استغلالها من أجل المكاسب السياسية، وإلى جانب ذلك لم يجر توظيف عقول مفكري الحزب الشيوعي العراقي من اجل بلورة رؤية تأخذ بنظر الاعتبار هذا الجانب الحساس من مسألة النضال السياسي والاجتماعي مما أدى إلى اتهامهم بالكفر والالحاد، وكذلك لم تمارس قيادة الحزب الشيوعي أي توجيه لأعضاء الحزب في هذا الجانب مما يحد من تصرفات العديد منهم وخصوصا الأوائل ممن شخصهم فهد مؤسس الحزب الشيوعي ووصفهم «بشيوعيي المقاهي»، فالشيوعيون لا ينفون التراث الديني نفيا عديما مطلقا بل يمحصونه ويميزون بين رسالته الأصلية التي جاءت لمصلحة الفقراء والمستضعفين في الأرض وبين ما علق به من تفسيرات وتأويلات لحاجة الطبقات المالكّة في مختلف العصور لأنها تبعث

الخنوع والاستسلام لدى الجماهير وتذللها [11]. «إن كل ذلك قد حد من نفوذ الحزب الشيوعي العراقي الاجتماعي، وأدى بالحزب إلى صراعات سياسية داخلية هو في غنى عنها، ومقارنةً بالأحزاب الشيوعية في العالم العربي والاسلامي فإن تلك الأحزاب كانت أقل «صدامية» مع الدين عبر حياتها السياسية... وهذه «الخصومة» مع الدين من قبل الحزب الشيوعي العراقي كملتها «خصومة» أو عداً آخر للدين وأفكاره ومظاهره الاجتماعية من قبل «التيار القومي» الذي تولد مع تأسيس الدولة العراقية الحديثة، والذي مثله ساطع الحصري بأفكاره المعروفة وياسين الهاشمي حتى صدام حسين، فهذا الشق في التيار القومي كان هو الآخر مارس عداً وتطرفاً غير «مبرر» مع الحالة الدينية، الأمر الذي أدى أيضاً إلى انفصاله تدريجياً عن الأمة، وتوجه هذه الأمة نحو الاسلام. وهذه السياسة غايرت أيضاً توجهات وسياسات التيار القومي في العديد من البلدان العربية. إذ أن «التمييز بين ظروف نشأة الفكر والسلوك القومي العراقي عن الحركة القومية الشامية والمصرية والمغربية وفي شبه الجزيرة هو أمر ممكن ويستحق الصبر والدراسة المتأنية أكثر مما نقوم به الآن، خصوصاً وأن سلوك رواد التيار منذ بداية القرن قد انعكس على الأجيال القادمة وحمل معه أخطاراً وعصبيات مفرقة لازلنا حتى اللحظة نعاني من نتائجها المدمرة، لقد ارتبطت الحركة القومية في البلاد العربية الأخرى بالكفاح ضد الاستعمار ومواجهة مظاهر الفرقة المحلية بين مسلم ومسيحي ومذهب وشيع والنضال من أجل الازدهار والوحدة العربية وفي خلق مواطنة متساوية يتمتع بها الجميع. فكانت اصول الصيغة القومية المصرية متشعبة بروح إسلامية، وفي شبه الجزيرة والسودان وأقطار المغرب كانت العروبة متماهية بل ذائبة في الإسلام، وفي بلاد الشام لم تكن متصادمة مع الاسلام. في حين جاءت أصولها في العراق من تحالف الفائزين باللقب

القومي مع الضباط الذين تحول ولاؤهم من تركيا إلى بريطانيا وعدم اخلاصهم لما يرفعونه من شعارات قومية قد جعلهم يتعاملون مع الفكرة القومية الجديدة كلعبة تعاونهم في تحقيق مصالح ومنافع ضيقة، ولم يكن سهلا عليهم رغم التحالفات المذكورة، حكم العراق فاستجابوا من أجل الفوز بالسلطة والثروة لحاجات المستعمر دون ان يحصلوا منه على أي وعد يخدم القضية العربية مستقبلا، وبدلا من ذلك نفذوا رغبته في جعل حكومة اقلية فاستبعدوا التجمعات السكانية الأساسية في وسط وجنوب العراق من المساهمة في ادارة شؤون بلدهم، وبسبب قلة المتعاونين تم تعريب عائلات معدودة، جاء بعضها إلى العراق مع الجيوش الاجنبية الغازية، لمساعدتها في ادارة الدولة، واستخدمت الشعارات القومية للتضييق على قومها مما اضعف شعبية الفكرة القومية التي عوضتها بتقوية اجهزة الشرطة والامن لحماية نفسها ومصالحها من الشعب المتربص!! ومما يؤكد ما نذهب اليه إن العراق بغالبية الساحقة يهب ضد ادارته مع أول فرصة تتخلخل فيها اجهزة الدولة الأمنية وقد حصل ذلك دائما، ولا ننسى هنا انتقائيتهم في الاستفادة من الآلية الثورية الديكتاتورية للماركسية دون الاقتراب من محتواها الاجتماعي» [١٢] إن هذا التوحد في العداء الشيوعي - القومي للتيار الديني بأفكاره ومظاهره الاجتماعية، بمنطلقاته المختلفة، وصوره المتغيرة وأهدافه المتعددة، أخل خلا هائلا وكبيرا في شكل الصراع السياسي الداخلي وتوازنه الذي يفترض به أن يشرك المجتمع شراكة حقيقية في تسيير دفة الأمور السياسية ويجرده من حالات القمع السلطوي بغية نفيه عن هذه الشراكة، فهذا النفي لم يكن نتيجة من نتائج السوق الرأسمالية، كما تحاول الأدبيات الشيوعية أن تقول، وكما يصور ذلك احد الكتاب بالقول: «لا تتحكم الدولة بالمجتمع المدني فقط، بل وتعمل على نفيه

لأنها لا تطيقه، وتحاول تولي كل وظائفه، ففي عراقنا كان اغتراب الدولة عن المجتمع وظلمها المتزايد نتاجا حديثا من صنع السوق الرأسمالية [13]. «إن هذا التوحد «العدائي» شكل في أحد أبعاده نتيجة من نتائج تخلي المرجع الديني عن السياسة، وبالتالي عن المجتمع، كما أنه في بعد آخر مثل سببا في عودة هذا المجتمع إلى الاسلام كخيار، بعد أن عاد المرجع عودة «جزئية» إليه، وعاد الشهيد محمد محمد صادق الصدر عودة «كلية» إليه، ربما لا تخلو من الاحتجاج (اللامعلن) و(التطرف) المقصود في اطلاق سياسته الاجتماعية إلى مداها الأقصى، فلم تكن نداءاته إلى الغجر بلا معنى «احتجاجي» إن اريد فهمها فهما عميقا. فما بين الغجر كشريحة اجتماعية، وما بين التاجر كشريحة اخرى بقيت علاقة المرجع بها طيبة، هنالك شرائح واسعة من سكان المدن وسكان العشائر وشريحة الموظفين، لم تشبع طموح الصدر الثاني في عمله الاجتماعي، انه تجاوزها إلى حيث الذروة «المهملة» في المجتمع، ليعكس «بشكل مقصود» وعن وعي مسبق بعمق اشكالية المرجع والمجتمع احتجاجا ضد هذه الاشكالية، ويقترح حلا لها، إذ لا اصلاح اجتماعي متكامل، ولا تغيير سياسي يشاد على أساس هذا الإصلاح بما يحقق حضور هذا المجتمع، ما لم يصل الطموح إلى الذروة.. إلى شريحة لم يفكر حزب أو مرجع في يوم ما أن يخاطبها

المبحث الخامس: قراءة القيم والتقاليد الاجتماعية: أشرنا فيما سبق إلى الإشكالية التاريخية في العلاقة بين الفقيه والمجتمع وإلى آثارها التي حكمت البلاد خلال ثمانين عاما، ووعي الشهيد الصدر لهذه الإشكالية وهذا الأثر.. ولقد بدا من خلال نصوصه إن الشهيد الصدر مارس قرارة ثالثة للواقع الاجتماعي... قراءة تتعلق بوعيه الديني ووعيه السياسي من جهة... وتعلق بواقعه السلوكي والقيمي، والظواهر المعبرة عنه والتي راكمتها في جزء منها القطيعة التاريخية مع خطاب الفقيه المباشر للأمة من جهة أخرى... إذ بدون هذه القراءات لا يمكن الانطلاق نحو التغيير الاجتماعي والسياسي. ولاشك إن مجالات هذه القراءة واسعة ومتعددة وما نهدف إليه في هذه السطور، هو إيراد بعض النماذج من نصوص الصدر الثاني التي تعطي صورة اجمالية عن محاور التفكير لديه حول المجتمع، وبما يشكل مؤشرات أولية لخطة التحرك إزاءه، فهو إزاء الظواهر الدينية الخاطئة يقول: «في خصوص مرجعهم الصحيح في توليهم أمر السدنة وتقبل النصائح فإني أرجع إلى المثل الشائع أو الحكم (لا أمر لمن لا يطاع) لأني ذكرت لهم وحذرتهم وخوفتهم، جملة من الساكتين جاؤوا وتابوا وكتبوا البراءة». ١٤١ - «إن السادن إنما هو مرجع دين لكن مرجعيته تختص بالصحن والحضرة وليست عامة لكل المجتمع، وهذا يعني التحلي بالكثير من الصفات التي يفقدها السدنة ومن أهمها التفقه في الدين، وبالفضل وبالفهم، أما من العوام ومن الجهلة من الذين لا يشعرون بأهمية طاعة الله سبحانه وتعالى فمن الطبيعي أن لا يشعر بأهمية موقعه». ١٥١ - «والشيء الآخر، وهو الاختلاط بين الجنسين في المراقد والأضرحة المقدسة وهو غير جائز، فالحمد لله أنتم مؤمنون فلماذا تمارسون هذا الفعل». ١٦١ - «ومن بين الذي يطرح بالشارع والواجب معالجته من قبل الحوزة... الواجب هو الأخذ بمشاكل المجتمع، هنالك جملة من الجهلة جعلوا من حرم

الحسين «ع» كعبة ومن الساحة بين الحرمين الشريفين في كربلاء ساحة للتبلي، حيث رأيتهم بأم عيني يلبون حول حرم الحسين «ع» ويطوفون حول المرقد وهذا حرام». [١٧١] هذه مجموعة من النصوص التي ترتبط بجانب الوعي الديني - الاجتماعي، والممارسة الدينية الاجتماعية، كان الشهيد الصدر يخضعها للطرح والنقد والتصحيح، بناء على مبدأ ضرورة تأسيس هذا الوعي على أرضية مفاهيم مغايرة، وتجسيده من خلال الخطاب المباشر والمنطلق أساسا من تشخيص مسبق للواقع الاجتماعي، وتجسيد لهذا التشخيص في سياق مشروعه التغييري.

وبالامكان جرد الكثير من العينات من نصوصه التي تدل على ملاحظة صارمة للسلوك الاجتماعي والقيم الاجتماعية.

فهو في جوانب أخرى في هذا الإطار يقول:

- «ما يتخذة الناس من أساليب الخلاعة والازعاج في مناسبات الأعراس، وحتى المحجبات يسفرن في هذه المناسبة والسير في الشوارع وقطع طرق المسلمين، ومن قطع طريقهم فليس بمسلم، اضافة إلى احياء الحفلات الغنائية ودعوة الفسقة اليها وتوزيع الخمر فيها وكل تلك الأمور محرمة». [١٨١]

- «فهنأ نحن ندق باب الغجر، ونمد إليهم يد الهداية والصفاء لعلمهم يهتدون، لعلمهم يتذكرون، وبالتأكيد إن تعصبهم لعاداتهم كأنما لاعطاء عذر بأننا لم ندق بابهم، وهم متعصبون لا أن تعصبهم شديد ليس بهذه الدرجة التي نتصور». [١٩١]

- وحول الرياضة يقول «وأفضل طريقة في الغرب هي الهاؤهم عن الخوض في مشكلات مجتمعاتهم». [٢٠١]

هذه النصوص ومئات النصوص الاخرى، انها بقدر ما تكشف عن رصد المنظومة القيمية والسلوكية الخاطئة فهي تراكم في توضيحات الرؤية الاجمالية للمجتمع والنهوض بواقعه، فالعمل الاجتماعي للشهيد الصدر كان شموليا ومتعدد الأبعاد وبقدر ما تضمن الكثير من المفاهيم الاجتماعية التصحيحية والجديدة فهو في نفس الوقت تأسس على تجديد فقهي في هذا المجال، وآليات تواصل وخطوات اجرائية تضمن إحضار الجمهور وربطه بالقيادة الدينية. المبحث السادس: التجديد الفقهي في المجال الاجتماعي: إن الصدر الثاني الذي مارس القراءات الثلاث السالفة، قراءة الإشكالية التاريخية للعلاقة بين المرجع والمجتمع، وقراءة آثار هذه الإشكالية السياسية داخل العراق، وقراءة وملاحقة البنية السلوكية والقيمىة للمجتمع وظواهرها السلبية، تحرك في مشروعه من خلال اطارين، هما اطار التجديد الفقهي، واطار اكتشاف آليات الاتصال والارتباط بين المرجع والمجتمع... ففي الاطار الاول كان هم التجديد الفقهي، هما طاغيا ومسيطرا على تفكير الشهيد محمد محمد صادق الصدر، ولقد تحرك هذا الهم باتجاهين اتجاه الشؤون والمسائل الاجتماعية التي بقيت تشكل حالة فراغ واضحة في المعالجات الفقهية بالنسبة للواقع العراقي، واتجاه الشؤون المستحدثة أو المتوقعة الحدوث، فلقد بقيت المعالجات في الاتجاه الاول مرتحنة إلى سياقها القديم... وهي اذا ما شهدت خارج العراق تطورا يماشي الحاجات المستحدثة للامة، وتفرعت ضمن شبكة شاملة مع تفرع هذه الحاجات، فإن الظروف الخاصة للعراق، والقطيعة القائمة بين المرجع والمجتمع أبقاها تتحرك ضمن نمطها التقليدي وربما باستثناءات لا ترتبط ارتباطا وثيقا بالشأن العراقي المجتمعي الخاص، انما هي ترتبط بمستجدات اخرى عامة... حتى تصدى الشهيد محمد محمد صادق الصدر للمرجعية وتصدى للشأن

الاجتماعي وبرز هذا التصدي من خلال همته في التجديد الفقهي الذي يسد الفراغات القائمة، وكمثال بارز في هذا الاطار يبرز «فقه العشائر» كفقه جديد لم يحصل أن عولج وأعطى بابا خاصا من أبواب الفقه، على الرغم من أن طبيعة الوضع العشائري وتقاليده وقيمه وما يترتب عليها من جزاءات لا تتوافق مع أحكام الاسلام كانت مشكلة حقيقية قائمة، إلا أن أحدا من السابقين، لم يفكر في الاقتراب منها فقها، حتى جاء الشهيد الصدر الثاني ووضع فقها خاصا لها كبديل لـ «السانية» العشائرية، وإذا كان هنالك من محفل لهذا السبق الفقهي فهو محفز ينبع من طبيعة تفكير الصدر الثاني بالأمة.. كل الأمة.. ولا يتجمد عند حدود المتعارف التقليدي، وعند دائرة الموروث، أو دائرة الأمور المسؤول عنها. فالشاهد الصدر يرى إن من واجب الفقه أن يبادر باتجاه المجتمع خطابا وفقها وفكرا، لا أن ينتظر فقط المبادرة من الآخرين. إن (السنينة العشائرية الدينية طبقا لأحكام الحوزة العلمية الشريفة) جاء بها ما يقارب الـ «٢٦» بندا من البنود التي تعالج تعقيدات الواقع العشائري من «صلح بين الخصوم، ودية قتل الخطأ، ودية السارق والزاني واللائط، وتنفيذ القصاص، ودية المرأة وشهادة الزور، وشهادة مجهول الحال والفاسق، والنهوة، والقتل دفاعا عن النفس، ونقض الصلح بعد القبول والتراضي، وزواج الكصة بكصة» (٢١)، وقضايا أخرى غيرها، كما أن الشهيد محمد صادق الصدر لم يكتف بملء الفراغ الفقهي بهذا الإطار- النموذج- إنما بادر باتجاه العشائر بالزيارة والخطاب العام، فكرس واحدة من خطب صلاة الجمعة إلى المسألة العشائرية يقول فيها: «فنحن من هنا ننصح العشائر العراقية وشيوخ العشائر خاصة أن يتجنبوا غضب الله ونار جهنم ويكونوا على مستوى المسؤولية بل يقبلوا أن يأتوا إلى خط الشريعة المقدسة وهذا أصلح لهم في الدنيا والآخرة، خاصة وإن قانونهم فيه ظلم

وظلاّ مات لحقوق الآخرين، وهي تهدر شرعا بدون سبب مشروع، وكذلك حصول (زيجات) باطلّة تجري وهي كثيرة، وهم يحاولون ردع الفاسد بالأفسد ونحن نريد لهم ردع الفاسد بالحق، وردع الظلم بالحق»^{٢١}. [إن (فقه العشائر) هو نموذج أبرز من النماذج التي ملأت فراغات فقهية في الواقع الاجتماعي، وإن طريقة الشهيد محمد الصدر في الإجابة على شتى أنواع الاسئلة الاجتماعية توضح إلى حد بعيد هدفه في هذا الجانب وهو هدف سد أكبر قدر من الفراغات ومعالجة أكبر قدر من الابتلاءات «المهملة». لا بل انه عالج علاجا جذريا التراكم الكبير الذي أوجد إشكالية نظرة الفقيه للمجتمع، وانحسار الفقه الاجتماعي العام لصالح الفقه الفردي، أي الفقه الذي يستغرق في معالجة قضايا الفرد. إن أسباب ضمور أو تراجع «فقه المجتمع» التاريخية ناقشها الشهيد السيد محمد باقر الصدر بإسهاب وقال: «أظن أننا متفقون على خط عريض للهدف الذي تتوخاه حركة الاجتهاد وتتأثر به، وهو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الإسلامية للحياة.. ولكي ندرك أبعاد الهدف بوضوح يجب أن نميز بين مجالين: أحدهما: تطبيق النظرية في المجال الفردي، وبالقدر الذي يتصل بسلوك الفرد والآخر.

ثانيهما: تطبيق النظرية في المجال الاجتماعي، وإقامة حياة الجماعة على أساسها بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية. وحركة الاجتهاد من حيث المبدأ، ومن الناحية النظرية، وإن كانت تستهدف كلا مجالي التطبيق لأنهما سواء في حساب العقيدة، ولكنها في خطها التاريخي الذي عاشته على الصعيد الشيعي كانت تتجه في هدفها على الأكثر نحو المجال الأول فحسب. فالمجتهد خلال عملية الاستنباط يتمثل في ذهنه صورة الفرد المسلم الذي يريد أن يطبق النظرية الإسلامية للحياة على سلوكه، ولا يتمثل صورة المجتمع الذي يحاول أن ينشئ حياته وعلاقاته على أساس الإسلام، وهذا التخصيص والانكماش في الهدف له ظروفه الموضوعية وملابساته التاريخية، فإن حركة الاجتهاد عند الشيعة قاست منذ ولدت تقريبا عزلا سياسيا عن المجالات الاجتماعية للفقهاء الاسلامي، نتيجة لارتباط الحكم في العصور الاسلامية المختلفة وفي اكثر البقاع بحركة الاجتهاد عند السنة. وهذا العزل السياسي أدى تدريجيا إلى تقليص نطاق الهدف الذي تعمل حركة الاجتهاد عند الشيعة لحسابه، وتعمق على مر الزمن شعورها بأن مجالها الوحيد الذي يمكن أن تنعكس عليه في واقع الحياة وتستهدفه هو مجال التطبيق الفردي. وهكذا ارتبط الاجتهاد بصورة الفرد المسلم في ذهن الفقيه لا بصورة المجتمع المسلم. إن الانكماش وأخذ المجال الفردي للتطبيق بعين الاعتبار فقط نجم عنه انكماش الفقه من الناحية الموضوعية، فقد أخذ الاجتهاد يركز باستمرار على الجوانب الفقهية الأكثر اتصالا بالمجال التطبيقي الفردي وأهملت المواضيع التي تمهد للمجال التطبيقي الاجتماعي، نتيجة لانكماش هدفه وانكماش ذهن الفقيه عن الاستنباط غالبا إلى الفرد المسلم وحاجته إلى التوجيه بدلا عن الجماعة المسلمة وحاجاتها إلى تنظيم حياتها الاجتماعية» [٢٣١]

إن هذا الواقع الذي يتحدث عنه الشهيد محمد باقر الصدر هو الذي ولد إشكالية «الفقه الاجتماعي» وانحساره في الحركة الفقهية الشيعية، ولقد نقل الشهيد محمد محمد صادق الصدر هذا التشخيص إلى واقع معالجة ميداني، فانتج فقها اجتماعيا هو الأول من نوعه في الساحة العراقية، وهذا هو الاتجاه الأول فيما اسميناه التجديد الفقهي لدى الصدر الثاني.

أما الاتجاه الثاني، في فقهه، فهو اتجاه مواكبة حركة العصر، حاجاته وما يتطلبه من تغطية فقهية ذات علاقة بحاجات المجتمع أو ذات تصور نظري استشرافي لابتلاءات البشرية، وهو يقول في هذا الجانب «إن الفقهاء حينما تعرضوا إلى ما سموه بالمسائل المستحدثة والتي تشمل امورا اجتماعية واقتصادية عديدة، لم يزدوا على عدة صفحات قد لا تزيد على العشرين صفحة في مجموع كلامهم ذاك أو ضمن مطبوع صغير لا يتجاوز ذلك ايضا، في حين يمكن لهذا الكتاب (فقه القضاء) أن يبرهن على أن كل حقل من حقول المسائل المستحدثة يحتاج في ذكر تفريعاته ومسائله إلى كتاب مستقل وليس إلى صفحات بسيطة، فكيف الأمر بكل أنواع وحقول المسائل المستحدثة، ولا يخفانا ما في «فقه المعارف» أو «التلقيح الصناعي» أو غيرهما من الموضوعات الحديثة من فروع وتطبيقات، لم يتعرض لها الفقهاء إلا باختصار شديد [24]. «إن الشهيد محمد محمد صادق الصدر يقول في مقدمة كتابه «فقه الطب» انه» يحتوي على خدمة جلى للفكر الاسلامي ودحض للفكر المعادي على كل المستويات بما فيها الفكر التقليدي الذي يرى ضرورة بقاء ما كان على ما كان» [٢٥].

وهذه النصوص توضح إلى حد كبير انشغاله بتهيئة قاعدة فكرية - فقهية لحركته الاجتماعية وتصوره العام عما تتطلبه هذه الحركة من اقتحام مجالات فقهية تتجاوز المألوف، وتلامس الواقع الراهن بالحاح شديد.

المبحث السابع: آليات التحشيد الاجتماعي:

ولكي تتبلور كامل جوانب الرؤية للشهيد محمد الصدر، وتنضج الصورة الاجتماعية لمشروعه التغييري. لابد من رصد الآليات التعبوية - الميدانية التي عمل بها ومن ثم أساسها النظري... فهو بالإضافة إلى القاعدة الفكرية - الفقهية التي بلورها، والقراءات «الثلاث» التي أشرنا لها، فإنه بذل جهدا جبارا لاكتشاف الاجرائيات التي تعطي مشروعه جانبه العملي - التطبيقي، والتي تحقق الجانب الميداني من المشروع الذي أخذ خصوصيته منه، ويلخص هذا الجانب الآلية الكبرى التي مثلتها صلاة الجمعة، فلقد اشتغل الشهيد محمد الصدر أولا على اثبات وجوبية قيام هذه الصلاة تحت كل الظروف والمنعطفات، وأنه لا يجوز تعطيلها في ظل أي سبب من الاسباب وناقش هذا الجانب تاريخيا وفقهيا، وحتى في الأسباب الاخرى التي أدت إلى تعطيل هذه الصلاة لدى الشيعة، ولقد بذل جهدا نظريا كبيرا في معالجة الإشكالات التي أدت إلى هذا التعطيل، وهو بهذا الجهد يسجل كفقيه خروجا واضحا على المألوف، وفي ظرف سياسي غير عادي، يقول الشهيد محمد الصدر، في اطار الأساس النظري لصلاة الجمعة ما يلي:

«إن صلاة الجمعة وإن كانت واجبا تخييريا، إلا إنه بوجود القائد للأمة تكون واجبة، ولقد كانت هذه النقطة محل خلاف بين الفقهاء» [٢٦]

وفي البعد التاريخي لها يقول «إنها - أي صلاة الجمعة - خلاف السياسة المرجعية جيلا بعد جيل ومنذ حوالي ثلاثمائة سنة تقريبا، أو أكثر من ذلك [27]». »

وحول أهداف صلاة الجمعة يقول: «من فوائد صلاة الجمعة هو الاتصال بين المجتمع والحوزة العلمية».^{٢٨١} [و«إن من فوائد صلاة الجمعة هو الوعي الديني الذي حصل في الحوزة والمجتمع، ومنها عرف الناس إن عددا كثيرا من الحوزويين غير ما كانوا يتصورون».^{٢٩١}] ان هذه النصوص الموجزة حول «صلاة الجمعة» بإمكانها أن تكشف وتكشف عن أهداف الشهيد محمد الصدر من وراء هذه الصلاة فهي

1- تحقق الاتصال بين المرجع والمجتمع، وهذا الهدف يكشف عن استيعابه للإشكالية التاريخية بين الطرفين اللذين تحدثنا عنهما

2- تحقق رفع مستوى وعي الأمة، لا بالاتجاه العام فقط، إنما باتجاه الحوزة، أي أنها تسعى إلى فتح وعي الأمة بهذا الاتجاه، ومن ثم تصحيح تصوراتها الخاطئة إن وجدت عن الحوزويين³ - إن نجاح (صلاة الجمعة) يكشف من وجهة نظر الشهيد محمد الصدر، فشل السياسة المرجعية التاريخية إزاءها. لقد شكلت صلاة الجمعة المحور التعبوي البارز في حركة الصدر الثاني إزاء المجتمع، ونجاحها حرض السلطة لوضع حد لها من خلال اغتياله. ورغم أنها مثلت آلية تعبوية بشكل دوري، فإنه - أي الصدر الثاني - لم يكتف بها في سياسة التحشيد الاجتماعي التي عمل بها... بل أنه حاول من خلال هذه السياسة أن يجعل من المناسبة الدينية محورا من محاور اهتمامه بما تحقّقه هذه المناسبة من حضور جمعي... ولذلك فهو تعامل مع مسيرة الأربعين إلى كربلاء بشكل يعكس اهتمامه بأي إجراء يحقق حالة تعبئة عامة في وسط الأمة... ومن ثم استثمر هذه المناسبات في مشروعه التغييري الكلي، وحث عليها، كما أنه حاول أن يؤسس لمناسبات جديدة، بغية إيجاد أكبر عدد من آليات الاتصال بالناس، ومحاولة تدريبهم على لعب دور ما وفق ضوابط وارشادات القيادة الدينية وبالتالي ربطهم بها «فإذا قالت لكم الحوزة قوموا تقومون وإذا قالت لكم اقعدوا تقعدون» [30]. «المبحث الثامن: مقدمات المشروع السياسي للصدر الثاني: تعرضت المرجعية الدينية في العراق خلال العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين الى ضربات قوية من قبل النظام الحاكم، ففي الفترة ما بين عام ١٩٦٨ (وصول حزب البعث العراقي الى السلطة) وحتى عام ١٩٧٠ (حيث توفي السيد الحكيم) تعرضت مرجعية السيد محسن الحكيم الى اساءات عديدة وصلت الى اتهام ولده السيد مهدي الحكيم بالتجسس لقوى اجنبية. وفي عام ١٩٨٠ أعدم المفكر الإسلامي المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر بتهمة تشكيل حزب

إسلامي سري معارض (حزب الدعوة الإسلامية) وتأييد الثورة الإسلامية في إيران. وفي عام ١٩٩١ تعرض السيد أبو القاسم الخوئي الى ضغوط كبيرة بسبب دعمه للانتفاضة الشعبانية في آذار ١٩٩١. كما تعرض للسجن والتعذيب العديد من المراجع الكبار (السيد السيستاني، السيد السبزواري، السيد محمد سعيد الحكيم، السيد محمد الصدر) وعشرات الفضلاء ومن اساتذة وطلاب الحوزة العلمية، واستشهد آخرون اثناء وبعد الانتفاضة. كما اغتيل عدد من المراجع الكبار امثال الشيخ علي الغروي والشيخ البروجردي، اضافة الى محاولة اغتيال السيد السيستاني. ورث الصدر الثاني ارثا ثقيلا، ظروف صعبة، بلدا محاصرا اقتصاديا وسياسيا، سلطة تمارس سياسة البطش والقمع في اقصى صورها، شعبا محاصرا أمنيا واقتصاديا، تفشى فيه الفقر والجوع والمرض والانحلال الاخلاقي، وجماهير مازالت تلملم جراحها بعدما قدمته من تضحيات جسيمة اثناء وبعد الانتفاضة العظيمة عام ١٩٩١. كل هذه المفردات تمثل مشبطات لمجرد التفكير في اي مشروع نهضوي سياسي - اجتماعي. كما أن ضعف الامكانيات الذاتية تشكل بحد ذاتها تحديا كبيرا امام اي حركة تغييرية ممكنة. هذا الإرث الثقيل بعناصره المتشابكة مثل التحدي الأكبر امام الصدر الثاني لبناء مشروعه التأسيسي. لقد كان عليه أن يفكك عناصر الصراع ويعالج كل واحد على حدة ليخلق منه لبنة قادرة على الانسجام والتكيف مع اللبنة الاخرى كي يرتفع البناء على أسس قوية متراصة. كان عليه أن يتجاوز القيود التي تقيد حركته داخل المرجعية الدينية نفسها أولا، هذه القيود ليست سوى اشكاليات تطورت عبر السنين لتصبح واقعا وعرفا يجب التقيد به رغم هشاشة متبنياته. هذه الإشكاليات هي:

أولا: إشكالية العلاقة مع السلطة:

كان على الصدر الثاني أن يحدد موقفه من (اشكالية الاعتزال والمواجهة) التي حكمت مسار العلاقة بين الحوزة والسلطة. فمن العلماء من آمن بالمواجهة ومنهم من أثر السكوت، وكل له قناعاته ومبرراته الشرعية. فانتهج الصدر الثاني طريقه الخاص به في تحييد السلطة ريثما تكتمل ملامح مشروعه وتنضج خبرته استعدادا للمواجهة التي لا بد منها في يوم ما. فكان عليه ان يتفادى استفزاز السلطة ويمنعها من التفكير في الاجهاز عليه وعلى مشروعه. ومع أن لذلك الموقف استحقاقاته، لكن الصدر لم يمنح السلطة ما تأمله منه، إذ لم ينقل عنه أي مديح للسلطة أو تأييدها سياسيا أو فكريا^[١٦]، بل على العكس كان ينتقد السلطة في لقاءاته أو صلاة الجمعة تارة تلميحاً وتارة تصريحاً. وكان يدرك أن السلطة تريد اغتياله حوزويا وجماهيريا عندما كانت تمتدحه في إعلامها. [١٧]

لقد كان الصدر يعي بأن السلطة تريد تحكيمه والسيطرة على مرجعيته، ففي لقاء صحفي مسجل صرح بأنه من وجهة نظر الدولة) ينبغي السيطرة على هذه الجهة (مرجعية الصدر) وتحجيمها. وأحسن طريقة للتحجيم هي أن يمدح وينفع لأجل ان يخمد ويأفل نجمه، وهذا ما حصل. تصرفوا (عناصر السلطة) تصرفا حكيما من وجهة نظرهم متسما بالحقيقة، وأنا أعمل على أعصابي، ولا أستطيع أن أقول مجبرا أو مكرها. بأي يد اصفق وبأي لسان أنطق؟ فالناس في داخل وخارج العراق يأخذون المطلب كأنه ناجز. كأنني أنا لي رغبة في ذلك. (وخلال تلك المرحلة واجه الصدر الثاني حملات عدائية وهجمات واتهامات في الخارج والداخل، في حين لا يمكنه الإفصاح عن مشروعه، كما في تصريحه الآنف الذكر، لأنه سيجهض في وقت مبكر. لقد استطاع الصدر أن يوطد صلته بالجماهير العراقية ويكسب ثقتها وخاصة مجاهدي الداخل الذين كانوا يدركون عمق الإشكالية التي وضع

الصدر الثاني فيها من خلال اتهامه بالعمالة للسلطة، وأنه لا يستطيع أن يكشف مشروعه قبل أوانه، وأنهم يؤمنون بأن (السيد محمد الصدر هو الأصلح وهو يخطط لأمر مستقبلي يقوي به التيار الديني بشكل عجز عنه الآخرون. وهو يريد تغيير النفوس قبل تغيير النظام. وأن ما تردد عنه من مسائل قد تكون غير مقبولة عند البعض هو من شائعات أعداء الإسلام. وأن النظام زرع جواسيس عليه حتى في مكتبه في النجف الاشرف. وأنه يسعى لإحياء الدين ومعاله التي بدأت بالاندثار. وأنه ثوري يخطط للحظة المناسبة، ويريد أن يستغل الظرف الراهن الذي ضعف به النظام. وأن الكثير من أبناء الشعب لم يكونوا يعرفون أمور دينهم قبل تصدي السيد الصدر للمرجعية).^{١٨١} [لقد كانت (الأمة في الداخل) أكثر فهما والتصاقا بمرجعية الصدر من (الأمة في الخارج) التي تأثرت بحملات بعض الأطراف ضده.

لقد انطلق الصدر الثاني في علاقته بالسلطة من خلال قاعدة (جواز العمل مع حكام الجور) حيث تعامل الصدر مع السلطة دون ان يعطيها المشروعية. كما أن علاقته بالسلطة لم تكن علاقة تعاون بل علاقة تعامل مشروط لا تختلف عن بعض حالات التعامل التي شهدتها التاريخ الفقهي الشيعي من قبل بعض الفقهاء الشيعة تماشياً مع مصلحة الإسلام العليا التي يقدرها الفقيه على ضوء الواقع والظرف الاجتماعي الذي يحكم مرحلته.^{١٩١} وقد صنف في هذه المسألة الكثير من فقهاء الشيعة على مر التاريخ كالشيخ الصدوق (٣٨١ هـ / ٩٩١ م)^{٢٠١}، والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ / ١٠٣٩ م)^{٢١١}، وشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)^{٢٢١}، والشریف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م)^{٢٣١}. ومن المتأخرين الإمام الخميني (ت

وبعد أن يناقش الروايات المانعة والروايات المجوزة، يستنتج الشيخ شمس الدين ما

يلي: إن الاستفادة من مجموع الروايات، ونسبة بعضها الى بعض أمران:

الأول: إن هذه الروايات لا تتضمن حكما أوليا أصليا من صرف العمل مع (ولادة الجور)

سواء في ذلك العمل الحكومي، أو الاعمال الحرة، بل هي دالة على أن العمل

مشروع ومباح في الجملة اذا لم يتضمن أو يلزم الاعتراف بالشرعية، ولم يؤد الى

الظلم والمعاونة عليه، فليس في البين حكم تعبدي غيبي.

الثاني: إن مصب المنع في الروايات الدالة على التحريم، هو الاعتراف بشرعية هؤلاء الحكام، وحكمهم، وما يلزم العمل معهم من ظلم الناس. وأما إذا كان العمل معهم لا يتضمن اعترافا بالشرعية ولا يلزم ذلك، ولا يؤدي الى ارتكاب الظلم، والمعاونة عليه، فإن الروايات دالة على مشروعية العمل وإباحته. [٢٦]

ويشرح السيد محمد الصدر علاقته بالسلطة بشكل واضح حيث يقول (السلطة تؤيد المظاهر الدينية الشيعية وترعاها، وهي تعطف علينا ما دام أننا لا نتدخل في السياسة. وهي تكف شرها عنا ما دمنا نكف شرنا عنها، بمعنى أنها تلتزم إزاءنا سياسة المعاملة بالمثل) [٢٧]. [ومع ما يتضمنه التصريح من تقية لكنه يتضمن تأكيداً على (سياسة المعاملة بالمثل) (التي أراد بها منطلقاً يحدد طبيعة تعامله مع السلطة. وكانت الحوزة تتعامل بنفس المنطق مع السلطات السابقة واللاحقة لكن أسلوب التعامل تغير عند الصدر الثاني بسبب الظروف التي حكمت مرحلته. لقد رفض الشهيد الصدر الثاني ووكلاؤه طلب السلطة المتكرر) بالدعاء للسيد الرئيس صدام حسين). ورفض أيضاً طلب مبعوث صدام (محمد حمزة الزبيدي)، قبل يومين من اغتياله، إصدار فتوى (تحرير الكعبة) موجهة ضد الحكومة السعودية، وفتوى أخرى لتأييد دعوة صدام الشعوب العربية للإطاحة بحكامها. كما رفض طلباً للنظام يقضي بأن يدرج ضمن خطبه تأكيدات تؤيد سعي السلطات لاعتقال المسؤولين عن اغتيال المرجعين البروجدي والغروي. [٢٨] ثانياً: إشكالية العلاقة بين الفقيه والمكلف: أراد الصدر تجاوز (جدلية الفقيه والمكلف: من يذهب الى من) التي ترى أنه لا يجب على الفقيه أن يذهب الى المكلف ويبلغه حكمه، بل يجب على المكلف نفسه أن يأتي الى الفقيه ويسأله. فينتقد الصدر هذه الظاهرة بقوله (نعم تصح هذه المقولة إذا توجه السؤال للفقيه، وجب حينئذ الجواب. أما أنه يجب

على الفقيه طرق باب المكلف بدون سؤال، وأن يعطيه حكمه فهذا لا، وهذا مشهور). ثم يقرر أن نتائج هذه الظاهرة انها ترسخ (المقاطعة والانفصال النفسي والاجتماعي بين الحوزة والمرجعية من ناحية وبين العشائر من ناحية اخرى) (٢٩). ويوجه نقده للحوزة التي تتعاس عن الاهتمام بالأمة ونشر الأحكام الإسلامية والفقه بين أبنائها، كما ينتقد الذرائع المتداولة بين بعض أوساط الحوزة التي تقول (لا يجب التبليغ الشرعي إلا عند السؤال، هكذا قال المشهور. أما بدون سؤال فإنه غير واجب بل مستحب ولا يجب القيام بما ليس بواجب. ولا يجب حسب العبارة المتعارفة دق أبواب الآخرين لا أفرادا ولا جماعات ولا طوائف لهدايتهم. لا توجد هكذا ضرورة - هذا المسلك التقليدي وليس أنا أقول بذلك - ومن هنا اتخذت الحوزة العلمية فلسفتها الاجتماعية عن هذا الطريق). ويوضح الصدر الثاني موقفه تجاه هذه الإشكالية فيقول (إلا أن الحوزة الناطقة بالمجاهدة (أي حوزته) لا ينبغي أن تكف عن النشاط في مختلف الاتجاهات ومختلف الأساليب [30]. (لقد أعاقت هذه الأعراف والمقولات عملية التواصل بين المرجعية والأمة بشكل عزز عزلة المرجعية عن الجماهير، فكان لابد للسيد الصدر الثاني من تجاوزها بهدف بناء علاقات وطيدة مع الأمة. لقد شعر بخطورة العزلة عن الأمة، إذ كيف سيرتفع مستوى الأمة عقائديا وفقهيا؟ هذا إذا لم نتطرق للجانب السياسي والاخلاقي. هذا الانفصال بين المرجعية والأمة بحاجة الى جهود كبيرة للمقضاء عليه وردم تلك الهوة بين المرجع والجماهير. يقول السيد عبدالله الغريفي (إذا غابت المرجعية عن واقع الأمة وعن قضاياها وهمومها وتطلعاتها، فمن الطبيعي جدا ان تغيب عن وعي الأمة ووجدانها. فحتى يكون للمرجعية حضور في وعي الأمة ووجدانها يجب أن يكون لها حضور في واقع الأمة وحركتها وتطلعاتها وامتداداتها ومعاناتها. فكما نريد للمرجعية ان تكون

حاضرة في وعي الامة ووجدانها، نريد للأمة أن تكون حاضرة في وعي المرجعية ووجدانها. فكيف تكون الامة حاضرة في وعي المرجعية ومتى تكون كذلك؟ إنها تكون كذلك حينما تكون الأمة الهم الكبير للمرجعية. وحينما تكون المرجعية حاضرة في قضايا الأمة: الفكرية والاجتماعية والسياسية. مما يؤسف له أن الأمة أصبحت حالة مهمشة في الوعي المرجعي، فبمقدار ما يكون الرصيد في الامة من حيث التقليد، وبمقدار ما يكون عطاء الامة من الحقوق والأخماس، يكون الحضور. أما ان تكون الامة حاضرة بعمومها كلها في ذهن المرجعية فمسألة تحتاج الى تأمل ونظرا! من هنا فإن هناك علاقة جدلية بين المرجعية والامة، فبمقدار ما يعطي المرجع من حضور، تعطيه الامة من حبها وثقتها والتفافها، وبمقدار ما يعيش المرجع غيابا عن واقع الامة الفكري والثقافي والروحي والسياسي بمقدار ما تبتعد الامة عن حضورها في الواقع المرجعي. فإذا أعطت المرجعية الامة فكرها وجهدها وثقتها، فإن الامة ستعطيها الكثير من ولائها وحبها. وإذا مارست المرجعية ابوتها للأمة، فستعطي الامة بنوة صادقة للمرجعية. ولذلك ليس من الصحيح ابدان نتهم الأمة دائما بالعقوق. يجب علينا اعادة صياغة المشروع المرجعي وفق منظور جديد يضع الامة في حسابه. [٣١]

ثالثاً: إشكالية العلاقة مع المرجعيات الأخرى: عبر التاريخ تطورت المرجعية الدينية عموماً في المسار الفردي، لذلك لم تشهد عملاً جماعياً (بين المراجع أنفسهم) إلا في الحالات النادرة، مثل مواجهة عدو خارجي كاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤، أو الوقوف ضد تولي حاكم انجليزي ادارة العراق، حين اصر المراجع على انتخاب حاكم مسلم عام ١٩١٩، أو في وقوفهم مع مطالب الحركة الدستورية عام ١٩٠٥. ولذلك شهدت تلك المرحلة التاريخية صدور فتاوى مشتركة تضم امضاءات العديد من المراجع والفضلاء. [٣٢] ولم يكن صعود مرجعية السيد الصدر الثاني بالامر السهل خاصة اذا لاحظنا الظروف التي برزت فيها وما رافقها من تشكيك واتهام بوجود علاقة مع السلطة. ولما بدأت تتألق وتحتل الشارع العراقي بدا وكأن ذلك استفزاز للمرجعيات الأخرى، فتصاعدت وتيرة الانتقادات له، مما حدا بالسيد الصدر الثاني الى توجيه انتقادات شديدة وعلمية للمراجع الآخرين. وهذه الحالة ليست شاذة في مرجعية الصدر الثاني، فقسم من هذه الانتقادات المتبادلة تعود الى التنافس التاريخي بين المرجعيات. فالإمام الخميني انتقد كثيراً بعض الاوساط الحوزوية والمرجعيات المعاصرة له والمختلفة معه في الرأي. كما تعرضت مرجعية السيد محمد باقر الصدر الى العداء والتشكيك والمحاربة. [٣٣] ووصلت الأمور الى حد اتهام السيد الصدر الأول بالعمالة لأميركا وهو يعاني في الحجز في منزله. [٣٤] واستعداد النظام العراقي ضده والمطالبة بإعدامه. [٣٥] ومن المراجع الأحياء الذين تعرضوا لهجمات قاسية هو المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله، حيث صدرت فتاوى وكتب ومنشورات تشكك بمرجعيته، وتعتبره منحرفاً عن الدين. وكان الشهيد الصدر الثاني يبذل الجهود لظهور المرجعية بمظهر الصف الواحد، وأعلن في عدة مناسبات عن سياسة (اليد الممدودة للمصافحة) [٣٦]، وهذا ينسجم مع ما يطرحه بأنه قائد للأمة، والحوزة

جزء من الأمة. كما أن الحوزة ليست على علاقة وفاق مع السلطة، وكلها مهددة بالاستئصال كما حدث للمراجع والعلماء الذين استشهدوا على يد السلطة أمثال السيد محمد باقر الصدر، عائلة الحكيم، الشيخ البروجردي والشيخ الغروي. (وقد كانت لسياسته استجابة واضحة في الوسط الحوزوي حيث تقلصت الانتقادات التي كان يواجهها الى حد كبير في أيامه الاخيرة. ففي تصريح له قال (الحق إنني لم أسمع نقدا جارحا لا من المراجع ولا من المرشحين للمرجعية، وأنهم سكتوا وهدأوا، ربما تصدر أو صدرت بعض كلمات من ممثليهم ووكلائهم).^{٣٧١} يبدو أن انتقادات الصدر الثاني للمرجعيات المعاصرة له لم تستمر على منوال واحد في الحدة والمستوى كما ظهرت في خطب الجمعة ولقاءاته المسجلة المتداولة، بل خفت كثيرا فيما بعد بسبب تغير مواقف بعض المرجعيات تجاهه سواء داخل العراق أو خارجه. ففي آخر حديث له قبل شهادته ظهر أن موقفه قد لان كثيرا حين امتدح بعض المراجع لأنهم ايدوا منهجه وأيدوا اقامة صلاة الجمعة لما لها من نتائج ايجابية، فالقضية معتمدة على الفعل ورد الفعل اكثر مما هي قضية اساسية. يقول الصدر الثاني: (إن انفتاح فقهاء العالم الإسلامي موجود ومبشر بالخير كثيرا في خارج العراق. والأخبار عن ذلك متضافرة ومتواترة إلا من نسبة قليلة. وأما في داخل العراق فالأمريكان ان يكون مختلفا لان جملة ممن كان متخذ الاتجاه الآخر. لا أريد أن اسميه، لكنهم مقتنعون بأعمالهم وأقوالهم. ولا أشك أن الشيء الذي حصل في الحوزة الثانية أو الحوزة الصامتة (المعارضة له) وأتباعها ووكلائها ينقسم الى مستويين: المستوى الأول: أنه في الإمكان التأكيد على أن تلك الحوزة نسبة السكوت والاعتراض فيها، على الاتجاه الذي سرنا فيه، كانت أكثر ولكنها بحمد الله وبفضل الله قلت حينما ازدادت مظاهر المصالح الاجتماعية والإسلامية في المجتمع، وتحمس الناس الى قبول

جملة من الأمور من الفتاوى وأشكال طاعة الله سبحانه وتعالى، فقد قلّ الاعتراض جدا الى حد يكاد أن يكون منعدما إلا من نسبة قليلة جدا.

المستوى الثاني: حصل عندهم (جزاهم الله خيرا) اكثر من ذلك. أستطيع ان أقول أنهم تقدموا الى الأمام خطوة معتد بها ولعل أهم من اتجه هذا الاتجاه هو جناب السيد حسين بحر العلوم (أدام الله عزه)، في اقواله وفي فتواه، في استفتاء واحد أو اكثر من واحد، ينصر (صلاة) الجمعة وينصر السيد محمدا الصدر. أنا اعتبره عملا شجاعا أولا، وشكورا ثانيا. ويدل على شعوره بالمصلحة العامة، وشعوره أن هذه المصلحة العامة ليست قائمة بفرد، وليست قائمة بمنطقة، وإنما هي ضد العدو المشترك في العالم الذي يكيد لنا أنواع الكيد. في الحقيقة التسالم والأخوة والتراضي بيننا في داخل الحوزة من أهم الأساليب والأوضاع التي يمكننا ان نواجه بها هذا الزخم الضخم الذي يأتي ضدنا من العالم الغربي وأذنا به). [٣٨]

المبحث التاسع : مقومات العلاقة مع الجماهير في المشروع الصدري:
بعد أن استكمل الصدر متطلبات مشروعه التأسيسي عبر ترتيب وضعه الحوزوي والمرجعي، وبعد أن رسم طبيعة العلاقة مع السلطة وفق المسار الذي حدده هو، بدأ بالعمل في خلق آلية للعلاقة بينه وبين جماهير الأمة لأنها هي المعنية أولا بالخطاب المرجعي، وهي مادة المشروع ولبناته الأساسية. فبدون الأمة لن يكون هناك مشروع تغييرى أو يحدث اي تغيير حقيقي مبرمج. وهذه العلاقة تستلزم تحشيد الامكانيات المتوفرة والكامنة في الجماهير، وتهيئة الظروف الموضوعية اللازمة لنجاح المشروع. وقد تمثلت معالم هذه العلاقة بما يلي:

1- وكلاء من الشباب الجامعي

اهتم الصدر الثاني كثيرا ببناء جهاز مرجعي متطور قادر على مواكبة افكاره ونشاطاته. وركز على تربية طلابه واختيار وكلائه بين الشباب الجامعي المثقف حيث أن الكثير من وكلائه من خريجي الجامعات في أقسام اللغات والهندسة والعلوم الإنسانية. إن الخلفية الأكاديمية تجعل الوكيل أكثر فهما لواقع المجتمع وتحدياته ومشاكله. كما ركز الشهيد الصدر الثاني على أن يكون وكلاؤه على درجة معقولة من الثقافة الاجتماعية والإنسانية العامة. وكان أغلبهم من فئة الشباب الذين يشكلون جزءا حيويا من شروط التفاعل مع أجيال الامة الجديدة لصناعة المستقبل.^[٣٩] وكان يحرص أن يكون الوكيل من أبناء المنطقة نفسها، يخاطب كل منهم قومه ومدينته باللغة التي يعرفونها، ولتكون دائرة التأثير أمضى وأوسع.^[٤٠] إن وكلاء المرجع هم أذرعه التي يتحرك بها داخل المجتمع، وهم مجساته لنقل ما يدور في المجتمع من مشاكل وتحديات، وهم قنواته الأمينية في الاتصال بأبناء الامة في كل مدينة وأقصى قرية عراقية. لذلك حرص على تربيتهم ونزاهتهم، كي يكونوا جنودا أمناء للقائد، وليسوا موظفين ينتظرون الحقوق والرواتب والامتيازات. فكان يحرص أن لا يعطي وكالة لشخص لديه وكالة من مرجع آخر. وكان يحدد الوكالات بفترات معينة كي يراقب عمل الوكيل، ثم يقرر تمديد أو سحبها. وأكد على الخطباء وأئمة الجمعة الاهتمام، في خطبهم، بقضايا المجتمع المخاطب ومشاكله فضلا عن مشاكل المسلمين في العالم.^[٤١] وكان يعدهم للمواجهة الحاسمة في يوم ما حين قال يوما: أعدوا كفانكم، في إشارة للتحويل الدراماتيكي الذي سيواجهه مشروعه. وقد قدم أولئك الوكلاء تضحيات جسيمة حيث استشهد بعضهم قبل استشهاد وبعده. وكان تأثيرهم واضحا في تلك الجموع الحاشدة التي استطاعوا ان يجعلوها تتبنى

الإسلام وتنفيذ شعائره والالتزام بتوصيات وتوجيهات المرجع في جو يسوده الخوف والقمع. وقد استمر بعضهم في اداء صلاة الجمعة حتى بعد استشهاد السيد محمد الصدر.

2- الفراغ القيادي في العراق أدرك السيد الصدر أن الشعب العراقي يعاني من فراغ قيادي واضح، والشعب العراقي بحاجة الى رمز سياسي يقود تحركه، يثق به، فإذا ترشحت قيادة علمائية واضحة ومرجعية متحركة فهذا افضل، مرجعية حاضرة في الأمة، تراها وتسمعها، تخاطبها وتسألها، تبثها همومها وتتلقى توصياتها. وهذا غير متوفر في الوضع المرجعي التقليدي. لقد كان الصدر يهدف الى بناء مرجعية منفتحة تحمل هموم المسلمين وتحمل أعباء ومشاكل المسلمين وتخاطب الشارع مباشرة).^{٤٢١} يركز على بناء علاقة وطيدة بالأمة إذ بدون هذه العلاقة الوثيقة بين المرجعية والأمة يبقى الخلل قائما في الجانبين. فإما تتحول المرجعية الى مؤسسة فتوائية وتفقد صفة القيادية، أو ان يتحول المجتمع الى مجرد افراد مشتتين.

لقد اختزن الصدر تجربة علمين من أعلام المرجعية الدينية: الأول: السيد محمد باقر الصدر في مدرسته الأصولية وتجديده في الفقه عبر مؤلفات عديدة، ودعوته لإنشاء المرجعية الرشيدة التي أراد بها أن تصبح المرجعية مؤسسة قيادية منظمة تقود الأمة وتشرف على رعايتها فكريا وسياسيا واجتماعيا. لقد كان من طلابه المقربين فاستوعب مشروعه التغييري وتجاربه ونظرياته فجاءت بعض بحوثه وكتاباته بما يسمى بالفقه العملي والفقه الاجتماعي. والثاني هو الإمام الخميني، وهو استاذة ايضا، في مدرسته الجماهيرية الثورية حيث اعتمد في تحركه على جماهير الأمة، منفتحا عليها، سواء في مرحلة المواجهة مع النظام الطاغوتي أو بعد انتصار الثورة وتأسيس الجمهورية الاسلامية. وكلا المرجعين احتلا مكانتهما في نفوس اتباعهما وانصارهما وجماهير الأمة في العراق وايران.

ان القيادة تلعب الدور الرئيس في اقناع الجماهير بالأفكار والأهداف التي تصبو اليها. ومن خلال علاقتها بها تستطيع مقاومة كل الصعوبات والعراقيل التي توضع امامها. وبفضل مؤازرة الامة للمرجعية تتمكن الاخيرة من الاستمرار في جهادها ومواقفها وصلابتها، حتى تقودها الى النصر والنجاة. وقد تمكن الصدر الثاني من بناء قيادة مرجعية - جماهيرية سرعان ما انضوى تحتها ملايين العراقيين الذين لبوا نداءاتها سواء في اداء صلاة الجمعة أو تنفيذاً لفتاواها بصدد قضايا معينة. لقد استطاع أن يحرك في الامة كل مواطن القوة والصمود، ليحول الشارع العراقي الى شارع تنبض حركته بالإسلام والمفاهيم الإسلامية. وكان يلوح بأنه هو نفسه الإمام القائد للأمة طالما باستطاعته إقامة صلاة الجمعة. ٤٣١ [ومن خلال تربية فريدة للجماهير، عبر الفتاوى والتوصيات، تارة بالحركة وتارة بالتوقف، استطاع الصدر الثاني ان يمسك بقياد الامة ويحركها بالوجهة التي يريد. وهذا أمر غير متعارف عليه في المسار التاريخي للشعب العراقي المعروف بكثرة جدله وتبرمه، ولكن الصدر الثاني تمكن وخلال فترة قياسية ان يركز مفاهيم الانقياد والطاعة في نفوس الجماهير. وهذا أمر حيوي طالما أنه مقبل على حركة تغييرية كبيرة، ومواجهة حاسمة ومصيرية مع السلطة الحاكمة. وقد صرح الصدر الثاني بهذه الحقيقة في إحدى خطبه معلقاً على حادثة إلغاء الزيارة الشعبانية الى كربلاء من قبل الدولة، حيث قال: هذه بادرة حسنة كونكم أثبتتم بالتجربة أن الحوزة اذا قالت لكم تكلموا تتكلمون، واذا قالت لكم اسكتوا تسكتون. وأنتم بعون الله أثبتتم أنكم على مستوى المسؤولية والطاعة. وبفضل الله وحسن توفيقه انه بالرغم من ان السير الى كربلاء لم يتم بالشكل الموسع الذي تمنيناه له، إلا أنه اثمر ثمرته الطيبة وأنتج نتائجه الحسنة في سبيل الله سبحانه ونصرة دينه من حيث أنه اظهر تكاتف

الشعب العراقي كله وخاصة في الوسط والجنوب على العمل في سبيل الله والتضحية في سبيل الدين[44]. (وكانت احاديث الصدر وخطبه تسجل على أشرطة كاسيت (صوت وفيديو) ويجري تكثيرها وتوزيعها لتصل أكبر عدد من الجماهير العراقية. ومن المعلوم ان شريط الكاسيت يسهل تداوله ونشره، اضافة الى أنه يجعل السامع اكثر قربا والتصاقا بالقائد. كما أن الخطاب الصوتي عملي أكثر من الكتب خاصة للذين لا يستطيعون القراءة أو ذوي المستوى التعليمي المنخفض. وهذا اسلوب لم تعتده الجماهير ولم يمارسه المراجع من قبل حيث اقتصر على خطباء المجالس الحسينية، في حين أنها تستمع اليوم الى مرجع يخاطبها مباشرة، فتشعر بالانتماء اليه والى فكره ومنهجه.

صلاة الجمعة: مدرسة مفتوحة للوعي: أدرك السيد الصدر ان الخطاب الجماهيري والحضور المرجعي والعلمائي بحاجة الى آلية مستمرة، وأرضية تستمد مقومات قوتها من العقيدة الإسلامية قادرة على جذب الناس، كما لا تستفز السلطات، فلم يجد أفضل من بعث الحياة في شعيرة إسلامية متوقفة في الوسط الشيعي العراقي، وهي صلاة الجمعة. ٤٥١ [فاجتماع الناس يصبح امرا عاديا لا تستطيع السلطة منعه لأنهم يريدون اقامة صلاة الجمعة، وهو أمر عادي يقام في جميع المدن التي يقطنها أهل السنة في العراق. كما تقام في جميع انحاء العالم الإسلامي، وتقام ايضا في البلدان ذات الكثافة الشيعية كلبنان وايران، أو اقلية شيعية كبيرة كما في الهند وباكستان. إن اقامة صلاة الجمعة ليست بالأمر السهل في الشارع العراقي، إن التجمع الجماهيري بحد ذاته رفض للنظام واستفزاز لسلطته. لقد استطاع الصدر أن يخلق قاعدة كبيرة من الأمة تمكن من استدعائها الى الشارع لتؤكد الحضور الإسلامي المستمر في الشارع العراقي. وتعتبر صلاة الجمعة استنفارا اسبوعيا للشارع العراقي لم يعتده من قبل، واجتماعا جماهيريا يختزن التماسك الاجتماعي وشعور الفرد بأنه منتم الى شعب عريق وقوي، يعبر عن مشاعره ويعزز ثقته بنفسه من خلال عملية تواصل وبناء فكري وثقيف سياسي. لقد أراد الصدر أن تمثل الجمعة جسرا تواصليا بين المرجع والأمة من خلال لقاء دوري شمولي عام، وليس لقاء خاصا شخصا مع المرجع. فقد لا يتسنى للكثير من الناس الذين لم تتح لهم الظروف الالتقاء بالمرجع، أو انهم لا يعرفون آليات الوصول إليه، وبالتالي فهم يتواصلون عبر ادبياته وفتاواه فقط دون ان يعيشوا تصوراتهم وجها لوجه، ودون ان يعيش تصوراتهم بصورة مباشرة. ٤٦١]

وقد قام الشهيد الصدر الثاني بتأصيل فقهي لصلاة الجمعة في خطبه حيث ذكر (أن صلاة الجمعة وإن كانت واجبا تخييريا إلا أنه وبوجود الامام القائد للامة تكون واجبة، ولقد كانت هذه النقطة محط خلاف بين الفقهاء. كان الرسول يصلي صلاة الجمعة ويحث الناس على إقامتها. فلماذا لا يقيم بعض الناس هذه الشعيرة). ويتساءل: لماذا لا يقيم العلماء صلاة الجمعة؟ فيجيب بنقد لاذع على هذا السؤال موجهها نقده للمراجع الآخرين قائلا:

- 1- لا يمكن أن نقول انها لم تقم اصلا وبتاتا في تاريخ الإسلام والتشيع.
- 2- فإن قلنا أنها لم تكن مقامة من قبل علمائنا، فإننا يمكن ان نحملهم على محمل الصحة لأنها واجب تخييري، فيقيمون صلاة الظهر كون صلاة الجمعة تتطلب تحضيراً (ويصلون الظهر ويديرون ظهورهم).
- 3- لا يقيمونها حتى لا تحصل مفسدة!! وهي أن أحد العلماء اذا اقامها ولا يقيمها علماء آخرون أو لا يحضرون فيها، فإن هذا خلاف بين العلماء. علما أن هذا الخلاف موجود بين العلماء منذ الأزل.
- 4- إن صلاة الجمعة والعديد فيهما خطبة. وهذا ما لا يطيقه العلماء في الحوزة. وليست عادة لديهم، أي غير معتادين على ذلك. وقليل من يستطيع ان يخطب أو يعطي الخطبة حقها. ومن تعود منهم على الخطبة فإنه تعود الخطابة الحسينية. وهذا لا يعول عليه في إلقاء خطبة الجمعة التي يجب ان تكون موجهة الى الشارع والعامّة، في حين أن الخطيب الحسيني لا يمتلك ذلك - نعم جزاهم الله خير جزاء المحسنين- ولكن هذا اتجاه وذلك اتجاه.

5- اختلاف مستوى المجتهد أو المرجع عن مستوى الناس فهو لا يجد سبيلا لإفهامهم، فهو معتاد على لغة المكاسب والفقه فلا يستطيع ان يتنازل ليتكلم بلغة الشارع مع الناس، اذا افترضنا أن هؤلاء قد قبلوا بالنزول الى العامة والناس. وإثمه لمن العرف والمشهور هو أن الذي يقيم صلاة الركعتين (الجمعة) يجب أن يقوم للناس خطيبا، فهذا غير جائز لأن نص هذا القائم (خطبة المجتهد) غير مفهوم للناس بمعنى من المعاني. [٤٧]

امتازت خطب الجمع بالبساطة مع عدم الاخلال بعمق المفاهيم التي يطرحها، كان يستخدم لغة الشارع المبسطة بعيدا عن لغة اساتذة الحوزة ومصطلحاتها. إن معظم المراجع يجد صعوبة في مخاطبة الجماهير بأسلوب وخطاب تفهمه لأنهم اعتادوا على التعامل مع طلابهم ودروسهم الفقهية العميقة. والمتابع لخطب الجمعة للشهيد الصدر الثاني يلاحظ أنه كان يعاني صعوبة بالغة في اتقان هذا الفن، فالمرجع غير الخطيب. وبمقارنة عاجلة بين الحوارات التي اجريت معه والخطب التي ألقاها وبين دروسه ومحاضراته امام طلبته يمكن اكتشاف المسافة الشاسعة في الأساليب، أي اساليب الطرح والوصول الى المطالب. ويمكن اعتبار خطب السيد بأنها من السهل الممتنع، فهو يستخدم اللغة العربية القريبة من فهم الناس، ولو بجهد بالغ ومكتوب غالبا، إذ يحاول إدخال المصطلحات الشعبية الخفيفة واللغة السهلة المفهومة وأحيانا الدارجة ولو بعد إعدادها وتنقيحها. [٤٨] وكان الصدر الثاني يفتتح خطبه عادة بدعاء مأثور من أدعية الصحيفة السجادية أو مفاتيح الجنان أو غيرها من كتب الادعية المعروفة، ثم يعرج بأسلوب سلس يفهمه عموم المستمعين من كافة طبقات الأمة، ويدخل في صلب الموضوع الذي يريد طرحه، بلا مقدمات أو ديباجات. [٤٩] وقد استخدم الشهيد الصدر الثاني عدة أساليب ومفردات تساهم في تعبئة الجماهير من خلال الإيماءات والشعارات التي يطلب من الجمهور ترديدها معه مما يعزز حالة

الانتماء الجماهيري للمرجع وتمسكا به، لأنهم يتفاعلون معه عبر المشهد البصري والاستجابة السمعية لخطبه. وكانت هتافات جديدة لم يسمع بها الشارع العراقي مثل «نعم نعم للإسلام» و«نعم نعم للمذهب» و«نعم نعم للجمعة»^[٥٠] مقابل شعارات «لأشيعتنا بعد اليوم» الذي رفعته السلطة بعد الانتفاضة، وشعار آخر جاء فيه «كلا.. كلا.. للباطل، كلا.. كلا.. لأمريكا، كلا.. كلا.. لإسرائيل، كلا.. كلا.. للاستعمار. كلا.. كلا.. للاستكبار. كلا.. كلا.. يا شيطان»^[٥١]. وهي محاولة ذكية ومقصودة مقابل شعارات النظام السيئة الصيت التي كانت ترفع للاستهلاك المحلي أو البيعة المزيفة مثل «نعم نعم للقائد صدام حسين» و«بالروح بالدم نفديك يا صدام» و«صدام اسمك هز أمريكا». ولتركيز موقع الحوزة في أذهان الجماهير كان يردد بعض الشعارات مثل «هذه.. هذه حوزتنا، هذه.. هذه عزتنا، هي.. هي قائدتنا، هي.. أملنا»، وقوله في شعار آخر «نعم، نعم للحوزة». كما ابتكر مناداة جديدة للصلاة على محمد وآل محمد حيث يطلب من الجماهير في صلاة الجمعة ذلك بقوله «على حب الحوزة.. صلوا على محمد وآل محمد». وكان يلقي أبياتا من الشعر ومدائح للمعصومين «ع». وطالب في آخر خطبة له (بإطلاق سراح جميع المعتقلين من فضلاء الحوزة والمؤمنين فورا (ويطلب من المصلين ترديد المطالبة بقولهم (نريد، فورا، يا الله) ثلاث مرات [52]. كان كثيرا ما يوجه انتقاداته للسلطة ويستخدم أساليب غير مباشرة أحيانا بشكل يفهمها السامع، فتارة يوجه نقده للسلطة معبرا عنها بـ «إسرائيل» حيث يصرح في إحدى خطبه (لو اجتمعت الحوزة مع الأمة لهزمتنا إسرائيل، ناهيك عن غيرها، اللهم إني قد بلغت).^[٥٣] وفي خطبة أخرى يقول (لكان في إمكان الحوزة والمذهب، بغض النظر عن السلاح طبعا (ونحن عزل عن السلاح والحمد لله)، لكان في إمكاننا

مجابهة اسرائيل بنفسها بما يحصل فينا من تكاتف وتضامن وعزة بالله^(٥٤)، ومعروف ما يقصده الصدر باسرائيل اي النظام العراقي، اذ أن الحوزة والشعب العراقي ليسا في صراع مباشر مع اسرائيل بل مع نظام صدام. ويكاد يفشي باسم النظام حين يتحدث عن موقف النظام بمنع صلاة الجمعة في شوارع الكوفة، يعبر عن النظام باسرائيل التي قتلت الحسين «ع» حيث يقول (لماذا الصلاة في الشارع في البصرة والعمارة مسموحة وفي الكوفة ممنوعة؟ نحن لا نقبل بذلك فللحسين قتلة كثيرون، في كل جيل وفي الأجيال القادمة، لقد قتل الحسين «ع» الاستعمار المسيحي الغربي ايضا والجلوذة الموجودون في اسرائيل ايضا قتلوا الحسين «ع» (وما أگدر احچي)).^(٥٥) وواضح ان اسرائيل لم تكن موجودة في كربلاء بل يريد السيد أن يزيدا الذي قتل الحسين «ع» ما زال يقتل أبناءه اليوم متمثلا بصدام وجلاوزته، والعبارة الأخيرة (ما أگدر احچي) رسالة للجماهير الى قراءة ما بين السطور في عباراته الأنفة الذكر.

كما ان اختياره لموقع إقامة صلاة الجمعة أي في مسجد الكوفة له دلالات مكانية وتاريخية، حيث المحراب الذي سقط فيه أمير المؤمنين

إن مجموع الجهود التي بذلها الشهيد محمد الصدر «رض» أحدثت بالفعل هزة عنيفة في إطار المجتمع العراقي ... ولو أن الرؤى والتقديرية قد تغايرت بعد مرور سنة على استشهاده أزاء تجربته إلا إن هذه السنة شكلت بحد ذاتها - لا سيما في شهورها الأولى - دالة أخرى على عمق الأثر الذي خلفه اجتماعيا، فبغض النظر عن ردود الفعل الآنية التي خلفها خبر الاستشهاد، فإن شهور ما بعد هذا الخبر عكست بشكل جلي صورة أخرى لارتباط المجتمع العراقي بالصدر الثاني وتجربته التي لم يعيش هذا المجتمع مثيلاً لها، والبعد الأول الذي عرضته هذه الصورة يتمثل بانتماء جماهيري واسع لتجربته بعد استشهاده من الأوساط «المتردة والمتحفظة» التي كانت في حياته لا تستطيع أن تهضم النمط الجديد الذي جاء به في العمل الاجتماعي في طريق وصوله إلى العمل السياسي المباشر والتي تأثرت بالشائعات والانتهاكات التي وجهت للصدر الثاني في حياته... تلك الشائعات والانتهاكات التي دارت حول علاقته بالسلطة والنابعة من حالة «القصدية» التي حركتها صراعات ومنافسات غير مشروعة وحالة التخلف والتمسك بما كان سائدا واعتباره ارثا «مقدسا» يجب التوقف عنده...

إن اوساطا شعبية وفي ظل نفوذ هاتين الحالتين تحفظت على الانخراط في حركة الصدر الثاني التغييرية في حياته إلا أن هذه الاوساط التحقت بشكل واضح في سياق مشروعه ولو إنه كان التحاقا «متأخرا» عبر عن نفسه بابداء العواطف والولاء والندم القاسي وتخلف فيه عن دوره المفترض في لحظة حياته وبما يمكن أن يتيح له ذلك من مجال جديد لادارة الصراع مع السلطة... ومع هذا الانضواء المتأخر لهذه الكتلة الجماهيرية، إلا إن التقييم الاجمالي للمشروع يتطلب رصدها كأثر من آثار التغيير المستقبلي لوعي الأمة كان الصدر الثاني يحرص على زرع بذوره. ان هذا البعد أو المظهر عبرت عنه حالة اجماع لآلاف العراقيين في داخل العراق الذين عاشوا اللحظة ما بعد صدمة استشاده... اما البعد الآخر الذي يعبر عن الأثر العميق لما أسسه الصدر الثاني في الوسط الاجتماعي فانه تمثل بظاهرة «قبره» الذي تحول إلى مزار يومي لا تكاد تفارقه الناس وتقصده يوميا عشرات الآلاف من العراقيين القادمين من كل المحافظات العراقية... فلقد شكلت هذه الظاهرة التي هي الأولى من نوعها في تاريخ العراق مصدرا للارهاق والاستنزاف الامني للسلطة لاسيما مع ما يرافقهما من شعور بالتحدي اللامعلن من الطرفين الناس من ناحية والسلطة من ناحية اخرى... ولولا هذا التحدي اللامعلن ما كان للسلطة أن تتأثر بالشكل الذي حصل، ولو أن اصل التجمع بهذا الشكل يمثل من حيث المبدأ أمرا غير مرغوب من الناحية الأمنية، اما أن يضاف إلى ذلك تحد سبقته مواجهات دامية كرد فعل على استشهاد الصدر الثاني في الثورة والبصرة ومناطق اخرى فذلك أمر دفع السلطة بالنهاية إلى تغيير سياستها بشكل صلف، فهي حتى ما بعد استشهاد الصدر كانت قد ساقطت مجموعة من الاتهامات لاطراف اخرى تتهمها باغتياله وتحملها مسؤولية هذا الاغتيال.. كما انها اضطرت إلى اكراه مجموعة من طلاب العلوم الدينية على

مسرحية مكشوفة من» الاعترافات» نفذت بعدها حكم الاعدام بهم ثم «عوضت عوائلهم بعد ذلك لأنها اكتشفت أنهم أبرياء...!!» ثم بعد هذا الضغط الجماهيري الهادر على أمنها القلق دفعت الاوضاع بها في نهاية المطاف إلى التعميم على أعضائها وكوادرها بأن «الشهيد الصدر كان عميلاً لجهات خارجية»، وبما يشير إلى انها هي التي نفذت اغتياله، هذا التحول والارتباك في موقف السلطة يعبر عن عمق الأثر الذي عكسته ظاهرة الانتماء الجماهيري الجديد لتجربة الصدر الثاني ما بعد استشهاده.. فهذه الظاهرة بقدر ما كانت تعبر عن احساس أمة بالمرارة والخسارة فإنها تعبر ايضا عن صحوة داخلية تدفعها إلى البحث عن قائد آخر يقودها من خلال ابداء مشاعرها ازاء فقدان قائد قد رحل... قبل أن يطول زمن الفراغ الذي خلفه.. إلا أن هذا الفراغ تحول إلى اشكالية كبرى في الصراع الداخلي بين الأمة والسلطة التي استطاعت بعد ذلك ان تواصل اجراءاتها لملاحقة طلاب مدرسة الشهيد محمد الصدر ووكلائه وتصفيتهم اعداءا أو تشريدا وتقدم على انتقامات» جنونية» جديدة ضد الشعب العراقي.

ولكن السؤال هو ماذا بعد هذا الفراغ؟ فلقد ترك الشهيد محمد باقر الصدر فراغا قياديا خطيرا في مرحلته وما كان لأحد أن يتصور بأن دماءه ستتحوّل إلى حزن مكبوت... وإلى صيرورة وعي متصاعد ستنفجر لا محال وتكشف عن انضواء أكبر للأمة تحت العنوان الإسلامي فكانت انتفاضة شعبان- آذار ١٩٩١ وكانت ظاهرة الصدر الثاني بعدها.

إن انتصارات السلطة على الظاهرة الدينية مهما اتخذت من أشكال، فإنها بالنهاية انتصارات وقتية وهزائم مؤقتة وفق قوانين الصراع المادية والغيبية.. والأهم في ما فعله المرجع الشهيد محمد صادق الصدر إزاء السلطة في حياته وبعد استشهاده هو اجماع الأمة من خلال صيرورة وعي بذل جهودا جبارة بغية تأسيسها من خلال قراءته التاريخية وقراءته للواقع الاجتماعي.. وعي الأمة بما ينبغي أن يكون عليه دور القائد والمرجع، فهو دور يتجاوز كثيرا ما اعتادت الناس عليه في السابق وهو دور يعبر عن آلامها وطموحاتها ومصالحتها لا أن ينكفى إلى حيث ما يطابق الواقع والظرف دون التفكير بتغيرهما.

المصادر والمراجع المستخدمة:

- [1] عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية العراقية، الجذور الفكرية والواقع التاريخي، ١٩٠٠-١٩٢٤، ص 288.
- [2] د. فرهاد ابراهيم، الطائفية والسياسة في العالم العربي.. نموذج الشيعة في العراق، رؤية في موضوع الدين والسياسة في المجتمع العربي المعاصر، ص ١١٤، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٦.
- [3] سلام ابراهيم كبة، المجتمع المدني في كردستان العراق، ص 59، مجلة (النهج)، العدد ٥٦ - خريف ١٩٩٩.
- [4] عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية العراقية، مصدر سابق، ص ٢٨٦.
- [5] من كلام الآية الله السيد محسن الحكيم ردا على اسئلة وجهها له الإمام الخميني «قده» في لقاء خاص بينهما، جاء في «نهضت امام خميني» لحميد روحاني، ج٢، ص ١٥١-١٥٢.

- [6] الشهيد آية الله محمد باقر الصدر.. خطاب المحنة، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دار التعارف - بيروت، الطبعة الأولى.
- [7] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم ٢١.
- [8] المصدر نفسه.
- [9] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم ٣.
- [10] عبد الأمير الركابي، السلطة العراقية والمعارضة والمجتمع.. دلالات في ضوء مقتل الإمام الصدر، صحيفة (الحياة) ١٥/٤/١٩٩٩.
- [11] أكرم سليم، دراسة نقدية لتجربة الحركة الشيوعية في العراق، دراسات عراقية، العدد (٧-٨) أيلول ١٩٩٨.
- [12] د. علي كريم سعيد عبد الله، رؤية تكاملية بين الإسلام الحقيقي والقومية الحقيقية، دراسات عراقية، العدد (١٢-١٣) شباط ٢٠٠٠ م.
- [13] سلام ابراهيم كبة، النهج، مصدر سابق.
- [14] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، لقاء صحفي مسجل.
- [15] المصدر نفسه.
- [16] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم ١٣.
- [17] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم ٦.
- [18] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم 22.
- [19] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم
- [20] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم ١٣.

[21] راجع نص «السنينة» العشائرية في كتابنا «محمد محمد صادق الصدر

(مرجعية الميدان) مشروعه التغييرى ووقائع الاغتيال / الملاحق.

[22] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم ٢١.

[23] عن كتاب «الاجتهاد والتجديد» في الفقه الإسلامى، لآية الله محمد مهدي

شمس الدين، ص ٧٣ - ٧٤، المؤسسة الدولية، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

[24] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، فقه القضاء، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، دار

الأضواء.

[25] المصدر السابق.

[26] الشهيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم ٣.

[27] المصدر نفسه.

[28] عادل رؤوف، مرجعية الميدان، مصدر سابق، ص ١٤٧.

[29] المصدر نفسه، ص ١٤٥.

[30] صحيفة (الموقف)، العدد ١٩٢ - ١٨ آذار ١٩٩٩.

[31] حسين بركة الشامي، المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، ص ٢٩٩،

مؤسسة دار الاسلام، ط ١، ١٤١٩ هـ.

٣٢- علي المؤمن (سنوات الجمر)، دار المسيرة، لندن: ١٩٩٣.

٣٣- علي أحمد البهادلي (الحوزة العلمية في النجف)، دار الزهراء، بيروت: ١٩٩٣.

٣٤- نبيل عبدالهادي (الصدر وصدام، الإنسانية في مواجهة الهمجية) في (نخبة من

الباحثين (محمد باقر الصدر: دراسات في حياته وفكره))، دار الإسلام، لندن: ١٩٩٦،

الصفحات ٥٨٧ - ٦٨٠.

- ٣٥- محمد حسين فضل الله (فقه الشريعة)، دار الملاك، بيروت: ١٩٩٩.
- ٣٦- محمد الصدر (الصراط القويم)، دار الأضواء، بيروت: ١٩٩٨.
- ٣٧- محمد محمد صادق الصدر، خطب الجمعة ولقاءات مسجلة.
- ٣٨- محمد سعيد الحكيم (الاحكام الفقهية)، الطبعة الثانية، 1997.
- ٣٩- محمد مهدي شمس الدين (في الاجتماع السياسي الإسلامي)، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم: ١٩٩٤.
- ٤٠- محمد باقر الناصري (الإمام الشهيد محمد باقر الصدر رائد التغيير والإصلاح) في الفكر الجديد، العدد ٩ الصادر في آب ١٩٩٤، الصفحات 72 - ٩٩.
- ٤١- مرتضى الرضوي (في سبيل الوحدة الإسلامية)، مطبوعات النجاح، القاهرة: ١٩٨٠.
- ٤٢- محمد الحسيني (محمد باقر الصدر، دراسة في سيرته ومنهجه)، دار الفرات، بيروت: ١٩٨٩.
- ٤٣- محمد رضا النعماني (الشهيد الصدر، سنوات المحنة وأيام الحصار)، اسماعيليان، قم: ١٩٩٧.
- ٤٤- محمد تقى الحكيم (قصة التقريب بين المذاهب)، مكتبة النجاح، طهران: ١٩٨٢.
- ٤٥- محمد تقى الحكيم (التشيع في ندوات القاهرة)، مؤسسة الامام علي (ع)، بيروت: ١٩٩٩.

٤٦- محمد فريد المحامي (تاريخ الدولة العلية العثمانية)، دار النفائس، بيروت: ١٩٩٣.

٤٧- مختار الأسدي (الصدر الثاني: الشاهد والشهيد)، مؤسسة الأعراف، قم: ١٩٩٩.
هـ، ١٩٩٩ م

السيد العلامة محمد كلانتر(قدس) الموسوي سيرته ومنجزاته في بناء

الإنسان

أ.م.د. خليل ابراهيم الأعسم

جامعة المثنى

مقدمة:

لم تكن النجف شيئاً مذكوراً ، وإنما كانت نسيئاً منسيا ، قبل أن تتشرف رمالها بذلك الجسد الطاهر الذي نزهها ، ورفعها ، وأعلى أسمها ، وجعلها حاضرة إسلامية مقصدا للزائرين ، ومطلبا للعلماء والدارسين ، وجامعا لدعاء الصالحين وموطأ قدم للعارفين ومسجدا للمسبحين لكل هذه العوامل شد الرحال ، الشيخ الطوسي هاجرا بغداد تاركا إياها مطلقا خضرتها ثلاثا بلا رجعة عاقدا على جامعة النجف مؤبدا وقد صدقها بأن جعل لها مهرا ما ألفه من كتب حينها من تهذيب و استبصار . إن النفحات القدسية لصاحب هذا المرقد المقدس بارك هذه البقعة الشريفة . وأصبحت جامعة النجف من أرقى جامعات أهل البيت (عليهم السلام) ، فنجد خريج هذه الجامعة له مواصفات خاصة ويبقى خريجو الجامعات الأخرى يفتقرون الى منهج البحث العلمي النجفي ، مهما بلغوا من العلم من هنا كان لابد لطلاب العلم أن يحجزوا مقعدا في جامع النجف فهي معهدا لدراسات الأصول و الفقه و اللغة، وأصبحوا من أساطين العلم والمعرفة وهكذا تطورت المناهج الدراسية في جامعة النجف حتى أصبح من الضروري أن يعاد النظر بالمقرارات والمفردات التعليمية ، وفقا للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، لقد شعر بضرورة التجديد في هذا القرن الثالث عشر مجموعة من حاملي الفكر الإسلامي النير ، ومنهج سماحة العلامة السيد مؤسس الجامعة الدينية في النجف ، الذي كان مجددا في ارساء قواعد تدريس العلوم

الإسلامية وفقا لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، الذي عشق النجف حبا بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ووضع اسسا جديدة للتعلم في مدرسة أهل البيت في النجف . ومن هنا جاءت المساهمة في بناء الإنسان وصناعته .

بناء الإنسان في مسيرة العلامة السيد محمد كلانتر الموسوي (قدس)

إن بناء الانسان الصالح هو ثمرة الدين والاخلاق خلال سنوات طويلة من المran والممارسة والانسان هو غاية ارسال الرسل والتنزيل الحكيم والشرائع المقدسة هو سعادة البشرية هي نتيجة طبيعية لبناء الانسان الصالح والانسان هو أقدس المقدسات فرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يطوف حول الكعبة ويقول ما اطيبك وما اطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده إن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه فالانسان من روح الله مبناه فأمر الملائكة بالسجود له واسس بناء الانسان هي :

١- الايمان

٢- الاخلاق

٣- الفكر

٤- الحراك على الارض

واذا ما بحثنا في مسيرة السيد العلامة كلانتر لوجدنا استلهامه لهذه الاسس في مسيرته وحياته فلديه ايمان وبنیان عقائدي راسخ استقاه من مدرسة أهل البيت وفي ميدان الاخلاق فقد وضع في منهاجه التدريسي الاسبوعي محاضرة اخلاقية وجعل من يوم الثلاثاء من كل اسبوع موعدا لها وهي محاضرة جامعة لجميع مراحل الطلبة من مقدمات وسطوح وعالية ليرسم لهم مباني الاخلاق في المدارس المختلفة ثم كتاب الشيخ النراقي في علم الاخلاق في ثلاث اجزاء ليكون مرشدا للطلبة

ومصدرا مهما في بناء سايكولوجية الانسان الاخلاقية وبعد وفاته استلم مهمة التدريس محله سماحة الحجة السيد محمد رضا الغريفي ومن بعده السيد ضياء كلانتر .

أما بناء الانسان على صعيد الفكر فكان يملك رؤية استراتيجية لبناء وصناعة الانسان الصالح كما وردت هذه النظرية في القرآن الكريم فكان الانسان محور اهتماماته خلال نشاطه اليومي .

أما على صعيد الحراك على الارض فله منجزات واضحة جليلة المعالم منها :

١- جامعة النجف الدينية . (١)

٢- الابواب الذهبية (٢) لمرقد امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ووضع اسمه كباذل ومتبرع على هذه الابواب واليوم عندما يدخل الزائر يرى ذلك امام عينيه .

٣- تجديد بناء مرقد كميل بن زياد في عقد السبعينات وكانت له زيارات اجتماعية من خلالها يحاول بناء الانسان وزياراته هذه لا تقتصر على السادة العلماء والمراجع انما تشمل طلابه أيضا الذين يدرسون في رحاب الجامعة وبعض فضلاء الحوزة ليطلع على حاجاتهم ليقوم بسدها بالقدر المستطاع .

أولاً:- الولادة والنشأة

٤- المكان : النجف الأشرف ، الزمان : بين طلوع الفجر وشروع الشمس وما أبدع الزمان ، في يوم عيد الأضحى ، وعلى هذا التراب المقدس وعلى الرمال الطاهرة المطهرة وبالقرب من النفحات الربانية في الحويش الذي كتب له القدر أن يتشرف بجوار سيد البلغاء العرب و أمام المتقين أمير المؤمنين أبا الحسنين (عليهم السلام) ، أن يقدر للفقيد أن يرى النورين نور جده ونور الحياة في هذا المكان و الزمان .

٥- حيث أبواب الرحمة و الدعاء و السكينة و الطمأنينة و الأمن قد أرخى سدوله وعلى الزمان و المكان ، ، يشير الى أن الولادة ليست ككل الولادات ، وإنما هي مميزة ومختارة ، فالييت العائلي قد شيدت أركانه من العلم و الهدى و التقى و الصلاح و الفلاح و الأصالة ، فوالد السيد كلانتر كان من المشتغلين بالعلوم الشرعية ، ووالدته كانت لها اهتمامات واسعة بهذا الجانب وسيرا على عادات أهل البادية كان للسيد كلانتر مرضعة ، وكان له أخا من الرضاع ، في مدينة النجف الأشرف المقدسة ، فلقد تربى ونشأ وترعرع كورقة طيبة من شجرة طيبة في غرسة طيبة ، لقد نمت في أحضان أمينة جعلت بنيانه متينا وعوده صلبا ، وفكره نيرا ، قوي القرار ، صائب الرأي ، متماسك العقيدة ، ثابت الموقف ، شديد الحماس ، ثائر العزيمة ، كريم النفس .

٦- وقد وردت هذه الصفات من أجداده الكرام الأئمة الهاديين المهديين .

٧- كانت ولادته في يوم تجمع فيه الحجيج للتلبية " لبيك اللهم لبيك " .

٨- والده : السيد سلطان مصطفى من رجال العلم بالنجف الأشرف عرض بالورع و التقوى و الزهد و النفس العالية ، حيث أنه ممن يؤثر على نفسه ، و إن كان منه فصاحة ، كان يصطحب ولده الأكبر " السيد كلانتر " الى الصحن الحيدري الشريف ، ويدليه على الملكات الفاضلة و الأخلاق العالية ، وقد توفي والده سنة (١٣٨٥ هـ) ودفن في المقبرة الخاصة بالأسرة .

٩- والدته : فهي كريمة الأصل عريقة الجذور ، تميزت بطهارة القلب ونقاء السريرة ، فقد ربت ولدها تربية إسلامية صحيحة ، وعلى مستوى عالي من الطهارة ، وكانت تحفظ القرآن الكريم ، وحتى القراءات المتعددة منه ، وكثير من الأدعية الماثور ، عن أهل البيت (عليهم السلام) ولقد علمت ولدها (السيد كلانتر) ، فكان لها

قراءات وآراء في دعاء كميل ، وتقييم الدليل على صحة آرائها ، وإن لها الأثر البالغ في نشأة ولدها و أرضاعه الاستعداد الفطري و الذاتي ليكون السابق لعصره و لأقرانه . (٣)

ثانياً:- بدايات تلقي التعليم

لقد ختم المصحف الشريف تحت اشراف الملا هاشم ، وبهذه المناسبة تم الاحتفال بالصحن الحيدري ، كما جرت العادة على ذلك ، وهذه الختمة تشكل اللبنة الأولى في تلقي التعليم أما اللبنة الثانية هي أن يتعلم القراءة و الكتابة في (محلة الحويش) النجفية ، فلمس معلمه منه قدره على الادارة وتحمل المسؤولية ، فأناط به ما يسمى بمنصب الخلفة ، حيث كان ينوب عن معلمه عند غياب الأمير عن الدرس ، ويقوم بإدارة المحاضرة ومن زملائه في هذه المرحلة كل من :

١. السيد محمد علي الحمامي ، المرجع الديني المعروف

٢. السيد محمد الجصاني ، محامي في بغداد

٣. الحاج عبد الأمير الطيار وآخرون . (٤)

ثالثاً:- بداية المسيرة العلمية

لقد نشأ السيد العلامة كلانتر نشأة معرفية ، في كنف والده ، الذي وفر له كافة الأسباب المتاحة لطلب العلم وواظب على تربيته و تعليمه وتثقيفه ، وكان أول شيء تعلمه السيد كلانتر ، كيفية تلاوة القرآن الكريم ، بالإضافة الى تعلمه القراءة و الكتابة و الحساب عند بعض المشائخ وبالتحديد عند الملا هاشم الذي فية تفرس ، قوة الشخصية فجعله (الخلفة) أي نائباً عن الأستاذ عند غيابه ، وهم زملائه في هذه المرحلة العلمية هو السيد محمد علي الحمامي .

وبعد اكتمال أسس ومقدمات السيد في الطريق العلمي ، تم الاحتفال بلبس
العمامة المباركة والروجاني لطلبة العلوم الشرعية الإسلامية من قبل السيد الفقيه
عند ذلك شرع بدراسته وبدأ ...

أ. مرحلة المقدمات

بعد أن أكمل ختم القرآن الكريم وحفظ ألفيه ابن مالك وأطلاعه الواسع الرصين
على أمهات الكتب في علوم لغة الضاد ، كل هذا أرسى للسيد الفقيه أسسا
كبيرة وسلاح فعال للدخول في دراسة العلوم الشرعية ، فأجتاز مرحلة المقدمات
بفترة قياسية ، ويتفوق عالٍ ، ليعتلي عرش السطوح والسطوح العالية ..

ب. مرحلة السطوح

كانت المواضيع التي درسها السيد الفقيه تبدأ بالفقه والأصول ، والفلسفة ، وعلم
الكلام والعقيدة والتاريخ .
أهم أساتذته في مرحلة السطوح :

١. آية الله الشيخ الملا صدرى البادكوبي

درس على يده السيد الفقيه علم الأصول " الكفاية " وقد كتب السيد الفقيه
تقريراته فيها ثم طبعها تحت عنوان .. "دراسات في أصول الفقه"

٢. العلامة الشيخ كاظم السوداني ، كان أستاذ السيد الفقيه في الفقه .

٣. العلامة الشيخ ذبيح الله القوجاني ، درس على يده السيد الفقيه في الأصول .

٤. آية الله العظمى السيد محمود الحسيني الشاهرودي ، كان السيد الفقيه يحضر
البحث في الفقه والأصول في جامع الشيخ الأنصاري .

٥. آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ، حضر السيد الفقيه
أبحاثه الشريفة في الفقه والأصول بمدرسة الاخوند الكبرى . (٥)

٦. آية الله السيد يحيى اليزدي المدرسي ، حضر السيد الفقيه في دار أستاذه في " العكد الكروري " وكان عمره يوم ذاك (٣٥ سنة) .

٧. آية الله السيد علي القوجاني ، حضر السيد الفقيه أبحاثه في الفقه والأصول .

جـ. مرحلة البحث الخارجي

تميز حضور السيد الفقيه في مرحلة البحث الخارجي بالتدقيق و المواظبة و النقد وكتابة التقارير و مناقشة بعض المباني الأصولية المؤسسة علمها ثمرات علمية فقهية مهمة و ربطها بأساليب مبتكرة في طريقة الاستنباط الفكري ، و ربط الاستدلالات الفقهية بالنظريات العلمية المعاصرة ، والخروج عن التقاليد المتعارضة من الجمود على متن النص ، بل لابد من ربط الجوانب الاجتماعية والاقتصادية و البحث عن الخلفية الحضارية و التاريخية للمسألة .

فلقد نال أعجاب أساتذته في تطلعاته وسعة اطلاعه وموسوعيته .

أهم أساتذته في مرحلة البحث الخارجي

١. الإمام المحقق آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي مدرس النجف الأول .

لقد حضر السيد الفقيه الدورة الأولى من أبحاث الإمام الخوئي في الفقه و الأصول ، وكانت هذه الدورة تضم نخبة ممتازة من العلماء نذكر منهم :

١. الشيخ سلمان الخاقاني

٢. الشيخ علي الصغير

٣. الشيخ محمد تقي الإيرواني

٤. السيد محمد الشيرازي

٥. السيد موسى بحر العلوم

٦. السيد محمد الروحاني .

وكان المكان لإلقاء المحاضرات في مقبرة الشيخ حسين نجف وتقد هذه الغرفة على اليمين الداخل للصحن الحيدري الشريف من باب القبلة وعندما اتسعت حلقة البحث أنتقل مجلس البحث الخارجي الى غرفة مقبرة السيد محمد كاظم اليزدي (قدس سره) ، التي تقد على يمين الداخل الى الصحن الشريف من باب الطوسي ، وقد نصب السيد الخوئي منبرا للتدريس في قاعة المقبرة ، نظرا لكثرة رواد بحثه الشريف وعندما انتقل طلب البحث الخارجي الى مقبرة السيد الشيرازي التي تقع في جوار باب الطوسي للصحن الشريف ، وكان الفصل صيفا عند ذلك تبرع السيد بمروحة سقفية لقاعة البحث الخارجي ولا زالت موجودة . (٦)

٢. آية الله العظمى ميرزا عبد الهادي الحسيني الشيرازي (قدس) كان السيد كلانتر يحضر درسه في الفقه صباحا .

٣. آية الله العظمى ميرزا حسن البجنوردي ، لقد حضر السيد كلانتر أبحاث أستاذه البجنوردي في الفقه والأصول في مسجد الطوسي .

رابعا:- نتاجه الفكري

لقد ساهم السيد كلانتر بمجموعة من المؤلفات و الكتب التي ساهمت في إغناء الحركة العلمية في العالم الإسلامي و النجف خصوصا ، فلقد وفقه الله سبحانه و تعالى الى ما يلي:-

١. تحقيق ودراسة كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري (قدس) ، فجعل تحقيقه في (

١٧ عشر جزأ) مطبوعة أعانت الباحثين

٢. تحقيق كتاب اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني في ثمانية أجزاء .

٣. دراسات في أصول الفقه

أستطاع السيد كلانتر أن يباشر ويؤلف ويخرج هذا الكتاب الى حيز الوجود وعمره الشريف خمسة وعشرون سنة بمباركة آية الله العظمى أبو الحسن الاصفهاني وصدر منه ثلاثة أجزاء والبقية لا تزال خطية .

٤. كتاب الأثر هو كتاب فقهي وهو تقريرات لدرس السيد أبي الحسن الأصفهاني مخطوط سوف يرى النور إن شاء الله .

٥. شرح دعاء الصباح مفتاح الفلاح هو كتاب يوضح معاني دعاء الصباح لأمر المؤمنين أبا الحسنين (عليهم السلام) ويعد من أنفس الكتب التي دارت حول شرح الأدعية عموماً وخصوصاً دعاء الصباح

٦. جامع السعادات وهو كتاب أخلاقي من أفاضات الشيخ النراقي حققه وجدده و أعاده تأسيس بنيانه.

٧. تذكّر الفقهاء في الفقه المقارن وهو موسوعة فقهية أبدعها شيخ الفقهاء العلامة الحلي بأسلوب مبسط بعيداً عن حشر المصطلحات الفلسفية في الفقه ، وقد اشترك السيد كلانتر بتحقيقها وإظهارها الى المختصين لينهلوا منها. (٧)

٨. دراسات إسلامية (مجلة) لقد كان العلامة السيد كلانتر عميداً لجامعة النجف الدينية التي تصدر عنها مجلة دراسات إسلامية ، رئيساً لتحرير المجلة التي كانت تحتوي على بحوث أصيلة وقيمة بأقلام أمينة وواعية لدورها الرسالي.

كتاب البداء عند الشيعة الإمامية

لقد وضع السيد كلانتر كتاباً عالج فيه هذا الموضوع الفلسفي الذي تباينت فيه آراء مفكرين و المختصين في علوم الشريعة فلقد ألقى الضوء ساطعاً على هذه الفكرة عند الشيعة الإمامية ، لكي يدافع عن صحة الرأي .

خامسا:- نشاطه العلمي اليومي

في أكثر المؤسسات العلمية سواء الأكاديمية منها أم غيرها نجد إن من يتسلم مركز العميد أو المدير أو المسؤول يبتعد بحكم مهامه الإدارية عن الجانب العلمي في المؤسسة التي يقوم بإدارتها لكثرة مشاغله ،. إلا أن السيد العلامة كلانتر ضرب لنا مثلا يتحذى به وأسوة يقتدى بها و أخلاق قل نظيرها ، فرغم هذه المسؤوليات الجسيمة نجده يقوم بالتدريس الى جانب التأليف.

وكان يعاني من اعتلال الصحة إلا أنه يقوم بالتدريس منذ الثامنة صباحا ولغاية صلاة الظهر ، ثم يستأنف التدريس من الساعة الرابعة عصرا الى قرب حلول أذان المغرب والعشاء ، ثم يستأنف التدريس بعد ذلك الى حوالي الساعة الثامنة أو التاسعة مساءا .

أهم المواضيع التي كان يدرسها هي :

١. نظرية الأخلاق

٢. كتاب اللمعة الدمشقية المحقق من قبله

٣. تعليقاته على رسائل الشيخ الأنصاري^(٨)

سادسا:- المصادر التي كان يفضلها على غيرها

١. التفسير : كان يعتمد على تفسير الطبرسي ، والميزان والفخر الرازي وكان يمدح دائما الشيخ محمد جواد البلاغي في تفسيره.

٢. الحديث : كان يعتمد على وسائل الشيعة والكافي للكليني .

٣. الفلسفة : كان مشغوبا بالأسفار الأربعة ويأنس بآراء ابن سينا الفلسفية .

٤. اللغة : النحو : كان يحفظ القسم الأكبر من ألفية ابن مالك .

٥. الأصول : كان مشغوبا بأصول الشيخ الأنصاري .

٦. الفقه : لقد كان يعشق آراء المحقق الحلي والعلامة والشهيد الأول والثاني . (٩)

سابعاً:- الاهتمام بعلوم اللغة العربية :

لقد اهتم السيد كلانتر بعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة و أدب حتى أتقنها وبرع فيها واستطاع أن يحفظ ألفية ابن مالك على ظهر القلب بالإضافة الى حفظه بقواعدها العامة في النحو و الصرف وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على القوة و الفطنة التي وهبها الله سبحانه و تعالى له لأن (العلم نور يقذفه الله في قلب من يحب) وكان العلامة كلانتر مثالا للطالب المواظب المجد في تحصيل الدروس العلمية بكل أمانة وجدارة ودؤوب على حضور الدرس ، ولم يتخلف عنه إلا في حالات نادرة . (١٠).

ثامناً:- السيد العلامة كلانتر أستاذاً :

عندما كان العلامة كلانتر طالباً في مرحلة السطوح و السطوح العالية كان في نفس الوقت أستاذاً في مرحلة المقدمات التي كانت تضم مجموعة من الدارسين ، وهذا يدل على نبوغه وعبقريته في الدرس و التدريس وقد امتاز درسه بالعمق و الموضوعية ، ويجد الطالب الفائدة و المتعة ، فلا يقتصر درسه على توضيح العبارة و شرح المطلب فقط بل يتعداه الى ثقافة عامة علمية شاملة للدارسين و المستفيدين و كان مولعاً في تهذيب و تربية طلابه و يقدم لهم النصائح النافعة و الاستشارات التربوية التي تحثهم على مواصلة مشوارهم العلمي الطويل في أي مادة علمية وفي أي مرحلة تدريس سواء في المقدمات أو السطوح أو السطوح العالية وكان فقيهاً له بصمات علمية و محقق معروف في الأوساط الإسلامية له محاضرات بمقاييس علمية معروفة يتلقاها طلاب على أبواب الاجتهاد و نجده يلقي محاضرة لطالب واحد في مرحلة المقدمات ولا يستنكف من ذلك بل يفتخر بهذا العمل لكونه قريبه

الى الله سبحانه وتعالى بينما يستكف الآخرون من ذلك فالسيد العلامة كلانتر يروي لنا القصة التالية حيث قال : ((بينما كنت جالسا في غرفة الإدارة بالجامعة دخل أحد الفضلاء لزيارتي و السؤال عن أحوالي ، وبعد تبادل التحيات بيني وبينه تحدثنا عن الدراسة و التدريس في الحوزة فاقترحت عليه أن يدرس بعض طلاب الجامعة اللمة لحاجتهم الماسة الى مدرس في تلك المادة ، عند ذلك غضب ذلك الفاضل و انزعج كثيرا من هذا الاقتراح وقال لي بالحرف الواحد " إن هذا الاقتراح إهانة لمستواي العلمي ... " وأضاف أنا ليس من مستواي العلمي أن أدرس اللمة و إنما أنا باحث خارجي !! فتأثر السيد الفقيه لهذا الرد (١١) وكان رحمه الله ينصح طالب العلم أن يجعل جميع أعماله في حياته العلمية و العملية قربة الى الله حتى يؤجر عليها في دار الآخرة .

واستمر (قدس) مواصلا جهاده العلمي وبكل أمانة و إخلاص رغم شيخوخته و الأمراض التي أمت به فلم ينقطع عن التدريس إلا لحالات قاهرة .

تاسعا:- أهداف البحث عند السيد العلامة كلانتر

نجد أن أهداف البحث عند السيد العلامة كلانتر واضحة جلية في كلمات إهدائه للإمام المهدي عليه السلام قائلا : ((هذه جهودي بين يديك متواضعة بذلتها في سبيل تقليد فقه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وفي سبيل إحياء تراثنا العلمي الأصيل ...)) .

أسباب البحث وأهدافه عند السيد العلامة كلانتر تتلخص بما يأتي :

١. تخليد فقد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهذا هو الهدف القريب .
٢. إحياء التراث العلمي الأصيل وهذا هو الهدف البعيد .

ولا ينسب السيد العلامة كلانتر لنفسه أي دور في أخراج هذه الأعمال العلمية و إنما يعزى ذلك الى بركات صاحب المرقد المقدس العلوي^{١٢}.

عاشرا:- أهم زملائه في الدراسة

١. السيد موسى بحر العلوم

٢. الشيخ محمد جواد

٣. والسيد محمد جمال الهاشمي

٤. الشيخ محمد

٥. و الشيخ احمد سلامي

٦. الشيخ سلمان الخاقاني.(١٣)

إحدى عشر:- حصوله على درجة الاجتهاد

لقد استطاع السيد كلانتر وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى وتوريثا من جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومباركة من صاحب المرقد الشريف المقدس أن ينال درجة الاجتهاد وهو في بداية عمره الشريف وبإجازة من :

١. شيخ الفقهاء آية الله العظمى المرجع الديني الراحل السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني .

٢. المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد عبدالهادي الشيرازي .

٣. سماحة آية الله العظمى السيد حسن البجنوردي .

ومن هنا بدأت المسيرة العلمية النورانية الوضاعة فلقد كان السيد كلانتر قدس الله نفسه الزكية صاحب طموح عالي ومستوى رفيع في تذوق المادة العلمية ومن هنا بدء يخطط بعقلية الفقيه المتمرس المتقذ الذكاء الواقعي العبقرى لاعادة النظر في المناهج الدراسة ، ونقطة الابتداء في النجف الأشرف باعتبارها مركز الاشعاع

العلمي الفقهي الرئيسي ومن هنا بدأ بقيادة التيار الحديث في التعليم الحوزوي فلقد لاقى ما لاقاه من صعوبات جمة يلاقيها المبدعون الذين يحملون سراج النور للآخرين فيكونوا شمعة تضيء الدروب للآخرين . (١٤)

إثنا عشر:- المبادئ العامة لمنهج البحث العلمي لدى السيد العلامة كلانتر :

لقد امتاز إنتاجه بالجودة و التنوع و الدقة بالنقل والأمانة العلمية و التحليل و رقي التدقيق و التحقيق و للوصول الى ما تقدم فإنه كان قدس سره الشريف يقوم بما يلي :

١. المتابعة الدقيقة لأصل الفكرة و تشخيص مدى ارتباط هذه الفكرة بمحل تحرير النزاع ونحو ذلك.

٢. الرجوع الى المصادر الأصلية و النسخ المعتمدة في البحث سواء أكانت خطية أو نحوها من النسخ المعتمدة و تحقيق مدى صحة نسبتها الى مؤلفها أو ناسخها أو الى من تنسب أصل الفكرة.

٣. الاعتماد على أصحاب التخصص في العلوم النظرية فتراه يعتمد على الأطباء المتخصصين في كثير من الآراء الفقهية التي تخص الطب وكذا بحوثه الفلكية.

٤. ربط البحث تاريخيا : وهو التسلسل التاريخي لمسألة المبحوث ومدى صحة نسبتها الى مبتكرها.

٥. الفاعلية في التلقي : بمعنى أنه كان يعتمد بدرجة كبيرة على تحريك الباحث أو القارئ على أن يبحث بنفسه ولا يتركه يعتمد على أستاذه . (١٥)

٦. تأثره بأسلوب الشيخ الأنصاري الى درجة اقتراحه أن يلقب بالشيخ الأعظم وكان معجبا بآرائه. فهو يقول أن الفقهاء الذين جاءوا بعد الشيخ الأنصاري هم ضيوف على مائدته . (١٦)

ثلاثة عشر:- مقومات الأستاذ في فكر السيد العلامة كلانتر :

أ. يتلخص رأي السيد العلامة كلانتر في التدريس بأنه مسؤولية خطيرة وعظيمة التي لا ينبغي لكل من يحتمل في نفسه الكفاءة أن يتصدى له و أن يكون التدريس رسالة الهيبة و أمانة ربانية .

ب. مؤهلات الأستاذ الأساسية

قيل إذا أردت أن تختار أستاذا فأختر من له نفس الهي قبل أن ترى الى مدى علميته فإنك تستفيد من النفس الطاهر الإلهي ببركة الله أكثر بكثير من العالم النحرير سيء الخلق والعياذ بالله .

ويقول السيد كلانتر ((فلقد نقل عن سيدنا الأستاذ أستاذ العلماء السيد أبو القاسم الخوئي قوله ((إنني حينما أرى طالب الجامعة أميزه من مشيته و سلوكه)) (١٧)

صفات الأستاذ في فكر السيد :

١. أن يكون مرشدا و معلما قبل أن يكون ناقلا للمعلومات .
٢. الأستاذ الملاك قدوة الجميع و مربي الأجيال و مرشد الناشئة في نظر السيد العلامة كلانتر و يجب أن لا تقتصر معارفه على المطالب الموجودة في المنهج الدراسي سواء كان ذلك في العلوم التطبيقية أم النظرية .
٣. كان السيد كلانتر يربي في نفس المربي روح التآخي و السمو و الرفعة و الذوبان في حب خالقه الى المراتب العليا التي لا يصلها إلا من أوتي درجة رفيعة .
٤. نكران الذات فعلى الأستاذ أن لا يرى لنفسه مزية على الآخرين ولا ينتظر منهم درجة من درجات الاحترام بل لا يرى لهذه أي أثر في سيرته و علاقاته بالآخرين فكان

نكران الذات سجية للسيد كلانتر حاول غرسها في طلابه وحثهم على زرعها في نفوس تلامذتهم .

٥. أن لا يستنكف الأستاذ من تدريس أي مادة علمية حتى وإن كانت تشكل مبادئ العلم وليس صلبه .

٦. أن يمتاز الأستاذ بحسن البيان وقوة البديع وتسلسل في عرض المادة العلمية و سعة الصدر و البال و حافظه و ملكة لحضور البراهين و الحجج للحوار العلمي الرصين .

٧. كسر الحاجز والجدار بين علو الأستاذ وبساطة الطالب حتى لا يتخرج الأخير من خرج أي سؤال على أستاذه دون خجل أو وجل .

٨. أن يمتاز الأستاذ بحسن إدارة الدرس بما مكنه الله سبحانه و تعالى من روحية يجعله سلطان المحاضرة بدون قوة و ملك بلا جبروت و أمير بلا وزير فهو يجيب على كافة الأسئلة و يحاول أن يقنع المقابل بأسلوب أدبي بالجواب الملائم . (١٨)

أربعة عشر:- سمات الطالب في فكر السيد العلامة كلانتر

سمات الطالب الديني عند تلقيه العلوم الدينية يتزوي بزي رجال الدين ويتعمم بالعمّة الشريفة الميمونة المباركة التي هي من أشهر الملابس و أشرفها حيث أنها ترمز الى عمّة رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) و أهل بيته الكرام و حججه العظام فله ميزة خاصة عن بقية الناس بهذه العمّة و الزي بالإضافة الى معلوماته التي هي السبب الوحيد في تفضيله على المجتمع الإنساني حيث للعلم اشرافته الذاتية .

عن إسماعيل بن الفضل عن ثابت بن دينار عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال من حق سايسك^(٢) بالعلم التعظيم له و التوقير لمجلسه و حسن الاستماع له و الإقبال عليه ، وأن لا ترفع عليه صوتا^(٤)

خمسـة عشر:- السيد العلامة كلانتر إماما في جامع جامعة النجف الدينية

إن اختيار امام الجامعة الدينية في النجف هي من صلاحيات عميد الجامعة وهذا جاء في المادة (٢٧) من النظام الداخلي للجامعة فلقد نصت المادة السابعة و العشرون من صلاحية العميد اختيار امام الجامع لجامعة النجف على أن يكون الإمام على جانب من الورع والزهد والعدالة .

وأول إمام جماعة لجامع جامعة النجف الدينية هو السيد محمد صادق محمد جعفر الصدر (قدس) ، والسيد علي البعاج ، أصبح إماما لجامع الجامعة بعد وفاة السيد محمد صادق ، وعند غياب المكلفون بإمامة الصلاة كان لابد للسيد العلامة كلانتر أن يقوم بإمامة المصلين بنفسه وهو يعاني من الآلام في الثمانين من عمره ، لقد منحه الله سمع وبصر وبصيرة لآخر يوم من عمره الشريف ، فكان يؤم المصلين ، بالرغم من كل ما يعانيه من آلام الفقرات ، فكان ينتظر السيد البعاج امام الجامعة عند قرب حلول موعد الصلاة ويدعوله أن لا يتأخر السيد البعاج عند الصلاة ، لأنه يرى إن الإمامة لها ثقل كبير على نفسه ومسؤولية أمام الخالق و المخلوق ، وكان آخر يوم من آخر أيام شعبان ، إذن المؤذن في جامعة النجف ليعطي إشعارا بدخول صلاة المغرب من الليلة الأولى من شهر رمضان ، ولم يأتي السيد البعاج لكون الجو ممطرا ، وكان السيد عدنان العلوي ليلة الجمعة في كربلاء المقدسة ، والشيخ عبد العباس الفتلاوي في بغداد ، إذن لابد للسيد العلامة كلانتر أن يؤم المصلين لانحصار التكليف به في تلك الصلاة ليلة الجمعة في آخر أيام شعبان ، أستعد السيد العلامة كلانتر وتوضأ لصلاة المغرب .وعندها انتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها .

- (١) جامعة النجف الدينية ونظامها الاساسي من اصدارات جامعة النجف الاشرف الدينية، بلا سنة طبع، ص ١٢.
- (٢) جعفر محبوبية، ماضي النجف وحاضرها، دار الاضواء، ج ٢، ط ٢، ص ٧٩.
- (٣) دكتور خليل ابراهيم الاعسم، أصالة التجديد في مدرسة أهل البيت العلامة السيد كلانتر وجامعته الدينية في النجف الأشرف انموذجا، مطبعة الرائد، ٢٠١٢، ص ١٦.
- (٤) لقاء مع العلامة السيد محمد كلانتر مؤسس الجامعة الدينية في النجف الأشرف، قدس بتاريخ ١٩٩٦/٣/١.
- (٥) لقاء مع العلامة السيد محمد كلانتر مؤسس الجامعة الدينية في النجف الأشرف، قدس بتاريخ ١٩٩٦/٣/١.
- (٦) لقاء بالسيد علي البعاج امام صلاة الجماعة في الجامعة الدينية في النجف بتاريخ ٢٠١٩/١/١.
- (٧) دكتور خليل ابراهيم الاعسم، أصالة التجديد في مدرسة أهل البيت العلامة السيد كلانتر وجامعته الدينية في النجف الأشرف انموذجا، مصدر سابق، ص ١٦.
- (٨) لقاء مع السيد عميد جامعة النجف الدينية السيد ضياء الدين كلانتر بتاريخ ٢٠٠٥/١/٥.
- (٩) لقاء بالسيد محسن كلانتر بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٥.
- (١٠) لقاء بالسيد الدكتور علاء كلانتر بتاريخ ٢٠٠٦/٨/١٠.

(١١) لقاء مع العلامة السيد محمد كلانتر مؤسس الجامعة الدينية في النجف الأشرف، قدس بتاريخ ١٩٩٦/٣/١.

١٢ المكاسب، الجزء السادس، ص ٣٦٠.

(١٣) لقاء بالسيد علي البعاج امام صلاة الجماعة في الجامعة الدينية في النجف بتاريخ ٢٠١٩/١/١.

(١٤) دكتور خليل ابراهيم الاعسم، أصالة التجديد في مدرسة أهل البيت العلامة السيد كلانتر وجامعته الدينية في النجف الأشرف انموذجا، مصدر سابق، ص ١٦.

(١٥) لقاء بالسيد عقيل الخطيب احد طلاب جامعة النجف الدينية سابقا بتاريخ ٢٠١٦/١/٣.

(١٦) لقاء بتاريخ ٢٠١٩/١/١٠ بالسيد عبدالرزاق الاعسم من مريدي السيد كلانتر. (١٧) لقاء مع العلامة السيد محمد كلانتر مؤسس الجامعة الدينية في النجف الأشرف، قدس بتاريخ ١٩٩٦/٣/١.

(١٨) دكتور خليل ابراهيم الاعسم، أصالة التجديد في مدرسة أهل البيت العلامة السيد كلانتر وجامعته الدينية في النجف الأشرف انموذجا، مصدر سابق، ص ١٦.

(١٩) العلامة المجلسي، بحار الانوار، دار احياة التراث الاسلامي، ج ٢، بلا سنة طبع. التوصيات والاستنتاجات:-

أولاً:- علوم اللغة، لقد اهتم السيد كلانتر بالعلوم الانسانية الآتية:-

أ. النحو والصرف وعلم اللغة العام

وكان يطبق المنهج العلمي في المعرفة الانسانية بتقديم معنى لغوى للبحث ثم يدخل للتعريف بالمصطلح واذا استوجب البحث معالجة لغوية نجده يوجد بها ويغوص في قواميس اللغة ليأصل المفردة في معاجمها

ب-متذوق ومرهف الاحساس عندما يعالج النص الشعري ويستشهد في الشعر في المواضع التي تستوجب الاستشهاد علما انّ يحفظ جزء من الشعر من الفية ابن مالك .
ثانيا:- الفلسفة والاخلاق : له بحوث في الاخلاق والفلسفة فمن اصدارات كتاب البدء عند الشيعة الامامية وعندما يستوجب المطلب العلمي بحثا فلسفيا ليكون القارئ على بينة واضحة من معنى المطلب فهو يخوض في اعماق الفلسفة وشرح دعاء الصباح خير دليل على ذلك.

ثالثا:- التاريخ والسير : فهو باحث رصين في مجال البحث التاريخي فيدقق الرواية ويغوص في امهات الكتب التاريخية وكتب التراث وكانت رسالته هو تحقيق تراث اهل البيت واثارهم العلمية .

رابعا:- الفقه ، ان اثاره في تحقيق كتب الفقه الاسلامي (المكاسب للشيخ الانصاري) في ١٧ جزء واللمعة في ١٠ اجزاء لهو خير دليل على احيائه لفقه اهل البيت عليهم السلام.

خامسا:- الاصول ، له ثلاث اجزاء مطبوعة في شرح كتاب الاصول للشيخ الانصاري .
سادسا :- اعتماد الاساليب العلمية التي تساهم في ترصين المطالب

سابعا:- لقد كان للجغرافية الفلكية مكانا في ابحاثه في مسائل تحديد القبلة اضافة لدراسة المواقع ومواضع .

ثامنا:- شغلت البيئة وعلم الاحياء والوراثة حيزا من فكرة.

تاسعا:- اتسمت اعماله ومنجزاته بالطابع الانساني النبيل .

عاشرا:- اعتدال خطابه وكتاباتة واتسامها بالوسطية ودعوتها الى المحبة والسلام والعفو والمغفرة.

احدى عشر:- دعوة الى الاخوة الاسلامية في كتاباتة وفي خطاباتة فهو دائم الاشارة الى اقران الفاظة بعبارة (مدرسة اخواننا السنة) فهو يعترف بالآخر الاخ لنا بالدين ويقر بالآخر النظير بالأنسانية وهذه معالم مدرسة اهل البيت عليهم السلام.

اثنا عشر:- اتبع في منهج بحثة العلمي اسلوب المقارنة فهو يقارن بين آراء المدرسة الشيعية وآراء المدرسة السنية.

ثلاثة عشر:- ان قراءة متعمقة في فكر وفقرة العلامة السيد كلانتر تعطي انطبعا للقارئ بأنة من مؤسسي مدرسة فقة الوفاق الاسلامي.

أربعة عشر:- يعد البعض العلامة السيد كلانتر من الذين وفقهم الباري عز وجل لإنجاز مشاريع تتسم بالتجديد .

خمسة عشر:- لقد كان موضع اجلال وتكريم وتعظيم من قبل العلماء من أساتذته ومراجع عصره للمنجز الإنساني الذي حققه خدمة لمدرسة اهل البيت .

سادسة عشر:- لقد كان بناء الانسان مطلب رسالي وهدفا من أهداف حياته من خلال عباداته صلاة وصياما وصدقات ومن خلال تحقيقاته وكتاباتة فلقد صيرها لخدمة الإنسان بمختلف مراحل عمره وتكوينه.

المصادر:

١. جامعة النجف الدينية ونظامها الاساسي من اصدارات جامعة النجف الاشرف الدينية، بلا سنة طبع.
٢. جعفر محبوبية، ماضي النجف وحاضرها، دار الاضواء، ج ٢، ط ٢.
٣. دكتور خليل ابراهيم الاعسم، أصالة التجديد في مدرسة أهل البيت العلامة السيد كلانتر وجامعته الدينية في النجف الأشرف انموذجا، مطبعة الرائد، ٢٠١٢.
٤. لقاء مع العلامة السيد محمد كلانتر مؤسس الجامعة الدينية في النجف الأشرف، قدس بتاريخ ١٩٩٦/٣/١.
٥. لقاء بالسيد علي البعاج امام صلاة الجماعة في الجامعة الدينية في النجف بتاريخ ٢٠١٩/١/١.
٦. لقاء مع السيد عميد جامعة النجف الدينية السيد ضياء الدين كلانتر بتاريخ ٢٠٠٥/١/٥.
٧. لقاء بالسيد الدكتور علاء كلانتر بتاريخ ٢٠٠٦/٨/١٠.
٨. لقاء بالسيد علي البعاج امام صلاة الجماعة في الجامعة الدينية في النجف بتاريخ ٢٠١٩/١/١.
٩. لقاء بالسيد عقيل الخطيب احد طلاب جامعة النجف الدينية سابقا بتاريخ ٢٠١٦/١/٣.
١٠. لقاء بتاريخ ٢٠١٩/١/١٠ بالسيد عبدالرزاق الاعسم من مريدي السيد كلانتر.
١١. العلامة المجلسي، بحار الانوار، دار احياة التراث الاسلامي، ج ٢، بلا سنة طبع.

رؤية السيد محمد باقر الصدر في تحديد معالم الحياة المعاصرة

أ.م.د. صلاح عبد الحسين المنصوري

جامعة الكوفة / كلية الفقه

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين الولاية المعصومين
اللذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تهيرا وبعد...

لا يخفى على أحد مشروع السيد الشهيد الصدر (قدس) التجديدي، واذي اراد من خلاله
محاكاة الحياة العامة ووضع الخطوط العريضة لها بغية حل المشاكل التي يعاني
منها الانسان ميتداً بوضع أسس وافكار رصينة تعبر عن الرؤية الحقيقية للاسلام
تجاه الحياة وما يتجدد فيها من مسائل بدأ بالفقه إذ طرح فكرة المنظومة الفقهية
المترابطة والتي لا ينفك بعضها عن البعض الاخر ساعياً لتحقيق هذا الغرض لإيجاد
نظريات تعالج الواقع المعاصر والانتقال من فقه الفرد إلى فقه المجتمع أو الجماعة
على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشكل اصل الحياة

الرئيسية فكان السيد الصدر مجددا بحق في هذا المجال، وينتظم البحث في ثلاثة

مباحث ومبحث تمهيدي وكما يلي:

المبحث التمهيدي: معالم العقل التجديدي وسماته

المبحث الاول: فقه ادارة الدولة

المبحث الثاني: الفهم الاجتماعي للنص

المبحث الثالث : ملامح النظرية الاقتصادية

تمهيد

معالم العقل التجديدي وسماته عند السيد الصدر (قدس)

ان الفكر الإسلامي انحسر بشكل ملحوظ في مطلع القرن العشرين حتى أواسطه وبالمقابل أتته أفكار دخيلة من الشرق والغرب، وبعض هذه الأفكار والتوجهات حصل أصحابها على مراكز سياسية، حتى وصلوا الى دفعة الحكم كحزب البعث في سوريا والعراق والشيوعية في اليمن وأفغانستان ولا يكاد ان يخلو بلد عربي وإسلامي من هذه الأفكار المنحرفة، هذا الوضع الوخيم دعا بعض المفكرين المسلمين الى النهوض بالواقع الإسلامي من جديد وكسر حالة الجمود الفكري والوقوف ضد حالة الإستقطاب التي حظيت بها الأفكار الغربية والثقافات الدخيلة من قبل شرائح كبيرة وواسعة من المجتمع الإسلامي، ومن بين الذين نهضوا وكسروا طوق توارث المعلومات من جيل الى جيل والتفوق في زاوية ضيقة هو السيد محمد باقر الصدر الذي اتخذ من أجل تحقيق هذا الهدف أسلوبين: أحدهما أسلوب تفكيك شعارات الخصوم وتحليلها وإبطالها بالدليل على كافة الميادين، والآخر هو إزاحة الستار عن الفكر الإسلامي الأصيل وإظهاره بمظهره وواقعه الحقيقي وإثبات حقيقة ان الإسلام والحياة يسيران جنبا الى جنب، بل ان الإسلام هو الذي خطط لمسار

الحياة وتطورها وهذا ما أثبتته السيد الصدر من خلال بحوثه وكتبه، فطرق جميع أبواب المعرفة وزواياها.

كل نهضة علمية وفكرية لها معالم وملامح وسمات وبما ان السيد الصدر من رواد النهضة الفكرية في القرن العشرين، فلا بد لنا أن نقف على معالم وسمات فكره التجديدي ونهضته الرائدة، التي يمكن إيجازها بما يلي:

١- الشمول والسعة:

حيث كان عقل السيد الصدر التجديدي سيالا بحيث شمل واستوعب أهم المعارف والعلوم الإسلامية والاجتماعية فتراه في كل حقل من حقول المعرفة له فيه نظرة ووقفه وتأمل وإبداع، قال السيد الهاشمي: (اشتملت مدرسة شهيدنا الراحل على معالجة كافة شعب المعرفة الإسلامية والإنسانية، فهي متعددة الأبعاد والجوانب، ولم تقتصر على الاختصاص بعلوم الشريعة الإسلامية من الفقه والأصول، رغم ان هذا المجال كان هو المجال الرئيس والأوسع من انجازاته وابتكاراته العلمية، فاشتملت مدرسته على دراسات في الفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والفلسفة، والعقائد، والعلوم القرآنية، والإقتصاد، والتاريخ والقانون، والسياسة المالية والمصرفية، ومناهج التعليم والتربية الحوزوية، ومناهج العمل الإسلامي وأنظمة الحكم الإسلامي، وغير ذلك من حقول المعرفة الإنسانية والإسلامية المختلفة)^(١).

وقال السيد محمد الحسيني: (لعل من أبرز سمات المدرسة الفكرية للسيد الشهيد عموماً والفقه بشكل خاص توفرها على خصيصة الإحاطة والاستيعاب، لموضوعات البحث الفكري... ولا يخفى في هذا المجال سعة هذه الدائرة في مدرسة الشهيد الصدر التي تنوعت اهتماماتها وتعددت اتجاهاتها الفكرية بحيث شملت

حقولا فكرية متعددة قد لا يجمعها جامع، من قبيل التاريخ والفلسفة والمنطق والإقتصاد، فضلا عن علوم الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام^(٢).

وقال صائب عبد الحميد: (هما عقدان من الزمن إذن، في حياة مفكر فريد من نوعه مزدحمان بألوان النشاط والهموم... وهو مع هذا يقدم على معظم الأصعدة فتوحا علمية جبارة، كساها جميعا كسوة النظرية المعمقة المتماسكة...)^(٣).

وقال عبد الجبار الرفاعي: (تعدد ابداع الشهيد الصدر بتعدد الحقول التي كتب فيهن، ومع ان هذه الحقول امتدت لتشمل غير واحد من المعارف الإسلامية فإن إبداعه تجلى في سائر مؤلفاته، ففي كل واحد منها نلتقي بإبتكار يصلح أن يطور بوصفه منهاجا للبحث في ذلك الموضوع...)^(٤).

وقال السيد كاظم الحائري: (نرى من مميزات أستاذنا العلمية ان أبحاثه لم تقتصر على ما تعارفت عليه الأبحاث في النجف الأشرف ووقتئذ من الفقه والأصول بل شملت سائر المرافق الفكرية الإسلامية، كالفلسفة، والإقتصاد، والمنطق، والأخلاق، والتفسير، والتاريخ...)^(٥).

وبذلك يكون السيد الصدر قد طرق المعرفة بكافة ميادينها ومجالاتها مع معالجة ما يمكن معالجته من مواطن ضعفها لأظهارها بما ينسجم مع الثقافة الإسلامية الحقيقية.

٢- الإستيعاب والإحاطة:

تميزت أبحاث ومؤلفات السيد الصدر بإستيعاب كل جزئيات الموضوع الذي يكتب فيه أو يبحث فيه، بحيث الذي يطلع على أي موضوع يراه يعالج كل ما يدور في ذهنه من احتمالات محيطا بكل التفاصيل.

من النقاط ذات الأهمية الفائقة في اتصاف النظرية ، - أي نظرية - بالمتانة والصحة كونها جامعة لأطرافها ومحتملاتها لذلك حرص على أن تستوعب النظرية جميع الاحتمالات وتعالج كل الجهات التي ترتبط بموضوع البحث .

وهذه الميزة أيضا كان يتمتع بها فكر السيد الشهيد رحمته بدرجة عالية، فإنه لم يكن يتعرض لمسألة من المسائل العلمية سيما في الأصول والفقه، إلا ويذكر فيها من الصور والمحتملات ما يبهر العقول. وهذا هو جانب الإستيعاب والإحاطة المعمقة في فكره^(٦).

وكل من حضر عند السيد الصدر أو قرأ مؤلفاته أكد هذه الحقيقة قال السيد الحائري (تتميز الأبحاث العلمية لأستاذنا الشهيد من سائر الأبحاث العلمية المألوفة بالدقة والعمق الذي يقل نظيره من ناحية، والسعة والشمول لكل جوانب المسألة المبحوث عنها من ناحية أخرى، حتى ان الباحث الجديد لها قلما يحصل على منفذ للتوسيع أو التعميق الزائد على ما أتى به الأستاذ)^(٧).

والذي يقرأ تعلييقته على العروة الوثقى لتوصل الى مدى استيعابه وإحاطته لكل مسألة يبحثها فعلى سبيل المثال نقل محمد الحسيني مما ورد عن الإمام عليه السلام في حكم فارة المسك، فإنه احتمل تسعة احتمالات^(٨).

٣ - الإبداع والابتكار:

الملاحظ على فكر السيد الشهيد انه أينما جال يبدع، فبالإضافة إلى القيمة المعرفية تحلى ابداعه ايضا، ولو من حيث العرض والترتيب والأسلوب، فكانت جل ابداعاته ذات قيمة معرفية عالية (ان حركة العلوم والمعارف البشرية وتطورها تركز على ظاهرة التجديد والإبداع التي تمتاز بها أفكار العلماء والمحققين في كل حقل من حقول المعرفة، وقد كان سيدنا الشهيد قدس يتمتع في هذا المجال

بقدره فائقة على التجديد وتطوير ما كان يتناوله من العلوم والنظريات، سواء على صعيد المعطيات، أو في الطريقة والإستنتاج...^(٩).

وطغى التجديد والإبداع على أغلب بحوثه سواء في الأصول أو الفقه أو التفسير وما شابه ذلك ففي علم الأصول نستطيع أن نعتبر المرحلة التي وصل إليها البحث الأصولي على يده عصرا رابعا من العلم وتطوراته التي مز بها علم الأصول، وفق الترتيب الذي وضعه في كتابه المعالم الجديدة للأصول^(١٠).

قال الرفاعي (فتوغل تفكير الشهيد الصدر بعمق في دراسة مشكلات الأمة... وراح يقرأ التراث والنصوص المقدسة قراءة معمقة متأنية تغور في مداراتها القصية، فتقتنص رؤى جديدة مبتكرة تحاكي متطلبات العصر ومقتضيات الزمان)^(١١). السيد عمار أبو رغيف قال في هذا الصدد: (أما علم أصول الفقه فقد زخرت محاولات الصدر في هذا المجال بالابتكار والنبوغ والتجديد...)^(١٢).

٤ - المنهجية والتنسيق وبساطة الأسلوب مع الحفاظ على المضامين العالية:

اعتمد السيد الصدر منهجية فنية دقيقة في طرحه للمطالب والبحوث بحيث الذي يطل على بحوثه يراها خالية من التداخل والتراكم والتعقيد فيسلسل الموضوعات بحسب ما يقتضيه سياق البحث فنراه مثلاً في كتابه فلسفتنا يأتي بآراء المدارس الأخرى متسلسلة، ولا يأتي برأي مدرسة أخرى إلا بعد الفراغ من آراء المدرسة التي يناقشها ومن معالم فكر سيدنا الشهيد منهجيته الفنية الفريدة، والمتماسكة لكل بحث كان يتناوله بالدرس والتنقيح واستخراج النظريات، ومن هنا نجد أن طرحه للبحوث الأصولية والفقهية يمتاز عن كافة ما جاء في دراسات وبحوث المحققين السابقين عليه من حيث المنهجية والترتيب الفني للبحث، فنراه يفرز الجهات والجوانب المتداخلة والمتشابكة في كلمات الآخرين، خصوصاً في المسائل المعقدة

التي تعسر على الفهم ويكثر فيها الإلتباس والخلط، ويوضح الفكرة وينظمها ويحللها بشكل موضوعي وعلمي دقيق لا يجد الباحث نظيره في بحوث الآخرين^(١٣).

وبسبب دقته في المنهجية أعاد منهجة المطالب الأصولية وجعلها مرتبة فكانت هذه المحاولة فريدة من نوعها فسعى الى التغيير في مباحث علم الأصول وتبويبها، والتقديم والتأخير فيما بينها، وطريقة تقسيم الأبحاث، وهذا ما انعكس عملا في كتبه الموسومة بـ(دروس في علم الأصول الحلقات الثلاث) وذلك ايمانا منه ﷺ بأن الترتيب الذي تعارف لدى السابقين لمباحث علم الأصول ليس ترتيبا فنيا قائما على أساس نكات طبيعية لتقديم وتأخير الأبحاث، فانتهج (قدس) منهجا جديدا في ترتيب علم الأصول راعى فيها نكات فنية للتقديم والتأخير^(١٤).

وقال الرفاعي كشاهد على ذلك: (لم تقتصر عملية إعادة تدوين العلوم المتعارفة في الدراسات الإسلامية في الحوزة على صياغتها مجددا ببيان آخر، وتنظيم مباحثها وفق تسلسل مختلف عن سياقها التقليدي، بل تجاوز ذلك الشهيد الصدر الى إعادة بناء العلوم ذاتها...) (١٥).

هـ النزعة المنطقية والوجدانية:

بمعنى ان السيد الصدر يركز على البراهين ذات الطابع العقلي التي تنسجم مع الوجدان، لكي يكون لها الأثر البالغ من حيث قوة الحجة والدليل الدامغ. أكد ذلك الهاشمي بقوله: (ومن معالم فكر سيدنا الشهيد نزعته المنطقية والبرهانية في التفكير والطرح في الوقت الذي كانت تلك المعطيات البرهانية تنسجم وتتطابق مع الوجدان وتحتوي على درجة كبيرة من قوة البرهان وتحصيل الإطمئنان النفسي...) (١٦).

ان السيد الصدر يتمتع في مناقشة الآراء والنظريات التي يعدها باطلّة أو غير صحيحة، ومناقشته ومباحثته لها بأسلوب واحد سواء مع المسلم أو غيره. هذا بالإضافة انه إذا رأى نهجا أو رأيا أو قولاً خاطيء من وجهة نظره لا يهمله من هو صاحب القول أو الرأي ومكانته العلمية أو الاجتماعية فكل همه أن يعمل ويروج لما يراه صحيحاً وبديلاً.

قال صائب عبد الحميد (لقد أدرك الصدر قيمة الفكر وغاياته، بموهبة ولياقة لا بتعليم فقدح زناد الفكر، وفكّ عقاله، وأطلقه من أسر الذهنية التقليدية المنكمشة، بعد أن قدم لهذه الذهنية تفسيرها التاريخي، معلنا عن انها فقدت مبرراتها منذ زمن طويل، وان التاريخ قد تجاوزها كثيراً) (١٧).

المبحث الأول: الفهم الاجتماعي للنص

هذه النظرية استفادها السيد الصدر من خلال مطالعته لكتاب فقه الإمام الصادق (ع) (محمد جواد مغنية) لذلك قال: (أكبر الظن انها أول مرة أقرأ فيها لفقيه إسلامي، من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام أوسع نظرية لعنصر الفهم الاجتماعي للنص، يعالج فيها بدقة وعمق الفرق بين المدلول اللغوي - اللفظي - للنص، والمدلول الاجتماعي، ويحدد للمدلول الاجتماعي حدوده المشروعة) (١٨).

- هل غاب عن الفقهاء هذا الفهم؟

أجاب السيد الصدر عن ذلك بأن الفقهاء يدخلون عنصر الفهم الاجتماعي ويعتمدون عليه في فهم الدليل في مجال الاستنباط في النص ويدخلون العنصر الآخر الذي يمثل الجانب اللفظي من الدلالة إلا أنهم لا يبرزون في الغالب الجانب اللفظي من عملية فهم الدليل، والجانب الاجتماعي بوصفهما جانبين متميزين لكل منهما ملاكه

وحدوده ومعالمه، بل يبرز الجانبان في مجال في مجالات تطبيقهم مزدوجين وتحت اسم واحد وهو الظهور^(١٩).

ويرى السيد الصدر ان التأكيد على عنصر الفهم الاجتماعي من فهم الدليل والتمييز بينه وبين الجانب اللفظي الخالص طغى على مواقع عديدة في أسلوب مغنية الذي امتاز في روعة الأسلوب ودقة التعبير وحسن البيان في كتابه فقه الإمام الصادق عليه السلام^(٢٠).

تحديد حجية الظهور للنصوص الشرعية :

في البدء لابد من طرح بعض الأسئلة:

ما الذي يعين الدلالات الوضعية والسياقية للكلام، وهل يمكن أن يتخذ كل فرد إطاره وذوقه اللغوي الخاص مقياساً لتعيين وتحديد تلك الدلالات أو لابد من اتخاذ الإطار والذوق اللغوي العام مقياساً للتعيين؟.

الجواب على هذه الأسئلة : نجد الإجابة عنها في الجواب على تساؤل يطرح وهو: هل بإمكان الشخص الذي يحاول فهم النص الوصول إلى المعنى النهائي له بكل حدوده، إذا أحصى الدلالات اللفظية من وضعية وسياقيه، واستوعب المعنى اللغوي للنص؟ يرى السيد الصدر أنه يمكن الإجابة بالإيجاب والنفي معا، فالجواب بالإيجاب بعد افتراض ان هذا الشخص الذي يحاول فهم النص الشرعي إنسان لغوي مختص بها تلقنها وحيا أو إلهاما فهو يعرف باللغة ويدرك دلالات ألفاظها الوضعية والسياقية وليست له أي خبرة من نوع آخر، وهذا الإنسان الذي لا يملك سوى الخبرة اللغوية سوف ينتهي عمله في فهم النص في حدود جمع الدلالات الوضعية والسياقية وتحديد الظهور اللفظي على أساسها.

والجواب بالنفي إذا كان الشخص الذي يحاول فهم النص قد عاش الحياة الاجتماعية مع سائر العقلاء من أفراد نوعه في مختلف المجالات الحياتية فتربطه معهم خبرة

مشاركة وذهنية موحدة إلى جانب ما يتميز به كما هو حال كل فرد منهم - من خبرات واتجاهات ، تلك الخبرة المشتركة والذهنية الموحدة تشكل أساسا ومقاسا لمرتكزات عامة وذوق مشترك في مجالات عديدة بما فيها المجال التشريعي وهو ما يطلق عليه الفقهاء في الفقه اسم مناسبات الحكم والموضوع^(٢١).

ثم يأتي السيد الصدر بأمثلة تطبيقية لمناسبة الحكم والموضوع فمثلا ان الدليل اذا دل على ان من حاز ماء من النهر أو خشبا من الغابة ملك ، نفهم منه أن كل من حاز شيئا من الثروات الطبيعية الخام ملكه ، دون الفرق بين الماء والخشب وغيرهما ، لأن مناسبات الحكم والموضوع تجعل موضوع الحكم عاما وشاملا لغير هذه الموارد .

وكذلك يوجد مثال آخر وهو فيما لو دل الدليل الروائي على أن الثوب إلى اصابة ماء متنجس تنجس، فهنا يمكن القول ان الماء المتنجس اذا أصاب أي شيء تنجس ذلك الشيء، ولا يقتصر الحكم بالتنجس على الثوب لأن مناسبات الحكم والموضوع المرتكزة في الذهنية العرفية العامة لا تقبل انحصار تنجس الماء المتنجس بالثوب فقط ، فالثوب في الرواية قد جاء على سبيل المثال لا الحصر.

وهذه الشمولية والعمومية انما فرضتها طبيعة الفهم الاجتماعي للنص عن طريق مناسبات الحكم والموضوع التي هي تعبير آخر عن ذهنية موحدة ، وارتكاز تشريعي عام على ضوءه يمكن للفقهاء أن يحكم بأن الشيء الذي يناسب أن موضوعا للتملك بالحيازة او للتنجس بالماء المتنجس أوسع نطاقا من الأشياء المنصوص عليها في الصيغة اللفظية ، فالفهم الاجتماعي للنص معناه فهم النص على ضوء ارتكاز عام يشترك فيه كل الافراد نتيجة لخبرة عامة مشتركة وذوق موحد ، وهو بذلك يختلف عن الفهم اللفظي و اللغوي للنص الذي يعني تحديد الدلالات الوضعية والسياقية فعند انتهاء دوره يأتي بعده الفهم الاجتماعي للنص فان الفقيه بالدرجة الأولى يحدد المعنى اللغوي واللفظي لنص ثم بعد أن يعرف معنى اللفظ يسلط عليه

الارتكاز الاجتماعي العام ويدرس المعنى بالذهنية الاجتماعية المشتركة، ومناسبات الحكم والموضوع، فيظهر له من النص أشياء جديدة (٢٢).

حدود الفهم الاجتماعي للنص في عملية الاستنباط:

هذا الفهم وحدوده وضحه مغنية في كتابه (فقه الامام الصادق عليه السلام) حيث وضع قاعدة لذلك مفادها: اذا كان النص مرتبطا بالعبادات فيجب فهمه على أساس لغوي ولفظي فقط ، ولا يجوز أن يفهم على أساس ارتكاز اجتماعي مسبق. فإذا جاء مثلا: ان من شك في عدد ركعات صلاة المغرب بطلت صلاته لا يمكننا ان نعمم الحكم ليشمل بقية الصلوات من الظهر والعصر والعشاء؛ لأن إبطال الشك للصلاة أمر مرتبط بالعبادة ، ونظام العبادات نظام غيبي لا تحكم عليه الارتكازات الاجتماعية و العرفية ولا صلة لها به ، وأما إذا كان النص مرتبطا بالحياة الاجتماعية من قبيل المعاملات فيجاء دور الفهم الاجتماعي للنص لأن الناس في هذا المجال ارتكازهم المشترك وذهنيتهم التي حددتها الخبرة والتعايش تؤدي إلى نتيجة واحدة يفهمها الكل، فإذا وجد إلى جانب النص ارتكاز عام يدهي يضع للحكم حدودا أوسع أو أضيق وفقا لما يفهمه هذا الارتكاز من مصالح ومناسبات، أمكن الأخذ بالحدود التي يحددها هذا الارتكاز طبقا للفهم الاجتماعي للنص وتحكما لمناسبات الحكم والموضوع (٢٣).

- ما هو المبرر للاعتماد على الارتكاز الاجتماعي في فهم النص:

يرى السيد الصدر أن نفس مبدأ حجية الظهور يصلح مبررا ومسوغا للاعتماد؛ لأن هذا الارتكاز يكسب النص ظهورا في المعنى الذي يتفق معه، وهذا الظهور حجة لدى العقلاء حال الظهور اللغوي لأن المتكلم بوصفه فردا لغويا يفهم كلامه فهما لغويا، كما أنه بوصفه فردا اجتماعيا يفهم النص فهما اجتماعيا، وقد أمضى الشارع هذه الطريقة في الفهم، نعم تبقى هناك أسئلة يجب دراستها في مجال أوسع

مثل ما هو مدى العمومية التي يجب معرفتها في الارتكاز ومناسبات الحكم والموضوع ، لكي تكتسب هذه المناسبة القدرة على التحكم في فهم النص ، وكيف نستفيد من الارتكاز الاجتماعي مع أنه ليس ثابتا بل هو مختلف تبعا للظروف الفكرية والاجتماعية^(٢٤).

الفرق بين الفهم الاجتماعي للنص والقياس:

الفهم الاجتماعي للنص فهو عمل بظهور الدليل ، وتعميم الحكم وتوسيعه ليس من باب قياس غير المنصوص على المنصوص ، بل التعميم يستند إلى الارتكاز الذي يشكل قرينة على ان ما ذكر في النص انما جاء على سبيل المثال لا الحصر فيكون الدليل نفسه ظاهرا في الحكم العام.

أما القياس المستنبط العلة فهو غير حجة عند أهل البيت عليهم السلام ويعني اتحاد حكم مع حكم آخر بعللة مستنبطة وبذلك يختلف عن الفهم الاجتماعي للنص ولا يدخل هذا الأخير في موارد القياس^(٢٥).

دور الفهم الاجتماعي للنص في حل مشكلة بعض النصوص:

على الرغم من الاحتياط الكبير والتحفظ الذي يبديه السيد الصدر وهو يبحث هذه القاعدة أو النظرية التي وضعها مغنية لهذا الفهم الاجتماعي الا انه يرى بانها جديرة بحل مشكلة كبيرة في الفقه ، وهذه المشكلة نابعة من أن كثيرا من الأحكام بينت من طريق الجواب على اسئلة الرواة ولم يبين بصورة ابتدائية وبلغة تقنينية ، والرواة اسئلتهم غالبا تكون لمعرفة حكم من الأحكام الجزئية التي كانت محل ابتلاء فيجيب الجواب وفقا لحدود السؤال مبينا للحكم في الحالة المسؤول عنها وضمن نطاقها فاذا تم الاقتصار في استنباط الحكم من النص على الفهم اللغوي فقط ، كان معنى ذلك أن نجعل تلك الأحكام في أكثر الأحيان وقفا على الحالات الخاصة التي ابتلي بها السائل في حياته العملية والتي أبرزها في سؤاله مع أننا

قد نكون واثقين بأن بيان الأحكام على أساس الفهم اللغوي واللفظي وفي حدود الحالات الخاصة لم يكن في جميع الموارد نتيجة لاختصاصها بها ، وإنما نشأ عن اختصاص السؤال بتلك الحالات ، وأما اذا فهمنا النص فهما اجتماعيا نكون أقرب إلى واقع الحدود المحتملة لتلك الأحكام التي يحتمل فيها التعميم لغير المنصوص (٢٦).

المبحث الثاني: فقه ادارة الدولة عند السيد الصدر(قدس)

سبق أن تبين في المبحث السابق أن الدولة العادلة هي هدف الأنبياء صلوات الله عليهم ، وهي ضرورة يحتملها البناء التكويني للمجتمع الذي تتباين مصالح أفرادهم وميولاتهم الشخصية وتفاوت ذلك من شخص لآخر، فالدولة غاية لإسعاد البشرية واحترام كرامتها وصيانتها من استحواذ الأشرار عليها والتحكم بها، الذين ينتهجون شتى السبل من أجل تسخير الناس لخدمة مصالحهم وأهواءهم الشخصية. والإسلام أحد الرسالات السماوية التي أكدت على تحقيق هذه الغاية من خلال دولة تتخذ من الإسلام منهجا لها وهذا يتطلب أن تكون تفاصيل هذا المنهج واضحة بحيث تكون جاهزة للتطبيق في الدولة الإسلامية .

اذن لابد أن يكون لهذه الدولة دستورا ينظم شؤونها وطرق ادارتها وهذه انما يتأتى من خلال وجود نظام للحكم يراعى فيه تعيين الحاكم ، وفيما يجب أن تتوفر فيه من الصفات، وتشخيص صلاحياته التي يمارسها، وبيان ماهية العلاقة المتبادلة بين الحاكم والمحكومين، وإلا فيكون الأمر فوضى، وهذا يخالف الغاية التي جاء من أجلها الإسلام(٢٧).

وقد أشار السيد الصدر الى بيان الأحكام الدستورية وأهميته في الاساس رقم(٩) من الأسس التي كتبها(٢٨) .

من المعلوم إن السيد يؤمن بأن الدولة الإسلامية هي دولة دستورية قانونية ، فالدستور الذي يوضع للدولة يجب أن يكون مستندا إلى أحكام الشريعة^(٢٩)، ولنبدأ أولا بالآليات التي طرقها السيد الصدر كأسلوب لإدارة الدولة الإسلامية وإن كانت ذات طبيعة سياسية ، لكن أهميتها الدستورية حتمت أن يتم بحثها ضمن الفقه الدستوري، لكن قد يوجد من لا يؤمن بأن الدولة الإسلامية دولة دستورية تستطيع أن تقوم على أساس مؤسساتي تتعامل مع المجتمعات والدول الأخرى ككيان قائم، هذا التصور قد أثبتت التجربة الإيرانية عدم صحته، أشار الى ذلك توفيق السيف إذا اعتبر أن السيد الخميني قدس سره أصر على إقامة دولة المؤسسات وترسيخ أساس حاكمية القانون ، ورجوعه الى الشعب في تحديد طبيعة ونوعية النظام السياسي، والعمل دستوريا على أن الشعب يمتلك حق تحديد طبيعة ونوعية النظام السياسي ، أن الشعب سيد الدولة ، فهذه الأمور أظهرت أن الفكر السياسي الإسلامي قادر على إدارة المجتمع وبشكل قائم على العدالة وحماية حقوق الإنسان^(٣٠).

(فإن فكرة القانون في الإسلام ترتكز على أساس فلسفي متين وهو: مفهوم حاكمية الله تعالى على البشر، فالإسلام عقيدة كونية ونظام قانوني شامل، ومنظومة مصاغة من الأخلاق تنتج عنه دولة ذات سلطة محدودة الصلاحيات وله مؤسساته وأسباب انضباط فراده...) ^(٣١).

آليات إدارة الحكم عند السيد الصدر:

يتبنى السيد الصدر عدة نظريات لإدارة الدولة الإسلامية، وكان تبنيه لها مبنيا على متطلبات ظروف المرحلة الراهنة في ذلك الوقت كما سوف يتضح ذلك من خلال استعراض هذه النظريات تباعا:

الأولى: نظرية الشورى: وهي تستند الى التشاور من قبل الأمة في الأمور والقضايا الهامة التي تخص الدولة الإسلامية، والإتفاق فيما بينهم بشكل لا يتعارض مع الثوابت الإسلامية.

والدليل لهذا الشكل من الحكم قوله تعالى (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) (٣٢).

فإن هذه الآية الواردة في سياق صفات المؤمنين تدل على ارتضاء طريقة الشورى وكونها طريقة صحيحة حينما لا يوجد نص من قبل الله ورسوله، وأما إذا وجد نص فلا مجال لإعتبار الأمر شورى، استنادا الى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (٣٣) فالأمر انما يجوز أن يكون شورى بينهم فيما إذا لم يقض النص الشرعي بقضاء معين.

إذن إن الشورى في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم، فيصح للأمة إقامة حكومة تمارس صلاحياتها في تطبيق الأحكام الشرعية ووضع وتنفيذ التعاليم المستمدة منها وتختار لتلك الحكومة الشكل والحدود التي تنسجم مع مصلحة الإسلام والأمة (٣٤).

قال السيد محمد باقر الحكيم: ((لقد بدأ الشهيد الصدر تصوره للنظرية السياسية انطلاقاً من عدة نقاط فقهية وعملية.

الأولى: ان الشهيد لم يتم لديه دليل واضح على صيغة الحكم الإسلامي بشكل خاص...

الثانية: الإستفادة من آية الشورى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) (٣٥) للدلالة على إمكان إقامة الحكم الإسلامي على قاعدة الشورى، لأن الحكم يمثل أمراً مهماً من أمور المسلمين... ولا بد من الإلتزام بحكم الأكثرية، وهذا يعني ان إقامة الحكم على أساس الشورى يعني الرجوع الى الأكثرية والا تعطلت آية الشورى ولم يكن لها مدلول عملي (٣٦).

وأشار السيد الحكيم الى ذلك أيضا في مجلة المنهاج (٣٧).

ويؤيد ذلك ما جاء في الأساس السابع من أسس الدستور الإسلامي التي كتبها السيد الصدر في بداية عمله السياسي.

فجاء عنه صريحا تبنيه لنظرية الشورى حيث قال: ((وتمارس الأمة دورها في الخلافة في الإطار التشريعي للقاعدتين القرآنيتين التاليتين))، ((وأمرهم شورى بينهم))، ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر... الآية)) (٣٨) (٣٩).

فإن النص الاول يعطي للأمة صلاحية ممارسة أمورها عن طريق الشورى مالم يرد نص خاص على خلاف ذلك، والنص الثاني يتحدث عن الولاية وإن كل مؤمن ولي الآخرين، ويريد بالولاية تولي أمورهم بقريضة تقريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه، والنص ظاهر في سريان الولاية بين كل المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية، وينتج عن ذلك الأخذ بمبدأ الشورى وبرأي الأكثرية عند الاختلاف (٤٠). يتضح مما تقدم إن السيد الصدر كان يؤمن بنظرية الشورى كأساس لإدارة الأمة لشؤون نفسها وتنظيم أمورها لكن بشرط أن تنسجم طرق إدارتها مع تعاليم الشريعة الإسلامية وروحها.

الثانية: نظرية ولاية الفقيه:

حاصلها: إعطاء الفقيه الصلاحية المطلقة في إدارة شؤون الأمة بحيث يكون له حق الولاية الشرعية في تنظيم أمور المسلمين (٤١) بشرط أن تتوفر فيه شروط خاصة كالعلم والعدالة والكفاءة، قال السيد الصدر: (المجتهد المطلق إذا توفرت فيه سائر الشروط الشرعية في مرجع التقليد... جاز للمكلف أن تقلده، وكانت له الولاية

الشرعية العامة من شؤون المسلمين شريطة أن يكون كفوءاً لذلك من الناحية الدينية والواقعية سلطان معاً (٤٢).

وقد تطرق منتظري لهذه الشروط وركز على شرط الكفاءة في الإدارة والخبرة والسياسة (٤٣).

ويقول السيد محمد باقر الحكيم: إن السيد الصدر قد تخلص عن نظام الشورى الى نظرية ولاية الفقيه بعد ثبوت الدليل الشرعي لديه الذي يدل عليها فقال: (وبعد فترة من الزمن توصل الشهيد الصدر الى توثيق التوقيع المعروف عن الإمام الحجة: ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله)) (٤٤) ، كما انه استفاد من التوقيع المذكور للدلالة على ولاية الفقيه بعد أن كان الفقهاء يستفيدون منه للدلالة على صحة وجواز تقليد المجتهد في الفتاوى الشرعية فقط، حيث كانوا يفسرون الرجوع فيه بخصوص الرجوع إليهم بالفتوى. وأما الشهيد فيفهم منه الرجوع إليهم في قضايا الولاية أيضاً بقريضة الحوادث الواقعة، وكان الالتزام بولاية الفقيه فقهاً يمثل تطوراً نوعياً في النظرية السياسية للشهيد الصدر (٤٥).

وتوجد في مفهوم الرجوع في القول الوارد في التوقيع ثلاثة احتمالات:

الأول: الرجوع الى الفقيه في خصوص الفتيا، وعليه إن أمور الإدارة تكون للأمة لا للفقيه.

الثاني: الرجوع في الشأن العام للدولة، يعني ولايته تكون على خصوص الأمور العامة التي يتولاها الجهاز الحاكم، ولا ولاية له على عموم الأمة، فولايته على خصوص الحكام.

الثالث: رجوع الأفراد والقادة السياسيين الى الفقيه في العمومات والكتليات، وعليه يرجع إليه الأفراد والقادة باعتباره الوجه العام والمشرف على إدارة الدولة والمجتمع، وتكون له الولاية على الجميع.

فالسيد الصدر استفاد من التوقيع الصادر عن الإمام عليه السلام الإحتمال الثالث. وهذه الولاية الثابتة للفقيه عند السيد الصدر لا يكفي فيها العلم والإجتهد فقط بل لا بد من توفر الكفاءة اللازمة في الأمور الإدارية، فقد نقل عنه ذلك:

(وإذا كان الشهيد الصدر في رأيه هذا على وفاق مع المشهور في تفسير الولاية مما أسمى عندهم بالنصب العام للفقيه، فإنه قد أضاف شرطاً لم يلتفت أو على الأقل لم ينبّه غيره عليه، وهو شرط الكفاءة الواقعية، وهو شرط يجنب الأمة تصدي بعض الفقهاء لأمر المسلمين، في الوقت الذي لا تتوفر فيهم الكفاءة، وإن توفرت فيهم الكفاءة من حيث الإجتهد والعدالة) (٤٦).

وأشار السيد الحكيم لهذا الشرط في النتائج التي خرجت بها النظرية السياسية عند الشهيد الصدر (٤٧).

الثالثة: نظرية المزج بين الشورى وولاية الفقيه:

وهي نظرية حديثة تتوسط بين نظريتي، الشورى وولاية، ويتم اختيار الفقيه من الأمة للتصدي للحكم وإدارة أمور الدولة والإشراف عليها. (٤٨)

يظهر من الدستور الذي وضعه الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن السيد الصدر قد عدل عن نظرية ولاية الفقيه المتقدمة الى نظرية المزج بينها وبين نظرية الشورى عام ١٩٧٩م لأنه كتب الدستور في هذه الفترة بعد قيام حكم اسلامي في ايران والذي كان في هذا العام حيث طبق هذه النظرية في شكل الإدارة العامة لهذه الدولة الإسلامية، ويمكن القول انه استشهد وهو متبن لهذه النظرية، ويتضح ذلك

فيما جاء عنه في كتابه الإسلام يقود الحياة: (وما دام صاحب الحق في الخلافة العامة قاصرا عن ممارسة حقه نتيجة لنظام جبار فيتولى المرجع رعاية هذا الحق في الحدود الممكنة ويكون مسؤولا عن تربية هذا القاصر وقيادة الأمة لإجتياز هذا القصور وتسلم حقه في الخلافة العامة، وإذا حررت الأمة نفسها فخط الخلافة ينتقل إليها فهي التي تمارس القيادة السياسية والاجتماعية في الأمة بتطبيق أحكام الله) (٤٩) وأكد بعض تلامذته ذلك عندما قال: (وبعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران عدل رأيه في اساس الحكومة في زمن الغيبة، فقال بما يكون مزيجا من الشورى وولاية الفقيه) (٥٠).

وقال بعض الباحثين الذين تابعوا سيرة السيد الصدر السياسية في شأن نظرية ولاية الفقيه والشورى: (وهي النظرية التي تعود الى أواخر حياته، وتبدو من خلال كلماته التي وردت فيما كتبه من تلك الفترة، كرسائل مختصرة نشرت في كتابه (الإسلام يقود الحياة)) (٥١).

ويبدو ان نظرية المزج بين الشورى وولاية الفقيه قد تفرد بها السيد الصدر، وتغيرت تبعا لذلك ممارسته الفقهية في إدارة الدولة الإسلامية.

قال محمد رضا النعماني: (والتطور الآخر في مسألة الحكم هو ما ذهب إليه في سلسلة الإسلام يقود الحياة (خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء) حيث فصل بين الولاية العامة للفقيه قبل قيام الحكومة الإسلامية وما بعد قيامها ففي الفرض الأول يرى ان للفقيه الولاية العامة، وفي الفرض الثاني أعطى للفقيه دوره ومسؤوليته كشهيد مع الإحتفاظ بحق الولاية كلما دعت الحاجة الى استعمالها، وأعطى للأمة حقه في ممارسة دور الإستخلاف وممارسة الحكم) (٥٢).

وبذلك يكون السيد الصدر قد تفرد بهذه النظرية ولم يسبقه أحد في ذلك.

فهو أول من طرح هذه النظرية وبلورها واعتبرها أسلوباً فعالاً لإدارة الدولة (٥٣) وبهذا انتهت المرحلة الثانية من مراحل التغيير من فقه السيد الصدر السياسي والدستوري فيعتبر دور الفقيه رقابي وإشرافي ، بمعنى الإشراف على الأمة والحكومة معا وتقويم مدى نضوجها السياسي في إدارة شؤونهم.

دستور الدولة الإسلامية:

لم يغيب عن فكر الإمام الصدر الفقه الدستوري، رغم عدم وجود تجربة حديثة بقيام دولة إسلامية تحتاج الى هذا الفقه، ولكن عندما تبنى نظرية سياسية ابتدأها بالتنظيم الحزبي مروراً بأمله بقيام دولة إسلامية حيث نظر لذلك كما رأينا في المرحلة الثانية ومن ثم أكمل مشروعه آمن بضرورة التنظير فقهيًا لدستور الدولة الإسلامية وبالفعل كتب ما يسمى بالأسس الإسلامية التي هي بمثابة دستور يمكن أن تتبناه الدولة الإسلامية عند قيامها ، وهو يشبه الى حد كبير الدستور المقترح الذي كتبه للجمهورية الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ م، وهذا يعني ان السيد الصدر كان مشروعه السياسي متكاملًا من حيث ابتداءه بحركة حزبية ثم نظر فقهيًا الى أسلوب ادارة الدولة ومن ثم كتب دستوراً لهذه الدولة، نعم اظهر ذلك بوضوح بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، والتي تمخض عنها قيام دولة إسلامية فوجد من المناسب أن يطرح فقهه الدستوري الذي كان قد نظر إليه من قبل.

فبادر السيد الصدر إلى إعلان الدستور لهذه الدولة، حيث قال: (وفيما يلي نستوفي عدداً من الأفكار في مجال التمهيد لمشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران مستبطين الحالة المعنوية للشعب الإيراني على ضوء تعاليم الإسلام.

يؤمن الشعب الإيراني العظيم إيماناً مطلقاً بالإسلام بوصفه الشريعة التي يجب أن تقام على أساسها الحياة.

والمرجعية المجاهدة بوصفها الزعامة الرشيدة التي قادت هذا الشعب في تلك الظروف للمبارزة حتى حطم الطاغوت وحقق النصر.

وبالإنسان الإيراني وكرامته وحقه في الحرية والمساواة والمساهمة في بناء المجتمع^(٥٤).

ثم أكد السيد الصدر اساس ومصدر التشريع للدولة الإسلامية حيث قال: (إن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع بمعنى انها هي المصدر الذي يستمد منه الدستور وتشرع على ضوءه القوانين في الجمهورية الإسلامية)^(٥٥)، وهذا جاء منسجما مع الاسس التي كتبها قدس سره^(٥٦)

يؤكد السيد الصدر على الثوابت الإسلامية والأحكام الثابتة ويعتبرها دستورية حتى وإن لم ينص عليها في الدستور، لذلك قال في الفقرة الأولى من الدستور: (إن أحكام الشريعة الثابتة بوضوح فقهي مطلق تعتبر بقدر صلتها بالحياة الاجتماعية جزءا ثابتا في الدستور سواء نص عليه صريحا في وثيقة الدستور أولا)^(٥٧).

ثم أبرز السيد الصدر دور الأمة في ممارسة حقها في حال تكافؤ الاجتهادات الفقهية وتعددتها حيث يعطيها الحق من خلال سلطتها التشريعية أن تختار ما تراه مناسبا لها، قال: (أي موقف للشريعة يحتوي على أكثر من اجتهاد يعتبر نطاق البدائل المتعددة من الاجتهاد المشروع دستوريا، ويظل اختيار البديل المعين من هذه البدائل موكولا الى السلطة التشريعية التي تمارسها الأمة على ضوء المصلحة العامة)^(٥٨).

وهنا السيد الصدر في الفقرة السابقة يعطي دورا لنظرية الشورى في إدارة السلطة عندما أوكل الى الأمة إختيار ما تراه فيه صالحا، ويتضح ذلك جليا في هذه الفقرة من الدستور، حيث أعطى للأمة حق ملء منطقة الفراغ من خلال سلطتها التشريعية، قال: (في حالات عدم وجود موقف حاسم للشريعة من تحريم أو إيجاب يكون للسلطة التشريعية التي تمثل الأمة أن تسن من القوانين ما تراه صالحا على ان لا

يتعارض مع الدستور، وتسمى مجالات هذه القوانين بمنطقة الفراغ وتشمل هذه المنطقة كل الحالات التي تركت فيها الشريعة للمكلف اختيار اتخاذ الموقف فإن من حق السلطة التشريعية أن تفرض عليه موقفا معينا لما تقدره من المصالح العامة على أن لا يتعارض مع الدستور(٥٩).

ويقرر السيد الصدر حق الأمة في توليها مهمة السلطة التنفيذية بالإضافة الى السلطة التشريعية، حيث أكد بقوله: (ان السلطة التشريعية والتنفيذية قد اسندت ممارستها الى الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق في ممارسة هاتين السلطتين بالطريقة التي يعينها الدستور، وهذا الحق حق استخلاف ورعاية مستمد من مصدر السلطات الحقيقي وهو الله تعالى...) (٦٠) بعد أن بين السيد الصدر صلاحيات الأمة في إدارة شؤون الدولة وحدود سلطتها في التشريع والتنفيذ جاء ليضع للأمة الطرق والآليات لضمان حقها في استيفاء مهامها الدستورية، وهما انتخاب الأمة رئيسا للبلاد أو للحكومة، وكذلك تشكيل الشورى(البرلمان) عن طريق الانتخاب المباشر من الشعب، قال: (والأمة تحقق هذه الرعاية بالطريق التالي:-

أولا: يعود الى الأمة انتخاب رئيس السلطة التنفيذية بعد أن يتم ترشيحه من المرجعية ويتولى الرئيس المنتخب بعد ذلك بنفسه تكوين أعضاء حكومته.

ثانيا: ينبثق عن الأمة بالانتخاب المباشر مجلس وهو مجلس أهل الحل والعقد... (٦١) وأكد ذلك صائب عبد الحميد عن بحثه الدستور الإيراني(٦٢).

أعمال مجلس الحل والعقد(البرلمان) المنتخب من قبل الأمة ومهامه:

ثم يحدد السيد الصدر وظائف مجلس الحل والعقد المنبثق عن الأمة ويحصرها بأربعة (٦٣) هي:

أولا: إقرار أعضاء الحكومة التي يشكلها رئيس السلطة التنفيذية لمساعدته في ممارسة السلطة.

ثانيا: تحديد أحد البدائل من الاجتهادات المشروعة.

ثالثا: ملء منطقة الفراغ بتشريع قوانين مناسبة.

رابعا: الإشراف على سير تطبيق الدستور والقوانين ومراقبة السلطة التنفيذية ومناقشتها.

موقع المرجعية الدينية ووظائفها:

ثم يأتي السيد الصدر ليوضح: دور المرجعية ويبين الوظائف المناطة بها وكيفية أداء تلك المهام والوظائف، فقال: (إن المرجعية الرشيدة هي المعبر الشرعي عن الإسلام، والمرجع هو النائب العام عن الإمام من الناحية الشرعية)(٦٤).

وظائف المرجع(٦٥):

أولا: يعتبر المرجع أعلى سلطة في الدولة تناط به قيادة القوات المسلحة فهو الممثل الأعلى للدولة والقائد الأعلى للجيش.

ثانيا: المرجع هو الذي يرشح او يمضي ترشيح الفرد أو الأفراد الذين يتقدمون للفوز بمنصب رئاسة السلطة التنفيذية(الحكومة).

ثالثا: مراقبة الدستور وتشخيص مدى انسجامه مع الشريعة الإسلامية بعد كتابته وإقراره من قبل السلطة التشريعية المنبثقة عن الأمة.

رابعا: على المرجعية الدينية البت في دستورية وشرعية القوانين التي يصدرها ويقرها مجلس أهل الحل والعقد لملء منطقة الفراغ.

خامسا: على المرجعية إنشاء محكمة عليا لمحاسبة ومساءلة المسؤولين الذين يقصرون في الواجبات الملقاة على عواتقهم.

سادسا: على المرجعية إنشاء هيئات موزعة على جميع أقاليم الدولة للنظر في شكاوى المواطنين تجاه المسؤولين الحكوميين ورفع الظلم عنهم إن وجد وإنصافهم من تعسف المسؤولين.

ويعتقد السيد الصدر أيضا ان على المرجع تشكيل مجلس يضم لجنة من المثقفين والمفكرين ورجال الدين الذين يكون منهم عشرة على الأقل قد حصلوا على درجة الإجتهد ويعمل المرجع من خلال هذا المجلس، وله الكلمة الفصل في الخلافات التي قد تنشأ بين السلطات باعتباره الممثل الأعلى للدولة.

صفات المرجع الممثل الأعلى للدولة(٦٦):

يذكر السيد الصدر عدة صفات لا بد من توفرها في المرجع الذي يتولى مهمة الإشراف والتوجيه لأجهزة ومؤسسات الدولة الدستورية المدنية منها والعسكرية، وهذه الصفات والشروط هي:

أولاً: أن يكون حائزاً على درجة الإجتهد المطلق ومعروفاً بالعدالة.

ثانياً: أن يكون من المؤمنين بالدولة الإسلامية وضرورة حمايتها من المخاطر وصونها من الإنحراف ويعرف ذلك عنه من خلال مؤلفاته وأبحاثه بهذا الصدد.

ثالثاً: أن تكون مرجعيته في الأمة قد ثبتت بالطرق الطبيعية المتبعة تاريخياً وهي البينة أو شهادة أهل الخبرة أو الشيع.

رابعاً: أن يرشحه أكثرية أعضاء مجلس المرجعية.

تعدد المرجعيات المتكافئة:

فيما إذا تعددت المرجعيات وتساوت ظاهراً من حيث توفر الشروط السابقة ففي هذه الحالة يعود الى الأمة أمر تعيين المرجع الأعلى للدولة من بين هؤلاء من خلال استفتاء شعبي عام(٦٧).

مبدأ المساواة:

المواطنون متساوون بالحقوق والواجبات في ظل الجمهورية الإسلامية، قال السيد الصدر بشأن ذلك: (إن الأمة كما تقدم هي صاحبة الحق في الرعاية وحمل الأمانة

وأفرادها جميعا متساوون في هذا الحق أمام القانون... وممارسة العمل السياسي بمختلف أشكاله... (٦٨).

ولم يغفل السيد الصدر عن ضمان حقوق أصحاب الديانات الأخرى في الدستور، عندما قال: (وتتعهد الدولة بتوفير ذلك لغير المسلمين من مواطنيها الذين يؤمنون بالإنتماء السياسي إليها وإلى إطارها العقائدي ولو كانوا ينتسبون دينيا إلى أديان أخرى) (٦٩).

أهداف الدولة الإسلامية:

هناك أهداف ومستحقات على الدولة الإسلامية لا بد من تحقيقها، والالتزام بالوسائل الكفيلة في سبيل إنجازها، وهذه الأهداف (٧٠) بنظر السيد الصدر إليها على مستويين هما مستوى السياسة الداخلية والخارجية.

فعلى صعيد مستوى السياسة الداخلية فهي:

أولا: تطبيق الإسلام في مختلف مجالات الحياة وعلى كافة الأصعدة.

ثانيا: تجسيد روح الإسلام بإقامة وتطبيق مبادئ الضمان الاجتماعي والتوازن الاجتماعي، والقضاء على الفوارق الطبقيّة في المعيشة.

ثالثا: تثقيف المواطن على الإسلام تثقيفا واعيا.

وأما على مستوى السياسة الخارجية فعلى الدولة القيام بما يلي:

أولا: حمل نور الإسلام ومشعل هذه الرسالة العظيمة إلى العالم كله.

ثانيا: الوقوف إلى جانب الحق والعدل في القضايا الدولية، وتقديم المثل الأعلى للإسلام من خلال ذلك.

ثالثا: مساعدة كل المستضعفين والمُعذّبين في الأرض، ومقاومة الإستعمار والطغيان وبخاصة في العالم الإسلامي.

هذه هي أهم الفقرات الرئيسية التي طرحها السيد الصدر كمسودة دستور للدولة الإسلامية، وهذا يعكس بوضوح النظرة الثابتة للسيد الصدر في مجال القانون الدستوري حيث جمع فيه بين المبادئ الإسلامية والأسس الديمقراطية الحديثة.

المبحث الثالث: ملامح النظرية الاقتصادية عند السيد الصدر (قدس)

حاول السيد الصدر أن يحدد معالم رئيسة للنظرية الاقتصادية للأسلام بعد تفنيده لمبادئ الرأسمالية والأشترابية في كتابه اقتصادنا فشرع باستعراض أركان الاقتصاد الاسلامي في إطار عملية تصوره لوضع نظرية اقتصادية متكاملة، هي تحديده الى مكونات الهيكل العام للإقتصاد الإسلامي فاعتبرها ثلاثة وهي:

١- مبدأ الملكية المزدوجة: وهي تعبير جديد لم يعهد من قبل أن ذكره أحد غيره، فبينما يؤمن الإسلام بالملكية المزدوجة تؤمن الرأسمالية بالملكية الفردية أو الخاصة ذات الحرية الواسعة التي اعتبرت مبدأ عاما في مذهبهم الإقتصادي، إذ لا وجود للملكية العامة إلا في نطاق محدود تبعا لضرورات قد تفرضها ضواغط إجتماعية، في حين يؤمن المجتمع الإشتراكي بالملكية الإشتراكية مبدءا عاما في رؤاه الإقتصادية، وتعتبر الملكية الخاصة في نظره شذوذا وأما المجتمع الإسلامي، فلا تنطبق عليه الصفة الأساسية لكل من المجتمعين الرأسمالي والإشتراكي، فهو لا يتفق مع الرأسمالية في القول بأن الملكية الخاصة هي المبدأ، ولا مع الإشتراكية في اعتبارها للملكية العامة مبدءا عاما، اتخذ الإسلام من الملكية المتنوعة الأشكال مبدءا عاما له، حيث جعل الملكية على ثلاثة أشكال الملكية الخاصة، والملكية العامة، وملكية الدولة، ولكل واحد من هذه الأشكال حدوده ومميزاته ولا تعتبر أي ملكية منها أصلا والباقي شذوذا أو علاجا مؤقتا اقتضته الظروف^(٧١).

وهذا المعنى نفسه ذهب اليه كثير من الباحثين حيث يرون ان الملكية في الإسلام لا تشبه لا الملكية الخاصة ، ولا الملكية العامة ، بل هي منذ البداية ملكية مزدوجة(٧٢).

ولا يستطيع أحد أن يقول إن الإسلام جمع بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي وذلك لأن الإسلام موجود ونظامه الاقتصادي قائم بأحكامه وتشريعاته قبل ولادة هذين النظامين. أساس الملكية في الإسلام

إن الأصل في الملكية إنها لله تعالى حيث قال في كتابه الكريم: (ولله ملكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(٧٣)، ولكن الله تعالى فوض هذه الملكية للإنسان على أساس الإستخلاف في الأرض وإعمارها ولكن ضمن ضوابط وشروط محددة. وهذا الرأي ذهب إليه استاذنا عبد الأمير زاهد حيث قال: (لتوضيح طبيعة التصرف لا بد من عرض القوانين المركزية ومذهبية الإستخلاف.

إن الملكية الحقيقية لله تعالى، ونمط العلاقة بين الخالق والكون علاقة ملك تام وحقيقي فيه أعلى درجات الإختصاص، يظهر ذلك من قوله تعالى: (لله ملكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما فيهنَّ وهو على كلِّ شيء قدير)(٧٤).

وأكد الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ذلك بقوله: (ان القرآن المجيد يرى ان العالم بأجمعه ملك لله)(لله ملكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما فيهنَّ)، وتوجد كلمات أخرى وردت في آيات مختلفة من القرآن تبين هذه الحقيقة مثل (ومال الله) ، و (أرض الله) ، و (مستخلفين) وعلى هذا الأساس فإنه لا بد من أخذ الإذن والإجازة من الله بنظر الإعتبار في كل مكان ولكل شيء من الناحية الحقوقية، حيث ان جميع خطوط الملكية تنتهي إليه سبحانه وتعالى(٧٥).

وبعد إثبات أصل الملكية لله تعالى وان الانسان مستخلف في الأرض ومفوض منه في هذه الملكية فاعتبرها البعض وظيفة اجتماعية(٧٦).

فالإسلام يؤكد على ان كل ما موجود في الأرض فهو ملك لله وحده عز وجل، وإن الإنسان يستفيد من الأرض وثمارها في حياته ويجب عليه الالتزام بضوابط الإستخلاف الإلهي وضرورة أن يحسن هذه الإستفادة ولا يعيث بما استخلف عليه لأنه سوف يتركها للأجيال اللاحقة (٧٧).

الملكية الناتجة عن العمل:

حينما كانت الملكية للمادة ناتجا عن عمل العامل ينبغي لنا أن نعرف طبيعة هذه الملكية وحدودها وذلك من خلال نقطتين:

الأولى: السماح بظهور الملكية الخاصة على الصعيد الإقتصادي، فإن العمل إذا كان أساسا للملكية، فمن الطبيعي ان توجد للعامل ملكية خاصة للسلع التي تدخل في إنتاجها وجعلها مالا، مثل المزروعات والمنتجات وغيرها وإن كان الميل الطبيعي له دخل في اختصاص الإنسان بنتائج عمله وليس من حق الآخرين سلبه منه، مع ذلك إن الحقوق المترتبة على هذا الاختصاص لا يقررها ذلك الميل الطبيعي نفسه، وإنما يقررها النظام الاجتماعي الذي قنن له الإسلام ولأجله تدخل لتحديد هذه الحقوق للإختصاص فأنكر بعضها وأقر أو اعترف ببعضها الآخر، فقد أنكر مثلا حق المالك في تبذير ماله أو الإسراف فيه في حال الإنفاق مع إقرار الإسلام له بحق الإستمتاع بماله من دون إسراف أو تبذير (٧٨)، وحرم الإسلام تنمية هذا المال عن طريق الربا (٧٩) وأجاز له تنميتها عن طريق البيع والشراء المشروعين (٨٠).

الثانية: تحديد مجال هذه الملكية وفقا لمقتضيات قاعدة العمل سبب الملكية فيجب أن يقتصر نطاق هذه الملكية على الأموال التي تنتج عن عنصر العمل والذي كان سببا في حصولها.

والأموال تنقسم الى قسمين: ثروات خاصة وعامة:

فالثروات الخاصة وهي التي نتجت من خلال العمل البشري كإصطياد الطير في الهواء، واستخراج المعدن من الأرض، واستخراج اللؤلؤ من البحر، فهذه تكون موردا للملكية الخاصة والذي عمل في سبيل الحصول عليها سوف تكون ملكا خاصا له.

وأما الثروات العامة التي لا يدخل العمل البشري في إيجادها، لا تملك بالملكية الخاصة لفرد من الأفراد لأن أساس الملكية الخاصة هو العمل، حتى الأرض التي يسويها الإنسان ويعددها ويكيفها للزراعة لا تدخل في ملكه الخاص، نعم هو أحق بها ما زال قائما عليها ومستمر في استصلاحها وزراعتها فإذا أهمل ذلك وتركها يزول حقه في الإنتفاع بها، وينتفع بها الذي يستصلحها ويزرعها^(٨١).

مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود:

بذلك يختلف الإقتصاد الإسلامي عن الرأسمالي إذ في الإسلام الحرية مقيدة وتخضع لضوابط في حين ان الإقتصاد الرأسمالي تكون الحرية فيه مطلقة، لذلك أشار السيد الصدر: (فبينما يمارس الأفراد حريات غير محدودة في ظل الإقتصاد الرأسمالي، وبينما يصادر الإقتصاد الاشتراكي حريات الجميع، يقف الإسلام موقفه الذي يتفق مع طبيعته العامة، فيسمح للأفراد بممارسة حرياتهم ضمن نطاق القيم والمثل التي تهذب الحريات وتصلقها، وتجعل منها أداة خير للإنسانية كلها)^(٨٢) والمودودي كان قد أشار الى هذه الحرية المحدودة حيث اعتبر ان الإسلام يؤمن بإقتصاد معتدل بعيد عن التطرف الرأسمالي والاشتراكي، فكانت مبادؤه قائمة على إعطاء الأشخاص حقوقهم الفطرية والشخصية بطريقة لا يختل بها التوازن وتوزيع الثروة^(٨٣).

واعتبر رياض عودة ان الإسلام قد جعل هذه الحرية الاقتصادية ضمن الحدود الإنسانية المعقولة^(٨٤).

وقال الشرياصي: (ولكن الإسلام يضع لتملك الفرد حدوداً أوقيوداً إذا تمرد عليها أو خرج عنها كان لولي الأمر أن يحمله عليها) (٨٥).

إذن الحرية التي أعطاها الإسلام للأفراد يجب أن تكون منسجمة مع المصلحة العامة ولا تتعارض معها، فالمهم أن التحديد إذا اقتضته مصلحة الأمة كان جائزاً بل واجباً وله شواهد في الفقه الإسلامي، كملكية الأراضي حيث إن ملكيتها والاستفادة منها مقيدة بإعمارها ومن أساء فهم ظواهر النصوص الشرعية واعتبر إن ملكية الأرض وغيرها بموجب هذه النصوص مطلقة فقد ابتعد عن الصواب وغفل عن المحددات (٨٦).

مبدأ العدالة الاجتماعية:

وهو الركن الثالث من أركان الاقتصاد الإسلامي وهو الذي على أساسه يتم توزيع الثروات الطبيعية وعوائدها بحيث يكون الجميع متساوين في الحصول عليها والاستفادة منها، والنكته المهمة أن الإسلام هو الذي تبني تفسير هذا المبدأ ولم يوكل ذلك إلى الإنسان والمجتمع الذين تختلف مصالحهم باختلاف ميولهم وتصوراتهم وطبيعة الحياة التي يعيشون على ضوئها، قال السيد الصدر: (فإن الإسلام حين أدرج العدالة الاجتماعية ضمن المبادئ الإسلامية، التي يتكون منها مذهبه الاقتصادي، لم يتبن العدالة الاجتماعية بمفهومها التجريدي العام، ولم يناد بها بشكل مفتوح لكل تفسير، ولا أوكله إلى المجتمعات الإنسانية التي تختلف في نظرتها للعدالة الاجتماعية، في اختلاف أفكارها الحضارية ومفاهيمها عن الحياة، وإنما حدد الإسلام هذا المفهوم وبلوره) (٨٧).

لكن من حق أي فرد أن يتساءل ما هو تصور الإسلام للعدالة الاجتماعية، وكيف يمكن أن نجد السبل لتحقيقها وإلا بقيت شعاراً لا ثمرة فيه.

ذكر السيد الصدر الصورة الإسلامية للعدالة الاجتماعية وقال تحتوي على مبدئين عامين:

أحدهما: مبدأ التكافل العام، والآخر: مبدأ التوازن الاجتماعي، فأشار السيد الصدر الى نتيجة هذين المبدئين، حيث قال: (وفي التكافل والتوازن بمفهومهما الإسلامي، تحقق القيم الاجتماعية العدالة، ويوجد المثل الإسلامي للعدالة الاجتماعية...) (٨٨). والإسلام لأجل خلق التوازن دعا الى مشاركة الفقراء الأغنياء في أموالهم ووجوب مساعدتهم وفرض ضرائب متحركة وثابتة من أجل إيجاد التوازن وتحقيق العدالة الاجتماعية.

وقال مصطفى السباعي : (ان التكافل الاجتماعي نادى به الإسلام منذ بزوغه ، فشرع الإسلام من أجل هذه الغاية التشريعات المختلفة حتى اعتبرها عبادة فيها الخير الدنيوي والأخروي كالزكاة والخمس) (٨٩).

الخلاصة: إن الأركان الأساسية للإقتصاد الإسلامي هي:

- ١- ملكية ذات أشكال متنوعة، يتحدد التوزيع في ضوءها.
 - ٢- حرية محدودة بالقيم الإسلامية، في مجالات الإنتاج والتبادل والاستهلاك.
 - ٣- عدالة اجتماعية تكفل للمجتمع سعادته، قوامها التكافل والتوازن.
- الصفتان الأساسيتان للمذهب الإقتصادي في الإسلام:

بعد أن اتضحت المعالم الأساسية للإقتصاد الإسلامي ، سوف ندرس الصفتان الأساسيتان له فيمكن القول أنه توجد صفتان مهمتان تميز المذهب الإقتصادي في الإسلام عن غيره من المذاهب الإقتصادية الأخرى، فهاتان الصفتان هما (٩٠):

- ١- الواقعية: فهو اقتصاد واقعي في غايته، لأنه يستهدف في أنظمتها وقوانينه الغايات التي تنسجم مع واقع الإنسانية، بطبيعتها ونوازعها وخصائصها العامة،

ويحاول دائما أن لا يرهق الإنسانية في حسابه التشريعي، ولا يخلق بها في أجواء خيالية عالية فوق طاقاتها وإمكاناتها كما فعل كل من المذهبين الرأسمالي والإشتراكي، حيث وعدا أنصارهما بحياة براقة سرعان ما أصبحت مليئة بالبئس والحرمان وظهور الطبقة بحيث أثرى الأغنياء على حساب الكثرة الكاثرة من الفقراء، فالإسلام أقام مخططة الإقتصادي على أساس النظرة الواقعية وتوخى الغايات الواقعية التي تنسجم مع تلك النظرة.

وكما إن الإقتصاد الإسلامي واقعي في غايته، فهو أيضا واقعي في طريقته لضمان الغايات ضمانا واقعيا ماديا، ولا يكتفي بضمان النصح والتوجيه والإرشاد التي يقدمها الوعاظ والمرشدون، لأنه يريد أن يزج تلك الأهداف الى واقع وحيز التنفيذ، فلا يقنع بإيكالها الى رحمة الذوق والمصادفات والتقدير، حيث وضع التشريعات الإلزامية من أجل تحقيق التكامل الإقتصادي العام في المجتمع.

٢- الأخلاقية: هذه هي الصفة الثانية من صفات الإقتصاد الإسلامي، فهي من ناحية الغاية تعني إن الإسلام لا يستمد غاياته التي يسعى الى تحقيقها في حياة المجتمع الإقتصادية، من ظروف مادية وشروط طبيعية منفصلة عن نفس الإنسان، وهو بذلك يختلف عن الماركسية التي تستوفي غاياتها من وضع القوى المنتجة وظروفها، فالإقتصاد الإسلامي ينظر الى تلك الغايات، بوصفها معبرة عن قيم عملية ضرورية التحقيق من ناحية خلقية، فحين يقرر ضمان حياة العامل، لا يؤمن بأن هذا الضمان الإجتماعي الذي وضعه نابع من الظروف المادية للإنتاج مثلا، وإنما يعتبره ممثلا لقيمة عملية يجب تحقيقها.

ونعني بالصفة الخلقية أو الأخلاقية من ناحية الطريقة، ان الإسلام يهتم بالعامل النفسي، عندما يضع الطريقة التي تضمن تحقيق أهدافه وغاياته، فهو لا يهتم

بالجانب الموضوعي فقط الذي هو تحقق تلك الغايات، فيمزج في الطريقة التي تحقق الغايات العاملين النفسي والذاتي، فقد يؤخذ من الغني مال لإشباع الفقير مثلا، ويتوخى من وراء ذلك غاية موضوعية تكمن وراء مبدأ التكافل هذا، ولتحقيق ذلك وضع الإقتصاد الإسلامي طريقة خلقية تضمن إشباع الفقير ويجعل تطبيقها لتحقيق هذه الغاية مقرونة بجنبه خلقية ينبغي أن تكون دافعا للغني لإعطاء الفقير، ولأجل ذلك شرع الإسلام فرائض مالية مادية يجب أن تنبع عن دافع نفسي نير يدفع الإنسان الى المساهمة في تحقيق غايات الإقتصاد الإسلامي، بشكل واع مقصود، قال ناصر مكارم الشيرازي: (وقد تم الإستفادة من عامل العقيدة والإيمان والأخلاق المستندة إليه في الإقتصاد الإسلامي وفي جميع أركانه وبشكل كبير، وهذه مفاهيم لها دور كبير في طريقة الإنتاج والإستهلاك)^(٩١).

وأراد الإسلام الإهتمام بالعامل النفسي من أجل تكوينه روحيا وفكريا، طبقا لغاياته ومفاهيمه، فإن طبيعة العوامل الذاتية التي تعتلج في نفس الإنسان، أثرها الكبير في تكوين شخصية الإنسان، وتحديد محتواه الروحي، كما ان للعامل الذاتي أثره الكبير على الحياة الاجتماعية ومشاكلها وحلولها، فالكل يدرك ان العامل النفسي يلعب دورا أساسيا في المجال الإقتصادي، فالإسلام إذن لا يقتصر في مذهبه وتعاليمه على تنظيم الوجه الخارجي للمجتمع، وإنما ينفذ الى أعماقه الروحية والفكرية، ليوفق بين المحتوى الداخلي وما يرسمه من مخطط اقتصادي واجتماعي، ولا يكفي في طريقته ان يتخذ أي أسلوب كيف ما كان يكفل تحقيق غاياته، وإنما يمزج هذا الأسلوب بالعامل النفسي والدافع الذاتي الذي ينسجم مع تلك الغايات ومفاهيمها^(٩٢)، وان الإسلام إنما يهتم بذلك لأجل تحقيق نظام اجتماعي عادل، وذلك لا يكون طبعاً إلا على أساس الأخلاق الإسلامية والقيم

الأصيلة، وشعور الإنسان بأنه خليفة الله تعالى في الأرض الذي استخلف من أجل اعمارها والاستفادة منها بما هو فرد شريك للمجتمع فيها.

الإقتصاد الإسلامي جزء من كل:

من خلال معرفتنا للصفتان الأساسيتان للمذهب الاقتصادي الإسلامي يحصل لدينا مؤشر على ان المقصود بذلك هو ان الإقتصاد الإسلامي لا يمكن دراسته بصورة منفصلة وبمعزل عن الحياة العامة بل بما هو مفصل مهم من مفاصل الحياة الاجتماعية العامة لان النظر إليه مستقلا يجعل الاستفادة من مفاهيمه وأسسهِ ضئيلة وبالتالي لا يختلف عن أي مذهب اقتصادي آخر، فهو إذن حلقة من حلقات المفاهيم الاجتماعية الإسلامية، ولا يمكن تصور النضوج الإقتصادي بدون حصول النضوج السياسي والاجتماعي. فمن الخطأ أن لا تعير الصيغة الإسلامية العامة عن أهميتها، وأن لا تدخل في الحساب طبيعة العلاقة بين الإقتصاد وسائر أجزاء المذهب، والتأثير المتبادل بينها في كيانهِ العضوي العام.

كما يجب أيضا أن لا نفصل بين المذهب الإسلامي بصيغته العامة، وبين أرضيته الخاصة التي أعدت له، وهياً فيها كل عناصر البقاء والقوة للمذهب، وهكذا يتضح ان الإقتصاد الإسلامي مترابط في خطوطه وتفصيله، وهو بدوره جزء من صيغة عامة للحياة (٩٣).

العواطف والأحاسيس يتبنى الإسلام بثها وتنميتها الى صف تلك المفاهيم، لأن المفهوم بصفته فكرة اسلامية عن واقع معين، يفجر في نفس المسلم شعورا خاصا تجاه ذلك الواقع، ويحدد الاتجاه العاطفي نحوه. فالعواطف الإسلامية وليدة المفاهيم الإسلامية، والمفاهيم الإسلامية بدورها موضوعة في ضوء العقيدة الإسلامية الأساسية....

فهذه هي العناصر الثلاثة: العقيدة، والمفاهيم، والعواطف، التي تشترك في تكوين التربة الصالحة للمجتمع^(٩٤).

نماذج من أوجه الارتباط بين الإقتصاد الإسلامي وبعض العناصر الإسلامية يركز السيد الصدر هنا على بعض العناصر الأساسية المهمة التي يرتبط بها الإقتصاد الإسلامي وهي:

١- إرتباط الإقتصاد الإسلامي بالعقيدة، التي هي مصدر التمويل الروحي للمذهب على أساس انه لا يمكن الفصل بين مبادئ الإقتصاد الإسلامي والعقيدة إذ كيف يعتقد الشخص بالنظرية الإقتصادية الإسلامية ويؤمن بها إذا لم يكن مؤمنا بالإسلام مثلا (فقوة ضمان التنفيذ، والطابع الإيماني والروحي، والإطمئنان بالنفس كل تلك الخصائص يتميز بها الإقتصاد الإسلامي، عن طريق العقيدة الأساسية التي يركز عليها، ويتكون ضمن إطارها العام...) (٩٥).

أكد هذا المعنى أيضا السيد العوضي حيث قال: (أرى شخصا ومع آخرين ان التقدم الحقيقي في دراسة الإقتصاد الإسلامي يجيء من ربطه بالقيم والمبادئ الإسلامية، أي بالعقيدة الإسلامية، والإحتفاظ له بصيغته الحقيقية، وعدم وضعه في قوالب الإقتصاد الوضعي) (٩٦).

فإن الإسلام كنظام إجتماعي لا يمكن الفصل بينه وبين الحياة والمعتقد فإن العقيدة لها تأثيرها على الحياة الإقتصادية والإجتماعية للمجتمع.

فالإقتصاد الإسلامي إقتصاد عقائدي يركز على الأصول العقائدية التي يؤمن بها المسلمون^(٩٧) إذن الجوانب الإجتماعية ومنها الجانب الإقتصادي للإنسان لا يمكن فصلها عن المحتوى العقائدي، فالعقيدة الإسلامية هي التي تصوغ الإنسان المسلم من الداخل وتصنع فيه ظروف إيجاد المجتمع وتحدد نوعية روابطه وأهدافه الإجتماعية،

والعقيدة هي القدرة على توجيه القوانين والمقرارات الاجتماعية المتعلقة بسلوك الإنسان وحركته وهذا يلقي بظلاله على النظام الإقتصادي برمته.

٢- إرتباط الإقتصاد الإسلامي بمفاهيم الإسلام عن الكون والحياة وطريقته الخاصة في تفسير الأشياء، كالمفهوم الإسلامي عن الملكية الخاصة وعن الربح. إذن الإسلام هو الذي يفسر لنا الملكية الخاصة وحدودها وطبيعتها وكيفية الإستفادة منها والربح المشروع وغير المشروع ومن هو الشيء للملكية وغيره (ومن الطبيعي أن يكون لمفهوم الإسلام ذاك عن الملكية أثره في كيفية الإستفادة من حق الملكية الخاصة وتحديدها، وفقا لإطارها الإسلامي، كما ان من الطبيعي أيضا أن يتأثر الحقل الإقتصادي بمفهوم الإسلام عن الربح أيضا...) (٩٨). ونقل ذلك عنه محمد علي التسخيري معنى (٩٩)

٣- إرتباط الإقتصاد الإسلامي بما يبثه الإسلام في البيئة الإسلامية من عواطف وأحاسيس، قائمة على أساس مفاهيمه الخاصة، كعاطفة الأخوة العامة. لا يخفى ما لهذا الشعور بالأخوة أثره الفعال في طبيعة ممارسة الأعمال الإقتصادية والتجارية ويفعل الثقافة الإقتصادية المبتنية على الغاية التي أرادها الإسلام من السعادة للأفراد وبالتالي هذا يحتم أن تبتعد عن الطمع والجشع والإحتكار الذي يسلب السعادة من الآخرين وهذه العواطف والمشاعر تلعب دورا خطيرا في تكييف الحياة الإقتصادية، وتساند المذهب فيما يستهدفه من غايات (١٠٠).

٤- (الإرتباط بين المذهب الإقتصادي والسياسة المالية للدولة، الى درجة تسمح بإعتبار السياسة المالية جزءا من برنامج المذهب الإقتصادي للإسلام. لأنها وضعت بصورة تلتقي مع السياسة الإقتصادية العامة وتعمل لتحقيق أهداف الإقتصاد الإسلامي...) (١٠١).

٥. الارتباط بين الإقتصاد الإسلامي والنظام السياسي للإسلام.

إذ لو كان النظام السياسي لا يطبق الشريعة الإسلامية من الطبيعي أن تكون سياسته الإقتصادية غير إسلامية وبالتالي تفقد الضمانات لتطبيق الإقتصاد الإسلامي حتى لو كان النظام السياسي إسلاميا يلعب شكل إدارة الدولة دورا كبيرا في شكل النظرية الإقتصادية، لذلك قال السيد الصدر (السلطة الحاكمة صلاحيات اقتصادية واسعة... وهذه الصلاحيات والملكيات يجب أن تقرر في الدرس دائما بواقع السلطة في الإسلام، والضمانات التي وضعها الإسلام لنزاهة ولي الأمر واستقامته: من العصمة أو الشورى والعدالة على اختلاف المذاهب الإسلامية، ففي ضوء هذه الضمانات نستطيع أن ندرس مكانة الدولة في المذهب الإقتصادي، ونؤمن بصحة اعطائها الصلاحيات والحقوق المفروضة لها في الإسلام) (١٠٢).

٦. الارتباط بين الإقتصاد الإسلامي والتشريع الجنائي في الإسلام.

فالتكافل العام والضمان الاجتماعي في الإقتصاد الإسلامي يلقيان ضوء على طبيعة العقوبة التي فرضت في بعض الجنايات كقطع يد السارق مثلا قال السيد الصدر: (فليس من القسوة بشيء أن يعامل السارق بصرامة، بعد أن وفر له الإقتصاد الإسلامي أسباب الحياة الحرة الكريمة، ومحا من حياته كل الدوافع التي تضطره الى السرقة) (١٠٣).

ولكن هذه العقوبة لا يمكن تصور تنفيذها في كل مكان وزمان إلا مع إفتراض تطبيق النظرية الإقتصادية الإسلامية بكل أبعادها، وهذا بعيد جدا خصوصا في ما بعد عصر الغيبة.

إن تدهور الوضع الاقتصادي للمجتمعات لابد أن تكون له أسباب لذلك اختلفت المذاهب الاقتصادية في تحديد سبب المشكلة الاقتصادية، فالرأسمالية اعتبرت ان سببها هو قلة الموارد الطبيعية نظرا الى محدودية الطبيعة وثبات مساحة الأرض التي يعيش عليها الإنسان، وهذا لا ينسجم مع التطور العلمي والتكنولوجي الذي يزداد بسرعة هائلة بالإضافة الى نمو الحاجات الحياتية للإنسان، الأمر الذي يجعل الطبيعة عاجزة عن تلبيتها، في حين ترى الماركسية إن سبب المشكلة الاقتصادية عائدة الى سوء التوزيع الناتج عن التناقض بين شكل الإنتاج وعلاقات التوزيع، فمتى تم الوفاق بين ذلك الشكل وهذه العلاقات ساد الاستقرار في الحياة الاقتصادية، بينما يرى الإسلام ان المشكلة هي تكمن في الإنسان نفسه من خلال سوء التوزيع الذي يتبعه، وكفرانه للنعمة في إهماله لإستثمار الطبيعة بصورة صحيحة (١٠٤).

وتطرق الى ذلك رضا صاحب فنفي أن تكون المشكلة الاقتصادية ناتجة عن ندرة الموارد أو التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع ، وانما هي مشكلة الانسان نفسه من خلال ارتكابه لمعاصي وكفرانه للنعمة (١٠٥).

الحلول المناسبة للمشكلة الاقتصادية

تكفل الإسلام بحل المشكلة الاقتصادية من خلال معالجة أسبابها والقضاء عليها حيث وضع الآليات المناسبة لمحو الظلم الناتج عن سوء التوزيع واتباع نظام التداول للسلع والبضائع، وكذلك علاجه للكفران بالنعمة من خلال وضع المفاهيم والأحكام (١٠٦).

وقد وضع الإسلام جهاز التوزيع للمجتمع الإسلامي بالشكل الذي تلتقي فيه حقوق الفرد بحقوق الجماعة. فلم يحل بين الفرد وحقه في إشباع ميوله الطبيعية، كما لم يسلب الجماعة كرامتها ولم يهدد حياتها فضمن لها حقوقها وحياتها بما ينسجم

مع هكذا مصالح، وبذلك امتاز عن أجهزة التوزيع المختلفة، التي جربها الإنسان على مر التاريخ، وجهاز التوزيع في الإسلام يتكون من أداتين رئيسيتين، وهما العمل والحاجة^(١٠٧).

أبو الأعلى المورودي تطرق الى حل المشكلة الاقتصادية غير أنه لم يذكر الأدوات الحقيقية لحل المشكلة بل ركز على الحياة الفطرية وضرورة بقاء مبادئها وإذا طرأ الفساد في الحياة يحاول الإسلام ان يرجع بها الى الفطرة السليمة^(١٠٨). ولكن هذا الكلام لا يحل المشكلة ما دامت مقومات اعادة التوزيع مفقودة وغير محددة هذا بالإضافة الى ان المودودي لم يبين ماهية الحياة الفطرية ولم يعطها ضابطاً محدداً يمكن الرجوع اليه في حالة تطرفها.

أشار استاذنا الدكتور عبد الأمير زاهد قائلاً : (ان التوزيع الإسلامي للثروة والدخل قائم على معياري العمل والحاجة ، وهنا يسهم التوزيع في مساعدة القوى الانتاجية الفعالة في اعطاءها القوة المادية)^(١٠٩).

فالمهم هو ضمان الدولة لاعادة التوزيع عند طرو الفساد عليه^(١١٠).

اذن فالإسلام وضع آليات لمعالجة المشكلة الاقتصادية لذلك ركز على ضرورة اعادة توزيع الثروات من خلال التشريعات التي تكفل ذلك . دور المبادلة أو التداول في معالجة المشكلة الاقتصادية:

تعتبر عملية المبادلة من الآليات الفعالة التي إذا أحسن أدائها تذلل من المشاكل الإقتصادية وهي واسطة بين الإنتاج والتوزيع، فالمنتج يبحث دائماً عن المستهلك الذي يحتاج الى السلعة التي ينتجها، وهذا المستهلك بدوره ينتج سلعة من نوع آخر ويحصل من خلال المبادلة على المستهلك الذي يشتريها، ولكن ظلم الإنسان وجشعه تدخل في مجال التوزيع على حساب هذا الحق أو ذاك، وسرى الى المبادلة حتى طورها وصيرها أداة للاستغلال، لا أداة إشباع للحاجات وتيسير الحياة، وواسطة بين الإنتاج والإدخار،

فما إن تطوّر النظام النقدي حتى بلغت المشكلة الإقتصادية ذروتها بسبب استخدام النقود بصورة غير مشروعة وغير عادلة في تنميتها وجمعها واستغلال حاجات الآخرين من خلالها، فظهرت القروض الربوية في عصر النظام الرأسمالي، وظهر نظام الفوائد الذي تعطيه المصارف والبنوك لأصحاب الأموال لإغرائهم في سبيل اكتناز أموالهم فيها بدلا من استخدامها في الإنتاج المثمر، مما أدى الى مسك أصحاب رؤوس الأموال زمام الأمور والثروة في البلاد، وقضت على أي مظهر من مظاهر التوازن في الحياة الإقتصادية، ولكن الإسلام عالج هذه المشكلة للقضاء على سوء التوزيع وذلك من خلال بعض الإجراءات والتي كان من بينها:

أولا: منع الإسلام من اكتناز النقد وذلك عن طريق فرض ضريبة الزكاة عليها إذا تجمدت لمدة عام أو أكثر، وكذلك توعّد الله تعالى بمعاقبة من يكنز الذهب والفضة بدخول النار^(١١١)، حيث ورد في القرآن الكريم: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)^(١١٢).

ثانيا: حرّم الإسلام الربا، وبذلك قضى على الفائدة ونتائجها الخطيرة في مجال التوزيع، وما تسببه من إخلال وإرباك في التوازن الإقتصادي^(١١٣).

ثالثا: أعطى الإسلام لولي الأمر صلاحيات واسعة تعطيه الحق في الرقابة الكاملة على سير عمليات التداول والإشراف على الأسواق لمنع أي تصرف يؤدي الى الضرر وزعزعة الحياة الإقتصادية، أو يمهّد للتحكم الفردي غير المشروع في السوق وفي مجال التداول^(١١٤).

أما الأسلوب الآخر المكمل لحل المشكلة الإقتصادية التي أحد أسبابها الكفران بالنعمة، فسوف يأتي في البناء العلوي من نظرية التوزيع في الإسلام، انشاء الله تعالى.

أساس التوزيع للموارد في الإسلام:

يعتمد التوزيع في الإسلام على عنصرين أساسيين:

١- العمل: أي الفرد الذي يعمل يحصل على ما جناه بهذا العمل، فالإنسان الذي يغوص في البحر ويستخرج اللؤلؤ يملك هذا اللؤلؤ لأنه كان نتيجة لعمله، أكد السيد الصدر ذلك بقوله: (العمل في نظر الإسلام سبب للملكية العامل لنتيجة عمله، وهذه الملكية الخاصة القائمة على أساس العمل، تعبير عن ميل طبيعي في الإنسان الى تملك نتائج عمله...) (١١٥).

وهناك قواعد أخرى للتملك يراها أصحاب المذاهب غير الإسلامية سببا للملك في ايدولوجياتها الفكرية.

فالشيعوية تقول: ان العمل سبب لتملك المجتمع لا الفرد، حيث عندهم الفرد لا يملك.

والاشتراكية تقول: (ان العمل هو سبب لقيمة المادة، وبالتالي سبب تملك العامل لها).

فالإسلام يختلف عنهما في كون الملكية في نظرة احد اسبابها العمل ، ولكن ضمن شروط معينة .

٢- الحاجة: إذ العمل وحده قد يلبي حاجات بعض الفئات القادرة على العمل أو التي بإمكانها الحصول على فرض العمل، ولا يلبي حاجات من هو عاجز أو ليس له حظ في الحصول على العمل؛ وبذلك يمكن تقسيم أفراد المجتمع الى ثلاث فئات:

١- فئة قادرة على العمل وتتمتع بإمكانات وكفاءات عالية وطاقات فكرية وبدنية فتستطيع أن توفر معيشتها على أكمل وجه وتعيش برفاهية.

٢- فئة تستطيع ان تعمل وتوفر حاجاتها الضرورية فقط بحيث لا تصل الى مستوى الرفاهية.

٣- وفئة ثالثة لا يمكنها ان تعمل فهي عاجزة إما بدنيا أو فكريا، فهذه لا يمكنها تأمين حاجاتها بنفسها، فقد كفل الإسلام لها تأمين حاجاتها.

فالإسلام شرع ذلك وهو يهدف في ايدلوجيته لخلق التوازن وسد حاجة المحتاجين فإذا كان للفرد حق ملكيته الشخصية في الإسلام فإن هذا الحق يخضع لأصل الملكية، كما يخضع لضرورات المجتمع، وكلما حل بالمجتمع ما يفسد توازن التوزيع فيه، فإن حق إعادة التوزيع أمر عادل مسلم به (١١٦).

لذلك اعتبر الإسلام ان العمل والحاجة هما اللذان يحددان طبيعة التوزيع، وهو بذلك يختلف عن المذاهب الاقتصادية الاخرى، قال استاذنا الدكتور عبد الامير زاهد: (أما في الاقتصاد الإسلامي فان العمل والحاجة هما اساس التوزيع) (١١٧)

وحتما إن كثرة الفقراء والمحتاجين في المجتمع بسبب عجزهم عن العمل سوف يسبب الفساد وعدم التوازن ولا يمكن القضاء عليه إلا من خلال إعادة التوزيع وذلك بتخصيص قسم من الأموال لسد حاجات المحتاجين.

لذلك نادى الإسلام بالتكافل الاجتماعي، وشرع لأجل هذه الغاية التشريعات الى تكفل تطبيقه وضمانه، كالزكاة والخمس وحدد مصارفها للفقراء والمساكين ولعموم المحتاجين (١١٨).

أكد هذا المعنى: محمد حسين بهشتي عندما، قال: (المجتمع والدولة والأفراد ملزمون تجاه المستهلكين العاجزين عن الإنتاج، أو الذين فقدوا قدرتهم عليه، أو العاجزين عن إنتاج عن القدر الكافي من المصاريف التي يحتاجون إليها) (١١٩).

وأما الفئة التي تعمل ولا تجني من عملها إلا الحد الأدنى من المعيشة فهي تعتمد في دخلها على العمل والحاجة معا... (١٢٠).

مناطق الحاجة

ان أخذ الحاجة كعنصر من أدوات التوزيع يستدعي ان نعرف ماهية الحاجة. الحاجة عند الشيوعيين هي: التي تشبع من خلال العمل، فالعامل يعمل على مقدار حاجته، إذن عندهم الحاجة هي: ما يلبيه عمل العامل لا أكثر، فلا يجوز للعامل أن يعمل أكثر مما يؤدي على إشباع حاجته الضرورية حتى وإن كانت لديه إمكانيات فكرية وطاقات بدنية (١٢١).

أما الاشتراكيين: ووفقا لمبدأهم القائل: (من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله) فهنا تلقى عندهم الحاجة تماما، فالإنسان الذي يعمل يملك وبالتالي يمكنه إشباع حاجته، والذي لا يعمل لا طريق له لإشباع حاجته أما الإسلام فيعتبر الحاجة أداة رئيسية للتوزيع بوصفها تعبيرا عن حق انساني ثابت في الحياة الكريمة، وبهذا تكفل الحاجات في المجتمع الإسلامي ويضمن إشباعها، وشرع الأحكام من أجل ضمان ذلك (١٢٢).

ويتم ذلك من خلال التطوع والمشاركة والإحسان أو عن طريق الدولة بما يتاح لها من موارد ثم بعد ذلك يضيف السيد الصدر الملكية كعنصر ثالث ولكن ثانوي للتوزيع لذلك قال: (الملكية أداة ثانوية للتوزيع عن طريق النشاطات التجارية التي سمع بها الإسلام ضمن شروط خاصة لا تتعارض مع المبادئ الإسلامية للعدالة الاجتماعية) (١٢٣).

قال أحمد الشرياصي عندما تعرض للملكية في الإسلام قال: (ولكن الإسلام يضع لتملك الفرد حدودا أو قيودا إذا تمرد عليها أو خرج عنها كان لولي الأمر ان يحمله عليها) (١٢٤).

اذن الملكية والحاجة يحتلان دورا كبيرا في التوزيع ، ولتنظيم علاقات الفرد بالمجتمع والطبيعة ومواردها جاء الإسلام بمجموعة تشريعات ليبين من خلالها الحدود والاطر التي تحكم هذه العلاقات ، وفي الوقت نفسه بيان ما هو الجائز من غيره من هذه العلاقات .

الخاتمة ونتائج البحث

- ١- إن السيد الصدر يعتبر من المجددين في الفقه الإسلامي إذ لم يترك بابا من أبواب الفقه الذي يمس الحياة المعاصرة إلا وبحث فيه واستخلص رؤية متكاملة تعالج الواقع المعاصر.
- ٢- أعطى رؤية جديدة في فهم النصوص الشرعية مما أعطى طابعا جديدا لاستنباط الاحكام الشرعية.
- ٣- أعطى رؤية واضحة ودقيقة عن الدولة وطريقة ادارتها بما تعطي خيرا كثيرا للكفاءات العلمية في مختلف مجالات الحياة .
- ٤- إن مسؤولية ادارة الدولة هي مسؤولية مشتركة بين الفقيه والامة بحيث متى تكاملت الامة في ادارة نفسها يتحول دور الفقيه الى مراقب ومشرف.
- ٥- حدد ملامح النظرية الاقتصادية في الاسلام وطرح رؤى مهمة في معالجة المشكلات الاقتصادية.

- (١) بحوث في علم الأصول، سيد محمود الهاشمي: ١، ٨، وبحوث في الأصول تمهيد في مباحث الدليل اللفظي، حسن عبد الستار: ١ / ٨.
- (٢) محمد باقر الصدر حياة حافلة فكل خلاق، محمد الحسيني: ٢٤٨.
- (٣) محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، : ٥.
- (٤) نهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، عبد الجبار الرفاعي: ٣١.
- (٥) مباحث الأصول، سيد كاظم الحائري: ١ ق ٢ / ٥١.
- (٦) ظ. بحوث في علم الأصول، سيد محمود الهاشمي: ١ / ٨-٩، وظ. بحوث في علم الأصول تمهيد في مباحث الدليل اللفظي، حسن عبد الساتر: ١ / ٨.
- (٧) مباحث الأصول، سيد كاظم الحائري: ١ ق ٢ / ٥١.
- (٨) ظ. محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق، محمد الحسيني: ٢٥٠.
- (٩) بحوث في علم الأصول، سيد محمود الهاشمي: ١ / ٩، وبحوث في الأصول تمهيد في مباحث الدليل اللفظي، حسن عبد الساتر: ١ / ٩.
- (١٠) ظ. مباحث الأصول، سيد كاظم الحائري: ١ ق ٢ / ٥١.
- (١١) نهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، عبد الجبار الرفاعي: ٢٩.
- (١٢) العقل العملي في فكر الشهيد الصدر (قدس)، عمار ابو رغيف، بحث منشور في مجلة قضايا اسلامية، العدد الثالث سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، : ٣٢.
- (١٣) ظ. بحوث في علم الأصول، سيد محمود الهاشمي: ١ / ٩، وظ. بحوث في علم الأصول تمهيد في بحوث الدليل اللفظي، حسن عبد الساتر: ١ : ٩.
- (١٤) ظ. مباحث الأصول، سيد كاظم الحائري: ١ ق ٢ / ٥٤.
- (١٥) نهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، عبد الجبار الرفاعي: ٥٥-٥٦.
- (١٦) بحوث في علم الأصول، سيد محمود الهاشمي: ١ / ١٠، وبحوث في الأصول تمهيد في مباحث الدليل اللفظي، حسن عبد الساتر: ١ / ١٠.
- (١٧) محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، : ٢٨.
- (١٨) الفهم الاجتماعي للنص في فقه الامام الصادق عليه السلام، محمد باقر الصدر، بحث منشور في مجلة رسالة الإسلام، العدد الثالث سنة ١٩٦٧ م كلية أصول الدين: ٥٢.
- (١٩) ظ: المصدر نفسه: ٥٢.
- (٢٠) ظ: المصدر نفسه: ٥٢.

- (٢١) ظ: الفهم الاجتماعي للنص في فقه الامام الصادق عليه السلام، محمد باقر الصدر بحث منشور في مجلة رسالة الاسلام، العدد الثالث سنة ١٩٦٧م كلية أصول الدين: ٥٤-٥٥.
- وظ: الشهيد الصدر ونظرية تفسير النص، أحمد الواعظي، بحث منشور في مجلة أهل البيت لسنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م: ٢١٤-٢١٥.
- (٢٢) ظ: الفهم الاجتماعي للنص في فقه الامام الصادق عليه السلام، محمد باقر الصدر بحث منشور في مجلة رسالة الاسلام، العدد الثالث سنة ١٩٦٧م: ٥٥-٥٦.
- =وظ: الشهيد الصدر ونظرية تفسير النص، أحمد الواعظي، بحث منشور في مجلة أهل البيت لسنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م: ٢١٧.
- (٢٣) راجع فقه الامام الادق لـ(محمد جواد مغنية).
- وظ: الفهم الاجتماعي للنص في فقه الامام الصادق عليه السلام، محمد باقر الصدر بحث منشور في مجلة رسالة الاسلام، العدد الثالث سنة ١٩٦٧م: ٥٦.
- (٢٤) الفهم الاجتماعي للنص في فقه الامام الصادق عليه السلام، محمد باقر الصدر بحث منشور في مجلة رسالة الاسلام، العدد الثالث سنة ١٩٦٧م: ٥٦-٥٧.
- (٢٥) ظ: الفهم الاجتماعي للنص في فقه الامام الصادق عليه السلام، محمد باقر الصدر بحث منشور في مجلة رسالة الاسلام، العدد الثالث سنة ١٩٦٧م: ٥٧.
- وظ: الشهيد الصدر ونظرية تفسير النص، أحمد الواعظي، بحث منشور في مجلة أهل البيت لسنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م: ٢٢٤-٢٢٥.
- (٢٦) ظ: الشهيد الصدر ونظرية تفسير النص، أحمد الواعظي، بحث منشور في مجلة أهل البيت لسنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م: ٥٧.
- (٢٧) ظ: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، محمد مهدي شمس الدين: ٤٢.
- (٢٨) ظ: الأسس الإسلامية للدستور الإسلامي، عبد الهادي الفضلي، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد السابع عشر سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م: ٣٢٥.
- (٢٩) ظ: الشهيد الصدر والدستور الإسلامي، مصطفى الانصاري، بحث منشور في مجلة فقه أهل البيت، العدد العشرون سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م: ٢٧٨.
- (٣٠) ظ: نظرية السلطة في الفقه الشيعي، توفيق السيف، ١٩٦.
- (٣١) المدخل الى القانون الدولي الإسلامي، عبد الأمير زاهد: ١٦.
- (٣٢) الشورى: ٣٨.
- (٣٣) الأحزاب: ٣٦.
- (٣٤) ظ: الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ١٥٠، وظ: محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، ١٧٢، وظ: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووقائع، أبو زيد العاملي، ١: ٢٧٣. ظ: الأسس الإسلامية للدستور الإسلامي، عبد الهادي الفضلي،

بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد السابع عشر سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م/٣٢٢-٣٢٣، وظ: تجديد
الفقه الإسلامي محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم، شبلي الملاح، ٤٢: ظ. السيد محمد
باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق، محمد الحسيني: ٣٣٠، وظ: الإسلام يقود الحياة، محمد
باقر الصدر: ١٥٠، وظ: محمد باقر الصدر تكامل = المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد
الحميد، ١٧٢، وظ: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، أبو زيد العاملي، ١
٢٧٣.

(٣٥) الشورى، ٣٨.

(٣٦) النظرية السياسية عند الشهيد الصدر، محمد باقر الحكيم، بحث منشور في مجلة قضايا
إسلامية، العدد الثالث لسنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٢٤٨.

(٣٧) نظرية العمل السياسي عند الشهيد محمد باقر الصدر محمد باقر الحكيم، بحث منشور في
مجلة المنهاج، العدد السابع عشر سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢٢٩.

(٣٨) التوبة: ٧١.

(٣٩) ظ: الأسس الإسلامية للدستور الإسلامي، عبد الهادي الفضلي، بحث منشور في مجلة المنهاج،
العدد السابع عشر سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٣٢٢.

(٤٠) الإسلام يقود الحياة، السيد محمد باقر الصدر: ١٥٠.

(٤١) ظ: منية الطالب، تقرير بحث النائي، موسى بن محمد الخوانساري: ٢/ ٢٣١، وظ: محمد باقر
الصدر حياة حافلة فكر خلاق، محمد الحسيني: ٣٣٠- ٣٣١، وظ: مصباح الفقاهة، السيد
الخوئي: ٣/ ٢٧٨، وظ: دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، حسين المنتظري: ١/ ١١١.

سلطان يعني لا يكفي العلم وحده دون امتلاك الفقيه للخبرة الإدارية.

(٤٢) ظ: محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق، محمد الحسيني: ٣٣٣.

(٤٣) ظ: دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، شيخ حسين المنتظري: ١: ١١١.

(٤٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٧، ١٤٠، ظ: مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ٩/ ٢.

(٤٥) النظرية السياسية عند الشهيد الصدر، محمد باقر الحكيم، بحث منشور في مجلة قضايا
إسلامية، العدد الثالث لسنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٢٥٣، ونفس المضمون. ظ: نظرية العمل السياسي
عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر محمد باقر الحكيم، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد
السابع عشر سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢٣٥.

(٤٦) محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق، محمد الحسيني: ٣٣٣.

(٤٧) العمل السياسي عند الشهيد محمد باقر الصدر محمد باقر الحكيم، بحث منشور في مجلة
المنهاج، العدد السابع عشر سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢٧٥.

(٤٨) ظ: نظريات الدولة الإسلامية الحديثة، على المؤمن، بحث منشور في مجلة
المنهاج، العدد العشرون: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢٦٤.

- (٤٩) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ١٤٩- ١٥٠.
- (٥٠) مباحث الأصول، كاظم الحائري: ١/ ٩٢.
- (٥١) محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق، محمد الحسيني: ٣٣٦.
- (٥٢) شهيد الأمة وشاهدها، محمد رضا النعماني، ٢/ ٢٦.
- (٥٣) ظ: نظريات الدولة الإسلامية الحديثة، علي المؤمن، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد العشرون لسنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ٢٦٤.
- (٥٤) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ١٦، ومحمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، ١٧٦.
- (٥٥) الإسلام يقود الحياة: ١٧.
- (٥٦) ظ: محمد باقر الصدر في حقائق ووثائق، أبو زيد العاملي: ١/ ٢٧٣.
- (٥٧) الإسلام يقود الحياة: ١٧، ومحمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، ١٧٦.
- (٥٨) الإسلام يقود الحياة ومحمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، ١٧٦.
- (٥٩) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ١٨، ومحمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، ١٧٦.
- (٦٠) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ١٨، ومحمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، ١٧٧.
- (٦١) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ١٨.
- (٦٢) ظ: محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري الحضاري، صائب عبد الحميد، ١٧٧.
- (٦٣) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ١٩، وظ: محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، ١٧٧.
- (٦٤) ظ: الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ١٩. وقريب منه ظ: محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، ١٧٨.
- (٦٥) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر/ ١٩، وبالمضمون ظ: تكامل المشروع الفكري والحضاري، صائب عبد الحميد، ١٨١.
- (٦٦) ظ: الإسلام يقود الحياة: ١٩- ٢٠، وظ: تجديد الفقه الإسلامي محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم، شبلي الملائط، ١٠٢.
- (٦٧) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ٢٠.
- (٦٨) المصدر نفسه، ٢١.
- (٦٩) المصدر نفسه.

- (٧٠) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر: ٢٢.
- (٧١) ظ: اقتصادنا ، محمد باقر الصدر: ٢٩٥- ٢٩٧، وظ: الفكر الاقتصادي عند الامامين الصدر والنورسي، علاء الخطيب: ١٧٨، وظ: مدخل للفكر الاقتصادي عند الشهيد الصدر، محمد الحسيني، بحث منشور في مجلة قضايا إسلامية، العدد الثالث سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ٣٢٨.
- (٧٢) ظ: اقتصادنا ، محمد باقر الصدر: ٢٩٥- ٢٩٧، وظ: الاقتصاد الإسلامي ، محمد علي التسخيري: ١٧٨، وظ: الفكر الاقتصادي عند الامامين الصدر والنورسي، علاء الخطيب: ١٧٨، وظ: مدخل الفكر الاقتصادي عند الشهيد الصدر، محمد الحسيني بحث منشور في مجلة قضايا إسلامية، العدد الثالث سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ٣٢٨، وظ: الشؤون الاقتصادية في نصوص الكتاب والسنة: عبد الهادي: ١٩- ٢١.
- (٧٣) النور: ٤٢
- (٧٤) ظ: اقتصادنا ، محمد باقر الصدر حول منهج الشهيد الصدر في معرفة المذهب الإقتصاد الإسلامي ودفع الإشكال عليه، محمد علي التسخيري، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد السابع عشر سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ١٧٦.
- (٧٥) الخطوط الأساسية للإقتصاد الإسلامي، ناصر مكارم الشيرازي: ١٢٩.
- (٧٦) الخطوط الكبرى في الإقتصاد الإسلامي، رضا صاحب أبو حمد: ٧٤.
- (٧٧) ظ: مقدمة في الإقتصاد الإسلامي، رياض صالح عودة: ٢٠- ٢١، وظ: الإسلام والإقتصاد، أحمد الشرباصي: ٢١٤.
- (٧٨) كما ورد في القرآن الكريم: (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)، الأنعام: ١٤١.
- (٧٩) كقوله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا)، البقرة: ٢٧٥.
- (٨٠) ظ: اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٥٨- ٣٥٩.
- (٨١) ظ: اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٥٩- ٣٦١.
- (٨٢) اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٢٩٨، وظ: مدخل للفكر الاقتصادي عند الشهيد الصدر، محمد الحسيني بحث منشور في مجلة قضايا إسلامية، العدد الثالث سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ٣٣٢.
- (٨٣) ظ أسس الإقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة، أبو الأعلى المودودي: ١٥.
- (٨٤) ظ مقدمة في الإقتصاد الإسلامي، رياض صالح عودة: ١٩.
- (٨٥) الإسلام والإقتصاد، أحمد الشرباصي: ٢٠٨.
- (٨٦) ظ معالم الفكر الاقتصادي، عبد الرسول سليمان: ١٦٩.
- (٨٧) اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٠٣.
- (٨٨) المصدر نفسه: ٣٠٨- ٣٠٩.
- (٨٩) اشتراكية الإسلام، مصطفى السباعي: ٢٠.

- (٩٠) اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣٠٥، وظ. مدخل للفكر الاقتصادي عند الشهيد الصدر، محمد الحسيني بحث منشور في مجلة قضايا اسلامية، العدد الثالث سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م : ٣٢٥-٣٢٦. وظ: الاقتصاد الإسلامي، محمد علي التسخيري : ١٩٠ .
- وظ: الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، رضا صاحب أبو أحمد : ٣١ .
- (٩١) الخطوط الأساسية للاقتصاد الإسلامي، ناصر مكارم الشيرازي : ١١٥ .
- (٩٢) ظ: اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٠٥-٣٠٧ .
- (٩٣) ظ. اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣٠٨، وظ: حول منهج الشهيد الصدر في معرفة المذهب الاقتصادي الإسلامي ودفع الإشكال عليه، محمد علي التسخيري، بحث منشور في مجلة المنهاج، عدد ١٧ سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، : ١٧٦، وظ: الاقتصاد الإسلامي، محمد علي التسخيري: ١٩١ ، وظ: الفكر الاقتصادي عند الأمامين الصدر والنورسي، علاء الخطيب : ١٧٩ .
- (٩٤) اقتصادنا، : ٣٠٩-٣١٠ .
- (٩٥) اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣١١، وظ. حول منهج الشهيد الصدر (قدس سره) في معرفة المذهب الاقتصادي ودفع الإشكال عليه، محمد علي التسخيري، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد السابع عشر، سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، : ١٧٦ .
- (٩٦) الاقتصاد الإسلامي، رفعت السيد العوضي : ٨٠٧ .
- (٩٧) ظ: الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، رضا : احب أبو أحمد : ٢٩ .
- (٩٨) اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣١٢ .
- (٩٩) ظ: الاقتصاد الإسلامي، محمد علي التسخيري: ١٩٢ .
- (١٠٠) اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣١٢، وظ: الاقتصاد الإسلامي، محمد علي التسخيري: ١٩٢ .
- (١٠١) اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣١٢-٣١٣ .
- (١٠٢) اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣١٣ .
- (١٠٣) المصدر نفسه : ٣١٦ .
- (١٠٤) ظ. اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣٤٧-٣٤٨. وظ: دراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي، عبد الأمير زاهد : ٢٥. وظ: الفكر الاقتصادي عند الامامين الصدر والنورسي ، علاء الخطيب ، : ١٨٢ .
- (١٠٥) الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، رضا صاحب أبو أحمد : ٢٦ .
- (١٠٦) اقتصادنا، محمد باقر الصدر : ٣٤٨ .
- (١٠٧) المصدر نفسه : ٣٤٨ .
- (١٠٨) اسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ، أبو الأعلى المودودي: ١٦٨ .
- (١٠٩) دراسات في الفكر الاقتصادي لاسلامي، د. عبد الامير زاهد ، ٢٢٦ .

- (١١٠) ظ: نظرية الإسلام الاقتصادية، عبد الحميد أحمد أبو سليمان: ٦١ .
- (١١١) ظ: نظرية الإسلام الاقتصادية، عبد الحميد أبو سليمان: ٣٧١ - ٣٧٢.
- (١١٢) التوبة، ٣٤.
- (١١٣) ظ: اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٧٢.
- (١١٤) ظ: المصدر نفسه: ٣٧٣.
- (١١٥) اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٥١.
- (١١٦) ظ: نظرية الإسلام الاقتصادية، عبد الحميد أحمد أبو سليمان: ٦١.
- (١١٧) دراسات في الفكر الإسلامي، عبد الامير زاهد: ٦٣.
- (١١٨) ظ: اشتراكية الإسلام، مصطفى السباعي: ٢٠.
- (١١٩) الاقتصاد الإسلامي، محمد حسين البهشتي: ١٠٠.
- (١٢٠) ظ: اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٥٥.
- (١٢١) اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٥٥.
- (١٢٢) ظ: المصدر نفسه: ٣٥٦، وظ: الاقتصاد الإسلامي، محمد علي التسخير: ٢٠٨ - ٢٠٩.
- (١٢٣) اقتصادنا، محمد باقر الصدر: ٣٥٧.
- (١٢٤) الإسلام والاقتصاد، أحمد الشرياصي: ٢٠١.
- المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. أسس الاقتصاد الاسلامي والنظم المعاصرة، المودودي، أبو الأعلى، ترجمة محمد عاصم الحداد .
٢. الاسلام والاقتصاد، الشرباصي، أحمد، مطبعة الدار القومية- مصر ١٩٦٥م.
٣. الإسلام يقود الحياة، الصدر، محمد باقر، دار الكتاب الإسلامي ، ٢٠٠٥م، ط١، مطبعة ستارة.
٤. اشتراكية الاسلام، السباعي، مصطفى، دار المطبوعات العربية- دمشق ١٩٦٠م ، ط٢.
٥. الاقتصاد الاسلامي ، بهشتي، محمد حسين، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٨م.

٦. الاقتصاد الاسلامي، التسخيري، محمد علي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، مطبعة متيكيان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ايران، طهران، ط.
٧. الاقتصاد الاسلامي، السيد العوضي، رفعت، نشر المحاكم الشرعية في قطر، ط ١، ١٤١٠هـ
٨. اقتصادنا، الصدر، محمد باقر، نشر دار التعارف للمطبوعات ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، بيروت، ط ١٣.
٩. بحوث في علم الاصول، السيد الهاشمي، محمود، الناشر: مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، مطبعة فروردين، قم ايران سنة الطبع ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ط ٣.
١٠. بحوث في علم الأصول، تمهيد مباحث الدليل اللفظي، عبد الساتر، حسن، الناشر: محبين قم ١٤٢٣هـ، مكتبة الصدر لطباعة ونشر الكتب العربية والإسلامية، قم، مطبعة ستارة ط ١.
١١. تجديد الفقه الإسلامي، محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم، الملاط، شبلي، دار الهادي للنشر، بيروت، ترجمة غسان غصن ١٩٩٨م، ط ١.
١٢. الخطوط الأساسية للاقتصاد الإسلامي، الشيرازي، ناصر مكارم، دار الصفوة، بيروت لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ترجمة لجنة الهدى، ط ١.
١٣. الخطوط الكبرى في الاقتصاد الاسلامي، أبو أحمد، رضا صاحب، دار مجيد لاوي للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط ١، ٢٠٠٦م.
١٤. دراسات في علم الاصول، تقارير الخوئي،
١٥. دراسات في الفقه الاقتصادي الاسلامي، زاهد، عبد الامير،

١٦. دراسات في ولاية الفقيه، المنتظري، حسين، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ايران، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٨ هـ، ط ١.
١٧. شهيد الأمة وشاهدها، النعماني، محمد رضا، نشر وتحقيق المؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر (قده) ١٤٢٤ هـ، مطبعة شريعت قم، ط ٢.
١٨. الفكر الاقتصادي عند الامامين الصدر والنورسي، الخطيب، علاء، الناشر: بيان الحق، قم، المطبعة: سليمان زادة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ط ١.
١٩. مباحث الاصول، الحائري، كاظم، مطبعة شريعة قم، ط ٢، ١٤٢٦ هـ.
٢٠. محمد باقر الصدر تكامل المشروع الفكري والحضاري، عبد الحميد صائب، توزيع مكتبة الصدر، ايران، قم، ودار الكتاب العربي، بغداد، شارع المتنبي، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م، ط ١.
٢١. محمد باقر الصدر حياة حافلة وفكر خلاق، الحسيني، محمد، دار المجة الفيضاء للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ط ١.
٢٢. محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، العاملي، أحمد عبد الله أبو زيد، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ط ١.
٢٣. المدخل الى القانون الدولي الاسلامي، زاهد، عبد الامير كاظم، مطبعة الميناء، بغداد، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ط ١.
٢٤. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ميرزا حسين، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ١٤٠٨ هـ، ط ١.
٢٥. معالم الفكر الاقتصادي، سلمان، عبد الرسول، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٦ م، ط ١.

٢٦. المعتبر، المحقق الحلي، نجم الدين، تحقيق لجنة باشراف ناصر مكارم شيرازي
الناشر: مؤسسة سيد الشهداء ١٣٦٤ هـ، مطبعة مدرسة الامام أمير المؤمنين.
٢٧. معجم لغة الفقهاء، قلعجي، محمد .
٢٨. مقدمة في الاقتصاد الاسلامي، عودة، رياض صالح، دار الهادي للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ط ١.
٢٩. منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، الرفاعي، عبد الجبار، دار
الفكر بدمشق ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ط ١.
٣٠. منية الطالب، الخونساري، موسى بن محمد، نشر وتحقيق مؤسسة النشر
الاسلامي، قم، ١٤١٨ هـ، ط ١.
٣١. نظام الحكم والادارة في الاسلام، شمس الدين، محمد مهدي، دار الثقافة
لطباعة والنشر، ايران، قم، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
٣٢. نظرية الاسلام الاقتصادية، أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، دار مصر للطباعة،
١٩٦٠.
٣٣. نظرية السلطة في الفقه الشيعي، السيف، توفيق، المركز الثقافي العربي، الدار
البيضاء، ط ١.
٣٤. وسائل الشيعة، العاملي، محمد بن الحسن، تحقيق: المحقق الشيخ عبد الكريم
الرباني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة الطبع ١٤٠٣ هـ -
١٩٨٣ م، ط ٥.
- المجلات:

١. مجلة المنهاج ، دار الغدير للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ١٥ لسنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢. مجلة المنهاج ، دار الغدير للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، العدد ١٧ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣. مجلة المنهاج ، دار الغدير للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ٢٠ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤. مجلة فقه أهل البيت ، مؤسسة دائرة المعارف للفقهاء الإسلاميين ، قم إيران ، العدد ٢٠ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٥. مجلة قضايا اسلامية ، مطبعة ستارة ، قم ايران ، العدد ٣ لسنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٦. مجلة رسالة الاسلام - كلية أصول الدين - بغداد.

الخطاب الديني ومفهوم التعايش السلمي دراسة اجتماعية في ضوء

الواقع الحالي

أ.م.د. طالب عبد الرضا كيطان

جامعة القادسية / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

المقدمة :

لقد اختير هذا البحث لشعور الباحث المتواضع لأهميته الكبرى في مدى نجاح العلاقة بين الناس ، ولكن هذا النجاح مرهون بمرتكزات عقلانية عرفية ودلالات عقلية فإذا جمعنا بين هذه لخرجنا بقواعد يمكن أن تكون هي المقياس في تعاطينا فيما بيننا ، أما الضابط الذي نرجع اليه عند تباين الآراء واختلافها فهو منظومة البرهان العقلي والدليل فهو الحكم في اختلافاتنا إن وجدت .

الجدير بالذكر إن كل الأديان سواء السماوية منها أو الكتابية تدعو الى التسامح والحوار مع الآخر فما بالنا بديننا الحنيف ومنهجه الذي يدعو الى التعايش السلمي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونحن بشر نتبع الهوى والملاذات ونخطأ ، ولكن كلنا بحاجة الى المذكر لنا من وقت الى آخر ، ومن منا يستطيع أن يأمن غوائل النفس وشرها ، ومن منا لا يقع أسير الانتقام والحقد ولو في لحظة الغضب .

إن الله تبارك وتعالى خلق الانسان في أجمل صورة وأحسن تقويم وأودع فيه كل آيات الجمال والكمال وأعطاه من اللياقات الجسمية والروحية ما يؤهله كي يكون الأفضل بين الكائنات وأكرمه بحب الاجتماع ، وأمره أن يتعايش ويتسامح ، ولكن مفهوم التعايش والتسامح لا يمكن أن يتحققا ما لم تكن هناك منظومة قدسية اخلاقية تنظم هذه العلاقة حتى تسير وتحقق حب الاجتماع .

وفي هذا البحث الميداني سوف يسعى الباحث الى وضع استبيان يوزع بطريقة عشوائية على السائرين باتجاه مدينة كربلاء تدور محاوره حول دور رجل الدين وتحديدًا من يعتلي المنبر الحسيني الذي يهتم بالجانب العبري للقضية الحسينية وكيف توظف في بناء الجماعة الصالحة، وهل للجانب الاجتماعي والاسري وجانب العلاقات الخرى دور في محاضرات خطباء المنابر الحسينية، مع العلم نحن بحاجة ماسة الى ذلك، كوننا نتعرض الى هجمة ثقافية خطيرة فيها من التشويق وسحر العقل ما يدفع الشباب الى نسيان ذواتهم والابتعاد عن قيمهم واخلاقهم وربما نسيان دينهم في الوقت الذي يخيل الينا في إن العالم يتجه الى التقارب تبرز بوضوح العديد من التناقضات والاختلافات القومية والاثنية والدينية والعنصرية ليس على المستوى العالمي فحسب، بل على مستوى العلاقات بين الجماعات في الثقافات المختلفة في البلد الواحد، وعلى هذا المستوى لن يستطيع المجتمع تحقيق التعايش مالم يضع في اجندته قيودا على تجاهل قيم التسامح على المستوى الوطني.

الفصل الأول : التحليل النظري للبحث

المبحث الأول : عناصر البحث الأساسية

أولا : إشكالية البحث

يهتم البحث بالدور التربوي والثقافي الذي يلعبه الخطيب الحسيني وما هي الرسالة التي يريد أن يرسلها أو يوصلها الى الجمهور من خلال محاضراته التي يقدمها ؟ وما هي الركيزة الأساسية التي ينطلق منها واليها ؟ هل هي من أجل سكب العبرات والبكاء والنعاء والطم وحسب ؟ أو من أجل تصحيح بعض المسارات أو التصرفات التي يسلكها بعض الأفراد دون قصد، بمعنى أن يكون واجب خطيب المنبر الحسيني أن يقدم مجلسا تدور مفرداته على الجانب الاجتماعي والنفسي والاسري والتربوي .. ومن ثم يكمل حلقاته تباعا .. وفي الحقيقة هذا التوجه هو ما تريده وتؤكد عليه

المرجعية العليا وتحت عليه خطباء المنابر الحسينية وتدعوهم بأن تكون محاضراتهم ارشادية أكثر مما تكون لعن ليزيد وشمرومظلومية الامام الحسين عليه السلام وانصاره ، لماذا : لأن ثقافة العصر تتطلب منا بناء انسان تعرض لأزمات عنيفة وظروف فرضت عليه أنتجت شخصية لا تزال تعاني من الاضطراب والتمرد والعنف وعدم احترام القانون ، والباحث لا يجزم التعميم إنما يعتقد هناك مشكلة يمكن تصحيحها ويعتقد أن أيام عاشوراء أفضل مناسبة يجتمع فيها الكبار والشباب والصغار وطبيعة الاجواء تكون أكثر استعدادا وجدانيا ونفسيا مهية للاستماع والتطبيق ، والمفرح أيضا إن الناس هم من يطالبون بطرح مثل هكذا موضوعات تهتم بالأسرة والفرد وبطبيعة التوجيه من أجل اسرة سليمة .

ثانيا : أهمية البحث

تكمن أهمية البحث من عنوانه الذي يؤكد على دور المؤسسة الدينية واعلامها في تحقيق ثقافة التسامح والتعايش ونبتد التكاره والعصبية القبلية والبحث عن الثارات والشعارات التي تفقد الانسان جزء من حريته وافكاره وبناءه الشخصي وغرائزه لينظم على شكل مجاميع بشرية تحتكم الى السانية العشائرية أو تقليد الأجداد في أوقات كانوا مكرهين أن يجتمعوا بالعشيرة لتوفر لهم ملاذا آمنا من الحيوانات الضارية وقطاعين الطرق ، وبالتالي يكون مبدأ الحوار عندهم هو البقاء للأقوى ، وهذا لا يسمح للفرد أو الأفراد الخروج من هذه الجماعة كون حياتهم مرهونة بالبقاء مع العشيرة ليشعروا بالأمان النفسي .

لذلك نعتقد إن دوام ثقافة القبلية واعطائها دور أكبر من دور القانون والرجوع اليها في حل النزاعات يفقد القانون هيئته واستقلالته ، وعليه إن اول من يبادر بهذه المسؤولية هي المؤسسة الدينية من خلال قنواتها العديدة فيما بينهم خطباء المنابر

الحسينية وهم قطعاً لديهم من الثقافة والمعرفة ما يؤهلهم للعب هذا الدور من خلال تقديم المحاضرات الارشادية التي تتماشى مع الواقع المعاصر.

ثالثاً : أهداف البحث :

أولاً : رغم الانجازات الكبيرة المقدمة من المرجعية العليا في العراق خصوصاً بعد عام ٢٠٠٣ ، نأمل التأكيد على بناء الانسان نفسياً واجتماعياً وأخلاقياً من خلال قنواتها الإعلامية وخطبائها وتوجيهاتها اليومية وخطب الجمعة المباركة .

ثانياً : أهمية خطيب المنبر الحسيني ودوره الفاعل في بناء واصلاح الواقع التربوي والاسري للمجتمع والتأكيد على الارشاد الاجتماعي والاخلاقي أكثر من غيره .

ثالثاً : تعزيز هوية الانتماء للوطن وجعلها غاية ووسيلة لا تعلق عليها انتماءات اخرى مذهبية أو طائفية أو قومية .

رابعاً : تساؤلات البحث

اشار الباحث الى بعضاً من تساؤلات بحثه في اشكالية البحث وعلاوة على ذلك يبحث في التساؤلات الآتية :

- ما موقف المرجعية العليا في العراق من مبادئ التعايش مع الآخر، والدعوة الى التسامح بدل من التكراه والعصبية ؟

- هل الخطاب الديني يشجع ويحث خطباء المنبر الحسيني على تقديم النصيح والارشاد في خطبهم أو محاضراتهم التي يلقونها في مناسبات أيام عاشوراء وشهر رمضان وبقية الايام الاخرى من السنة ؟

- هل التعايش مع الآخر حاجة ؟

- هل نعاني من الغزو الثقافي وما تأثيره على الشباب ؟

- هل للخطاب الديني تأثير على الحياة العامة للمرأة العراقية ؟

- ما هو دور الخطاب الديني الموجه للشباب في تعديل بعض المسارات الخاطئة؟

المبحث الثاني : تعريف موجز لمفاهيم البحث

أولاً : الخطاب الديني : هو خطاب يستند الى مصادر التشريع الاسلامي وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومصادر التشريع الاسلامية الاخرى المستندة سواء كان هذا الخطاب صادر من جهة اسلامية ، أو مؤسسة ، أو افراد ، ويتميز الخطاب الديني بالتجديد ضمن اطار عقيدة الاسلام ، ويرتبط مضمونه بما يحتاجه المسلمين ويكون المقصد منه هو حل ومعالجة التحديات التي تواجه الأمة الاسلامية في الوقت الحاضر (mawdoo 3.com) .

ومن سمات الخطاب الديني :

- وسطي : بمعنى أن يراعي التوازن بين العقل والوحي وبين الحقوق والواجبات ، وبين الروح والمادة مراعيًا جميع جوانب الحياة بدون تشدد ولا علو .

- عام لجميع البشر وشامل لجميع جوانب الحياة

- ايجابي في كل مناحي الحياة وينفع جميع الناس

- منوع ومتجدد : تختلف الناس باختلاف مذاهبهم ، لذا لا بد أن يكون الخطاب مناسباً للجميع من مفكرين ومثقفين ورياضيين وعلمانيين ومتدينين ومتعلمين وأغنياء وفقراء .

- سهل على الناس وذلك اقتداءً بحديث الرسول صلى الله عليه وآله (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)

ثانياً : التعايش السلمي : إن غريزة التعايش تراها حيّة حتى في نفوس الحيوانات التي تنقسم الى انواع وفصائل تتعايش فيما بينها ، كما قال الأمام علي عليه السلام (كل طير يأوي الى شكله) (شيخ ياسين ، ٢٠٠٨ ، ١٠) إذن التعايش مع الآخر

حاجة لكمال الانسان ببعده الكمالي الانساني فقط دون غيرها من الغرائز الاخرى حتى لا يسقط الانسان عن مقام انسانيته ويصبح في الحدود الحيوانية وان كان في صورة الانسان ، ويصور الله تبارك وتعالى الاسرة البشرية بقوله تعالى " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا "

ولكي اتعايش مع الآخر علي أن اتفهمه ، قال الأمام علي عليه السلام " الناس أعداء ما جهلوا) (نهج البلاغة ، ٧٠٢) والمراد من فهم الآخر هو الأخذ بعين الاعتبار مشاعره ومزاياه الغالبة في شخصيته فنتجنب كل ما ينفره ونتعاطى معه بما يريجه .

التعايش : coexistence : يعني وجود تكافؤ (تقريبي) في امتلاك القوة ، بحيث يتم الاتفاق على أن الغاية من السلام الاجتماعي والتسامح هي الأفضل من كل البدائل الممكنة ، لذلك يفضل التعايش السلمي على الصراع ويتقبلون طرق العيش والمصالح المشتركة للطرف الآخر (Rainer Forts ,toleration) ومفهوم التعايش يتماثل مع مفهوم التسامح باعتباره أفضل وسيلة لإنهاء الصراعات أو تجنبها ، وكذلك يقوم على أسس براجماتيكية ، دون اعتباره قيمة في حد ذاته ، أو يعتمد على قيم قوية ، ويمكن أن يختلف عن مفهوم التسامح في التداخل بين الموضوعات والاهداف ، ففي حالة التسامح لا تكون القوة متكافئة بين السلطة والأغلبية في علاقتها بالأقلية ، ويمثل تفضيل الدولة للتسامح المتبادل اعترافا براجماتيا في المقام الأول ، ومن ثم فإن علاقة الأفراد والجماعات بالتسامح لم تعد رأسية بل أفقية (أشرف عبد الوهاب ، ٢٠٠٥ ، ٨١) .

السلام الاجتماعي : يعبر السلام الاجتماعي عن عملية اجتماعية لها العديد من المستويات وهو لا يعني فقط غياب الحرب ، كما انه ليس ظاهرة سياسية ، السلام الاجتماعي يشمل السلام على مستوى العائلة ، والمجتمع ، والقبيلة ، العشيرة

ويتعدى ذلك الى المستوى الاقليمي والدولي أيضا ، كما يتضمن السلام مع النفس أو ما يسمى بالسلام الداخلي ، وهو يعني استبعاد كل مظاهر القهر والخوف والعنف في المجتمع (أشرف عبد الوهاب ، ٢٠٠٥ ، ٨٢)

المبحث الثالث : الخطاب الديني وفهم الآخر

البعض يتهم الاسلام بأنه دين يدعو الى العنف والإرهاب ولا يدعو الى التعايش والتسامح والمساواة والمحبة والعدل والإخاء الانساني بين الاناس ، ولكن المعطيات التاريخية تدل بأن الاسلام قوة كامنة تغذي الروح الانسانية بكرام الخصال والنقاء الروحي الانساني .

وأما ما لصق بالإسلام من عنف وإرهاب خاصة بعد تفجير برجى التجارة العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية وما بعدها ، وهؤلاء هم جماعة من المجرمين الموصومين الشاذين ليس لهم صلة بالدين الاسلامي وربما يكون لديهم أن ثبات الدين وديمومته يحيا بالقتل والارهاب ، وبعضهم من صناعة الغرب الذي تدريبوا فيه وتربوا في احضانه وتغذوا من افكاره وأصبحوا أداة أو سلاح يهددون به الدول لأضعافها ومن ثم يدخلون اليها بحجة الحماية والدفاع عنهم من الارهاب وهم بذلك أي الغرب وأمريكا يضربون عصفورين بحجر واحد من جانب يدفعون بالشر الى خارج بلدان وشعوبهم بعد أن يسمحوا لمن يرغب بالذهاب والدفاع عن الدين ، ومن جانب آخر إن هذه البلدان التي ابتليت بالرهاب ومحاربته أصبحت سوق رائجة لاستيراد الاسلحة والمعدات الحربية مستجيحة لنفسها قنص خيرات الشعوب بعد أن اباحت قنص السود والقضاء على الجنس الأحمر ، ويكفي أن سياسة التمييز العنصري في الأجناس والألوان لا تزال معتبرة مع سياسات اجتماعية ودولية حتى اليوم (محمد علي ضناوي ، ١٩٧٩ ،

وطول تاريخ الأمة الإسلامية فإن خطابها لا يدعو الى الارهاب والعنف ولا يختلف مع الآخر على أساس الدين ، أو اللون ، أو الجنس فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان يدعو للتعامل مع الآخر على أساس أحد الأمرين : أما أخ لك في الدين أو شريك لك في الخلق ، واعتبرت هذه المبادئ واحدة من الوثائق المهمة من مبادئ العهد الدولي الخاص بحقوق الانسان .

وفيما يتعلق بالجهاد ضد الكفار والذي يعتبره البعض دعوة الى العنف والارهاب والتحكم في الحريات ، هو ليس بهذا المعنى ، الجهاد يقره الاسلام ويأمر به في مواجهة الكفار والمشركين ولكن الأمر ليس اجتماعيا فقد جاء في القرآن الكريم (لا ينهاكم الله عن الذين يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين) (الممتحنة ، ١٠) . وهنا يحدد القرآن الكريم سببين للقتال أو الجهاد (حسين نصر ، ٢٠٠٦ ، ١٠٩) : أولا : محاولة الإكراه على ترك الاسلام واعتناق دين آخر ، وثانيا : الاخراج من الديار أو الاستيلاء عليها ، ثم إنه لا يقر الإرغام على اعتناق الاسلام (لا اكراه في الدين) (البقرة ، ٢٥٦) ويطالب بالدعوة بالحسنى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل ، ١٢٥) . هكذا ينظر الاسلام وفق تعاليم الدين الى الآخر ، ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (المؤمن لا يصبح ويمسي إلا ونفسه ظنون عدة) أي إنه لا يحسن الظن بنفسه أبدا ، إذ يحتمل أن يصدر عنها عمل سيء في كل لحظة ، وإذا صار المرء حقا الى هذه المرحلة ، مرحلة اساءة الظن بنفسه الأمانة واحتمال ارتكابها إثما أو عملا قبيحا فإنه سوف يراقب نفسه ويمنعها من القيام بما لا يليق ، والويل لمن لا ينزع عن عينه أبدا منظار حسن الظن بنفسه والإعجاب بها .

وإذا وقع الانسان تحت مؤثرات سقيمة بحيث يخطئ في قضائه ويجانب العدالة ويفقد حرية عقله إذا سيطر القلب وأهوائه فلا يرى الانسان نفسه طاهرا ظاهريا فحسب ، بل إنه يعتقد في قرارة نفسه إنه فعلا نقي ولا عيب فيه مطلقا ولا يمكن غير ذلك (مرتضى مطهري، ٢٠٠٧، ١٦٤). كذلك يذكر الشهيد مرتضى مطهري هناك طبقتان من الناس تسعيان الى اظهار إن الدين والعلم مختلفان : الأولى : هي الطبقة المتظاهرة بالدين ، ولكنها تتميز بالجهل ، تعيش على الجهل المتفشي في الناس وتستفيد منه ، إن هذه الطبقة حتى تبقي الناس في الجهالة وتسدل بإسم الدين ستارا على مثالبها هي ، وتحارب بإسم الدين العلماء لتخرجهم من ميدان المنافسة ، كانت تخيف الناس من العلم بحجة إنه يتنافى مع الدين . وأما الثانية : هي الطبقة المثقفة المتعلمة ، ولكنها ضربت بالمبادئ الانسانية والأخلاقية عرض الحائط ، وهذه الطبقة لكي تبرر لا مبالاتها وأعمالها النكرة تتذرع بالعلم وتدعي إنه لا يأتلف مع الدين (مرتضى مطهري، ٢٠٠٧، ٩٩) .

وهناك طبقة ثالثة وهم الصفوة التي لها حظ أو رمز في كل من العلم والدين ولم يخالفها أحساس قط بأي تناقض أو تناف بينهما ، وهي من يعول عليها في تصحيح مسار الأمة الى وقت الظهور الشريف .

هل الآخر حاجة

الآخر أي شخص تربطك به حاجة سواء من بعيد أو قريب بغض النظر عن دينه ، أو جنسه ، ثقافته كون الوحدة النفسية لبني البشر بحاجة الى الاجتماع مع الآخر ، ويذكر عز من قائل في كتابه الكريم " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... " (الحجرات ، ١٣) إن الحاجة الى التعايش موجودة اينما وجدت علاقة بين طرفين ، ومفهوم التعايش وحاجة الآخر قديم قدم الانسان ، وقصة قابيل وهابيل معروفة

لجميع ، حيث يبدأ التعايش أولا من النفس من خلال نظرة الانسان الى ذاته وتقييمها ومن ثم مدى نجاحه في اقرار حالة التعايش الداخلي وتقييم النظرة الى الذات تنعكس لتقييم الآخر بأنه سلبى أو إيجابى بصورة مطلقة . ويذكر العلامة الفرنسي كوستاف لوبون بقوله " رأينا في آيات القرآن إن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية " (موقع انترنت ، heydarya) . ويضيف روبرتسن في كتابه (تاريخ شارلكن) إن المسلمين وحدهم جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو اتباع الأديان الاخرى كما في كتاب (حضارة العرب) لجوستاف لوبون صفحة ١٢٨ ، وعن مفهوم التعايش وحاجة الانسان يقول الامام علي بن ابي طالب عليه السلام باني أسس التعايش ، يقول لمالك الاشتر " واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم وللطيف بهم ، ولا تكون من عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم فإنهم صنفان : اما أخ لك في الدين ، او نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي يعطيك الله من عفوه وصفحه (عبد الرضا ، ٢٠٠٥ ، ١٠٠) ، ويذكر إن رجلا صرخ في وجه الامام علي بن أبي طالب وهو يخطب بالناس في مسجد الكوفة فقام الرجل وقال (يا علي أنا لا أؤمن بك ولا أصلي خلفك) فقال له أمير المؤمنين " لك هذا شريطة أن لا تؤدي المسلمين " (عبد الرضا ، ٢٠٠٥ ، ١٦٨) . إن منظمة اليونسكو قد نبهت لأهمية التعايش ومنذ عشرات السنين اعتبرت شعار (تعلم للعيش مع الآخرين) أحد الأعمدة الأربعة المطلوبة الى اي نظام تربوي الى جانب الأعمدة الثلاثة الاخرى (تعلم لتعرف) (تعلم لتعمل) (تعلم لتكون)

الفصل الثاني : التحليل الميداني للبحث

المبحث الرابع : منهجية البحث الميداني

أولاً : منهج البحث : استخدم منهج البحث الاجتماعي Social Survey Method وهو المنهج الأنسب لنوعية هذا البحث ، حيث يستخدم للوصول الى بيانات يعتمد عليها عملياً من مجتمع كبير نسبياً (عبد الرحيم ، ١٩٩٩ ، ٦٣) فهو يستخدم لغرض الوصف والتفسير والاستكشاف خاصة في الدراسات التي تكون وحدة التحليل فيها الفرد (Ruben , 34) ويعود تاريخ منهج المسح الاجتماعي الى القرن الثامن عشر عندما قام الانكليزي جون هيوارد بدراسة للسجون التي جمع فيها بيانات عن السجون والأمراض المنتشرة فيها وأنواعها وأسبابها .

ثانياً : مجتمع البحث : وهي الوحدة المكونة للبحث ، وشمل مجتمع البحث في هذه الدراسة عينة عشوائية من مجموعة من الأفراد المتجهين لزيارة الامام الحسين مشياً على الأقدام وتم توزيع استمارة الاستبانة عليهم وقت الاستراحة (٠) .

ثالثاً : مجالات البحث : عادة تنقسم مجالات البحث الى ثلاث مجالات :

- المجال المكاني : هو مدينة الديوانية ، طريق المشاية المتجهين نحو مدينة كربلاء .
- المجال الزمني : استغرقت توزيع استمارة الاستبانة وجمعها من العينة اسبوعاً واحداً وهي فترة تواجد الباحثين مع العاملين في مركز الارشاد الاسري في الديوانية وقد وزعت هذه الاستمارة حسب اعداد الزائرين للموكب .

- عينة البحث (المجال البشري) : كانت العينة المختارة للدراسة (٢٣٠) فرداً وزعت استمارة الاستبيان بطريقة عشوائية على السائرين مشياً الى مدينة كربلاء في اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) لمختلف الاعمار ومناطق السكن والمستوى الثقافي والاقتصادي ، وبعد الفرز كانت عينة الذكور (١٣٠) فرداً بينما شملت عينة النساء (١٠٠) امرأة .

المبحث الخامس : تحليل البيانات الأولية

جدول (١)

يبين عمر عينة البحث

ت	الفئات	التكرار	النسبة
١	١٩_١٥	٢٨	١٢,١
٢	٢٦_٢٠	٥٢	٢٢,٧
٣	٢٩_٢٥	٤٨	٢٠,٩
٤	٣٤_٣٠	٣٢	١٣,٩
٥	٣٩_٣٥	٢٩	١٢,٧
٦	٤٤_٤٠	١٨	٧,٩
٧	٤٩_٤٥	٢٣	١٠
المجموع		٢٣٠	١٠٠

يعتبر العمر واحد من المحطات التي تخضع المعرفة من خلال تجارب الحياة الروحية والمادية، ومن خلال توزيع استمارة الاستبيان على الحاضرين وقت استراحتهم، وفق الجدول أعلاه سجلت أعلى نسبة من الأعمار للفئة العمرية ما بين (٢٠-٢٤) سنة بنسبة (٢٢,٧٪)، والفئة العمرية (٢٥-٢٩) بنسبة (٢٠,٩٪)، والنسبة الثالثة كانت للأعمار ما بين (٣٠-٣٤) سنة بنسبة (١٣,٩٪) وأقل نسبة للأعمار كانت ما بين (٤٠-٤٤) سنة وبنسبة (٧,٩٪) وهذا يدل إن أغلب الأعمار من المشاية المتجهين الى صوب مدينة كربلاء هم من فئات الشباب التي تحدت أعمارهم ما (٢٠-٣٤) سنة.

جدول (٢)

يبين جنس عينة البحث

ت	الفئات	التكرار	النسبة
١	ذكور	١٣٠	٥٦,٦
٢	اناث	١٠٠	٤٣,٤
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

وزعت استمارة الاستبيان وفق نظرة الباحث للموجودين من الزائرين حسب النسبة التي حددها وقت توزيع الاستنارة ، وكانت نسبة الرجال (٥٦,٦ %) بواقع (١٣٠) فرد ، بينما كانت نسبة النساء (٤٣,٤ %) بواقع (١٠٠) امرأة .

جدول (٣)

يبين المستوى التعليمي لأفراد العينة

ت	المستوى التعليمي	التكرار	النسبة
١	ليس لديه تعليم	-	-
٢	حاصل على شهادة الابتدائية	١٨	٧,٩
٣	حاصل على شهادة المتوسطة	٨٢	٣٥,٧
٤	حاصل على شهادة الاعدادية	٥٤	٢٣,٤
٥	حاصل على شهادة المعهد	١٨	٧,٩
٦	حاصل على شهادة جامعية	٥٥	٢٣,٩
٧	حاصل على شهادة عليا	٣	١,٣
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

العلم والمعرفة من المحطات الرئيسية والمهمة التي يتوقف عندها الأفراد ، ومن خلال النتائج التي حصل عليها الباحث بعد توزيع بياناته على حشود الزائرين المتوجهين الى صوب مدينة كربلاء ، ظهرت النتائج إن أغلب أفراد العينة هم من حملة شهادة المتوسطة وكانت نسبتهم (٣٥,٧ ٪) ، واما من هم من حملة شهادة الإعدادية والجامعة فكانت نسبتهم على التوالي (٢٣,٤ ٪ و ٢٣,٩ ٪) ، اقل نسبة هم من حملة الشهادة العليا (١,٣ ٪) كما مبين في الجدول (٣) .

جدول (٤)

يبين مكان سكن عينة البحث

ت	مكان السكن	التكرار	النسبة
١	الديوانية	٨	٣,٤
٢	البصرة	٦٦	٢٨,٧
٣	ذي قار	٥٤	٢٣,٤
٤	العمارة	٤٢	١٨,٢
٥	المثنى	٣٨	١٦,٥
٦	الحمزة الشرقي	٢٢	٩,٥
		٢٣٠	١٠٠

سجلت بيانات السكن بالنسبة لعينة البحث من واقع تواجد الزائرين ولثلاثة أيام متتالية ولكلا الجنسين وفق الجدول (٤) حيث سجلت أعلى نسبة للزائرين من سكنة محافظة البصرة (٢٨,٧ ٪) وتلتها محافظة ذي قار (٢٣,٤ ٪) ، والعمارة (١٨,٢ ٪) ومن ثم محافظة المثنى (١٦,٥ ٪) والحمزة الشرقي (٩,٥ ٪) ، واخيرا محافظة الديوانية (٣,٤ ٪) .

جدول (٥)

يبين الحالة الاجتماعية لعينة البحث

ت	الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة
١	متزوج - متزوجة	٩٤	٤٠,٩
٢	أعزب - عزباء	١٢٨	٥٥,٧
٣	خاطب - مخطوبة	٤	١,٧
٤	أرمل - أرملة	-	-
٥	مطلق - مطلقة	٤	١,٧
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

من خلال بيانات الجدول (٥) يتضح إن فئة العزاب يسجلون أعلى نسبة حيث سجلت نسبتهم (٥٥,٧%) وجاءت نسبة المتزوجين بالمرتبة الثانية (٤٠,٩%) ، وكانت نسبة الخاطبين والمطلقين (١,٧%) لكل فئة ولا يوجد من الارامل وقت توزيع الاستمارة .

جدول (٦)

يبين المهن التي يشغلها عينة البحث

ت	مهنة عينة البحث	التكرار	النسبة
١	موظف	٢٧	١١,٨
٢	متقاعد	٨	٣,٤
٣	كاسب	٨٧	٣٧,٨
٤	عاطل	٣٦	١٥,٧
٥	طالب مستمر على الدراسة	٧٢	٣١,٣
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

تسجل بيانات المهنة في هذا البحث أعلى نسبة لها من عينة الكسبة من الذين يعملون اعمال حرة أو بأجر يومي وسجلت نسبتهم (٣٧,٨ ٪) ، وتأتي نسبة الطلبة المستمرين على الدراسة لتسجل ثاني نسبة في عينة البحث (٣١,٣ ٪) ، والعاطلين عن العمل سجلت ثالث النسب (١٥,٧ ٪) علاوة على المهن الاخرى وهذا يشير الى أن اغلب السائرين هم من الشباب ، كذلك هؤلاء لديهم الفراغ الكافي ليقضوه في المسير (٠) كونهم غير مرتبطين بأعمال تحتم عليهم الالتزام بالوقت ، وفي الحقيقة هذا لا يعني نقدا للشعيرة ولكن واقع الحال يعبر عن ذلك ويمكن وصف ذلك بالسلوك الجمعي الذي يندفع اليه الشاب وتحديدًا في هذه الأيام ، تراه يدفع الأموال ليشارك في تقديم شيء للزوار ويخدم طول النهار والليل دون كلل أو ملل ، وفي نفس الوقت هؤلاء الشباب عندما يتجهون الى كربلاء سيرا تجدهم قبل يوم أو يومين يحجزون عند صالونات الحلاقة ويجلسون على شكل طوابير منتظرين دورهم

للحلاقة حتى لو تطلب الوقت الى بعد منتصف الليل وكأنما هل عليهم أحد العيدين.

المبحث السادس : تحليل البيانات العامة

جدول (٧)

يبين مستوى أفراد العينة في اداء الفرائض

ت	مستوى اداء الفرائض	التكرارات					النسبة
		ملتزم	النسبة	منقطع	النسبة	غير ملتزم	
١	الصلاة	٦٨	٢٩,٥	١٠,٢	٤٤,٥	٦٠	٢٦,٠
٢	قراءة القرآن	٣٥	١٥,٢	٤٠	١٧,٣	١٥٥	٦٧,٣
٣	الصوم	١٠٤	٤٥,٢	٦٨	٢٩,٥	٥٨	٢٥,٢

يذكر الباحث إن أغلب عينته كانت عشوائية من فئات شبابية مختلفة الاعمار ، وعادة هؤلاء يكون التزامهم الديني ضعيف بحكم كونهم شباب وغير مدركين لمفهوم الالتزام بالفرائض الدينية ، وقد سجلت نسبة المنقطعين عن الصلاة (٤٤,٣ %) ، اما غير الملتزمين في قراءة القرآن فكانت نسبتهم (٦٧,٣ %) ، اما الملتزمين بالصوم كانت نسبتهم (٤٥,٣ %) ، وفي قراءة تحليلية لهذا النسب نجد إنه في رمضان يكون هناك نسبة التزام بالصوم مقابل نسبة التزام وقراءة قرآن ضعيفة ، وهذا ربما يكون مشابها لأيام عاشوراء ومنذ اليوم الأول لأربعين يوم قادمة يصبح الناس حسينيون في الكرم وتقديم المساعدة ولكن عندما تنتهي أيام عاشوراء يرجع الحال كما هو

عليه ، بمعنى لا يأخذون العبر من النهج الحسيني . علما إن ذلك لا يمكن أن يكون تعميما لكل الناس ، إنما نؤكد على شريحة الشباب لأنهم محور بحثنا الحالي .

جدول (٨)

يبين دور الدين في الحياة الاجتماعية المعاصرة

ت	دور الدين	التكرار	النسبة
١	مؤثر في الحياة	١٦٧	٧٢,٧
٢	غير مؤثر	٤٤	١٩,١
٣	لا أعرف	١٩	٨,٢
المجموع		٢٣٠	١٠٠

أجابت عينة البحث إن للدين دور في الحياة الاجتماعية المعاصرة وسجلت نسبة إجابة بلغت (٧٢,٧٪) مقابل (١٩,١٪) أجابوا بأن الدين غير مؤثر في الحياة الاجتماعية المعاصرة ، اما الذين أجابوا بأنهم لا يعرفون إذا كان الدين مؤثرا أم لا فقد بلغت نسبتهم (٨,٢٪)

جدول (٩)

رأي عينة البحث بخطباء المنبر الحسيني حول دعوتهم الى التعايش السلمي والى التسامح والوئام

ت	الفئات	التكرار	النسبة
١	نعم	١٧٢	٧٤,٨
٢	لا	٣٨	١٦,٥
٣	لا أعرف	٢٠	٨,٧
المجموع		٢٣٠	١٠٠

سجلت اجابات عينة البحث نسبة (٧٤,٨٪) بأن لخطباء المنبر الحسيني دور بالدعوة الى التعايش بين الناس والدعوة الى التسامح والوئام مقابل نسبة (١٦,٥٪) أجابوا بأن ليس لخطباء المنبر الحسيني دور في الدعوة الى التعايش والتسامح والوئام ، وسجلت نسبة (٨,٧٪) بأنهم لا يعرفون تحديد اجابتهم .

جدول (١٠)

يبين مدى الاستماع لخطبة الجمعة

ت	الفئات	التكرار	النسبة
١	نعم	٧٦	٣٣,٠٤
٢	لا	١٥٤	٦٦,٩
المجموع		٢٣٠	١٠٠

يذكر إنه بعد عام ٢٠٠٣ أصبحت خطب الجمعة الصادرة عن المرجعية العليا في النجف الأشرف تشغل دور كبير في تقويم الخارطة السياسية للدولة العراقية ، علاوة على توجيهاتها الدينية والارشادية وينتظرها الجمهور العراقي حتى يستمع

الى قراراتها أملا للخلاص من الواقع المزري الذي يعاني منه المجتمع ، ولكن ، الاجابات التي حصل عليها الباحث من الجمهور أجابت عكس الواقع ، حيث سجلت نسبة (٦٦,٩ ٪) من الإجابات بأنهم لا يستمعون الى خطبة الجمعة ، ونسبة (٣٣,٤ ٪) أجابوا بأنهم يستمعون اليها .

جدول (١١)

تقييم عينة البحث لخطبة الجمعة

ت	تقييم خطبة الجمعة	التكرار	النسبة
١	مؤثرة ومفيدة	٥١	٦٧
٢	غير مؤثرة	٢٢	٢٩
٣	لا اعرف	٣	٤
	المجموع	٧٦	١٠٠

سجلت نسبة اجابة عينة المبحوثين من الذين يستمعون الى خطبة الجمعة (٦٧ ٪) بأن الخطبة مؤثرة ومفيدة ، مقابل (٢٩ ٪) أجابوا بأن الخطبة غير مؤثرة ، نسبة (٤ ٪) لا يعرفون مدى تقييمهم للخطبة .

جدول (١٢)

يبين رأي عينة البحث في دور خطيب المنبر الحسيني فيما يخص مشكلات الاسرة والشباب

ت	التكرار	الفئات	النسبة
١	نعم	٢٦	١١,٣
٢	لا	١٨٨	٨١,٨
٣	أحيانا	١٦	٦,٩
المجموع		٢٣٠	١٠٠

واقع خطباء المنبر الحسيني في مناسبات عاشوراء وشهر رمضان وباقي المناسبات الدينية الاخرى تتجه محاضراتهم الى مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) وهذا ليس خطأ بل طبيعة المرحلة تتطلب من الخطيب أن يناقش من خلال محاضراته الدينية جوانب تخص الاسرة والفرد ، وحقيقة الأمر إن المرجعية العليا وخطب الجمعة تؤكد على ذلك ، وأعدت دورات وبرامج تؤهل الخطيب لمثل هذا التوجه . وسجلت بيانات الجدول (١٢) نسبة (٨١,٨٪) تؤكد أنه ليس لخطيب المنبر الحسيني دور فيما يخص مشكلات الاسرة والشباب (٠)

جدول (١٣)

يبين رأي عينة البحث حول توجه خطيب المنبر الحسيني

ت	رأي العينة حول توجه الخطيب	التكرار	النسبة
١	يتحدث عن مظلومية اهل البيت فقط	٥٣	٢٣,٠
٢	يتحدث عن الوعظ والارشاد الديني	٧٥	٣٢,٧
٣	أن يجمع بين الاثنين	١٠٢	٤٤,٣
المجموع		٢٣٠	١٠٠

أكد البحث الحالي على دور خطيب المنبر الحسيني وفق متطلبات المرحلة الحالية التي يمر بها المجتمع ومن خلال اجابات عينة البحث سجلت نسبة (٤٤,٣ %) من الاجابات إن خطيب المنبر الحسيني عليه أن يجمع في خطبته بين مظلومية الامام الحسين وبين الوعظ والارشاد الديني والاجتماعي ، اما الاجابة الثانية التي سجلت نسبة (٣٢,٧ %) كانت تؤيد الخطب التي تجمع بين الوعظ والارشاد الاجتماعي ، اما من اجابوا بأن الخطيب الحسيني يتحدث عن مظلومية اهل البيت فقط سجلوا نسبة اجابة (٢٣ %) .

جدول (١٤)

يبين اجابة عينة البحث حول استشارة رجل الدين في المشكلات الاسرية والفردية

ت	استشارة رجل الدين	التكرار	النسبة
١	نعم	٢٨	١٢,١
٢	احيانا	١٨	٧,٨
٣	لا	١٨٤	٨٠
المجموع		٢٣٠	١٠٠

من المؤسف أن يذكر الباحث إنه لا يوجد اهتمام بثقافة المراكز الارشادية في العراق في الوقت الذي يتطلب الحاجة الى مثل هذه المراكز لما يعانيه المجتمع من مشاكل عنيفة هزت منظومته الاجتماعية والتعليمية والتربوية والدينية ونعتقد هذا من واجب الدولة ومؤسساتها التربوية والتعليمية والصحية ومؤسسات حقوق الانسان ، علما إن الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة اهتمت بهذا الجانب ولها مبادرات في تأسيس مراكز للإرشاد في بعض محافظات البلاد منها كربلاء ، والديوانية ، وبابل ، والنجف ، والان ساعية لفتح مركز في محافظة المثنى وهذه المراكز في طور التجربة التي في حالة نجاحها تعمم على جميع محافظات البلاد . ومن خلال اجابات عينة البحث سجلت اجابات العينة نسبة (٨٠٪) من الأفراد لا يرجعون في حل مشكلاتهم الى استشارة رجل الدين ، أما من لديهم الاستعداد في الرجوع الى رجل الدين كاستشاري في حل مشكلاتهم كانت نسبتهم (١٢,١٪) وهي نسبة قليلة ربما نعود الى الاسباب اعلاه علاوة على عدم الفهم بأهمية الاستشارة ، وضعف الاعلام والثقافة وقلة الندوات .

جدول (١٥)

يبين اجابة عينة البحث حول كيفية حل المشكلة مع الآخر؟

ت	كيفية حل المشكلة	التكرار	النسبة
١	تلجأ الى القانون	٥٤	٢٤,٤
٢	تلجأ الى شيخ العشيرة	١٢٨	٥٥,٦
٣	تلجأ الى القوة	٨	٣
٤	تلجأ الى الحوار والنقاش	٤٠	١٧
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

تشير الدراسات بأن الوحدة النفسية لبني البشر تتوحد في تحقيق حاجياتها ومتطلبات تحقيق احتياجات البشر يفرض الكثير من المشكلات ، وهذه المشكلات لها كذلك الكثير من السبل في حالة اشتعالها وتطورها أو اخمادها وعدم توسعها ، لذلك تسجل اجابات عينة البحث نسبة (٥٥,٦ ٪) هم من يلجؤون الى عشائريهم في حل مشكلاتهم وهي تسجل أعلى النسب وهذا يدل على القبليّة والعشائريّة لا تزال متجذرة وتتحكم في افرادها وتسيطر على توجهاتهم ، مقابل نسبة (٢٤,٤ ٪) هم من يلجؤون الى القانون في حل مشكلاتهم وهم بذلك يؤيدون سلطة القانون على سلطة القبيلة أو العشيرة ، ومن يلجأ الى ثقافة الحوار التفاهم كانت نسبتهم (٤٠ ٪) ، أما من يلجؤون الى القوة في حل مشكلاتهم فكانت نسبتهم (٣ ٪) .

جدول (١٦)

يبين عينة البحث حول مفهوم التسامح والتنازل هل هو ضعف من الطرف المتسامح ؟

ت	الفئات	التكرار	النسبة
١	نعم	٣٣	١٤,٣
٢	أحيانا	٨٥	٣٧
٣	لا	١١٢	٤٨,٧
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

التسامح ليس منه أو هبه ، التسامح مبدأ حضاري اخلاقي ، وهو أي التسامح صفة من صفات الانبياء والاولياء ، وقد سجلت اجابات عينة البحث إن نسبة (٤٨,٧ ٪) أجابوا بأن التسامح لا يعتبر ضعفا من طرف المتسامح ، ويرى الآخرون أحيانا يفسر التسامح ضعفا من الطرف المتسامح وسجلت هذه الاجابات نسبة (٣٧ ٪) ، أما الذين اجابوا بأن

التسامح من الطرف المسامح يعني ضعفا ومهانة سجلت اجاباتهم (١٤,٣) % وهي أقل النسب .

جدول (١٧)

يبين تأثير مشكلة التواصل الاجتماعي على الشباب

ت	تأثير شبكة التواصل الاجتماعي	التكرار	النسبة
١	مؤثرة سلبا	٩٨	٤٢,٧
٢	مؤثرة ايجابا	١٠٤	٤٥,٢
٣	لا أعلم	٢٨	١٢,١
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

الانترنت سلاح ذو حدين فهو نافذة معرفية تقرب المسافات بين اقصى الشرق وأدناه وتخدم بني البشر في كل مجالات الحياة إذا أصبح التعامل مع محرركاتها بطريقة علمية تسعى للإفادة من هذا التطور الهائل والخطير في نفس الوقت ، حيث تكمن خطورته إذا ذهب افكارنا الى تصفح مواقع تشبع عقولنا بالملذات والشهوات ، وهذا يجرنا الى مهاوي الجريمة والضياع ، وقد اجابت نسبة (٤٥,٢) % بأن الانترنت مؤثر ايجابي، وأجابت نسبة (٤٢,٧) % بأن الانترنت مؤشر سلبي ، في حين الذين لا يعلمون بتأثير الإنترنت كانت نسبة اجاباتهم (١٢,١) % .

يبين تفضيل عينة البحث لمحاضرة خطيب المنبر الحسيني

ت	محاضرة خطيب المنبر الحسيني	التكرار	النسبة
١	تتضمن موضوعات اجتماعية	٩٢	٤٠
٢	تتضمن موضوعات اجتماعية دينية	٥٤	٢٣,٤
٣	محاضرات ارشادية	٨٤	٣٦,٦
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

من خلال بيانات الجدول (١٨) يتضح إن توجه عينة البحث الى تقديم المحاضرات التي تعالج بعض المشكلات الاسرية والفردية من قبل خطباء المنابر الحسينية كما يفعل العلامة الدكتور الوائلي رحمه الله ، لذلك كانت اجابات عينة البحث تسجل نسبة كبيرة (٤٠ %) هم من يفضلون ان تكون محاضرات خطباء المنابر الحسينية ذات موضوعات اجتماعية ، نسبة (٣٦,٦ %) هم من يفضلون أن تكون المحاضرات ارشادية بينما كانت نسبة (٢٣,٤ %) يفضلون أن تكون المحاضرات ذات موضوعات اجتماعية- دينية

يبين مدى تأثير الخطاب الديني بمظاهر الحياة الاجتماعية للمرأة العراقية

ت	تأثير الخطاب الديني بمظاهر الحياة الاجتماعية للمرأة العراقية	التكرار	النسبة
١	نعم	١١٨	٥١,٣
٢	لا	٦٤	٢٧,٨
٣	احيانا	٤٨	٢٠,٨
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

كل الأديان السماوية وغير السماوية وحتى الأساطير كانت لها تأثير على الحياة الاجتماعية لبني البشر كونها تعتبر محمية نفسية يلجأ اليها الانسان للاحتماء بها ، وقد اصبح للدين دور كبير في العراق رغم المعاناة والمضايقات التي كانوا يعانون منها رجال الدين ، ولكن بعد الحملة الايمانية الجهادية التي نهض بها السيد الشهيد الثاني قدس الله سره الشريف أصبح للدين أثرا ملموسا في الحياة العامة ، والمرأة بصورة خاصة وأصبح لبس الحجاب ظاهرة وجزء من شخصية المرأة العراقية وستر مفاتن جسمها أصبح فضيلة من فضائل اخلاقها ، وقد أجابت عينة البحث بأن (٥١,٣ ٪) يؤيدون بأن هناك تأثير للخطاب الديني على مظاهر الحياة الاجتماعية للمرأة العراقية ، بينما نسبة (٢٧,٨ ٪) لا يرون هناك تأثير للخطاب الديني ، ومن يؤيد بعبارة (احيانا) للخطاب الديني أثر على الحياة الاجتماعية للمرأة العراقية كانت نسبتهم (٢٠,٨ ٪) .

سؤال (٢٠) : يبين مدة الوقت في تصفح الانترنت

هذا الاستبيان يعتبر استبياناً ذات اجابة مفتوحة ، وقد وردت مجموعة من الاجابات تحدد ما بين أقل وقت يستغرقه الفرد في تصفح مواقع الانترنت هو ساعتين في اليوم ، وأما اطول وقت يستغرق للتصفح فقد حدد ما بين (٦-٨) ساعات في اليوم ، وهي تشكل اكبر الاجابات ، وهذا يدل وجود وقت فراغ كبير لدى العينة يقضونه في مواقع الانترنت .

جدول (٢١)

رأي عينة البحث حول مدى التطابق بين الكلام والفعل

ت	الفئات	التكرار	النسبة
١	نعم	٦٨	٢٩,٥
٢	احيانا	٣٠	١٣
٣	لا	١٣٢	٥٧,٣
	المجموع	٢٣٠	١٠٠

من الصعب أن نجزم بأن أقوال الناس تتطابق مع أفعالهم ، لا بد أن يكون هناك تفاوت وتقصير بين القول والفعل ، وإذا أصبحت أقوال الناس بعيدة كل البعد عن الأفعال حين إذا يصبحون مصابين بالأمراض النفسية ، عليه سجلت نسبة (٣,٥٧٪) من اجابات العينة بأن كلام الناس لا ينطبق على أفعالهم ، في حين أجابت نسبة (٥,٢٩٪) بأن هناك تطابق بين افعال الناس وأقوالهم ، اما الذين أجابوا بعبارة (أحيانا) هناك تطابق بين اقوال الناس وافعالهم كانت نسبتهم (١٣٪) وتشكل اقل النسب.

أولا : النتائج

في ضوء الدراسة الميدانية وتحليل اجابات عينة البحث ظهر الدراسة بعدد من النتائج التي يعتقد الباحث إنها خلاصة الاستبيان المقدم لعينة البحث ، ومن هذه النتائج الآتي:

١- أغلب العينة كانوا من الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين (٢٠-٢٤) و(٢٥-٢٩) و(٣٠-٣٤) سنه ، وكان عدد الذكور (١٣٠) فردا مقابل (١٠٠) من النساء ، واغلبهم من خريجي الدراسة المتوسطة ومستمرين فيها (٣٥,٧٪) وخريجي الدراسة الاعدادية (٢٣,٤٪) ، ، وهم أكثر افراد العينة ، ونسبة (٢٣,٤٪) من سكنت محافظة ذي قار ، وقل نسبة هم سكنت محافظة الديوانية (٣,٤٪) .

٢- سجلت أعلى نسبة من العزاب (٥٥,٧٪) ، وثاني نسبة من المتزوجين (٤٠,٩٪) وهؤلاء اغلبهم من الكسبة ويشكلون نسبة (٣٧,٨٪) من الطلبة المستمرين على الدراسة (٣١,٣٪)

٣- أغلبهم يرى بأن الدين له تأثير على الحياة الاجتماعية (٧٢,٧٪) وفي نفس الوقت هم منقطعين عن الصلاة ، أو غير ملتزمين بها وحسب نسبتهم على التوالي (٤٤,٣٪ و ٢٦٪) ويدعون الى التعايش والتسامح من خلال خطباء المنبر الحسيني (٧٤,٨٪) ولكن أغلبهم لا يستمع لخطبة الجمعة التي تدعو الى التسامح والتعايش وهؤلاء سجلوا نسبة اجابة (٦٦,٩٪) بواقع (١٥٤) مبحوثا ، أما من يرى إن خطبة الجمعة مؤثرة من اصل من يستمع اليها كانت نسبتهم (٢٢,١٪) .

٤- أغلب اجابات عينة البحث تدعو خطباء المنبر الحسيني الى توجيههم نحو الخطب التي تدعو الى الارشاد والوعظ والمحاضرات الاجتماعية التي تعالج مشكلات الشباب ،

والتقليل من المحاضرات التي تتحدث عن مظلومية الامام الحسين واهل بيته من اجل كسب العاطفة عند الناس واللطم والبكاء .

٥- من خلال اجابات عينة البحث كانت نسبة عالية من اجاباتهم تعطي للعشيرة والقبيلة دور في حل نزاعاتهم دون القانون ، ويؤكدون إن للدين دور في التأثير على الحياة الاجتماعية بصورة عامة ، وعلى حياة المرأة العراقية .

ثانيا : التوصيات

يعتقد الباحثان إنه لا بد من تقديم مثل هذه الدراسة حتى تظهر بنتائج من خلال الميدان عن دور الخطيب الحسيني والرسالة المكلف بها الى الناس ، ويتقدم الباحثان بثلاث توصيات هي :

- ١- التأكيد على الخطاب الاجتماعي الذي يدعو التسامح ونبذ التكاثر بين الناس.
- ٢- نأمل من خطيب المنبر الحسيني أن يكون باحثا ومرشدا اجتماعيا بقدر ما هو موعظا وموجها دينيا لأن المرحلة تتطلب منه ذلك .
- ٣- نأمل من المؤسسات التي تهتم بالاسرة مثل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووزارة حقوق الانسان والصحة أن تفتح مراكز للإرشاد الاسري والنفسي وهم مؤهلون لذلك لتوفر التخصصات العلمية والامكانيات المالية ، وبذلك يحدون حدو الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة التي بادرت بفتح العديد من مراكز الارشاد في بعض مدن العراق .

(*) يذكر إن الباحث يتواجد على طريق المشاية ويعمل كاستشاري اجتماعي في مركز الارشاد الاسري التابع للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة مهمته تقديم الاستشارات الاجتماعية لبعض مشكلات الاسرة والشباب والمشكلات الاجتماعية الفردية الاخرى .

(*) يذكر الباحث إنه بعض الشباب (حالات قليلة) إنهم ينطلقون سيرا من مناطق سكنهم الى منتصف الطريق أو أكثر، ومن ثم يعودون لينطلقوا مرة ثانية وذلك لقتل الفراغ لديهم معتبرين ذلك مرثون سنوي علاوة على العوامل المشجعة لذلك من توفر الاكل والنام على طول الطريق .

(*) إذا كان هناك توجه من قبل خطيب المنبر الحسيني حول مشكلات الاسرة والشباب فهي من باب النقد والتحقيق لتصرفات الشباب وهذا الأمر يزيد ابتعاد الشباب وعزوفهم عن حضور أو الاستماع الى المحاضر وبالتالي النفور من كل الخطب أو المحاضرات التي تحمل عنوان محاضرة دينية .

مصادر البحث

١- الشيخ ياسين حسن عيسى العاملي ، اصول التعايش مع الآخر ، دار الهادي ، ٢٠٠٨

، ص ١٠ .

٢- نهج البلاغة ، ص ٧٠٢ .

3-Rainer Farst , Toleration ,Justcce and Reason Exeter University

<http://www.ex.ce.uk/sh/pss/politics/Forst.html>

٤- أشرف عبد الوهاب وآخرون ، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير - الكتاب

الثاني عشر من سلسلة مطبوعات التراث والتغير الاجتماعي ، مركز البحوث

والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٨١ .

٥- أشرف عبد الوهاب وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٢ .

٦- محمد علي ضناوي ، الحضارة الاسلامية بين التحدي والتعطيل ، بحث بكتاب

الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ ،

ص ٥٢٧ .

- ٧- حسين نصر، التسامح ليس أوهبة، دار الهادي، ٢٠٠٦، ص ١٠٩.
- ٨- سورة الممتحنة، الآية ٦٠
- ٩ سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
- ١٠- سورة النحل، الآية ١٢٥.
- ١١- مرتضى مطهري، محاضرات في الدين والاجتماع، مطبعة قلم، ط ١، ايران، ٢٠٠٧، ص ١٦٤.
- ١٢- مرتضى مطهري، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩.
- ١٤- هايل الجازي، الموقع على الانترنت، <https://mawdoo3>
- ١٥- الامام علي باني أسس التعايش، مقال على موقع الانترنت –
www.haydarya.com/moktasah/17/12.htm
- ١٦- عبد الرضا عبد الامير الزبيدي، في الفكر الاجتماعي عند الامام علي- دراسة في ضوء نهج البلاغة، باقيات، ٢٠٠٥، ايران- قم، ص ١٠٠.
- ١٧- عبد الرضا عبد الامير الزبيدي، المصدر السابق، ١٦٨.
- ١٨- عبد الرحيم رضا عبد العال، البحث في الخدمة الاجتماعية، الثقافة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩،
- 19-Rubn ,Allen &Bobbie Rights ,Edging to Words definition
Sydney Social Policy research enter p. 34.

جامعة القادسية

كلية الآداب

قسم علم الاجتماع

م/ استمارة استبانة

تحية طيبة

يهدىكم الباحث اجمل التحيات ويأمل منكم الاجابة على استمارة الاستبانة المعدة لبحث الموسوم "الخطاب الديني ومفهوم التعايش السلمي" دراسة اجتماعية في ضوء الواقع المعاصر من خلال وضع اشارة (صح) في الحقل الذي تختاره ، أو أي تعليق يخدم البحث الحالي .. دون ذكر الاسم .. مع فائق التقدير .

البيانات الشخصية

(١) العمر : ()

(٢) الجنس : ذكر () انثى : ()

(٣) المستوى العلمي : أمي () يقرأ ويكتب () حاصل على الشهادة الابتدائية () حاصل على شهادة المتوسطة ()

(٤) مكان السكن : محافظة ()

(٥) الحالة الاجتماعية : متزوج () أعزب () خابط () أرمل () مطلق ()

(٦) المهنة : موظف () متقاعد () كاسب () عاطل - ربة بيت ()

طالب ()

البيانات العامة

(٧) ما مستوى ادائك للفرائض ؟

الصلاة : ملتزم () منقطع () غير ملتزم ()

قراءة القرآن : ملتزم () منقطع () غير ملتزم ()

الصوم : ملتزم () منقطع () غير ملتزم ()

(٨) كيف تقيم دور الدين في الحياة الاجتماعية المعاصرة ؟ مؤثر في الحياة ()

غير مؤثر () لا أعرف ()

(٩) تعتقد إن الخطيب الديني يدعو الى التعايش بين الناس والى التسامح والوئام ؟

نعم () أحياناً () لا ()

(١٠) هل تستمع لخطب الجمعة التي تصدر عن المرجعية العليا في العراق ؟ نعم ()

() أحياناً () لا ()

(١١) في حالة استماعك لخطبة الجمعة ، ما هو تقييمك لها ؟ مؤثرة ومفيدة ()

غير مؤثرة () لا أعرف ()

(١٢) تعتقد هناك دور لخطيب المنبر الحسيني فيما يخص مشكلات الاسرة

والشباب ؟ نعم () أحياناً () لا ()

(١٣) تفضل للخطيب او القاريء الحسيني أن يتحدث فقط عن مظلومية أهل البيت

من اجل البكاء واللطم أم يتحدث عن الوعظ والارشاد الديني والاجتماعي كما

يفعل الشيخ الوائلي رحمه الله ؟

يتحدث عن مظلومية أهل البيت فقط () يتحدث عن الوعظ والارشاد الديني

والاجتماعي () أن يجمع بين الاثنين ()

(١٤) هل تلجأ في بعض مشاكلك الى استشارة رجل الدين ؟ نعم () أحياناً () لا

()

(١٥) كيف تحل مشكلتك مع الآخر ؟

تلجأ الى القانون - المحكمة () تلجأ الى شيخ العشيرة () تلجأ الى القوة ()
تلجأ الى الحوار والنقاش ()

(١٦) إذا حدثت مشكلة بين الجماعات أو الأفراد هل يعتبر التنازل عنها والتسامح فيها ضعفا ومهانة؟

نعم () أحيانا () لا ()

(١٧) ما هو تقييمك لشبكات التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الشباب ؟ مؤثرة سلبا () مؤثرة ايجابيا () لا أعلم ()

(١٨) ماذا تفضل أن تكون محاضرة خطيب المنبر الحسيني ؟

محاضرة تتضمن موضوعات اجتماعية () محاضرة تتضمن موضوعات اجتماعية دينية () محاضرات ارشادية ()

(١٩) هل للخطاب الديني تأثير بمظاهر حياة المرأة العراقية ؟ نعم () لا () أحيانا ()

(٢٠) كم تمضي من الوقت وانت تتصفح الانترنت ؟ () ساعة

(٢١) تعتقد إن كلام الناس عن انفسهم ينطبق على افعالهم العملية ؟ نعم () أحيانا () لا ()

ملخص البحث

يؤكد البحث الحالي على دور خطيب المنبر الحسيني في تقديم المحاضرات والخطب التي تؤكد الى الجوانب الاجتماعية والنفسية وكيفية التعامل معها ، والتأكيد على مفهوم التسامح والتعايش ونبذ التكاثر والعدوان ، وأن يكون باحثا اجتماعيا بقدر ما يكون مرشدا دينيا ، لأن المرحلة الحالية التي يمر بها المجتمع تتطلب من الجميع النصح والارشاد وكيفية بناء الانسان ، وأن لا يجعل جل خطبه

ومحاضرته تهتم بمظلومية الامام الحسين واصحابه من أجل كسب عاطفة الجمهور
لأجل البكاء والضرب على الصدور.

Abstract

Religious discourse and the concept of peaceful coexistence

Field study in light of the current reality

The current research focuses on the role of the Preacher of Imam Hussein's Forum in presenting lectures and speeches that emphasizes the social and psychological aspects and how to deal with them, emphasizing the concept of tolerance and co-existence, rejecting aggression and hatred, and being a social researcher as much as him being a religious guide only. This need is due to the current situation that the society is going through. Many advice and guidance and how to build a human Bing is needed and not only to devote most of his speeches and lectures on the injustice of Imam Hussein and his friends only because he wants to gain the public's attention and emotions and make them cry and beat on their breasts.

الدور الاصلاحى للمرجعية الدينية

في فكر الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٨٧٧-١٩٥٣)

أ.م.د. إياد تركان ابراهيم م.م. اسراء تحسين علي

(جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية) (جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات)

الملخص

سلط هذا البحث الضوء على شخصية دينية كان لها دور مهم في تاريخ العراق المعاصر ، من خلال طروحاته وأفكاره التي تناولت الجوانب الدينية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية ، وجاء البحث بعنوان الدور الاصلاحى للمرجعية الدينية في فكر الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء لبيان الفكر الاصلاحى لهذا المرجع وتأثيره على المجتمع العراقي في العهد الملكى ، إذ لا يخفى على أحد حجم المشاكل التي كان يعاني منها المجتمع في العهد الملكى كالاحتلال والجهل والتخلف والفقر وغيرها .

كما تطرق البحث أيضا الى مواقف الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء من الأوضاع العامة في العراق خلال النصف الاول من القرن العشرين ، إذ طرح الشيخ أفكار إصلاحية مهمة تخص المرأة والأسرة والمجتمع عموما ، كما شارك في معظم الأحداث الجسام التي وقعت في العراق ولاسيما الجهاد ضد الاحتلال البريطانى للعراق إبان الحرب العالمية الأولى ، وبين البحث أيضا مؤلفات الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء القيمة ، مع إعطاء شرح مختصر لكل مؤلف منها .

تعد دراسة الدور الاصلاحى للمرجعية الدينية منطلقا مهما للتعرف على تاريخ هذه المؤسسة الدينية ودورها الفاعل والمؤثر في تاريخ العراق المعاصر ، فضلا عن إبراز دور رجالاتها الذين مثلوا هذه المؤسسة واداروها بفعالية كبيرة . وفي هذا الإطار تم إختيار شخصية الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء كنموذج للدور الاصلاحى للمرجعية الدينية ، لما لهذه الشخصية من بصمة مهمة بقي أثرها جليا رغم مضي عشرات السنين من خلال المؤلفات التي تركها خلفه والمواقف الوطنية التي تبناها طيلة النصف الأول من القرن العشرين .

تم تناول الموضوع من خلال ثلاثة محاور ، بين الاول حياته ونشاته الأولى وفيه توضيح لنسبه وأسرته وتعليمه خلال السنوات الاولى من عمره ، في حين عالج المحور الثالث موقفه من الاوضاع العامة في العراق ورؤيته الاصلاحية ، وفي هذا المحور تم تسليط الضوء على مواقف الشيخ الوطنية والأفكار الاصلاحية التي تبناها ، اما المحور الثالث والاخير فقد ذكر أبرز مؤلفاته مع شرح مختصر لكل كتاب من كتبه المهمة وأشرنا في الهامش لباقي الكتب التي لم نذكرها في المتن لتجنب الإطالة .

إعتمد البحث على مجموعة مهمة من المصادر العربية التي تخص التاريخ المحلي لمدينة النجف ، مثل كتاب جعفر باقر محبوبية المعنون ماضي النجف وحاضرها ، فضلا عن كتاب محمد هادي الاميني المعنون معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام ، بالإضافة الى كتب ومؤلفات الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء التي غطت جميع جوانب الدراسة ومصادر اخرى يمكن الإطلاع عليها في نهاية البحث ... والله الموفق .

أولا : حياته ونشأته الأولى

ولد الشيخ محمد حسين ^(١) بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر خضر يحيى المالكي الجناحي النجفي في مدينة النجف الاشرف عام ١٨٧٧ ^(٢) ، ونشأ في بيت جليل عامر بالعلم والمعرفة والادب ، وتربى تربية كريمة تركت آثارها الواضحة على شخصية الشيخ محمد حسين ونظرته الى الحياة ، وبعد ولادته سافر والده الى ايران تاركا إياه في رعاية جدة الشيخ محمد رضا ^(٣) ، الذي تكفل برعايته وتربيته ، ويذكر الشيخ محمد حسين ايام طفولته قائلا : "ولكني بلطفة تعالى اذكر اني ما توغلت ولا انهمكت في الالعب الصبانية كما هي عادة الاطفال ، ولم تكن لي فيها رغبة ، واتذكر جدي يوقفني بين يديه وأنا ابن سنتين ونصف فيأمرني بالصلاة ، فأقوم وأكبر وأنا بصورة الصلاة من ركوع وسجود ، واذا فرغت ضمني اليه" ^(٤) .

توفي جده وهو في الرابعة من عمره عام ١٨٨٠ ، حيث عملت والدته على تربيته ونشأته والتي كانت على قدر جيد من الثقافة وتجيد قراءة القرآن والادعية وتحفظ جزء من القصص والاحاديث النبوية الشريفة ^(٥) .

كانت والدته حريصة على تربيته تربية جيدة مع اخيه الشيخ احمد ^(٦) ، تربية دينية علمية فأدخلتهما الى الكتاتيب ^(٧) ، لحفظ القرآن الكريم وهو ابن ست سنوات ^(٨) . تلقى الشيخ محمد حسين تعليمه في مدارس النجف الاشرف وحلقات مساجدها فدرس المقدمات ^(٩) ، وهو ما يزال شابا يافعا ^(١٠) .

عرف عن الشيخ محمد حسين بالنبوغ المبكر والمقدرة العالية في التعليم والاستيعاب حتى فاق اقرانه من الطلاب ونال على اعجاب اساتذته كان ابرزهم الشيخ عباس كاشف الغطاء ^(١١) ، والشيخ حسين الخليلي ^(١٢) ، والشيخ حسين

النوري^(١٣)، وغيرهم من العلماء في حوزة النجف الاشرف. تنوعت مصادر دراسته فلم يكتف من دراسة مقدمات العلوم من نحو وصرف ومنطق وحسب بل اتجه الى دراسة العديد من العلوم كالحساب والفلك والفلسفة وعلم الكلام والتاريخ وغيرها من العلوم^(١٤).

كانت لبيئة النجف الاشرف الفكرية الاثر الفاعل في صقل شخصيته، لما تميزت به من حركة فكرية وثقافية نتيجة لتوافد الافكار الحديثة التي اثرت على الشخصية المثقفة فيها^(١٥)، ولا بد من الاشارة الى ان الشيخ محمد حسين تأثر بالكثير من النظريات الحديثة وافكار النهضة الأوروبية الحديثة التي لا تتعارض مع مبادئ الدين الاسلامي^(١٦)، وقد استفاد من دراسته للتاريخ الاسلامي لما فيه من عبر ومواعظ، وتضمنت اكثر خطبه امثلة تاريخيه صادقة وأثرت بشكل كبير على سامعيه^(١٧).

ثانياً : موقفه من الاوضاع العامة في العراق ورؤيته الاصلاحية

حظيت حياة الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء باهتمام الباحثين في التاريخ الحديث والمعاصر، وذلك لما لهذه الشخصية من حضور متميز على الساحة السياسية في العراق واسهمت بشكل كبير في تحقيق العديد من الاصلاحات الفكرية والاجتماعية على مستوى المجتمع الانساني والوسط الحوزوي، كما كانت له مساهمة فاعله في حث العراقيين على المطالبة بحقوقهم الشرعية وانتزاعها من ايدي الحكام، فكان الشيخ محمد حسين هو احد المحركات الأساسية للسياسة العراقية^(١٨).

عرف الشيخ منذ بداية حياته بمنهجه التجديدي الاصلاحى، والاستقلالية الواضحة التي تدل على الثقة العالية بالنفس، وافق فكري واسع، وانعكس ذلك من خلال

موقفه المعتدل في ايام الثورة الدستورية الإيرانية ، فهو لم ينحاز الى مؤيديها او معارضيها ويرى ان ذلك من دواعي الفتن والفوضى^(١٩).

عند اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤_١٩١٨) وبدء إحتلال القوات البريطانية للعراق في تشرين الاول ١٩١٤^(٢٠) ، لم يقف الشعب العراقي مكتوف الايدي ، اذ انطلقت مقاومة عسكرية شعبية للاحتلال حث عليها علماء الحوزة الدينية وكان على رأسهم السيد محمد سعيد الحبوبى^(٢١) وشيخ الشريعة الاصفهاني^(٢٢) ، وبرز الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء باعتباره احد ممثلي السيد محمد كاظم اليزدي^(٢٣) ، المرجع الاعلى للشيعة الامامية في وقته ، وقد انتدبه الشيخ كاظم اليزدي لما رأى فيه من ثقة عالية ومقدرة خطابية تؤهله لاستنهاض القبائل وابناء المدن الواقعة بين النجف وبغداد ، واستبسل العراقيون في المعارك مما ادى الى تأخر زحف القوات البريطانية عدة اشهر وتكبدوا خسائر فادحة لم تكن في الحسبان ، الا ان القتال لم يفلح في ايقاف الاحتلال البريطاني للعراق بسبب غياب عنصر التكافؤ وفقدان المجاهدين لعنصري التخطيط والمباغطة^(٢٤).

وقف الشيخ محمد حسين ضد محاولات الطعن في مذهب الشيعة الامامية ورمي معتنقيه بالعجمية والولاء الخارجي وهذا ما حصل مع صدور كتاب العروبة في الميزان^(٢٥) ، والذي اثار موجة عارمه من المظاهرات والمصادمات في النجف والمدن المقدسة الاخرى ، وعلى اثر ذلك دعى الشيخ كاشف الغطاء الى التهدة وعدم الاضرار بالمصلحة العامة ، واقنع المتظاهرين بأن الحكومة اتخذت الاجراءات القانونية ضد الكتاب المذكور^(٢٦).

وجد الشيخ محمد حسين في اواسط الثلاثينيات من القرن العشرين ان معظم الجزء الاوسط والجنوبي من العراق يعيش حالة من الانعزال المذهبي بعد اربعة عشر عاما من

تأسيس الحكم الوطني ، وان السلطة الحاكمة قد مارست منذ عام ١٩٢١ سياسة التمييز بين العراقيين في مسألة التوظيف وتوزيع المناصب على اسس طائفية ، مما جلب تدمرا من القرى والارياف الجنوبية وتحول الامر الى هياج عشائري شارك فيه الشيوخ الكبار في منطقة الفرات الاوسط لمطالبة الحكومة في بغداد بتغيير سياستها ، وأبرزهم الحاج عبد الواحد سكر^(٢٧) ، والسيد علوان الياسري^(٢٨) ، ومحسن ابو طبيخ^(٢٩) ، وغيرهم من زعماء العشائر الذين خسروا مناصبهم في مجلس النواب على اثر انتخابات حكومة علي جودت الايوبي^(٣٠) في عام ١٩٣٤^(٣١) ، اما موقف الشيخ محمد حسين فيتمثل بوقوفه الى جانب الشيوخ في انتقادهم لإجراءات الحكومة ومن اجل اضاء الصفة الشرعية على محاولاتهم الناجحة لا سقاط وزارتين متعاقبتين الاولى لعلي جودت الايوبي في (٢٣ / شباط / ١٩٣٥) ، والثانية (١٥ / اذار / ١٩٣٥)^(٣٢) .

حرم الشيخ محمد حسين رفع السلاح ضد اجهزه الدولة بحجة ارغامها على الاستجابة لمطالب المعارضين حيث عمل على اخراج السياسيين عندما طلب منهم الاستقالة من عضوية الاحزاب السياسية لكنهم رفضوا الطلب^(٣٣) ، كما رفضوا طلبا مماثلا للتوقيع على بيان مكتوب في تاريخ ٢٣ / اذار / ١٩٣٥ اطلق عليه "ميثاق الشعب"^(٣٤) ، فكان تحرك الشيخ كاشف الغطاء باتجاه الميثاق هو بمثابة مشروع وطني شامل انتقل برد الفعل الشعبي من الاحتجاج الخائف الى اعلى مستويات النضج ن كما يمكن ان يقال عنه انه اكثر جذرية من أي مشروع اخر فهو لم يتضمن نواحي سياسية وانما شمل كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء^(٣٥) .

من الملاحظ ان الصفة السائدة عند الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء هي الصفة الدينية الاصلاحية لمساعيه ووساطته ، اذ شدد على وجوب التعاضد والتكاتف

واصلاح ذات البين ونبذ التحزب والمطالبة بحقوق الشعب من أجل المصلحة العامة ، وقد دعا مؤيديه من الزعماء السياسيين والعشائريين الى ضرورة التحلي بقدر كبير من المسؤولية وان لا يسمحوا لأهوائهم الحزبية وغاياتهم الشخصية ان تكون هي محركهم ودافعهم الاساسي^(٣٦) .

اما في مجال الاصلاحات بدأ الشيخ اول اصلاحاته في حقل التعليم حيث طالب بتأسيس مدارس اهلية الى جانب المدارس الحكومية لتربية النشء التربية الصحيحة التي تتلاءم مع روح العصر ، حيث قام بتأسيس مدرسة عرفت باسمه^(٣٧) ، وتبرع الشيخ كاشف الغطاء الى المدرسة بمكتبته الكبيرة التي حوت اندر المخطوطات وانفس الكتب العلمية والادبية^(٣٨) ، وقام طلبة المدرسة عام ١٩٥٦ بإصدار نشره مدرسية عرفت باسم " التوجيه " للتعبير عن اراء ومواهب الطلاب ، اذ كانت تصدر مره كل شهرين واستمرت بالصدور ثلاث سنوات^(٣٩) .

فقدت المدرسة كثيرا من سمعتها وقيمتها المعنوية قبل وفاة مؤسسها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، اذا اصبح التأجيل او الاعفاء من الخدمة العسكرية الغاية الحقيقية لدى اكثر طلاب المدرسة ، حيث كان الهدف من وراء الالتحاق بهذه المدرسة هو التخلص من الخدمة العسكرية ، وقد يتساءل البعض لماذا لا ينتسب البعض من هؤلاء الطلاب الى المدارس الحكومية فيجيب مدير المدرسة " الشيخ جعفر الكرياسي " بأن اغلب هؤلاء الطلاب هم من الكسبة واعمارهم لم تعد صغيره ليدخلوا المدارس الحكومية ، فضلا على ان الدوام مسائي في مدرسه كاشف الغطاء مما يتيح لهم الاستمرار في مزاولة اعمالهم^(٤٠) .

عملت الحكومة على اغلاق المدرسة عام ١٩٦٢ بسبب نشاط طلابها السياسي وانغماسهم في الصراعات السياسية وهذا القرار شمل الدراسة المسائية لان الدراسة

الصباحية كانت تسير على نظام الحلقات ^(٤١) ، رقد الشيخ كاشف الغطاء هذه الخطوة بخطوه اصلاحية جديدة جاءت نتيجة اجتماعات متتالية هدفت الى تنظيم الدراسة في الحوزة وهذه المحاولة عرفت بأسم "حركة الكلية" التي اشترك فيها عدد كبير من علماء الحوزة ، وقد كتبت هذه الوثيقة بخط الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ومما جاء فيها : " كان من الواجب بالضرورة ان يتدارك كبار العلماء وأهل الدين هذا الخطر العظيم على الدين وأهله بأن يجتمعوا ويفكروا ، ثم يعملوا لإصلاح الهيئة العلمية على الموازين علميا " ^(٤٢) .

بقيت هذه الحركة حبر على ورق ، ويشير الشيخ محمد رضا المظفر ^(٤٣) الى اسباب فشلها قائلا : " وقد اعطينا التجارب ان الاعمال الكبيرة يجب لأجل نجاحها ان تقوم بها جماعة محدودة تدير دفعة العمل بتعاوض وتكاتف وتضحية على عكس ما هو مشهور ، لأن الشعور بالمسؤولية يقوى في الفرد اذا قلت الجماعة ، وهكذا كلما كثرت الجماعة ضعف الشعور بالمسؤولية ، واعتقد ان من اسباب فشل هذه الحركة ايضا ان الدعوة كانت لعمل كبير جدا ليس من السهل تحقيقه مرة واحدة " ^(٤٤) .

استمر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بجهوده في سبيل اصلاح نظام التعليم في الحوزة العلمية لكن هذه المشاريع حققت نجاحات محدودة ، ومن ثم اصابها الضعف ومن ثم الفشل وخاصة بعد وفاته ، ولكن هذه الحركات كانت بمثابة التمهيد لظهور حركات اصلاحية جديدة فيما بعد ^(٤٥) .

وفيما يخص المرأة إهتم الشيخ حسين كاشف الغطاء بقضية المرأة ودورها وحقوقها ضمن المجتمع الذي تعيش فيه ^(٤٦) ، ووقف ضد محاولات زج المرأة في مواقع واعمال لا

تناسب وعفتها ودورها في بناء الاساس الاجتماعي المتمثل بالأسرة^(٤٧) ، رافضا في الوقت نفسه تشبه المرأة بالرجل^(٤٨) .

عدّ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المرأة كعنصر أساسي في بناء المجتمع ، لذلك طالب بأن يكون للمرأة طريق للإصلاح والبناء وحثها على التعليم والتخلص من الجهل والأمية لان المرأة المتعلمة تمثل عمودا هام في بناء المجتمع السليم^(٤٩) .

حذر الشيخ المرأة من التوسع في العمل السياسي حيث قال ما نصه : " فهل تريد المرأة ان تكون مديرة ناحية او حاكمة ادارية ، وما الى ذلك ، والباري جل شأنه يريد ان ينشأ مدراء صالحين وحكاما اداريين صالحين ، تريد المرأة ان تكون عين من الاعيان او نائبة من النواب ، ونحن نريد ان ترتق ما فتقته المجالس النيابية ، تريد هي ان تدخل معامع السياسة وزوابع الرياسة ، وهل السياسة اليوم الا الخداع والمكر والكذب والغدر وخيانة الامة ، والمساومة على الوطن ، وخدمة المستعمرين والتمرغ على اعتبار الظالمين "^(٥٠) .

اتضح مما تقدم ان دور المرأة عند الشيخ محمد حسين هو اكبر من الواقع ، فهي لم تخلق السياسيين وتصلح ما افسدته السياسة من خلال تربيتها لجيل يؤمن بالمبادئ والعمل النزوية ومصلح لامته ، فنرى الشيخ يحذر ويحرص اشد الحرص على عدم دخول المرأة في معترك السياسة والتكالب على المناصب والكراسي فهو يصفها : " هي العنصر اللطيف الذي يعبر عنه بالقوارير لرقته ولطافته وسرعان ما يتصدع ويتأثر ولأول صدمته ينتشر وينكسر "^(٥١) .

يرى الشيخ محمد حسين ان الحل البديل لعمل المرأة هو انخراطها بتشكيل جمعيات نسوية تأخذ على عاتقها عقد المؤتمرات الاصلاحية والعمل على مكافحة فساد الاخلاق في المجتمع ، وان يكون من ضمن اهداف هذه الجمعيات

نصرة المظلوم وتشغيل الايدي العاملة ، واكد على ضرورة التزام المرأة بالقيم الاخلاقية المحمدية الاصيلية ، وهو ايضا يطالبها بأن تكون عنايتها الاولى هي لبيتها وزوجها واطفالها ^(٥٢) .

وفي اطار الدفاع عن حقوق المرأة هو اصداره لفتوى التي نصت على طلاق المرأة من زوجها ، وعلى الرغم من انتساب هذه الفتوى الى السيد ابي الحسن الاصفهاني ^(٥٣) ، واكد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بانه اول من اصدر هذا الحكم بقوله : " بل أنا كنت اول من حكم بطلاق المرأة من زوج مسلول ، وكان ذلك قبل حكم السيد ابي الحسن الاصفهاني بسنوات " ^(٥٤) .

يذكر الاستاذ جعفر الخليلي ^(٥٥) ، عند لقائه بالشيخ محمد حسين لأول مره ويسأله هل يحق له اصدار مثل هذه الفتوى ولعل من المناسب ان نورد الحوار بين الاثنين : " فسألته عن المسوغ الشرعي لا المدني طبعاً الذي يتيح له اصدار مثل هذا الحكم بما لم يسبق لاحد من الائمة ، فضلاً عن العلماء ان استطاع ان يفتي بمثل هذا " ، فأجاب وبكل ثقة وصراحة قائلاً : " ان المجتهد مشرع يا عمي " ^(٥٦) .

مما تقدم يتضح ان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء يؤكد على تحرير المرأة واعطائها حقها في التعليم ، وتشكيل الجمعيات النسوية ، وينصح المرأة بعدم دخولها في المعتزك السياسي ، لانها على حد قوله ربحانه فلا بد من الحفاظ عليها وصونها من الانخراط بمزاولة الاعمال السياسية ^(٥٧) .

اثناء ذهاب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى سوريا ولبنان ثم مصر وجلسه في الجامع الازهر ، عرف ان العالم الاسلامي قد تكونت لديه صورة مشوشة عن الشيعة الأمامية ليست بالصورة الحقيقية ، فتعجب الشيخ محمد حسين من ذلك وأخذ يشرح لهم افكاره ومعتقداته ، فكانت له عدة مناظرات يوضح فيها رأي

الامامية وبيّن كثيرا من الالتباسات والامور المبهمة ، وكانت احدى هذه المناظرات مع الدكتور احمد امين المصري ^(٥٨) ، الذي قال له الشيخ كيف تكتف عن طائفة من ما حلصت عليه من غير كتبهم " من الصعب معرفة المدينة في سواد ليلة ، فأني قد دخلت مصركم قبل عشرين عاما ، وبقيت فيها ثلاثة اشهر متجولا في بلدانها ، باحثا ، منقباً ثم فارقتها وانا لا اعرف من اوضاعها شيء الا القليل " ^(٥٩) .

دعا الشيخ كاشف الغطاء علماء الامامية الى اىصال افكاهم وكتبهم وعقائدهم الى العالم الاسلامي ويتم ذلك اما عن طريق المؤلفات او السفر او الالتقاء بهم ، حيث عمل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء على تأليف كتاب اطلق عليه " اصل الشيعة واصولها " وهذا الكتاب جاء بناء على الخلفية التي ادركها الشيخ بضرورة اىصال الافكار والمعتقدات ^(٦٠) .

اما في مجال اصلاحات الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في المجال الاقتصادي فقد عانى الاقتصاد العراقي من التخلف والتبعية كونه اقتصادا تابعا للنظام الرأسمالي ^(٦١) ، ونظرا لأهمية الاقتصاد الوطني الذي يعتمد على ما تملكه الدولة من قدرات وامكانيات يمكن استغلالها لتحقيق النمو الاقتصادي ، فقد اكد الشيخ محمد حسين على اهمية الاستقلال السياسي والاقتصادي معا ^(٦٢) ، فالتبعية الاقتصادية والاعتماد على الآخرين ، وعدم الاكتفاء الذاتي تلغي وبشكل صريح استقلال البلد السياسي فيصبح استقلاله اسميا فقط وليس فعليا ^(٦٣) .

يرى الشيخ محمد حسين ان بناء اقتصاد قوي يتطلب اثاره روح الابداع لدى الشباب العراقي واستغلالهم لطاقت الامة والاستفادة من الثروات الطبيعية الكثيرة التي من الله عز وجل بها على الامة في اقامة صناعات متطورة من خلال تسخير مناهج التعليم في خدمة التنمية الاقتصادية ^(٦٤) .

أكد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بأن العراق بلد غني بثرواته التي لم تستغل حيث ان الكثير من الاراضي البور يمكن تحويلها الى اراضي صالحة للزراعة لو اقدمت الحكومة على استصلاحها وزراعتها وتشغيل ايدي العاطلة عن العمل للتخلص من حالة الفقر ، وابدى الشيخ أسفة لعدم نجاح هذه المشاريع بسبب الاستعمار لان نجاحها يساعد في تحقيق الاستقلال الاقتصادي ويضرب الشيخ مثال ويقول : " ان التمر كان من اهم الصادرات العراقية والعمود الفقري لمعيشة أهله ، اذ كان يباع بأسعار مجزية ، ولكن بعد تكريس السيطرة الاستعمارية في العراق فأن اسعار التمور قد انخفضت ، واصبح لا يكفي معيشة الفلاحين ، فعم الفقر وانتشر البؤس ن وتمكن افراد معدومين من الاقطاعيين تحقيق الثروات ، ويمكن على التمور قياس بقية المحاصيل" (٦٥).

دعا الشيخ كاشف الغطاء الى الاهتمام بالصناعة وضرورة الاعتماد على الصناعات المحلية والابتعاد عن الصناعات والسلع المستوردة حتى اذا تطلب الامر الاستعانة بسعف النخيل لنسج الملابس بدلا عن الملابس الاجنبية ، لان الامة التي تعتمد على غيرها في كل كبيرة وصغيرة يذهب عزها وتفقد استقلالها وتنهار تجارتها وزراعتها وصناعتها (٦٦).

ثالثا : مؤلفاته ونتاجاته الفكرية

ترك الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء العديد من النتاجات الفكرية التي تحتوي في طياتها الكثير من معالم الفكر بأسلوب علمي دقيق يتناول الواقع المحلي ويثبت اسس الاصلاح وبناء الفكر المتجدد بعيدا عن الفكر التقليدي المحافظ ، اذ بدأ النتاجات الفكرية بأسلوب اسلامي واضح وسنعرض نماذج من تلك النتاجات :-

١- الدين والاسلام

يعتبر هذا الكتاب من ضمن كتب العقائد والاصلاح ، حققه "محمد جاسم الساعدي" وطبع في قم في مطبعة مجاب ، ويتكون من جزأين وعدة محاور فرعية ، تكون الجزء الاول من (٤٩٦ صفحة) ، وجاء الفصل الاول تحت عنوان " في اثبات الصانع الحي " ومن ثم تطرق الى اصل الانسان ويوضح الصدفة واثرها ثم الإشارة الى ان فاقد الشيء لا يعطيه وغيرها من المواضيع المهمة ، واما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان " في توحيد الصانع ونفي الشرك عنه " ، وتكون من ٩ محاور (٦٧) . واما الفصل الثالث فحمل عنوان " في العدل وتكون من محورا ، جاءت احدى هذه المحاور تحت عنوان " مزايا العدل واثره والثناء عليه " و " اعلى مراتب العدالة وحل تحقيقها " و " بعض الكلام عن العصمة " وغيرها من المواضيع (٦٨) .

اما الجزء الثاني فهو تكمله لفصول الجزء الاول وابتدئ فيه من الفصل الرابع وحمل عنوان " في النبوة " ، وتكون من ٦٣ محورا ، وتكون من ٦٧٠ صفحة ، واهم ما جاء في هذا الفصل هو " ذكر نبذه من شهادات واقوال علماء الغرب في الاسلام والقران وبعض الكلام عن الثالث " و " النبوة المحمدية واعجاز القران " و " فلسفة الشريعة الاسلامية " و " البحث في الديانة اليهودية والنصرانية " ، استخدم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عدد من المصادر التاريخية العربية والفارسية فبلغ عدد الكتب العربية ٥٢٤ مصدرا ، واما الكتب الفارسية فبلغ عددها ١١ مصدرا ، بالإضافة الى استخدامه حوالى ١٤٠ رواية تاريخية ، وعدد الآيات القرآنية المستخدمة اكثر من ٢٠٠ آية قرآنية (٦٩) .

٢- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية

طبع هذا الكتاب في بيروت في مطبعة بيسان وكانت الطبعة الاولى عام ١٩٩٨ ، حققه الاستاذ جودت القزويني ، وعدد صفحاته ٥٨٧ صفحة ، تكون هذا الكتاب من ابواب وكل باب انقسم على عدة فصول ومباحث ، اختص هذا الكتاب بتسجيل تاريخ اسرة كاشف الغطاء ، فقد كان لهذه الاسرة الاثر الكبير في كثير من الاحداث السياسية والاجتماعية التي امتدت حوالي نصف قرن تقريبا ، فقد دون الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عدد من الاحداث التاريخية كان اهمها " الصراع الوهابي الشيعي " وانفرد هذا الكتاب بذكر " العلاقة بين الشيخ جعفر كاشف الغطاء زعيم الامامية والشيخ محمد بن عبد الوهاب زعيم الوهابية " ، وأرخ ايضا " الصراع الاخباري الاصولي في مرحلته الثانية من خلال المحاجة بين الشيخ جعفر كاشف الغطاء والميرزا محمد الاخباري المتوفي ١٨١٧ " ، ويذكر ايضا حادثة " الشمرت والزقرت " في مدينة النجف الاشرف ، بالإضافة الى ان هذا الكتاب يعتبر ملفا تاريخيا لشعراء عراقيين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر^(٧٠) .

٣- المثل العليا في الاسلام لا في حمدون

يعتبر هذا الكتاب من ضمن الكتب التاريخية والسياسية ، طبع خمسة مرات كان اخرها في بيروت في مطبعة دار العربي الاسلامي عام ١٩٨٠ ، وعدد صفحات الكتاب ١٦٠ صفحة وتكون من ٤٠ محورا ، وحملت هذه المحاور عناوين مختلفة مثلا : " اهداف المسيحية والاسلام " ، " الاسلام والسلام " و " اساليب العمل في الاسلام " وغيرها من المواضيع المختلفة^(٧١) .

٤-نقض فتاوى الوهابية

يعتبر من الكتب التاريخية والفقهية طبع في بيروت على نفقة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث عام ١٩٨٩ ، وتكون من ٦٨ صفحة وبلغت محاور الكتاب ٩ محاور ، واهم هذه المحاور والتي حملت عناوين مختلفة منها : " زيارة القبور " ورأي علماء العامة في البناء على القبور " (٧٢) .

٥-الفردوس الاعلى

كتاب فقهي تكون من ٣٥٢ صفحة ، وبلغ عدد محاوره ٦٢ محورا ، طبع مطبعة ظهور في بيروت عام ٢٠٠٤ (٧٣) .

٦-تحرير المجلة

رسالة علميه فقهيه في المعاملات والعبادات تكونت من خمسة اجزاء ، تكون الجزء الاول من ٦٧٢ صفحة ، طبع في مطبعة سرور على نفقة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، طبع لأول مره في عام ٢٠٠٠ (٧٤) . اما الجزء الثاني فطبع عام ٢٠٠٤ في مدينة طهران بمطبعة فجر الاسلام ، وعدد صفحات الكتاب ٥١٨ صفحة (٧٥) ، واما الجزء الثالث فطبع في طهران بمطبعة خاتم وعدد صفحات الكتاب ٥٥٢ صفحة ، وطبع لأول مره عام ٢٠٠٤ (٧٦) ، واما الجزء الرابع فكانت طبعته الاولى عام ٢٠٠٥ وعدد صفحات الكتاب ٥٥٠ صفحة ، وطبع في طهران بمطبعة فجر الاسلام ، وتكون الجزء الخامس من ٣٦٧ صفحة ، طبع ايضا في طهران بمطبعة فجر الاسلام ، واستخدم في الكتاب حوالي ٦٥٨ مصدرا (٧٨) .

٧-صحائف الابرار في وظائف الاسحار

طبع لأول مرة عام ٢٠١٣ ، في مدينة قم بمطبعة الامام الحسين (عليه السلام) ، وعدد صفحات الكتاب ١٥٠ صفحة ، وتكون الكتاب من اربعة فصول واحتوى على عدد كبير من المحاور العلمية^(٧٩) .

٨- الارض والتربة الحسينية

يعتبر من كتب فقه الاصول ، انتهى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من كتابته عام ١٩٤٤ ، وطبع هذا الكتاب ست مرات كانت طبعته الاولى عام ١٩٦٠ والأخيرة عام ١٩٩٦ ، ترجم الى اللغة الفارسية والهندية ، وعدد صفحات الكتاب ٧٢ صفحة^(٨٠) .

٩- قضية فلسطين الكبرى

يعد من الكتب التاريخية وهو عبارة عن خطب القاها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في المؤتمر الاسلامي في مسجد الكوفة عام ١٩٢٩ ، وطبع في مدينة النجف الاشرف في مطبعة النعمان عام ١٩٦٩^(٨١) . وللشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مؤلفات أخرى عديدة^(٨٢) .

الخاتمة

في ختام هذا البحث لابد من ذكر بعض الاستنتاجات المهمة التي خرجت بها هذه الدراسة وأبرزها :

١- كان للمرجعية الدينية دور واضح في معظم الاحداث خلال تاريخ العراق المعاصر ، واتضح ذلك خلال مشاركتها في التصدي للاحتلال البريطاني للعراق أثناء الحرب العالمية الاولى ، وكذلك دورها في ثورة العشرين فضلا عن موقفها فيما يخص نبذ الخلافات المذهبية بين أبناء البلد الواحد وغيرها من المواقف الأخرى .

٢- بروز نخبة عراقية مثقفة خلال مطلع القرن العشرين نتيجة لتطور التعليم وانتشار الصحافة وتشكيل الدولة العراقية الحديثة ، مما أدى الى بروز شخصيات عراقية أدت دورا واضحا في مجرى الاحداث منهم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء .

٣- تصاعد دور المؤسسة الدينية خلال تلك الحقبة في الأحداث السياسية الداخلية في العراق ، وإنغمست في معظم الأحداث السياسية إذ تولى رجال دين مهمة رئاسة الوزراء ومنهم السيد محمد الصدر عام ١٩٤٨ .

٤- كانت المرجعية الدينية وأبرز افرادها ومنهم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء على علاقة طيبة مع مؤسسات الدولة العراقية الحديثة التي أسسها البريطانيون .

الهوامش:

(١) عرف ايضا بمحمد الحسين ، ينظر : محمد السماوي ، الطليعة من شعراء الشيعة ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، (بيروت : دار المؤرخ العربي ، ٢٠٠١) ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ؛ اغا برزك الطهراني ، طبقات اعلام الشيعة اوقباء البشر ، (النجف الاشرف ، المطبعة العلمية ، ١٩٥٦) ، ج ١ ، ص ٦٢١ ، (٢) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، د.ت) ج ٩ ، ص ٢٥٠ ؛ محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام ، (النجف الاشرف : مطبعة الاداب ، ١٩٦٠) ، ص ٣٦٥ ؛ خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ط ٢ ، (د.م : مطبعة كوتسانوف وشركائه ، ١٩٥٥) ، ج ٦ ، ص ٣٣٩ .

(٣) محمد رضا كاشف الغطاء (١٨٢٢ _ ١٨٧٩) : هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر الكبير ، ولد في مدينة النجف الاشرف ، للمزيد ينظر : جعفر باقر محبوبية ، ماضي النجف وحاضرها ، ط ٢ ، (بيروت : دار الاضواء ، ١٩٨٦) ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .

(٤) عمار السلامي ، حياة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ٢٠٠٤) ، ص ٧ .

(٥) عمار السلامي ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٦) الشيخ احمد كاشف الغطاء (١٨٧٤ _ ١٩٢٥) : الشيخ احمد بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر بن الشيخ خضر ، احد اعلام الاسرة البارزين ن درس على يد عدد من علماء الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف كان ابرزهم السيد محمد كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى ، والشيخ اغا رضا الهمداني والشيخ ملا كاظم صاحب الكفاية . للمزيد من التفاصيل ينظر : جعفر باقر محبوبية ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ .

(٧) الكتاتيب: هو المكان الذي يتعلم فيه الاطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وبعض العمليات الحسابية البسيطة، تدار هذه الكتاتيب من قبل معلم يطلق عليه (الملا) ويكون الشرط الاساسي في المعلم هو ان يكون حافظ للقرآن الكريم والتعليم في الكتاتيب يكون بطريقة فردية لا تخضع لأي قانون، واما بالنسبة للبنات فيتم ارسالهن الى (الملاية). للمزيد من التفاصيل ينظر: ابراهيم خليل احمد، حضارة العراق، (بغداد: د. مط، ١٩٨٥)، ج ١١، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

(٨) عمار السلامي ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(٩) المقدمات: تقسم الدراسة العلمية في حوزة النجف الى ثلاث مراحل ، المرحلة الاولى تسمى (المقدمات) وهي مصطلح يطلق في الحوزات العلمية الشيعية على الكتب التي يدرسها الطالب لمعرفة الحكم الشرعي مثل الفقه والمنطق والبلاغة ، واما المرحلة الثانية فتسمى بالسطوح لان الدراسة فيها بشكل سطحي دون الاعتماد على منهج معين لبيان الدليل ، واما المرحلة الثالثة والاخيرة تسمى البحث الخارج لان الدراسة تكون خارج الكتب المقررة ، للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد رضا المظفر، جامعة النجف في جامعة القرويين، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩)، ص ١٠-١٤ .

(١٠) عمار السلامي ، المصدر السابق ، ص ٨ .

(١١) الشيخ عباس كاشف الغطاء (١٨٢٦ _ ١٨٩٧) بن الشيخ علي ، ولد في مدينة النجف الاشرف ، اهتم بالرياسة الدينية من التدريس والقضاء والحكومة ، درس على يد اخيه الشيخ مهدي والشيخ محمد حسين الكاظمي والميرزا حسين الشيرازي ، له عدد من المؤلفات العلمية ابرزها موارد الانام في شرح الشريعة ، وله ديوان شعر . للمزيد ينظر : جعفر باقر محبوبه ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦١ _ ١٦٤ ؛ محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام ، (النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٤) ، ص ٤٦٤ .

(١٢) الشيخ حسين الخليلي (١٨١٤ _ ١٩٠٧) : فقيه ومجتهد واستاذ في الفقه والاصول ، كان احد اركان النهضة الإيرانية ضد الظلم ، اقام في بيته للشعر سوق في مدينة النجف الاشرف ، وكان على جانب عظيم من التقوى والورع وحسن الاخلاق ، درس على يد عدد من علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف كان ابرزهم : الشيخ صاحب الجواهر ، والشيخ مشكور الحولاي ، والسيد حسن الصدر والميرزا محمد تقى الشيرازي ، توفي في مسجد السهلة تاركا عدد من المؤلفات

العلمية اهمها : كتاب في الغصب ، شرح نجاة العباد . للمزيد ينظر : محمد هادي الاميني ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ ، جعفر باقر محبوبه ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٩ .

(١٣) الشيخ حسين النوري (١٨٣٨ - ١٩٠٢) : الشيخ حسين بن الشيخ محمد تقي بن علي الطبرسي ، من ائمة الفقه والاصول والحديث والرجال ، يعد من كبار علماء الامامية ، له عدة مؤلفات منها : نفس الرحمن ، دار السلام ، مستدرك الوسائل ، للمزيد ينظر : محمد هادي الاميني ، المصدر السابق ، ص ٤٢٥ ، عمر رضا كحالة ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦ .

(١٤) محمد حسين كاشف الغطاء ، جنة الماوى تحقيق : علي القاضي ، (قم المقدسة : دار انوار الهدى ، ٢٠٠٥) ، ص ٣٤ .

(١٥) علي كاشف الغطاء ، سعد صالح في مواقفه الوطنية ١٩٢٠ - ١٩٥٠ ، (بغداد : مطبعة الراية ، ١٩٨٩) ، ص ٤٤ .

(١٦) محمد حسين كاشف الغطاء ، تحرير المجلة ، (النجف الاشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٤٠) ، ص ١٦٦ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

(١٨) الثورة الدستورية : تعد الثورة الدستورية من اهم الاحداث والتطورات السياسية التي شهدها تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، حصلت هذه الثورة نتيجة عاملين هما : سوء الحكم القاجاري واضطراب الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، والعامل الثاني الاتصال المستمر بين ايران واوروبا في القرن التاسع عشر وتسرب الافكار الحديثة اليها وهذا الامر خلق شعورا بضرورة الانتقال الى حكم ملكي دستوري . ينظر : شاهين مكاريوس ، تاريخ ايران ، (القاهرة : دار الافاق العربية ، ٢٠٠٣) ، ص ٢٢٧ - ٢٣٥ ؛ امال السبكي ، تاريخ ايران السباسي بين ثورتين ، (د.م : د.مط ، د.ت) ، ص ٧ - ٣٧ ؛ صالح حسين عبد الله الجبوري ، الثورة الدستورية في ايران (١٩٠٥ - ١٩١١) ، جامعة تكريت ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، العدد ١١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٤٤٤ - ٤٥٠ .

(١٩) علاء حسين الرهيمي ، حقائق عن الموقف في النجف من الثورة الدستورية الايرانية ، مجلة السدير ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، العدد ١ ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٣٠ - ٣٢١ ؛ رسول نصيف جاسم الشمري ، مجلة الاعتدال النجفية ١٩٣٣ - ١٩٤٨ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠٠٥) ، ص ٦٥ .

(٢٠) شكري محمود ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ط ٤ ، (بغداد : د.مط ، ١٩٦٢) .

(٢١) محمد سعيد الحبوبي (١٨٥٠ - ١٩١٥) : ولد السيد محمد سعيد الحبوبي في مدينة النجف الاشرف عام ١٨٥٠ ، ينحدر من أسرة عربية نزحت من الحجاز واستقرت الى جوار مرقد الامام علي (عليه السلام) ، اهتم به والده وعلمته القرآن الكريم والكتابة وهو في سن العاشرة من عمره ثم درس علم اللغة ومبادئ العلوم على يد خاله الشيخ عباس الاعسم ، توفي والدة عام ١٩٠١ ، وكان

في هذا الوقت يدرس ويؤلف ويعظ الناس في الصلاة ، شارك في حملة الجهاد اثناء الغزو البريطاني للعراق ١٩١٤ . للمزيد ينظر : احمد عبد الرسول جبر عباس الشجيري ، الموسوعة الشاملة لشخصيات عراقية معاصرة ، (بيروت : الدار البيضاء ، ٢٠١٣) ، ص ٧٠٢ _ ٧٠٩ .

(٢٢) شيخ الشريعة (١٨٥٠ - ١٩٢٠) : فقيه عالم مجتهد ولد في (٢٥ / كانون الثاني / ١٨٥٠) ، في اسرة دينية عرفت بالنقوى والايمن قاد المجاهدين في حركة الجهاد ١٩١٤ ، آلت اليه قيادة الثورة بعد وفاة محمد تقي الشيرازي ، له العديد من المؤلفات العلمية اهمها : "رسالة في قاعدة لا ضرر ولا ضرار" "زاد المتقين" "رسالة في العصور" "كشف حال وقطع مقال" . للمزيد من التفاصيل ينظر : رواء صباح كناوي الجنابي ، شيخ الشريعة الاصفهاني (١٨٥٠ - ١٩٢٠) ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية التربية للبنات ، ٢٠١١) ، عبد الحسين العلي ، شيخ الشريعة قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، (بيروت : د. مط ، ٢٠٠٥) .

(٢٣) محمد كاظم اليزدي (١٨٣١ - ١٩١٩) : محمد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي اليزدي ، ولد في قرية يزد ، اشتهرت اسرته بزراعة الارض وفلاحتها ، تلقى تعليمه الاولي في الكتاتيب ، ثم هاجر الى مشهد واكمل دراسته فدرس الفلك والرياضيات ، ثم هاجر الى النجف عام ١٨٦٤ ، توفي في النجف ودفن فيها . للمزيد ينظر : كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي ، (قم : مطبعة برهان ، ٢٠٠٦) .

(٢٤) مقدم عبد الحسين الفياض ، منهج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ومواقفه تجاه التحديات السياسية داخل العراق ، جامعة الكوفة ، كلية التربية للبنات ، ص ٢٢٦ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .

(٢٦) حيدر نزار عطية سلمان ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي ، رسالة ماجستير ، (النجف الاشرف : معهد العلمين ، ٢٠٠٧) ، ص ٤٨ .

(٢٧) الحاج عبد الواحد سكر (١٨٨٠ - ١٩٥٦) : احد القادة العشائريين لثورة عام ١٩٢٠ ، ولد عام ١٨٨٠ ، وله دور كبير ابان العهد الملكي فقد شارك في مؤتمر الصليخ والنجف الاشرف لمعارضة الوزارات القائمة التي تلاعبت بنتائج الانتخابات ، وفي عام ١٩٣٥ قام بحركة مسلحة احتجاجا على سوء تصرف وزارة جميل المدفعي ، انتخب عضوا لمجلس النواب عام ١٩٣٧ . ينظر : ناحج عبد الحسين الرماحي ، الشيخ عبد الواحد الحاج سكر ودوره السياسي في تاريخ العراق ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ٢٠٠٤) .

(٢٨) علوان الياسري (١٨٦٩ - ١٩٥١) : علوان بن السيد عباس بن السيد ادريس يصل نسبه الشريف الى ياسر ، جد السادة ال ياسر ، وهم اسرة حسينية النسب يرجع نسبها الى الامام زيد بن علي بن الحسين بن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، ويعد من سادات عشائر لواء الديوانية ، ولد في ناحية غماس عام ١٨٦٩ ، انتقل والده الى منطقة السوادية ، فنشأ فيها السيد علوان وترعرع في احضان والده في مقاطعة (ام رغله) ، ومع نشأته نشأ معه الشعور الوطني وما يجري في

العراق من احداث انذاك . للمزيد ينظر: احمد عبد الرسول الشجيري ، المصدر السابق ، ص ٥٢٧ ؛ حسين الشباني ، موسوعة اعلام الديوانية ، (بغداد : د.مط ، ٢٠٠٩) ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

(٢٩) السيد محسن ابو طيخ (١٨٧٦ _ ١٩٦١) : محسن بن حسن بن علي بن ادريس الملقب (ابي طيخ) ، تعود اصل اسرته الى السادة الموسوية واصلهم من الحجاز ، ولد السيد محسن ابو طيخ في بلدة الخرم (ناحية غماس) في منطقة الشامية ، اكمل دراسته في مدينة النجف الاشرف خلال المدة (١٩٠٥ _ ١٩١٤) ، تولى زعامة والده عام ١٩١٨ ، ويعد ابرز زعماء ثورة العشرين حيث عينته الحكومة متصرفا للواء كربلاء عام ١٩٢٠ ، انتمى الى حزب التقدم عام ١٩٢٥ ، ثم انتمى الى حزب الاخاء الدستوري عام ١٩٥٣ . للمزيد من التفاصيل ينظر : عز الدين عبد الرسول عبد الحسين علي خان المدني ، محسن ابو طيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ١٩٩٩) .

(٣٠) علي جودت الايوبي : (١٨٨٦ _ ١٩٦٩) : احد ابرز السياسيين العراقيين في العهد الملكي ، ولد في الموصل وتوفي في الامارات العربية ، درس في المدرسة الرشيدية في الموصل ثم انضم الى المدرسة العسكرية ثم سافر الى اسطنبول ودخل المدرسة العسكرية وشغل منصب الحاكم العسكري لحلب وحمص خلال مده المملكة العربية السورية ، ثم شغل منصب رئيس الوزراء لثلاث مرات المرة الاولى (١٩٣٤ _ ١٩٣٥) ، للمرة الثانية (١٩٤٩ _ ١٩٥٠) ، واخيرا عام ١٩٥٧ . للمزيد ينظر : حسن لطيف الزبيدي ، موسوعة السياسة العراقية ، ط ٢ ، (بيروت : شركة العرف للمطبوعات ، ٢٠١٣) ، ص ٤٣٥ .

(٣١) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ط ٧ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨) ، ج ٤ ، ص ٣٦ _ ٥٠ .

(٣٢) عبد الستار شنين الجنابي ، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١ _ ١٩٤١ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ٢٠٠٤) ، ص ١٨٣ _ ١٨٦ .

(٣٣) حيدر نزار عطية سلمان ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٣٤) مقدم عبد الحسين الفياض ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٣٥) حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ _ ١٩١٨ ، ط ٢ ، (قم المقدسة : مطبعة قلم ، ١٩٩٠) ، ص ٢٧٤ ؛ مقدم عبد الحسن الفياض ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ _ ٢٣٠ .

(٣٦) عبد الحليم محمد حسين كاشف الغطاء ، عبقرية الامام كاشف الغطاء ، مجلة العرفان ، مجلد ٤٤ ، العدد (٤ _ ٥) ، ص ٦٩٤ .

(٣٧) حيدر نزار ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٣٨) رحيم عباس ، محاولات اصلاح نظم التعليم في الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ص ٤ .

(٣٩) رحيم عباس ، المصدر السابق ، ص ٤ .

- (٤٠) المصدر نفسه، ص ٥.
- (٤١) احمد البهادلي، الحوزة العلمية في النجف الاشرف معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠ _ ١٩٨٠، (بيروت: د. مط، ٢٠٠٩)، ص ٣٢٧.
- (٤٢) رحيم عبد الحسين، المصدر السابق، ص ٦.
- (٤٣) محمد رضا المظفر (١٩٠٤ - ١٩٦٤): هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ عبد الله، ولد في مدينة النجف، ودرس في مدارسها الابتدائية ثم درس في الحوزة العلمية حتى اصبح من كبار علماء الفقه والأصول والفلسفة المنطق، عمل على تأسيس جمعية منتدى النشر عام ١٩٤٤، مثل الشيخ محمد رضا المظفر العراقي في مؤتمر باكستان عام ١٩٥٥ وفي جامعة القرويين عام ١٩٥٨، له عدد من المؤلفات العلمية منها: "أصول الفقه" "السقيفة" "المنطق" "عقائد الشيعة". للمزيد: ينظر محمد هادي الميمني، معجم رجال الفكر، ص ٢٣٧، محمد مهدي الآصفي، الشيخ محمد رضا المظفر وتطويع حركة الإصلاحية في النجف الاشرف، سلسلة رواد الإصلاح، (النجف: د. مط، ١٩٦٥)، ج ٣، ص ٣٣ - ٤٣.
- (٤٤) رحيم عبد الحسين، المصدر السابق، ص ١٢.
- (٤٥) المصدر نفسه.
- (٤٦) محمد حسين كاشف الغطاء، جنة المأوى، ص ٤٦ - ٥٦.
- (٤٧) معن زيادة، معالم عن طرق تحديث الفكر العربي، (الكويت: مطابع الرسالة، ١٩٨٧)، ص ١٩٨؛ عز الدين عبد الرسول علي خان المدني، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٨٧٩ - ١٩٥٤) ورؤيته الاصلاحية للعديد من القضايا الاجتماعية والاصلاحية، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ص ١٧٤.
- (٤٨) محمد حسين كاشف الغطاء، الميثاق العربي الوطني، (النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٣٩).
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- (٥٠) منير بكر التكريتي، ادباء صحفيون، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩)، ص ١٠٣.
- (٥١) محمد حسين كاشف الغطاء، محاوراة الامام المصلح الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والامريكي (المحاوراة بين امام ووزيرين)، ط ٢، (بينوس ايرس: مطبعة مجلة الرفيق، ١٩٥٥)، ص ٥٠.
- (٥٢) حيدر نزار، المصدر السابق، ص ٩١؛ منير بكر التكريتي، المصدر السابق، ص ١٠٣؛ محمد حسين، الميثاق العربي الوطني، ص ٧٠.
- (٥٣) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، (بغداد: دار الزهراء، ١٩٦٣)، ص ٢٤٦.

(^{٥٥}) جعفر الخليلي (١٩٠٤-١٩٨٥) : اديب وصحفي عراقي ولد في مدينة النجف الاشرف ، اصدر جريدة الراعي عام ١٩٣٢ ، ثم اصدر جريده الهاتف الاسبوعية عام ١٩٣٥ واستمرت بالصدور حتى عام ١٩٥٤ ، له عدد من المؤلفات العلمية منها : موسوعة العتبات المقدسة وهكذا عرفتهم . للمزيد ينظر : حميد المطبعي ، اعلام العراق في القرن العشرين ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٥) ، ج ١ ، ص ٥٥ ؛ كوركيس عواد ، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ، (بغداد : مطبعة الارشاد ، ١٩٦٩) ، ج ١ ؛ مير بصري ، اعلام الادب في العراق الحديث ، (لندن : دار الحكمة ، ١٩٩٤) .

(^{٥٦}) جعفر الخليلي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(^{٥٧}) محمد حسين كاشف الغطاء ، المحاوره بين امام ووزيرين ، ص ٤٩ ، علاوي عباس عبد العزاوي ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره في حركة الاصلاح (موقفه من المرأة إنموذجا) ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ص ٢٧٦ _ ٢٨٠ .

(^{٥٨}) احمد امين (١٨٨٦ - ١٩٥٤) : كاتب ، واديب ، ومؤرخ مصري ، ولد في القاهرة ، درس الابتدائية في مدرسة عباس باشا الابتدائية ، ثم درس في الجامع الازهر ، وفي مدرسة القضاء الشعري ، عمل تدريسيا في جامعة القاهرة ، كلية الآداب عام ١٩٢٦ ، له دور في صدور مجلة الرسالة ١٩٣٦ ، وانشأ مجلة الثقافة الادبية الاسبوعية ١٩٣٩ ، وله عدد من المؤلفات العلمية منها : "ضحى الاسلام" و "ظهر الاسلام" و "يوم الاسلام" . للمزيد ينظر : محمد رجب بيومي ، احمد امين مؤرخ الفكر الاسلامي ، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠١).

(^{٥٩}) عبد الامير كاظم زاهد وعامرة تمكين ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء سيرته وأراؤه الاصلاحية ، ص ٦٠ .

(^{٦٠}) عبد الامير كاظم زاهد وعامرة تمكين ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(^{٦١}) النظام الرأسمالي : نظام اقتصادي ذو فلسفه اجتماعية وسياسية تقوم على اساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها ، متوسعا في مفهوم الحرية ، ومن اشهر دعاة هذا المذهب هم : فرانسوا كيز ، جون لوك ، ادم سميث ، روبرت مالتوس ، جون ستيوارت مل ، للمزيد ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت) ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .

(^{٦٢}) محمد حسين كاشف الغطاء ، في السياسة والحكم ، ص ٣٠ .

(^{٦٣}) هوشيار معروف ، الاقتصاد العراقي بين التبعية والاستقلال (بغداد : د. مط ، ١٩٧٧) ، ص ٣٢ .

(^{٦٤}) محمد حسين كاشف الغطاء ، في السياسة والحكم ، ص ٣١ .

(^{٦٥}) حيدر نزار ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ _ ١٠١ .

(^{٦٦}) محمد حسين ، في السياسة والحكم ، ص ٤٢ ؛ محمد حسين ، المحاوره بين امام ووزيرين ، ص ٨ _ ٩ .

- (٦٧) محمد حسين كاشف الغطاء، الدين والاسلام، تحقيق: محمد جاسم السعدي، (قم المقدسة : مطبعة مجاب، د.ت).
- (٦٨) المصدر نفسه.
- (٦٩) المصدر نفسه.
- (٧٠) محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، (بيروت : مطبعة بيسان، ١٩٦٩).
- (٧١) محمد حسين كاشف الغطاء، المثل العليا في الاسلام لافي حمدون، (بيروت : مطبعة دار العربي الاسلامي عام ١٩٨٠).
- (٧٢) محمد حسين كاشف الغطاء، نقض فتاوى الوهابية، (بيروت : مؤسسة البيت لإحياء التراث، ١٩٨٩).
- (٧٣) محمد حسين كاشف الغطاء، الفردوس الاعلى، (بيروت : مطبعة ظهور، ٢٠٠٤).
- (٧٤) محمد حسين كاشف الغطاء، تحرير المجلة، (د.م : مطبعة سرور، ٢٠٠٠)، ج ١.
- (٧٥) محمد حسين كاشف الغطاء، تحرير المجلة، (طهران : مطبعة فجر الاسلام، ٢٠٠٤)، ج ٢.
- (٧٦) محمد حسين كاشف الغطاء، تحرير المجلة، (طهران، مطبعة خاتم، ٢٠٠٤)، ج ٣.
- (٧٨) محمد حسين كاشف الغطاء، تحرير المجلة، (طهران : مطبعة فجر الاسلام، د.ت)، ج ٥.
- (٧٩) محمد حسين كاشف الغطاء، صحائف الابرار في وظائف الاسحار، (قم المقدسة : مطبعة الامام الحسين، د.ت).
- (٨٠) محمد حسين كاشف الغطاء، الارض والتربة الحسينية، (النجف الاشرف : المطبعة الحيدرية، ١٩٦٠).
- (٨١) محمد حسين كاشف الغطاء، قضية فلسطين الكبرى، (النجف الاشرف : مطبعة النعمان، ١٩٦٩).
- (٨٢) وهي كل من : أصل الشيعة وأصولها، طبع في بيروت ١٩٩٠، وكتاب دائرة المعارف النجفية، طبع في النجف ٢٠١٥، وكتاب مقتل الحسين عليه السلام، طبع في قم، وكتاب الاتحاد والاقتصاد، طبع في المطبعة الكاظمية عام ١٩٣٢، وكتاب المراجعات الريحانية، طبع في بيروت عام ١٩١٣، وكتاب الميثاق العربي للوطن، طبع في النجف عام ١٩٣٨، وكتاب السياسة الحسينية، طبع في النجف عام ١٩٥١، وكتاب الوجيز في الفقه، طبع في النجف عام ١٩٢٦، وكتاب سؤال وجواب في الفتاوى الفقهية، طبع في النجف عام ١٩٣١.

المصادر:

- ١- ابراهيم خليل احمد، حضارة العراق، (بغداد: د. مط، ١٩٨٥)، ج ١١.
- ٢- احمد البهادلي، الحوزة العلمية في النجف الاشرف معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠ _ ١٩٨٠، (بيروت: د. مط، ٢٠٠٩).
- ٣- احمد عبد الرسول جبر عباس الشجيري، الموسوعة الشاملة لشخصيات عراقية معاصرة، (بيروت: الدار البيضاء، ٢٠١٣).
- ٤- اغا برزك الطهراني، طبقات اعلام الشيعة او نقباء البشر، (النجف الاشرف، المطبعة العلمية، ١٩٥٦)، ج ١.
- ٥- امال السبكي، تاريخ ايران السياسي بين ثورتين، (دم: د. مط، د. ت).
- ٦- جعفر باقر محبوبية، ماضي النجف وحاضرها، ط ٢، (بيروت: دار الاضواء، ١٩٨٦) ج ٢.
- ٧- جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، (بغداد: دار الزهراء، ١٩٦٣).
- ٨- حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ _ ١٩١٨، ط ٢، (قم المقدسة: مطبعة قلم، ١٩٩٠).
- ٩- حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط ٢، (بيروت: شركة العرف للمطبوعات، ٢٠١٣).
- ١٠- حسين الشباني، موسوعة اعلام الديوانية، (بغداد: د. مط، ٢٠٠٩)، ج ١.
- ١١- حميد المطيعي، اعلام العراق في القرن العشرين، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٥)، ج ١.

- ١٢- خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ط ٢ ، (د.م : مطبعة كوتسانوف وشركائه ، ١٩٥٥) ، ج ٦ مطبعة الاداب ، ١٩٦٠ .
- ١٣- رحيم عباس ، محاولات اصلاح نظم التعليم في الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية .
- ١٤- رسول نصيف جاسم الشمري ، مجلة الاعتدال النجفية ١٩٣٣ _ ١٩٤٨ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الآداب ، ٢٠٠٥) .
- ١٥- شاهين مكاريوس ، تاريخ ايران ، (القاهرة : دار الافاق العربية ، ٢٠٠٣) .
- ١٦- شكري محمود ، حرب العراق ١٩١٤ _ ١٩١٨ ، ط ٤ ، (بغداد : د.مط ، ١٩٦٢)
- ١٧- صالح حسين عبد الله الجبوري ، الثورة الدستورية في ايران (١٩٠٥ _ ١٩١١) ، جامعة تكريت ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، العدد ١١ ، ٢٠٠٩ .
- ١٨- عبد الامير كاظم زاهد وعامرة تمكين ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء سيرته وآراؤه الاصلاحية ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الإنسانية .
- ١٩- عبد الحسين العلي ، شيخ الشريعة قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، (بيروت : د.مط ، ٢٠٠٥) .
- ٢٠- عبد الحليم محمد حسين كاشف الغطاء ، عبقرية الامام كاشف الغطاء ، مجلة العرفان ، مجلد ٤٤ ، العدد (٤ _ ٥) .
- ٢١- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ط ٧ ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨) ، ج ٤ .
- ٢٢- عبد الستار شنين الجنابي ، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١ _ ١٩٤١ ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ٢٠٠٤) .

- ٢٣- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت)، ج ٣.
- ٢٤- عز الدين عبد الرسول عبد الحسين علي خان المدني، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٨٧٩-١٩٥٤) ورؤيته الاصلاحية للعديد من القضايا الاجتماعية والاصلاحية، جامعة الكوفة، كلية الآداب.
- ٢٥- عز الدين عبد الرسول عبد الحسين علي خان المدني، محسن ابو طيخ ودوره في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الاداب، ١٩٩٩).
- ٢٦- علاء حسين الرهيمي، حقائق عن الموقف في النجف عن الثورة الدستورية الايرانية، مجلة السدير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، العدد ١، ٢٠٠٣.
- ٢٧- علاوي عباس عبد العزاوي، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره في حركة الاصلاح (موقف من المرأة إنموذجا)، جامعة الكوفة، كلية الآداب.
- ٢٨- علي كاشف الغطاء، سعد صالح في مواقفه الوطنية ١٩٢٠-١٩٥٠، (بغداد: مطبعة الراية، ١٩٨٩).
- ٢٩- عمار السلامي، حياة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الاداب، ٢٠٠٤).
- ٣٠- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (بيروت: دار احياء التراث العربي، د.ت) ج ٩.
- ٣١- كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي، (قم: مطبعة برهان، ٢٠٠٦).

- ٣٢- كوركيس عواد ، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ، (بغداد : مطبعة الارشاد ، ١٩٦٩) ، ج ١ .
- ٣٣- محمد حسين كاشف الغطاء ، الدين والاسلام ، تحقيق : محمد جاسم السعدي ، (قم المقدسة : مطبعة مجاب ، د.ت) .
- ٣٤- محمد حسين كاشف الغطاء ، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية ، (بيروت : مطبعة بيسان ، ١٩٦٩) .
- ٣٥- محمد حسين كاشف الغطاء ، المثل العليا في الاسلام لافي حمدون ، (بيروت : مطبعة دار العربي الاسلامي عام ١٩٨٠) .
- ٣٦- محمد حسين كاشف الغطاء ، نقض فتاوى الوهابية ، (بيروت : مؤسسة البيت لإحياء التراث ، ١٩٨٩) .
- ٣٧- محمد حسين كاشف الغطاء ، الفردوس الاعلى ، (بيروت : مطبعة ظهور ، ٢٠٠٤) .
- ٣٨- محمد حسين كاشف الغطاء ، تحرير المجلة ، (د.م : مطبعة سرور ، ٢٠٠٠) ، ج ١ .
- ٣٩- محمد حسين كاشف الغطاء ، صحائف الابرار في وظائف الاسحار ، (قم المقدسة : مطبعة الامام الحسين ، د.ت) .
- ٤٠- محمد حسين كاشف الغطاء ، قضية فلسطين الكبرى ، (النجف الاشرف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٩) .
- ٤١- محمد حسين كاشف الغطاء ، جنة الماوى تحقيق : علي القاضي ، (قم المقدسة : دار انوار الهدى ، ٢٠٠٥) .

- ٤٢- محمد حسين كاشف الغطاء ، تحرير المجلة ، (النجف الاشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٤٠) .
- ٤٣- محمد حسين كاشف الغطاء ، الميثاق العربي الوطني ، (النجف الاشرف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٣٩) .
- ٤٤- محمد حسين كاشف الغطاء ، محاورة الامام المصلح الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والامريكي (المحاورة بين امام ووزيرين) ، ط ٢ ، (بينوس ايرس : مطبعة مجلة الرفيق ، ١٩٥٥) .
- ٤٥- محمد رجب بيومي ، احمد امين مؤرخ الفكر الاسلامي ، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠١) .
- ٤٦- محمد رضا المظفر، جامعة النجف في جامعة القرويين، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩) .
- ٤٧- محمد السماوي ، الطليعة من شعراء الشيعة ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، (بيروت : دار المؤرخ العربي ، ٢٠٠١) ، ج ٢ .
- ٤٨- محمد مهدي الآصفي، الشيخ محمد رضا المظفر وتطويع حركة الإصلاحية في النجف الاشرف ، سلسلة رواد الإصلاح ، (النجف: د. مط ، ١٩٦٥) ، ج ٣ .
- ٤٩- محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام ، (النجف الاشرف : مطبعة الآداب ، ١٩٦٤) .
- ٥٠- معن زيادة ، معالم عن طرق تحديث الفكر العربي ، (الكويت : مطابع الرسالة ، ١٩٨٧) .

- ٥١-مقدم عبد الحسين الفياض ، منهج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ومواقفه تجاه التحديات السياسية داخل العراق ، جامعة الكوفة ، كلية التربية للبنات .
- ٥٢-منير بكر التكريتي ، ادباء صحفيون ، (بغداد : مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٩)
- ٥٣- مير بصري ، اعلام الادب في العراق الحديث ، (لندن : دار الحكمة ، ١٩٩٤) .
- ٥٤-ناحج عبد الحسين الرماحي ، الشيخ عبد الواحد الحاج سكر ودورة السياسي في تاريخ العراق ، رسالة ماجستير ، (جامعة الكوفة : كلية الاداب ، ٢٠٠٤) .
- ٥٥- هوشيار معروف ، الاقتصاد العراقي بين التبعية والاستقلال (بغداد : د.مط ، ١٩٧٧) .

(أ نموذج المرجعية الدينية ورسائلها الموجهة إلى المجتمع: دراسة تحليل

مضمون خطاب الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية العليا سماحة السيد

علي السيستاني)

د. محمد الياسري / دكتوراه في الأدب الفرنسي / العراق

د. بانه أحمد إبراهيم / دكتوراه في علم الاجتماع السياسي / سوريا

مقدمة:

لم يرق حال الخطاب السياسي والديني في الوطن العربي عموماً إلى حال الخطاب المتسم بالعلمية والمنهجية الأكاديمية، ولم يخرج من رحم الخطاب التقليدي الاجتماعي البسيط، الذي قد يتناسب ومستوى التكوين الاجتماعي أكثر منه ومستوى الدولة، وغالباً ما يبتعد كل البعد عن النقد الذاتي بل يغيب كلياً عنه، وتبقى الخطابات السياسية والدينية خارج نطاق التحليل العلمي الأكاديمي المنهجي الذي يكشف عن مضامينها المعلنة والمضمرة، خاصة أن جمهورها العربي خاصة الديني يتلقفها باللاوعي واللاشعور ولا يحاكيها عقلياً ومنطقياً.

أولاً: مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة البحث في حاجة الدولة العراقية إلى تجنيد المواطنين العراقيين في صفوف قواتها المسلحة لتكون قوة شعبية رديفة لجيشها العراقي في حربه ضد الإرهاب المتمثل في تنظيم داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، والذي كان آنذاك ينتهك من سيادة الدولة العراقية على أراضيها و ينتهك حرمتها وحرمة مواطنيها، ويبدد أمنهم عبر القتل والذبح والتهديد بالسلاح، عدا عن وصول التنظيم

الإرهابي إلى تخوم العاصمة بغداد وتهديده بهدم العتبات والمراقد في مدينتي كربلاء والنجف المقدسة.

وعليه توجه المرجعية الدينية العليا سماحة السيد (علي السيستاني) في خطاب للشعب العراقي أفتى من خلاله فتوى الجهاد الكفائي، وحث أبناء العراق على الانخراط في صفوف الجيش العراقي، وتأسست بناء على هذه الفتوى حركة الحشد الشعبي، تلبية لخطابه ولنصرة الدولة العراقية وصيانة مقدساتها.

ثانيا: أهمية البحث:

أ- الأهمية النظرية: تتأتى من ضرورة تسليط الضوء على دور المرجعيات الدينية في ظل عالم عربي سياسي متغير.

ب- الأهمية العملية: تتجلى الأهمية العملية في النقطتين التاليتين:

١- أثمرت فتوى الجهاد الكفائي عبر خطاب المرجعية الدينية حركة (الحشد الشعبي العراقي).

٢- الأهمية الكبرى لتوظيف طريقة تحليل المضمون الكيفي التي تضمن بها الأبحاث العلمية كمنهجية خاصة الأبحاث الاجتماعية وندرة توظيفها في تحليل الخطابات السياسية والدينية.

ثالثا: أهداف البحث: هدف البحث إلى:

١. تبين مدى ارتباط المرجعية الدينية أو انفصالها عن السياسة العامة.
٢. استخدام طريقة تحليل المضمون الكيفي في الخطابات السياسية والدينية وتكثيفها علميا ومنهجيا في الأبحاث..

رابعا: تساؤلات البحث: يطرح البحث التساؤلات التالية:

١. كيف تجلت العلاقة بين السلطة والدين في الخطاب؟

٢. ما أنموذج العلاقة بين جمهور الخطاب والمرجعية الدينية(علي السيستاني) في الخطاب؟

٣. كيف قدمت المرجعية نفسها في الخطاب؟

٤. ما السمات العامة للخطاب الديني الشيعي السيستاني إن صح التعبير؟

٥. ما أهم الرسائل التي انطوى عليها خطاب المرجعية الدينية للشعب العراقي؟
خامسا: المفاهيم والمصطلحات العلمية المرتبطة بالبحث.

أ. مفهوم الخطاب

يجتمع الباحثون على ما عرفه الباحث (د.مازن الوعر) بأنه "هو تركيب من الجمل موجه عن قصد إلى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب عن طريق الشرح والتحليل والإثارة، ويتضمن هذا المضمون أفكارا سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيا"(أبو العلا، ٢٠١٠، ص٦).

تنقسم عناصر الخطاب إلى عنصرين أساسيين وهما: المرسل ويمثل طرف الخطاب الأول الذي يتجه بخطابه إلى المرسل إليه المتمثل في الجمهور المتلقي كطرف ثان، ومن هنا تقوم علاقة الاتصال بحسب الدافع الكامن في ذات المرسل ومقصده من الخطاب حيث يعول على الجمهور في استثارة ردة الفعل لديه أو إخمادها، وحسب (غريماس) "نظرية العامل في دراسة بنية الخطاب، ويبقى التمثل شاخصا بين هذه العوامل عبر محور الرغبة"انظر(بغورة، ٢٠٠٠، ص ١٢٤ - ١٤٤)، أي يبقى محور الرغبة محتلا الأهمية القصوى لكون الغائية والمقصد فيه.

طريقة تحليل المضمون:

عرف الباحث (كامل القيم) منهجية تحليل المضمون بأنها "مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات

الارتباطية لهذه المعاني من خلال البحث الكمي والموضوعي المنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى " (القيم، ٢٠١١، ص ٩)، بهذا تكون هذه الطريقة دليل البحث عن المعنى الذي يحمله النص، " بمن" يتعلق وطبيعة المنتج هل هو فرد أم جماعة، والظروف المحيطة بهذا المنتج وأصوله ورغباته، انطلاقاً من التحديد الزماني والمكاني وعلاقاته بالآخر، و"ماذا" يقول بما يتعلق بها من مضامين مرتبطة بالأفكار والاتجاهات السائدة من خلال الوقوف على معطيات الإثبات والنفي في مكنون الخطاب، والسؤال "لن" يحدد نوع المرسل إليه، والسؤال "كيف" هو نوع الرسالة. انظر (إوزي، ١٩٩٣، ص: ٣٧)، هذا بالإضافة إلى تحديد المؤثرات الأشد وقعا في الجمهور، عبر تحديد مكنون الخطاب وفق الحالة السائدة، والسؤال "الهدف" من الخطاب لا يتم بشكل مباشر، بقدر ما يتعلق بالظروف المحيطة والشواهد المساندة والمساعدة، ولعل الشاهد الأهم يكمن في الخطاب السياسي "توزيع الأعداء، أو طبيعة الصراع التقليدي بين القوى، (بارت، ١٩٩٣، ص ٢١)، وسؤال "النتيجة" يرتبط بأفق التوقع من حيث تأثير الخطاب في الجمهور واستثارته نحو فعل ما يخدم قضية المرجعية المرسل للخطاب

سابعاً: المناقشة:

يرتبط الخطاب السياسي عامة بالسلطة ويكشف عن فلسفتها بشكل ما، ولكن قد تتم فصل السلطة والمعرفة في الخطاب، وكما يقول المنظر (فوكوياما) " يجب ألا نتخيل عالماً للخطاب مقسماً بين الخطاب المقبول والخطاب المرفوض، أو بين الخطاب المسيطر والخطاب المسيطر عليه، بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل في استراتيجيات مختلفة (وذلك) لأن الخطابات عناصر أو كتل تكتيكية في حقل علاقات القوى، قد تكون هناك أشكال متباينة

منها وحتى متناقضة داخل الإستراتيجية الواحدة نفسها، وبالعكس يمكن أن تنتقل هذه الخطابات بين استراتيجيات متناقضة دون أن يتبدل شكلها^(١) بغورة، ٢٠٠٠، ص: ٢٧٨)، هذا ضمن نظام أيديولوجي أكبر ينتمي له الخطاب السياسي فهو الجزء الظاهر منه، في حين أن الجزء الخفي هو الممارسات، حيث يرى الباحث (محمد عبد العليم) أن "الأيديولوجية تقع في المسافة بين الواقع الحقيقي المتيقن وتصورنا عن الواقع" (محمد، ٢٠١٣، ص٣)، بمعنى لا ينفك الخطاب من أنه نتاج البيئة أيديولوجيا، ولا يثمر إلا إذا توافقت معها رغم أن الأمر قد لا يكون إيجابيا دائما.

ولا يخرج الخطاب السياسي في العالم العربي عن ما هو سائد أيديولوجيا ومجتمعيا في هذه الدولة أو تلك، ولذلك قد يبقى الخطاب السياسي موجها مقيدا بما يحكم هذا المجتمع أو ذاك من أيديولوجية علنية أو خفية ضمنية في فكر المرسل، أو تحاكي كما أشار لها المنظر الاجتماعي (إميل دوركهايم) بالضمير الجمعي أو كما وصفه عالما النفس (أدلر ويونغ) بالاشعور الجمعي للجماعة.

ثمة حذر ضروري في إعداد بنية الخطاب الديني في وضوح رسالته للجمهور مبني على أساس المركز والدور الاجتماعي الديني للمرجعية الدينية، فلتحديد مكانة المرسل دور في مقدار قبول خطابها أو رفض الجمهور له، بحسب رمزياتها لهم كمرجعية دينية في العراق والتي قد يسلم معظمه تسلميا مطلقا بفكرها الديني، وعليه توظف المرجعية الدينية الأيديولوجية الدينية لاستقطاب جمهورها من آيات قرآنية وذكر رموز دينية مقدسة واستشهاد بحوادث تسهم في تحريض عملية المقارنة العقلية لدى جمهورها، وكما تستغل المناسبات الدينية ذات الخصوصية كخطبة يوم الجمعة المعتادة أو ذكرى عاشوراء المقدسة وغيرها من المناسبات الدينية لطرح

القضايا الدينية المهمة بهدف استثارة الجمهور، خاصة أن الخطاب يختمر في ذهن الجماهير، ويأخذ بألبابهم وعقولهم، ويصبح لاحقا دليلا على المرجعية والجمهور على حد سواء.

ثامنا: منهجية البحث: يعتمد البحث المنهجية التالية:

أ. المنهج: يعد البحث من دراسات المنهج الوصفي التحليلي.

ب. الطريقة: يعتمد في البحث طريقة تحليل المضمون، عبر وحدة تحليل (وحدة الموضوع).

ج. وحدة التحليل: وحدة تحليل الموضوع المتمثلة ب المرجعية الدينية (علي السيستاني) وكل ما يدل عليها من مفاهيم وأفعال ومصطلحات بشكل مباشر أو غير المباشر ذو دلالة يعرب عنه في نص الخطاب، وقد انتهج البحث شبكات تحليل مضمون الخطاب بحيث تتناسب منهجيا ونص الخطاب كالآتي:

أ. شبكة المفردات المتناقضة: الكلمات أو المفردات التي تمت بعلاقة متناقضة أو سلبية للمفهوم المدروس من حيث المعنى لهما كان موقعها بالجملة أو النص. (العراق وداعش)

ب. شبكة الأفعال: وهي الأفعال التي يقوم بها المفهوم المدروس إذا في موقع الفاعل (أفعال ل)، والأفعال تلك التي تقع عليه موقع المفعول به (أفعال على)، وقد اعتمد بهدف رصد العلاقة الوظيفية بين شبكة الأفعال على وهي (أفعال تقع على المرجعية الدينية، وأفعال تقع على الشعب العراقي، وأفعال تقع على الحكومة العراقية).

ج- شبكة الذات: وهي شبكة من المفاهيم التي تبين مقدار الأنا ومقدار (نحن) الجماعة، من أفعال ومعنى أو ضمائر ودلالات بحسب موقعها في الجملة والنص، وتتمثل في (أنا المرجعية الدينية) و (نحن الشعب العراقي).

د- شبكة مفاهيم المنظومات: وهي شبكة تستخرج منها الدلالات الصريحة العلنية والصفات والمفاهيم والمضمرات التي تبين المنظومات الاجتماعية في الخطاب، وقد اختير أيضا كلا من (المنظومة الدينية، والمنظومة القيمية الأخلاقية، والمنظومة السلطوية) التي وجهتها المرجعية الدينية في نصها.

تاسعا: مجالات البحث: تقف مجالات البحث عند الحدود التالية:

أ- المجال الزمني: في يوم الجمعة ١٣/حزيران/٢٠١٤ ميلادي، الموافق ١٤ شعبان ١٤٣٥ هجري.

ب- المجال الجغرافي قد يتحدد جغرافيا بالصحن الكربلائي في مدينة كربلاء المقدسة في العراق.

ج- المجال البشري: متمثل في شخص المرجعية الشيعية الدينية العليا سماحة السيد (علي السيستاني) الذي كلف ممثله الشيخ عبد المهدي الكربلائي بإلقاء الخطاب على الجمهور بعد مصادقته على مضمونه ونسب الفتوى إليه، مما يمكن اعتبار هذا الخطاب هو خطاب للمرجعية السيستاني بحكم المصادق عليه وما جاء فيه وينسب مضمونا وجوهرا.

عاشرا: تحليل البيانات:

جدول يبين شبكة تحليل الأفعال على

جدول رقم (١)

أفعال على المرجعية الدينية	أفعال على الشعب العراقي	أفعال على الحكومة العراقية
أود	اعتراف بالعدل	يقتضي
التوضيح	أرواحنا فدا	ترك الاختلاف
دعمها	وعي	التناحر
إسنادها	مسؤولية ملقاة على	توحيد موقفها
تحثكم	عائقنا	توحيد كلمتها
أوضح	يواجه	دعمها
نذكره	التصدي لهم	إسنادها للقوات المسلحة
أود	مقاتلتهم	دفاع
أوضح	حفظ وطننا	بسط نفوذه وهيمنته
	حفظ مقدساتنا	اجعلوا قصدكم
	حافظنا	الدفاع عن حرمة العراق
	لا يجوز أن يدب الخوف	صيانة المقدسات
	اصبروا	دفع يضحى منكم
	صابروا	سبيل الدفاع عن الوطن
	اربطوا	شهيدا أن يتحقق الغرض
	رابطوا	المطلوب من الجهات
	اتقوا الله	تكريم

ووحده حفظ الأمن	تفلحون استعينوا بالله اطيعوا الله لا تتنازعوا تفشلوا تدخلوا الجنة قاتلوا في سبيل الله لا تعتدوا مهمة واجب الدفاع دفاع عن الأعراض دفاع عن المقدسات يحث الأب تحث الأم تحث الزوجة دفاعا عن حرمان البلد تقتضي الدفاع عن الوطن واجب على المواطنين (وجوب كفائي) على الشعب	
-------------------------------	--	--

	يتصدى له يتحقق الغرض واجب على المواطنين دك الشر حفظ العراق حفظ الأعراض حفظ المقدسات حمل السلاح مقاتلة الإرهابيين دفاعا بلدهم دفاعا شعبهم دفاعا مقدساتهم عليهم التطوع الانخراط في القوات الأمنية تحقيق عليهم التطوع والانخراط	
--	--	--

جدول يبين تحليل شبكة الذات

جدول رقم (٢)

أنا المرجعية الدينية	نحن الشعب العراقي
أشهد	أمامنا الغائب (ضمير نا الدالة على
عهدنا (ضمير نا الدالة على المرجعية)	نحن المسلمين الشيعة)
المرجعية الدينية	مؤمنين
العليا	مؤمنات
أبنائنا (ضمير نا الدالة على المرجعية)	ما أمنوا (ضمير واو الجماعة يشمل
نسأل الله	المسلمين العراقيين جمهور الخطاب
الحمد لله	المقصود بالدعوة)
أبنائنا في القوات المسلحة	الأخوة
	الأخوات
	مواطنوه
	شعب العراق
	كل العراقيين
	الذين آمنوا
	الجميع
	بطائفة
	طرف دون آخر
	قبلكم
	واحد منهم

لقومه	
للمواطنين	
شعبه	
أعراض مواطنيه	
الباقيين	
عشرة آلاف	
شعب العراق	
إحدى عشر ألفا	
خمسة عشر ألفا	
عشرون ألفا	
ثلاثون ألفا	
الأخوة	
المواطنين	

جدول يبين شبكة مفاهيم المنظومات

جدول رقم (٣)

المنظومة القيمية الأخلاقية	المنظومة السلطوية	المنظومة الدينية
السلام	العبد	بسم الله
الشيم	هارون الأمة	حمد الله
العلم	سيدنا	الرضا
الحكمة	مولانا	المدد
الحب	سيدتنا	لا شريك
الريبية (العلاقة الأبوة)	مولاتنا	لا شبيه
والبنوة	سيد الوصيين	عظمة
الرضا	سيد الشهداء	محمد
الطهارة من الدنس	وليكم القائم بأمرك	آله الطاهرين
العصمة من الذل	السيف	علي بن أبي طالب
المسؤولية	مسؤولية شرعية	الحسن
الشجاعة	ووطنية	الحسين
المسؤولية الوطنية	العاقبة	فاطمة الزهراء
المسؤولية الشرعية	القيادات السياسية	السجاد العلي
العطاء	مسؤولية تاريخية	الباقر محمد
التضحية	قوة إضافية	الصادق جعفر
الصابرة (الصبر)	أبناء الجيش العراقي	الكاظم موسى

العطاء	الصمود الثبات	الرضا علي
النصر	الأجهزة الأمنية	الجواد محمد
البسالة	مسؤولية تاريخية	الهادي علي
الصدق	وطنية وشرعية	العسكري الحسن
	القوات المسلحة	اللهم صل وسلم
	الضباط	عجل الله فعل فرجه
	الجنود	اجعل المقصود (الله)
		اغفر المقصود (الله)
		تجاوز المقصود (الله)
		بلغهم المقصود (الله)
		أقهم المقصود (الله)
		قدير المقصود (الله)
		الأرض لله
		الغرض المقدس
		أن الله
		يورثها (فعل التوريث لله)
		الله تعالى
		سميع مجيب

جدول يبين شبكة مفاهيم المتناقضات

جدول رقم (٤)

العراق	داعش
أوضاع العراق	الفجار
تحدي	الإرهابيين
خطر عظيم	يستهدفون
بعض المحافظات	السيطرة
نينوى	يصرحوا
صلاح الدين	تهتك
جميع المحافظات	المعتدين
بغداد	يقاتلوكم
كربلاء المقدسة النجف الأشرف	المعتدين
الظروف الصعبة	هؤلاء الإرهابيين
التحديات	منهج ظلامي
المخاطر	بعيد عن روح الإسلام
بلدنا	يرفض التعايش
كرامته	العنف
مقدساته	سفك الدماء
حفظ بلدنا	أثارة الاحتراض الطائفي
مقدساتنا	الشر
الفترة العصبية مختلف مناطق العراق	الهتك

شر كيد الأعداء	حرمت العراق البلد المظلوم الجريح مخاطر
-------------------	---

إحدى عشر: مناقشة نتائج تحليل البيانات: يتبين من تحليل محتوى شبكات التحليل مضامين الخطاب ما يلي:

١. لعب عامل الزمن الذي سبق الخطاب دورا في رفع حدة الترقب والتوقع لدى الجمهور في ظل الظروف التي سبقت الخطاب وتم تهديد هتك الأماكن المقدسة من قبل داعش.

٢. حمل الخطاب قدرا كبيرا من (نحن الشعب) وقلت فيه (أنا المرجعية الدينية العليا علي السيستاني)، أي اندمجت ذات المرجعية في موضوع المصير الجمعي للشعب ولم تنفصل عنه بل توحدت معه، ومثال على ذلك من النص (وطننا العراق، أبنائنا في القوات المسلحة) وقياس عليها بما يضمنه الضمير (نا) الدال على الفاعلين والذي يعول عليه التشاركية في المصير.

٣. استخدمت المرجعية في خطابها مفردات دالة على السلطة الأبوية منذ بدايته، أي أوخت لهم أن المرجعية ذو وصاية أبوية عليهم، قائلا: "الأخوة والأخوات، أبنائنا" من خلال هذه العبارات تستولي المرجعية الدينية على صلاحيات الأب في المجتمع الشرقي، ويكاد يشترك في النزعة الأبوة هذه معظم المرجعيات ويتقبلها الجمهور بسلاسة لأنها تخاطب ثقافتهم الاجتماعية وتشكل لديهم الحالة الذهنية والأخلاقية لديهم تخدم رسالة الخطاب فكرا وسلوكيا.

٤. قصدت المرجعية استقطاب الجمهور فقد حمل الخطاب آليات استثارة العاطفة والمشاعر الدينية والوطنية والأخلاقية عند الجمهور، ومثال على ذلك "التحدي وإن كان كبيراً، اجعلوا مقصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمة العراق، حفظ العرض" وقس عليها.

٥. قدمت المرجعية نفسها في أكثر من شخصية ودور، منها الأب والمخلص للعراق بنصحه من أزمته عبر الفتوى، وقدم نفسه قائداً يحمل الفكر العسكري القائم على التنظيم والتخطيط الحرب والنصر، ومثال "إن الكثير من الضباط والجنود قد أبلوا بلاء حسناً، إن القيادات السياسية في العراق أمام مسؤولية، المطلوب من الجهات المعنية" وقس على ذلك من النص.

٦. عبرت المرجعية في استخدامها صيغة الجمع بضمائر ذات دلالة على الكل في بوتقة الكل (لنا) الدالة على الفاعلين و(واو الجماعة) مما يبين فكرة دمج الدولة والمجتمع حيث "عهدنا، بلغهم، عاتقنا، اصبروا" وقس على ذلك.

٧. أعرب الخطاب عن فكرة لا فصل في تقاسم المصير والمسؤولية الوطنية بين الحكومة والشعب بمختلف أطيافه، مما يجسد مقولة الدين لله و الوطن للجميع (لا تختص بطائفة، طرف دون آخر، يستهدفون جميع المحافظات)

٨. وظفت المرجعية الأيديولوجية الدينية منذ بداية الخطاب وفي وسطه ونهايته توظيفاً منطقياً مؤثراً، ويبرر ذلك أن المرسل مرجعة دينية عليا ومكان وزمن الخطاب متوافق والخاصة الدينية، فلوحظ البسملة والتمهيد الديني الذي استغرق زمن (٢,٥٧) دقيقة من زمن الخطاب، ثم توظيف الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع في متن الخطاب وانتهى بالصلاة والسلام والدعوة لله عز وجل بالنصر للعراق، مما يدل على قدرة المرجعية على الحاجة المنطقية.

٩. جاءت لغة الخطاب سلطوية في بعض المواضع سواء على الشعب والسلطة، ومثال "لا يجوز، يتوجب عليها، لابد من أن يتحقق" وقيس عليها.

١٠. يلتبس عملية إسقاط الفعل على المسؤولين في الحكومة العراقية وعلى الشعب على حد سواء بنفس الكم من البنية اللغوية للخطاب.

١١. حددت المرجعية وظيفتها ودورها الديني والاجتماعي في التوضيح والإفتاء والحث والتذكير، مثال "أود أن أوضح، أود التوضيح" وقس عليها.

١٢. استخدام لغة بنيوية إنسانية أخلاقية عليا وهذا بحكم كون المرسل مرجعية دينية عليا وكون المنظومة القيمية في الخطاب غنية بالإنسانية.

١٣. جاءت المنظومة الدينية غنية تخاطب الفكر الديني أكثر من طائفة مسلمة.

١٤. يتبين أن خطاب المرجعية موجه للشعب العراقي خاصة والمسلمين عامة.

١٥. خاطبت المرجعية المنظومة السلطوية بمختلف مستوياتها (الضباط، المسؤولين، الجنود، الأجهزة الأمنية)، كما استخدمت اللغة البنيوية للخطاب المعنى السلطوي الرمزي "السيف الذي أعدته لنصرك، ولينك قائم بأمرك"

١٦. وصف المرجعية أنموذج العدو بالعدو الديني التاريخي، فكانت بنيته اللغوية سلبية إزاء داعش.

١٧. تبين تأثير الخطاب واضحا عبر رصد انفعالات الجمهور من خلال التكبير والتسليم وترديد الشعارات الحماسية في بداية الخطاب ومنتصفه ونهايته كرد فعل لاشعوري على خطاب المرجعية، كما جاءت تبعيات الخطاب لاحقا في تأسيس حركة الحشد الشعبي.

١٨. جاورت المرجعية دائما العراق بالمقدسات في كربلاء والنجف مما يكشف ارتباط لغة الخطاب بالفكر الشعبي خاصة أن مكان الخطاب كربلاء المقدسة.

١٩. جاورت المرجعية مفهوم الأرض بالعرض وهذا يبين ارتباط لغة الخطاب بتابوهات الفكر الشعبي.

اثنا عشر: نتائج البحث:

يمكن استخلاص نتائج البحث و الإجابة على تساؤلاته كنتائج إضافية وهي كالتالي:

١. العلاقة الوظيفية بين الدين والسياسة عبر توظيف بنية الخطاب اللغوية لخدمة قضية سياسية ووطنية.
٢. العلاقة تلازمية بين السلطة والدين.
٣. العلاقة تلازمية بين حرمة العراق و حرمة المقدسات.
٤. تمثل التابوهات الاجتماعية في الخطابات الدينية(الأرض العرض الدين)
٥. اعتماد الخطاب المرجعية على الحاجة والمنطقية والتسلسلية.
٦. تجاوز الخطاب الفكر الديني الخاص بالطائفة الشيعية والتوجه للشعب بكل أطيافه في القضايا الوطنية مما يجعله خطابا جماهيريا يؤسس لقضية رأي عام وليس دينيا فقط.

المراجع العربية

- ١- أبو العلا، أمجد، الخطاب السياسي وأثره في تحريك الشعوب، منشورات دار يقظة فكر، مصر، ٢٠١٠.
- ٢- أوزي، أحمد، تحليل المضمون ومنهجية البحث، الشركة المغربية للطباعة، الرباط، ١٩٩٣.
- ٣- بارت، رولان، درس السيمولوجيا، ترجمة: بنعيد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء ١٩٩٣.
- ٤- بغورة، الزازوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكاياما، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٠.
- ٥- القيم، كامل، المحتوى الإعلامي ومنهج تحليل المضمون، منشورات الملتقى الاجتماعي، مصر، ٢٠١١.
- ٦- محمد، عبد العليم، تحليل الخطاب السياسي، ورقة سيمينار علمي سنوي، مركز الأهرام والدراسات الإستراتيجية، القاهرة، ٢٠١٣.
- ٧- نصر، مارلين، المفهوم القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١.

نص خطبة الجهاد الكفائي في الصحن الكربلائي المصادف يوم الجمعة الواقع في ١٣/حزيران/٢٠١٤ ميلادي، الموافق ١٤ شعبان ١٤٣٥ هجرياً.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي جعل الاعتراف بالعدل من عبده وسيلة لأداء حمده، والذي لم يعبد العباد إلا بهدايته ورشده، ولم يدرك رضاه إلا بمدد من عنده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا شبيه له في عظمته، وأشهد أن محمد صلى الله عليه وآله عبده الذي اختاره من الأنام ورسوله الذي أنار به الظلام صلوات الله وسلامه عليه على آله أفضل التحية والسلام، اللهم صل على المرسلين جميع الأمم، والمبعوث لحاسن الشيم، سيدنا ومولانا أبو القاسم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين نبينا، و اللهم سلم على هارون الأمة وباب مدينة العلم والحكمة سيدنا ومولانا أبي الحسن والحسين سيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام، اللهم صل وسلم على بضعة النبي وحبيبته وكريمة الوحي وربيبته البتول المرضية سيدتنا ومولتنا أم الحسن والحسين فاطمة الزهراء عليها السلام، اللهم صل وسلم على مصباحي الضياء وريحانتي أهل الكساء سيدنا ومولانا أبي محمد الحسن المجتبي عليه السلام وسيدنا مولانا سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، اللهم صل وسلم على المطهرين من الدنس، والمعصومين من الذل السجاد العلي، الباقر محمد، الصادق جعفر، والكاظم موسى، والرضا علي، والجواد محمد، والهادي علي، والعسكري الحسن، صلاة كثيرة دائمة، اللهم صل وسلم على وليك القائم بأمرك، والسيف الذي أعدته لنصرك، رائد منهاج الهدى، دليل حجة الأمة سيدنا وأمامنا الغائب أبي القاسم محمد بن الحسن الحجة المنتظر، عجل الله فعل فرجه الشريف وجعل أرواحنا له الفدا، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات،

وتجاوز عن قبيح ما عملوا وبلغهم بفضلك ما أمنوا وأقهم صولة الزمان ومصائب الشيطان وكيد الفجار إنك على كل شي قدير.

أيها الأخوة والأخوات:

إن الأوضاع الذي يمر بها العراق ومواطنوه خطيرة جدا، ولا بد أن يكون لدينا وعي بعمق المسؤولية الملقاة على عاتقنا أنها مسؤولية شرعية ووطنية كبيرة، أيها الأخوة والأخوات: أود توضيح ما يلي:

أولا: إن العراق وشعب العراق يواجه تحديا خطيرا وخطرا عظيما، وإن الإرهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط، بل صرحوا أنهم يستهدفون جميع المحافظات ولا سيما بغداد وكريلاء المقدسة والنجف الأشرف، فهم يستهدفون كل العراقيين في جميع مناطقهم، ومن هنا؛ فإن مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون أخرى أو بطرف دون آخر.

ثانيا: إن التحدي وإن كان كبيرا إلا أن الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر، فإن المسؤولية في الوقت الحاضر هي حفظ وطننا العراق ومقدسات العراق من هذه المخاطر وهذه توفر لنا حافزا للمزيد من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ وحدة بلدنا وكرامته وصيانة مقدساته من أن تنتهك من هؤلاء المعتدين لا يجوز على المواطنين الذين عهدنا منهم الصابرة والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف أن يدب الخوف والإحباط في نفس أي واحد منهم، بل لابد من أن يكون ذلك حافزا لنا لمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا، قال تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا واربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾، وقال تعالى أيضا ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله

يورثها لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال تعالى (أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) وقال تعالى (وقاتلا في سبيل الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين).

ثالثا: إن القيادات السياسية في العراق أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية كبيرة وهذا يقتضي ترك الاختلافات والتناحر خلال الفترة العصيبة وتوحيد موقفها وكلمتها ودعمها وإسنادها للقوا المسلحة ليكون ذلك قوم إضافية لإبقاء الجيش العراقي في الصمود والثبات.

رابعا: إن دفاع أبنائنا في القوات المسلحة والأجهزة الأمنية هو دفاع مقدس ويتأكد ذلك حينما يتضح منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام ويرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف في سفك الدماء وإثارة الاحتراض الطائفي وسلطة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى. يا أبنائنا في القوات المسلحة أنكم أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية واجعلا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن الحرمات العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح في الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم يا أبنائنا في القوات المسلحة وتحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصدق، وأن من يضحي هذه الفقرة مهمة وأن من يضحي منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيدا أن شاء الله.

الأخوة والأخوات: المطلوب أن يحث الابن ابنه وأن تحث الم ابنها وأن تحث الزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعا عن حرمات هذا البلد ومواطنيه.

خامسا: إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه بالوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه، وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب

الكفائي بمعنى من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض هو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقيين، وأوضح لكم ذلك: أن هذه المهمة وهذا الواجب بالدفاع عن العراق وشعب العراق والدفاع عن الأعراس والدفاع عن المقدسات واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي يعني لو تصدى لهم مثلاً من ب المئال عشرة آلاف وتحقق الغرض ولا بد أن يتحقق الغرض هو ذلك شر هؤلاء المعتدين وحفظ العراق وشعب العراق وحفظ أعراس الناس وحفظ المقدسات من الهتك سقط عن الباقيين لم يتحقق الغرض لا بد من إحدى عشر ألفاً لو لم يتحقق خمسة عشر ألفاً، لم يتحقق عشرون ألفاً ولم يتحقق خمس وعشرون ألفاً وثلاثون ألفاً وهكذا إلى أن يتحقق الغرض.

وهذا الوجوب الكفائي الذي نذكره هنا أيها الأخوة أن على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية لتحقيق هذا الغرض، وأود أن أوضح هذه العبارة ولا بد من توضيحها توفر شرطين، وأن على المواطنين اللذين يتوفر فيهم هذين الشرطين اللذين يتمكنون من حمل السلاح أولاً ومقاتلة الإرهابيين ثانياً دفاعاً عن بلدهم وجيشهم ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية لهذا الغرض.

سادساً: أن الكثير من الضباط والجنود قد أبلوا بلاء حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات، فالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصة لينالوا استحقاقهم من الثناء والشكر وليكون حافزاً لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم.

نسأل الله تعالى أن يحفظ العراق وشعب العراق ومقدسات العراق وأن يحفظ جميع الشعوب المسلمين ومقدسات المسلمين أنه سميع مجيب ويحفظهم من شر وكيد

الأعداء أنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

Abstract

The political conditions in Iraqi war against IS required to recruit Iraqi sons from different Iraqi components. So, it was necessary to shift to religion regarding that. Then, the Marjayah (High Islamic Authority) called for a non-categorical obligation and accordingly, popular mobilization forces movement was formed in Iraq as a paramilitary force to Iraqi army in fighting IS.

The discourse of Fatwa was analyzed via the methodology of analyzing the content of the religious speech/discourse delivered by Shaik Abdualmahdi al Karbala'i, a representative of the Marjayah represented by his Eminence The Grand Ayatollah Ali al Sistani. Moreover, it was done through designing methodological analytic networks depending on direct vocabularies and concepts and other concepts that have denotations in order to reveal.

the features of Marjayah and its role via their authoritarian, religious, and moral contents and systems and what Marjayah asked Iraqi people to do some acts and how the Marjayah presented Iraq and IS as two contradictors. The results of the study showed that there was a functional relationship of the discourse between religion and politics and an accompanying relationship with the authority (government). The Marjayh used logic in

persuading for the purpose of defending sanctities of the country and preserving holy shrines.

So, the words of the Marjayah were of parental, authoritarian, and religious

(المرجعية وأثرها في بناء الإنسان) (الموقف من القضايا الوطنية)

د.رقية سعيد خلخال الشيباني
كلية النخبة الجامعة الاهلية / بغداد

المقدمة:

كثيرة هي القضايا التي هي بحاجة إلى الدراسة فيها بكل جرأة وشجاعة، والبحث فيها بسعة وشمول والكتابة عنها بعمق وتركيز، وطرحها بموضوعية وتجرد، ومن أهم هذه القضايا قضية المرجعية لما لها من أهمية قصوى ودور مصيري في حياة الأمة. ولكن الحديث عنها حديث له أهمية قصوى وحساسية كبيرة ولأن المرجعية قيم ومبادئ، رؤية وموقف، فكر وثقافة، اقتصاد وسياسة، مجتمع وحقوق، أخلاق وسلوك، أمة ورجل، إيمان وخصال، إدارة وجهاد، قيادة وقرار، روح وهمة، أسس وأساليب، هدف وغاية.

كما أنها تمثل صورة من القيم المستوحاة من رسالة السماء، وضمير الإنسان من كتاب الله المقدس القرآن الحكيم، وكتاب الله الأقدس القرآن المبين وإمام المتقين علي أمير المؤمنين من أحاديث أهل البيت عليهم السلام الدرر اللامعة، ومن التاريخ المشرق بالأنوار الساطعة من الوحي الإلهي، والعقل الفطري.

وأيضا تتضمن مجموعة من مبادئ مستخلصة من قيم السماء، وتجارب البشر، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، من تاريخ الأنبياء، وحياة الأئمة والأوصياء، من الأحاديث القدسية، وكلمات الأئمة المهديّة، من جميع الكتب السماوية، وجميع رسل البشرية.

كما أن لديها رؤية واضحة ثابتة، وموقف شجاع رصين، رؤية بلورة وعميقة، وموقف مبدئي وحكيم ورسالة سماوية جاء بها رسل الأرض والسماء، وحكمة

إلهية ألهمها رب اليايسة والماء. إن للمرجعية الدور الرائد في احتواء الإنسان والمجتمع ورفده بالتقدم واحترام الآخر عن طريق تهذيب سلوك المجتمع، وذلك يكون نابعا من الوقفات التاريخية التي يخلدها لها التاريخ وخاصة ما يتعلق بالقضايا الوطنية، وفي هذا البحث سأقدم دراسة حول آلية بناء الإنسان والمجتمع الذي تقدمه المرجعية وأيضا موقف المرجعية الوطني من الهجمات الشرسة التي تعرض لها بلدنا العراق المقدس.

الإشكالية

إن الإشكالية لهذا البحث تنطلق من تساؤل مفاده هو هل إن للمرجعية دور ومساهمة في بناء الإنسان والمجتمع؟ وهل كان لها مواقف من القضايا الوطنية المطروحة على الساحة السياسية؟

الفرضية

إن الفرضية التي تنطلق من هذا البحث هو أن للمرجعية الدور الفعال في بناء الإنسان والمجتمع، كما أن لها الدور الرائد في بناء الدولة الوطنية وذلك من خلال مساهمتها الفعالة في القضايا الوطنية وعدم الوطن والمواطن.

الأهمية

تكمن أهمية البحث كون إن للمرجعية لها الدور المهم والفاعل في تأسيس دولة وطنية كانت رائدة وسابقة في تكوين بنية الإنسان والمجتمع، هذا المحور يتاثر بمضمون مفاده إن للمرجعيات الرشيدة كانت لها وقفة من قضايا تمس امن البلد.

الهدف

إن الهدف من البحث هو تسليط الضوء على دور المرجعية التي كانت سابقة في الموقف من القضايا الوطنية حيث تتصدر هذه القضايا هو دخول داعش المظلم إلى ارض

العراق المقدسة، حيث مثل دور المرجعية الرشيدة خط احمر أمام كل من يمس ارض العراق الطاهرة والتي مثلت بصمة بيضاء بدماء الحشد المقدس.

المبحث الأول: دور المرجعية الرشيدة في البناء الاجتماعي

أ- بناء الإنسان

أن المرجعية تعد اللبنة الأساسية لبناء الإنسان وهي المؤهلة لبناء الحضارة الإسلامية، وترسيخ دعائمها، وذلك لأن الحضارة انعكاس للفكر الحضاري الذي تختزله الأمم، والفكر الحضاري خلاصة لنمط وتفكير الأمم وسلوكياتها، وتفكير الأمم نتاج مراكز الإشعاع المذهبي والفكري والثقافي والسلوكي، ومراكز الإشعاع تعبير عن نمط تفكير عظماء الأمم وقياداتها، وفكر القيادات مستوحى من المنهج المذهبي والفكري الذي تتبناه وتتبعه، فالحضارات ما هي إلا صورة واقعية من العقيدة التي تتجسد في قائد الأمة ومفكرها، الذين تتراكم فيهم قيم المذهب وتتداعى على شكل حضارة.

والحضارة الإسلامية صورة حية من العقيدة والفكر الإسلامي الذي ينبثق من مراكز الإشعاع -الوحي، والمسجد والحوزة وجميع المعاهد الدينية- ويتجسد في الإنسان القائد، في الرسول أولاً والإمام المعصوم ثانياً والعالم الرباني -الفقيه والمرجع ثالثاً والإنسان المؤمن الرسالي رابعاً^(١).

فالمرجعية صورة مصغرة عن كل أولئك فهي امتداد للقيادة الربانية، فالمرجع وارث لرسالات الأنبياء، مؤتمن على شريعة الأوصياء فهو رسول زمانه وإمام عصره ونبي أمته، وفقهه مجتمعه، وهو القائد الأعلى للأمة.

إن مسألة المرجعية الدينية تأتي في المرتبة الثانية بعد التوحيد من حيث الأهمية، وتتوقف عليها جميع المسائل الدينية، لما لها من أهمية كبرى ودور مصيري في حياة الأمة وتاريخها ومستقبلها.

أهمية المرجعية ترجع إلى قدرتها على بناء وحفظ كيان الإسلام، وبسطه واعتلائه، وذلك لأن المرجع هو الحافظ للإسلام والحارس لجميع ما يتعلق بالمنظومة الإسلامية، وهو الملاذ عند الفواحش والمخاطر بجميع أشكالها سياسية واقتصادية وفكرية وغيرها، وهو الجبل الأشم أمام التيارات المضادة الداخلية والخارجية الآتية من أعداء الإسلام والأمة الإسلامية من يهود ونصارى وأصحاب مذاهب فكرية واعتقادات باطلة مثل الماسونية والوهابية والبهائية، وأصحاب القوانين الوضعية غربية وشرقية وأوسطية^(٢).

ولاشك أن الرسائل الإلهية تهتم وتهدف إلى صنع مجتمع إنساني متكامل يقوم على أسس صحيحة وسليمة تتجاوب وتتسق مع فطرته التي فطر الله تعالى الناس عليها، تضمن له حياة طيبة خيرة في عالم التزامم الدنيوي، وحياة خالدة منعمة في العالم الآخروي. فالتعاليم الدينية إنما جاءت لتنظم حياة الإنسان في جميع مفرداتها واختلاف أصعدها، فهي تنظم من جهة علاقته بربه مربية فيه روح العبودية الحققة لله تعالى المحررة له من كل أشكال العبوديات الأخرى، وذلك من خلال العبادات المفروضة ومبدأ الطاعة والتسليم المطلق لأحكام الله وقضائه والانقياد التام لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلفائه المنصوص عليهم، لتنسجم حركة الفرد والمجتمع - من خلال حركات أفرادها في نظام يكمل بعضه بعضاً، فتتوحد وجهة الأمة وتسير وفق الغاية الإلهية. ومن جهة أخرى تنظم علاقة الإنسان بالإنسان في مواضع التزامم والاختلاف سواء كانوا أهل دين واحد أو أهل أديان مختلفة «الناس

صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق «فتجعل مراتب للحقوق حسب درجات القرابة أو الجيرة بالإضافة إلى الدين والإنسانية، فتعطي للحياة البشرية نكهة خاصة تكتمل فيها إنسانية الإنسان ويمتأ قلبه حبا للآخرين فيتحمل مسؤولياته تجاههم برحابة صدر ورضا نفس يستشعر خلالها أنواع اللذائذ المعنوية، حتى يصل إلى درجة يتحول معها إلى باحث عن الواجبات والمسؤوليات الاجتماعية، والإنسانية، والدينية، لا مبحوث عنه^(٣).

بـ بناء المجتمع

إن الأسس التي يقوم عليها البناء الاجتماعي الإسلامي لبناء الجماعة الصالحة:
أ- العقيدة الصحيحة والقضايا ذات العلاقة بها.

ب- الأخلاق.

ج- نظام الجماعة.

د- التاريخ.

هـ- طبيعة حركة الجماعة ونشاطاتها (الخطط والمواقف).

و- علاقات الجماعة^(٤).

ومن خلال بيان موقع المرجعية تتضح المسؤوليات المناطة بالمرجعية، حيث تبين أنها امتداد للإمامة التي هي امتداد للنبوة، وقد أشار القرآن الكريم إلى مسؤولية الأنبياء والرسل، وبذلك تكون مسؤولية المرجعية هي ذات المسؤولية التي تحملها الأنبياء، وهي الإفتاء، والقضاء، والولاية، وهي ما ذكرها السيد الحكيم من الجزء الثاني لموسوعة الحوزة العلمية والمرجعية، مبينا أن الإفتاء بمعناه الواسع يشمل: بيان وإبلاغ الشريعة الإسلامية بأحكامها ومفاهيمها وعقائدها ونظرتها إلى الكون والحياة والتاريخ والسنن والأخلاق، واستيعاب وإبلاغ الرسالات الإلهية، وتلاوة آيات

الله والمحافظة عليها، وهداية الناس إلى الحق والهدى والصلاح والعقيدة السليمة، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولو راجعنا الأركان الستة المتقدمة لبناء الجماعة الصالحة لوجدناها موجودة أجمعها في قائمة المسؤوليات التي تتحملها المرجعية، فمنها ما هو مذكور بلفظه كالعقيدة والأخلاق والتاريخ، ومنها ما ينطوي تحت الهداية والإصلاح والإبلاغ وبيان الأحكام والمفاهيم الإسلامية؛ الأمر الذي يجعل المرجعية هي الركن الأساس في كل عملية البناء الاجتماعي، إذ بدونها لا يمكن أن تأخذ الأركان الأخرى أثرها في الأمة.

و لا شك إن هذه الأركان تعتمد اعتمادا رئيسيا على المرجعية، من حيث بيان حقيقة هذا الركن أو ذاك، أو من حيث إيصاله إلى الأمة سليما صحيحا، أو من حيث المحافظة عليه^(٥).

وبالرجوع إلى زاوية بناء المجتمع فإن الموضوع يتعلق بشخصية السيد السيستاني دام ظلّه كون إن المرجعية عندما تبني الفرد والمجتمع فإنها تتجسد بشخصية المرجع نفسه، وهذا واضح من خلال عدة بصمات كانت واضحة في شخصية السيد السيستاني وهي :

١- علاقة المسلمين بالأديان الأخرى، علاقة المسلمين بأبناء الملل الأخرى على أي أساس تكون وعلى أي أساس تبني، فنحن نلاحظ السيد السيستاني متميزا في هذا الجانب، حيث هناك قاعدة مذكورة في الفقه تسمى بقاعدة الإلزام، حسب ما ورد في رواية علي بن أبي حمزة (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم) وإنما نحن نسجل موقفا شرعيا وقيميا خطه لنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ألا وهو خط الاحترام، كما ورد في بعض الروايات (إن لكل قوم نكاحا) أي إن الإسلام يحترم

العقود والمعاملات التي تصدر من أبناء الأديان والملل الأخرى وبمضيها ويرتب عليها الآثار العملية^(٦).

إن هذه النظرة للسيد السيستاني (دام ظله) ترشدنا إلى طبيعة العلاقة المسلمين بالأديان الأخرى، وإن المنطلق لهذه العلاقة هو الاحترام، احترام دينهم، احترام معابدهم، احترام معتقداتهم. إذن فمن هذا المنطلق يتعين على المؤسسات الفاعلة خصوصا في الغرب، والتي تعيش في مجتمع متنوع الأديان والملل أن تتعامل معها بلغة الاحترام، احترام الجيران، البيوت المحيطة بهذه المؤسسات، احترام الكنائس، احترام المثقفين والمتدينين من أبناء هذه الديانات، وإن ندعمهم وإن نقدم لهم قيم أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين بمناسبة ميلاد النبي (ص) بمناسبة يوم عاشوراء نقدم لهم الورود، الأطعمة، الهدايا التي تكون محفوفة بأحاديث أهل

البيت بروايات أهل البيت التي تتحدث عن قيمة التسامح، قيمة الكرامة، قيمة العدالة، بحيث نجذبهم لفكر أهل البيت صلوات وسلامه عليهم بأسلوب الاحترام ولقد ورد في الرواية الشريفة (لو علم الناس محاسن كلامنا لاتبعونا)^(٧).

الزاوية الثانية: التعامل مع أبناء المذاهب الإسلامية التي تشترك تحت مظلة الإسلام المنطلق القرآني هو الذي يسير عليه السيد السيستاني في تعامله مع أبناء المذاهب الإسلامية هو مذهب الوحدة ومذهب الأخوة ((إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون))، ((إنما المؤمنون إخوة))، ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)). من خلال هذه المنطلق القرآني طرح السيد السيستاني مشروعه الأخوي، ومشروعه التواصل والتراپطي مع أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى (لا تقولوا أخوتنا بل قولوا أنفسنا) أي أننا روح واحدة ونفس وأهل بيته الطاهرين الذين قال عنهم رسول الله (ص) (أني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي)، ولم يكتفي

السيد السيستاني بالشعار، فإن السيد السيستاني ليس شخصا صاحب شعارات وبيانات، فهو شخص لا يعتمد على الإعلام، ولا يعتمد على الشعارات، ولا يعتمد على البيانات، وإنما يعتمد دائما على منطق العمل والفعل^(٨).

السيد السيستاني لا يركز على ظهوره في الإعلام، ولا يرى أن ظهوره في الإعلام يكون له إعلام يخصه وإن تكون له قناة تخصه وإن يكون له مؤيدون يخصصونه وإن تنشر صورته وكلماته في العالم، هذا لا يرى له قيمة، انه يرى القيمة للعمل، القيمة للفعل، القيمة للأداء، أن تكون على الأرض متحركا عاملا، لا أن تكون شعاراتك وإعلامك أكثر من حركتك وفاعليتك وعملك على الأرض، لذلك السيد السيستاني لم يقل (لا تقولوا إخوتنا بل قولوا أنفسنا) مجرد شعار بل كان عملا، السيد السيستاني مر بظروف وهي ظروف العراق الشائكة التي داب المغرضون والتكفيريون لإثارة الروح الطائفية فيها بين آونة وأخرى، منذ بداية التفجير المروع في كربلاء إلى هدم المرقدين الشريفين للإمامين العسكريين (ع) إلى هدم المساجد والحسينيات، ولكن كل هذا لم يستفز القيادة الاستثنائية للسيد السيستاني^(٩).

ورغم كثرة الدماء التي سالت على أرض العراق من قبل التكفيريين، فهو من البداية فصل بين التكفيريين وبين أهل السنة، فاعتبر التكفيريين فئة مبتدعة ممقوتة عند الجميع شيعة وسنة، وخاطب الشعب العراقي كله بروح أبوية (أنهم أبناءهم وإنهم إخوانه)، وطلب من الشعب العراقي جميعا أن يتصدى لهذه الفئة التكفيرية البغيضة. لأجل ذلك السيد السيستاني ندد واستنكر بالتفجيرات التي وقعت عند أهل السنة، وأرسل الوفود من قبله لمشاركة أهل السنة في عزائهم وفي مآسيهم، بل قام مكتبه ببذل المساعدات المادية لضحايا أهل السنة والمهجرين منهم من مدنهم من

خلال الأفعال الإجرامية التي قامت بها الفئة التكفيرية، وبذلك شكلت فتاواه ومشاركاته العملية ومبادراته الأخوية، سدا منيعا أمام نشوب الحرب الطائفية في العراق، وحقنت الدماء، ولم يبق أمام العراقيين إلا الفئة التكفيرية البغيضة^(١) .

المبحث الثاني/مساهمة المرجعية في بناء الدولة الوطنية

أدت المرجعية الدينية دورا أساسيا في عراق ما بعد العام ٢٠٠٣ وبالأذات شخصية المرجع الأعلى السيد السيستاني، على صعيد بلورة موقف الطائفة الشيعية من الدولة والتنافس السياسي ومسارات الانتخابات وتشكيل الحكومات، هذا الدور السياسي للمؤسسة الدينية جاءها على خلفيات تاريخية طويلة من الإقصاء والتهميش، فضلا عن ذلك أن الأحزاب السياسية الدينية الشيعية كانت ولا تزال بحاجة إلى الشرعية السياسية لتأدية أدوارها في المجتمع العراقي، حيث أن الانبعاث الشيعي في العراق وظهوره في بنية مؤسسات الدولة أدى إلى تغير في توازن القوى الطائفية في العراق كما يؤدي إلى تغيرات طبيعية للصراعات السياسية في الشرق الأوسط وكذلك يمثل التصورات العامة للسياسة الأمريكية الجديدة ويؤشر إلى تنامي القرار السياسي - الديني الشيعي في البحرين والمملكة العربية السعودية مندمجا بالنزاع الديني والذي هو إنتاج صراعات عميقة الجذور في العالم العربي والإسلامي لاهوتية وسياسية.

إن هذا العمل يحاول فهم ظهور وتطور المواقف السياسية للسيستاني في تعريف الدولة العراقية في سياق التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتغيرات التي صاحبت تعديل الشعارات الإيديولوجية للمجتمع العراقي، وتأسيسا على تساؤلات مهدي خليجي الباحث في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى:

هل يدعم السيستاني نظرية محددة في التشيع السياسي؟

فإذا كنا نقصد بالمنظر الشخص الذي يمكن أن يخلق إطاراً نظرياً جديداً أو صياغة أو في الأقل أفكار جديدة تستبدل القديم منها أي تكون استجابة للأسئلة القديمة عن الالتزام أو الاستبدال أو طرح الثقة بها، من خلال تعريف أفكار جديدة للمشاركة في عملية التطور نتبين بأن معظم الفقهاء في الوقت الحالي ومن ضمنهم السيستاني، فهم خلقوا أدوات فكرية متميزة بإمكانها أن تحدد الإطار النظري الحالي أو السابق، كما أن الاختلافات بين مختلف المراجع أو المجتهدين الشيعة، لا تذهب بعيداً عن التباينات القانونية في قضايا ثانوية جداً في الشريعة، كالفتاوى الثانوية المهمة التي تعنى بتفاصيل الأحكام الشرعية في الشعائر الدينية أو الأعمال التجارية أو المدنية أو الجنائية. أن بديهيات الفلسفة والدينية والمثالية لفقهاء الشيعة في الفقه أو أصول الفقه المعاصرين متشابهة بدرجة كبيرة، الحد الأبسط لطرق تحديد التقارب النظري لمبادئ الفقهاء الشيعة في الشريعة هو مسائل الشريعة الخاصة بهم، التي يمكن من خلالها أن نكتشف الصعوبة في ملاحظة أي اختلاف في أية مسألة أساسية.

إن مصطلح الدولة الذي يظهر في فتاوى السيستاني يشير إلى المفهوم التقليدي للدولة، وهي حكومة مؤقتة غير دينية والتي يمكن أن تدار من قبل رجال عادلين، كما أن دور المرجعية الرشيدة في بناء الدولة الوطنية يتميز بمواقف عديدة نذكر منها:

أ. موقف المرجعية من داعش

إن التكوين البنيوي جعل المجتمع والدولة العراقية تعاني من استقرار مؤقت وذلك لعدم توافق نظام البنى الاجتماعية المتخلفة تقنياً والجماعات السياسية الفاعلة والأنساق الأيديولوجية الحديثة المطروحة كمشاريع في حقل السلطة والاقتصاد

والفكر سواء كان المشروع القومي أو المشروع الاشتراكي أو المشروع الإسلامي الذي اثبت ضعفه البنيوي وعاد إلى استثمار البنى العشائرية والقبلية واستنفار مخزون ضخمة من الأساطير والخرافات السياسية.

هذا الوضع يتطلب طرح مجموعة من الأسئلة بشأن طبيعة مشروع الانتخابات في العراق وارتباطه بالمسألة السياسية والدين بالدولة ومأزق الديمقراطية وإشكالية البنية الثقافية.

ما الأسس الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية لمشروع الانتخابات؟

أن الحقل السياسي العراقي بوصفه مجالا سوسيولوجي قابلا للتنافس السياسي مرشحا لحالات من التفتت والتشطي، حيث يشهد حراكا وتحولات بنيوية في شكل التحالفات أو تغيير البنى السيمائية، وعلى الرغم من ذلك لم ينبأ عن ظهور خريطة سياسية جديدة وإنما يعاد (تدوير النخب) القديمة، بسبب ضعف الثقافة السياسية للناخبين العراقيين واعتماد معايير العقل الجمعي "القطيعي"، وانتشار المحددات التقليدية العصبية القبلية والطائفية والولاءات الشخصية، كما أن الأحزاب والمنظمات والمؤسسات القومية تمتلك القدرة على إعادة إنتاج (مجتمع الناخبين) وتعريف هويتها السياسية عبر إعادة إنتاج الأزمات فضلا عن قدرتها للهيمنة على منظمات المجتمع والمجتمع الأهلي وسيطرتها على المال السياسي^(١).

وفي هذا الوضع التاريخي الشائك كان موقف السيستاني يسعى إلى تقرير من سيحكم العراق بل إلى تقديم فكرة أن الشيعة يجب أن يتحدوا في المرحلة الأولى تحت مظلة واحدة، وتم التركيز على الولاء الوطني والتصالح والاندماج في المجتمعات التي يعيشون داخلها. حيث يؤدي السيستاني جزءا من التوازن الوظيفي

الدقيق بين الدين والسياسة، كما استطاع السيستاني أن يمنح الشيعة سلطة دستورية تتعلق مع حجمهم الانتخابي والديمقراطي^(١٢).

وفي هذا النص نجد أن السيد السيستاني ينظر إلى الانتخابات كمشروع تنويري، لدخول المجتمع إلى حقل التاريخ، ومعرفته الدقيقة بطبيعة المجتمع العراقي، إذ الانقسامات السياسية

والطائفية والقومية والاثنية، فهو يحاول قدر الإمكان إبعاد الحقل الرمزي المقدس عن الحقل السياسي فضلا عن ذلك أن هذه المقاربات تكشف الأزمة البنيوية التي تحيط مؤسسة الانتخابات وأزمة تشكل الدولة القانونية وعدم تبلور المجتمع كمواطنين فاعلين لذا فان هوية الجماعات الشيعية، نتاج للقوى الثقافية والدينية والاضطهاد التاريخي والشعائري والإقصاء عن الأنظمة الفكرية الإسلامية، إضافة إلى تراكم منظومة الرأسمال الرمزي والتي تبلورت عبر حقل التاريخ، فهي تمثل هوية جوهريّة، تفتقد للتشكيلات الاندماجية بسبب الصراعات بشأن (المواقع والهيمنة في السوق الرمزي)^(١٣).

هذه الهوية تقوم على مخزونات ضخمة من الاستلهام الذاتي والجماعي والوعي الاغترابي والتمزق ويعود ذلك إلى الظهور الدوري لشخصيات ورموز كارزمية في وعي الفاعلين الاجتماعيين السياسيين. في حين لم تتشكل هوية موحدة إلا تحت وطأة الصراعات السياسية الحديثة، لذا سادت الرؤية اللاعقلانية وتخلف سردياتها السياسية والأيدولوجية والدينية لصالح خطاب ميتافيزيقي ذي بنية اقصائية يسعى إلى تقويض التنوعات الثقافية العراقية^(١٤).

ويبدو من المتقدم أعلاه مجموعة من التحديات واجهتها المرجعية والتي تمثلت بالهجمة الشرسة لداعش، حيث إن الانتصارات التي حققها الحشد الشعبي لا زالت

المرجعية العليا هي الداعم الأكبر والرئيسي لهذا الحشد المبارك، "عليك بالحشد" هذه العبارة التي كررها السيد السيستاني هي تعكس وجهة نظر المرجعية ورؤيتها تجاه الحشد الشعبي، هذه الرؤية تنطلق من واقع التحديات الكبيرة التي يواجهها العراق في حاضره ومستقبله وتحدد وظيفة التكليف الشرعي والوطني لكل مسلم، كما تؤكد هذه الرؤية تقوية وحماية الحشد الشعبي وتطويره والتأكيد على هويته فهو يشكل أملا كبيرا وركيزة أساسية للعراق وما يشكله من قوة في المستقبل^(١٥).

وتحت كل هذه التحديات واجهت المرجعية عدو يتغذى بالدين المزيف والرجعي والمتمثل بداعش، حيث كان ظهور تنظيم "داعش" الإرهابي في العراق عام ٢٠١٤ سريعا ومفاجئا جدا، وبعد أن تمكن هذا التنظيم من احتلال مناطق واسعة في العراق وسوريا لتشكيل "دولة الخلافة" المزعومة أصدر المرجع الديني آية الله السيد علي السيستاني فتوى بالجهاد الكفائي لإجهاض محاولات هذا التنظيم، ما دعا كافة شرائح الشعب العراقي إلى الاستجابة لهذه الفتوى، مثبتين أن آلة الرعب الداعشية قد انهارت إلى حد كبير عندما تواجد الشعب في الميدان^(١٦).

إن التنظيم التكفيري وما يحمله من أفكار سوداء تجاه ارض العراق المقدسة قد شكل بصمة لا يمكن أن تنسى في تاريخ العراق، والذي يعمل على تكفير الجيش والشرطة أي تكفير أبناء البلد الواحد وهي تمثل نصرة للدولة الإسلامية ومن كان يعاونهم فيحكم بحكمهم أي تكفير كل من يقوم بمعاونة الجيش والشرطة وفق أفكار وفتاوى ابن تيمية المظلمة وتشبيهه بأبناء الجيش والشرطة بالطاغوت^(١٧).

ومن الفتاوى المظلمة الأخرى هي تكفير المسيحيين ونص التكفير هو "لا يجوز للمسلم ولا المسلمة مشاركة النصارى أو اليهود أو غيرهم من الكفرة في أعيادهم بل يجب ترك ذلك لأن من تشبه بقوم فهو منهم والرسول (ص) حذرنا من مشابهتهم والتخلق بأخلاقهم" (١٨).

إن البناء الأيدلوجي للتنظيم المظلم هو الذي رسخ تلك العقيدة الجاهلة وفق فهمها للإسلام، وفق عقيدة الجهاد، ومنذ تأسيس تنظيم القاعدة كانت التشكيلات الجهادية تنمي دور المرأة المجاهدة لكن ليس في صورتها الحقيقية للإسلام، حيث إن الحركات الجهادية ظهرت رافضة لمشاركة المرأة في الجهاد، إلا أن التغيير الذي حصل هو إظهار أن يكون هناك توسع في هذا التنظيم من خلال ترسيخ الهوية الجهادية من خلال تشكل دور للنساء الذي يوسع من حلقة هذا التنظيم، كون أن المرأة أدت دورا كبيرا في هذا الجهاد من خلال تجنيد الجنسيات الأجنبية بل حتى العربية وفق أفكار لا صلة لها بالواقع الهدف منه هو تدمير المجتمعات وطمس الهوية الثقافية لها (١٩).

لقد كان للإعلام والدعاية وتشكيل (ديوان الإعلام، ديوان الدعوة، ديوان البحوث، ديوان المساجد) الدور الرائد في هذا التشكيل المجرم، حيث تتكامل الأيدلوجية الشرعية على المؤسسات الإعلامية وأدركت أهمية المسالة الإعلامية ونشطت مع ثورة الاتصالات والعولمة والتكنولوجيا حيث انتشرت بعد عام ٢٠٠١ ونشرت رسالتها الأيدلوجية حيث غدا مفهوم الجهاد الإلكتروني راسخا في أدبيات الجهاد العالمية والإعلامية (٢٠).

لقد جاءت عمليات تحرير المناطق المحتلة من "داعش" والتي كان آخرها مدينة الموصل أصدر المرجع السيستاني وصايا متعددة للقوات المسلحة العراقية والحشد الشعبي

تؤكد على ضرورة مواصلة الجهاد حتى تحقيق النصر الكامل. وتضمنت هذه الوصايا النهي عن اللجوء إلى العنف وأهمية المحافظة على أرواح وممتلكات المدنيين ومعاملة سكان المناطق المحررة بالحسنى وعدم التعرض للنساء والأطفال وكبار السن والالتزام بكافة القواعد الأخلاقية والإنسانية التي أكد عليها الإسلام وفي مقدمتها ضبط النفس أمام أي حالة قد تدعو إلى الاستفزاز من جانب العدو لإثارة مشاعر الغضب والنعرات الطائفية بين المسلمين من جانب، وبينهم وبين أتباع الديانات الأخرى من جانب آخر^(٢١).

بيان الجهاد الكفائي

"قد أفتينا بوجوب الالتحاق بالقوات المسلحة وجوبا كفائيا للدفاع عن الشعب العراقي وأرضه ومقدساته، وهذه الفتوى ما تزال نافذة لاستمرار موجبها، بالرغم من بعض التقدم الذي أحرزه المقاتلون الأبطال في دحر الإرهابيين".

يشار إلى أن المرجعية الدينية دعت في (١٣ حزيران ٢٠١٤)، القادرين على حمل السلاح ومقاتلة "الإرهابيين" إلى التطوع للانخراط في صفوف القوات الأمنية، عقب سيطرة تنظيم "داعش" على مدينة الموصل ومساحات واسعة من صلاح الدين وديالى، فيما طالبت بتكريم الضباط الذي "ابلوا بلاء حسنا"

كما طالب المرجع السيستاني بتسليم إرهابيي "داعش" الذين يقعون في قبضة القوات المسلحة العراقية وقوات الحشد الشعبي إلى المؤسسات القضائية العراقية المختصة لينالوا جزاءهم العادل وعدم التصرف بارتجالية في هذا المجال لتجنب وقوع أي خطأ في محاكمة هؤلاء الإرهابيين الذين كانوا يتلذذون بقطع الرقاب، واستباحة الدماء وتقطيع أوصال الأطفال وسبي النساء، ولم يردعهم رادع عن أفعال يقشعر لها الضمير الإنساني لبث الرعب في صفوف الأبرياء^(٢٢).

"إن افتخرت الصين بسورها العظيم فدمائكم حول الوطن سور أعظم من سور الصين"^(٢٣).

وأوصى السيد السيستاني أيضا الحكومة العراقية وكافة الأطراف المعنية بضرورة حفظ وحدة وتماسك الشعب العراقي، وتجلت هذه التوصية بشكل واضح في حسم موضوع اختيار رئيس للحكومة العراقية في النصف الثاني من عام ٢٠١٤، ما يدل على تمسك الشعب العراقي في الرجوع إلى المرجعية الدينية لحل العضلات التي تواجهه في مختلف الميادين خصوصا في الحالات التي يعجز الدستور العراقي عن إيجاد حلول لها.

وكانت المرجعية الدينية حريصة على أن تكون المعركة ضد التطرف والإرهاب إنسانية بمعنى الكلمة، و متمسكة بأداب وحدود الشرع المقدس التي يجب مراعاتها من قبل المقاتلين الذين بذلوا الغالي والنفيس لإنقاذ العراق وأهله من العصابات الإرهابية المجرمة.

بإعلان بيان النصر (خطبة النصر)

إن أي مراقب يمكنه أن يدرك مدى التأثير الايجابي لعمليات التحرير العشر التي نفذها الحشد الشعبي، في استقرار امن المنطقة التي كانت تمثل مسرحا لعمليات التنظيم المظلم، كما إن دور المرجعية الرشيدة لم يكن فقط في إطلاق إنذار الخطر وإعلان الجهاد الكفائي للحد من وحشية والحرب الشعواء التي شنها داعش^(٢٤)، لا بل كانت سباقة أيضا في إعطاء مضمون حيوي وفاعل ومؤثر في بيان خطبة النصر التي كانت لها صدى في شتى أنحاء العالم حيث كانت هناك عدة محاور أكدت عليها المرجعية في هذه الخطبة وهي:

أولا :

إن النصر على داعش لا يمثل نهاية المعركة مع الإرهاب والإرهابيين بل إن هذه المعركة ستستمر وتتواصل ما دام أن هناك أناسا قد ضلّوا فاعتنقوا الفكر المتطرف الذي لا يقبل صاحبه بالتعايش السلمي مع الآخرين ممن يختلفون معه في الرأي والعقيدة ولا يتورع عن الفتك بالمدنيين الأبرياء وسبي الأطفال والنساء وتدمير البلاد للوصول إلى أهدافه الخبيثة فحذار من التراخي في التعامل مع هذا الخطر المستمر والتغاضي عن العناصر الإرهابية المستترة والخلايا النائمة التي تتربص الفرص للنيل من أمن واستقرار البلد، كما إن مكافحة الإرهاب يجب أن تتم من خلال التصدي لجذوره الفكرية والدينية وتجفيف منابعه البشرية والمالية والإعلامية ويتطلب ذلك العمل وفق خطط مهنية مدروسة لتأتي بالنتائج المطلوبة، والعمل الأمني والاستخباري وإن كان يشكل الأساس في مكافحة الإرهاب إلا أن من الضروري أن يقرن ذلك بالعمل التوعوي لكشف زيف وبطلان الفكر الإرهابي وانحرافه عن جادة الدين الإسلامي الحنيف، متزامنا مع نشر وترويج خطاب الاعتدال والتسامح في المجتمعات التي يمكن أن تقع تحت تأثير هذا الفكر المنحرف، بالإضافة إلى ضرورة العمل على تحسين الظروف المعيشية في المناطق المحررة وإعادة اعتمادها وتمكين أهلها النازحين من العود إليها بعزة وكرامة وضمان عدم الانتقاص من حقوقهم الدستورية وتجنب تكرار الأخطاء السابقة في التعامل معهم^(٢٥).

ثانياً:

إن المنظومة الأمنية العراقية لا تزال بحاجة ماسة إلى الكثير من الرجال الأبطال الذين ساندوا قوات الجيش والشرطة الاتحادية خلال السنوات الماضية وقاتلوا معها في مختلف الجبهات وأبلوا بلاء حسناً في أكثر المناطق وعورة وأشد الظروف قساوة

وأثبتوا أنهم أهلٌ للمنازلة في الدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات وحققوا نتائج مذهلة فاجأت الجميع داخليا ودوليا .. ولا سيما الشباب منهم الذين شاركوا في مختلف العمليات العسكرية والاستخبارية واكتسبوا خبرات قتالية وفنية مهمة وكانوا مثالا للانضباط والشجاعة والاندفاع الوطني والعقائدي .

إن من الضروري استمرار الاستعانة والانتفاع بهذه الطاقات المهمة ضمن الأطر الدستورية والقانونية التي تحصر السلاح بيد الدولة وترسم المسار الصحيح لدورهؤلاء الأبطال في المشاركة في حفظ البلد وتعزيز أمنه حاضرا ومستقبلا، والوقوف بوجه أي محاولات جديدة للإرهابيين بغرض النيل من العراق وشعبه ومقدساته.

ثالثا :

إن الشهداء الأبرار الذين سقوا ارض العراق بدمائهم الزكية وارتقوا إلى جنان الخلد خالدين بها لفي غنى عنا جميعا، فهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولكن من أدنى درجات الوفاء لهم هو العناية بعوائلهم من الأرامل واليتامى وغيرهم، كما إن رعاية هؤلاء وتوفير الحياة الكريمة لهم من حيث السكن والصحة والتعليم والنفقات المعيشية وغيرها واجب وطني وأخلاقي وحق لازم في أعناقنا جميعا، ولن تفلح أمة لا ترعى عوائل شهدائها الذين ضحوا بحياتهم وبذلوا أرواحهم في سبيل عزتها وكرامتها، وهذه المهمة هي بالدرجة الأولى واجب الحكومة ومجلس النواب بان يوفر مخصصات مالية وافية لتأمين العيش الكريم لعوائل شهداء الإرهاب الداعشي بالخصوص، مقدما على كثير من البنود الأخرى للميزانية العامة^(٢٦).

رابعا :

إن الحرب مع الإرهابيين الدواعش خلف عشرات الآلاف من الجرحى والمصابين في صفوف الأبطال المشاركين في العمليات القتالية، وكثير منهم بحاجة إلى الرعاية

الطبية وآخرون أصيبوا بعوق دائم، والعوق في بعضهم بالغ كالشلل الرباعي وفقدان البصرو بتر الأطراف، وهؤلاء الأعزة هم الأحق بالرعاية والعناية ممن سواهم، لما لهم من الفضل على جميع العراقيين، فلولاهم لما تحررت الأرض وما اندحر الإرهاب وما حفظت الأعراض والمقدسات، ومن هنا فان توفير العيش الكريم لهم وتحقيق وسائل راحتهم بالمقدار الممكن تخفيفا لمعاناتهم واجب وأي واجب، ويلزم الحكومة ومجلس النواب أن يوفرا المخصصات المالية اللازمة لذلك، وترجيحه على مصاريف أخرى ليست بهذه الأهمية.

خامسا :

إن معظم الذين شاركوا في الدفاع الكفائي خلال السنوات الماضية لم يشاركوا فيه لنديا ينالونها أو مواقع يحظون بها، فقد هبوا إلى جبهات القتال استجابة لنداء المرجعية وأداء للواجب الديني والوطني، دفعهم إليه حبهم للعراق والعراقيين وغيرتهم على أعراض العراقيات من أن تنتهك بأيدي الدواعش وحرصهم على صيانة المقدسات من أن ينالها الإرهابيون بسوء، فكانت نواياهم خالصة من أي مكاسب دنيوية، ومن هنا حظوا باحترام بالغ في نفوس الجميع وأصبح لهم مكانة سامية في مختلف الأوساط الشعبية لا تدانيها مكانة أي حزب أو تيار سياسي، ومن الضروري المحافظة على هذه المكانة الرفيعة والسمعة الحسنة وعدم محاولة استغلالها لتحقيق مآرب سياسية يؤدي في النهاية إلى أن يحل بهذا العنوان المقدس ما حل بغيره من العناوين المحترمة نتيجة للأخطاء والخطايا التي ارتكبتها من ادعوها.

سادسا :

إن التحرك بشكل جدي وفعال لمواجهة الفساد والمفسدين يعد من أولويات المرحلة المقبلة، فلا بد من مكافحة الفساد المالي والإداري بكل حزم وقوة من خلال تفعيل الأطر القانونية وبخطط عملية وواقعية بعيدا عن الإجراءات الشكلية

والاستعراضية، إن المعركة ضد الفساد التي تأخرت طويلا لا تقل ضراوة عن معركة الإرهاب إن لم تكن أشد وأقسى، والعراقيون الشرفاء الذين استبسلوا في معركة الإرهاب قادرون بعون الله على خوض غمار معركة الفساد والانتصار فيها أيضا إن أحسنوا إدارتها بشكل مهني وحازم^(٢٧).

الخاتمة

إن أساس تهذيب المجتمع يكمن في دور المرجعيات التي تؤدي الدور الموجه والمربي للمجتمعات كافة، وإن كان العراق قد مثل نموذج لبصمة سوداء سيخلدها التاريخ مع موجة داعش المتخلفة، إلا أن المرجعية مثلت نقلة نوعية في تاريخ البلد المقدس، كون أن العراق يمثل أرض الأنبياء والصحابة والأئمة المعصومين وهي أرض طاهرة من أي دنس، ولعل الموجة العاصفة والمتمثلة بداعش قد شكلت تلك الصورة الصماء والتي تمثل نزييف لجروح تبقى تنزف لمدى طويل كون إن الأجيال ستخلد تلك الذكرى المؤلمة، ويبدو إن العراق قادر على طي تلك الصفحة المظلمة عن طريق المرجعية الرشيدة التي أفشلت كل ما كان يخطط له، عن طريق إعلان الجهاد الكفائي والذي توج بانتصار تشهد له دول العالم، لا بل إن ذلك الإعلان توج بنصر مقدس وظاهر بدماء الحشد المقدس، ذلك الحشد الذي شكل صورة وصفحة بيضاء لبلدنا المقدس.

الملخص

ليس هناك شك في أن نجاح التجربة الديمقراطية في العراق، كنظام سياسي، قد غير الأرضية التي كانت تطرح عليها، مسألة العلاقة المعقدة بين الدين والدولة؛ فمن الناحية النظرية مثلت الديمقراطية تصورا إيجابيا لهذه العلاقة، قائما على خلق فضاء الحرية السياسية، الذي يتيح لجميع الأطراف والتوجهات ومراكز النفوذ في

المجتمع، للمساهمة الفعالة في بناء السلطة، ذلك كله في مقابل التصور السلبي التقليدي للنظرية العلمانية القائمة على فكرة الفصل التام بين الدين والدولة، معتمدة على مبدأ فك الارتباط .

إن الخصوصيات المجتمعية والقيمية التي يتميز بها الشعب العراقي، جعلته يخرج عن أغلب المعادلات السياسية التي عمد منظرو السياسة المعاصرة إلى وضعها، فعجز المنظومات الفكرية والفلسفية الغربية من وضع أطر نسقية تنظم العلاقة بين الدين والدولة، دفع هذه المنظومات إلى إصدار قرار (حتمي) يقرب هذا الفصل، في العراق الوضع قد اختلف كثيرا، فنجاح المرجعية الدينية من (التدخل واللا تدخل) في العملية السياسية، بطريقة ذكية وذات بعد إداري جديد، بعيدا عن المفهوم الوظيفي تم من خلاله طرح مفهوم العلاقة، بين الدين والدولة بثوبها وحلتها الجديدة. لقد كان للمرجعية الدينية الشريفة دور فاعل في أحداث العراق والمنطقة قبل سقوط النظام لا يمكن لأحد إن يتجاهله، إذ يعود تاريخ مشاركة علماء الدين العراقيين في صميم السياسة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى، حيث دعا علماء الشيعة للجهاد مع العثمانيين ضد الإنجليز، وساهم بعضهم في القتال فعلا، وفي عام ١٩١٨ تأسس في النجف حزب باسم "حزب النجف السري" من ساسة ورجال دين شيعة، وكان برنامجهم يدعو لاستقلال العراق وتأسيس حكومة برئاسة أحد أبناء الشريف حسين، ثم الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، إلا إن تنامي دورها الأساس والرئيسي في الشؤون العامة ظهر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق 2003، وبعد صعود التيارات السياسية الإسلامية والقومية والمدنية إلى السلطة في العراق اثر سقوط النظام البائد، ظهرت بعض الأصوات الشعبية تطالب بإشراف ورعاية المرجعية

الدينية في النجف الاشرف وعلى رأسها (آية الله السيد علي السيستاني) للعملية السياسية في العراق وعدم ترك الأمور بيد الاحتلال وتلك التيارات السياسية المختلفة. وفعلا دعت المرجعية الدينية الشريفة إلى اخذ رأي الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداء من الدعوة لتشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة، ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين، والدعوة أيضا لإجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخابات أعضاء المجالس المختلفة، (مجلس النواب، ومجالس المحافظات والاقضية والنواحي)، لذلك كان- ولا يزال -للمرجعية الدينية في النجف الاشرف دور مهم في المرحلة الراهنة لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي لتلك التيارات والأحزاب السياسية العراقية، ثم تصاعد هذا الدور وبشكل لافت للنظر بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على أجزاء مهمة في الموصل والانبار وكركوك وصلاح الدين، وخاصة فتوى الجهاد الكفائي لصد التنظيمات الإرهابية والدفاع عن الوطن والمقدسات

وإذا عدنا إلى أسباب تدخل المرجعية الدينية في الأمور السياسية والعامة للبلاد، فإن هناك عدد من الأحداث والتطورات التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، جعلت المرجعية الدينية تنهض من طورها التقليدي الذي ابتعد عن التدخل المباشر في الأمور السياسية للعراق، إلى التدخل المباشر، وبطرق عديدة منها التوجيه والإرشاد، ومنها إصدار البيانات حول العمل السياسي ومنها دعوة ومساندة الجماهير في مطالبها السياسية والاجتماعية ومنها الدعوة إلى التهدئة وعدم الانجرار وراء الفتن الطائفية.

- ١- الشيخ نمر باقرنمر، المرجعية أهميتها ومواصفاتها، موقع الالكتروني.
<http://www.alshirazi.com/roaa/books/alhekmah/part1/1.htm>
 - ٢- المصدر السابق.
 - ٣- سماحة السيد عبد الكريم الجزائري كتب في /
 مايو ١٩، ٢٠١٥ / بحث شارك في المؤتمر الثاني لإحياء التراث الفكري والعملية للشهيد آية الله
 السيد محمد باقر الحكيم، الموقع الالكتروني.
<http://burathanews.com/arabic/studies/172856>
 - ٤- المصدر السابق.
 - ٥- المصدر نفسه.
 - ٦- السيد منير الخباز // السيد السيستاني قائد استثنائي يحمل روح الإبداع في مواقفه القيادية
 /الموقع الالكتروني
<https://www.kitabat.info/subject.php?id=76457>
 - ٧- المصدر السابق.
 - ٨- المصدر نفسه.
 - ٩- المصدر نفسه.
 - ١٠- المصدر نفسه.
 - ١١- المرجع الأخير / مهدي خليجي معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى مراجعة وترجمة: فراس
 طارق مكية
 - ١٢- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية / إعداد حامد الخفاف دار
 المؤرخ العربي بيروت ٢٠٠٧ الطبعة الأولى.
 - ١٣- ديناميكيات النزاع في العراق، فريق أبحاث معهد الدراسات الإستراتيجية، العراق الطبيعة
 الأولى ٢٠٠٥ بغداد - بيروت
 - ١٤- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية / إعداد حامد الخفاف دار
 المؤرخ العربي بيروت ٢٠٠٧ الطبعة الأولى.
 - ١٥- نعيم راضي العتابي، مجلة حماة الوطن، مديرية التوجيه العقائدي، ٢٠١٦، ص ٣.
 - ١٦- المصدر / فتوى المرجع السيستاني ضد تنظيم "داعش" الإرهابي نموذج لحفظ وحدة
 المسلمين / موقع الوقت التحليلي
 الخميس ٣ ذي القعدة ١٤٣٨
- <http://alwaght.com/ar/News/105059/%D9%81%D8%AA%D9%88%D9%D8%A7%D9%84%D9>

- ١٧- خالد محي الدين الحلبي، موسوعة الفتاوى التكفيرية الوهابية للامة الاسلامية، ط١، القاهرة، مركز القلم للابحاث والدراسات، ٢٠١٤، ص٣٣٦.
- ١٨- المصدر السابق، ص٣٥٢.
- ١٩- محمد ابورمان وآخرون، عاشقات الشهادة تشكلات الجهادية النسوية من القاعدة الى الدولة الاسلامية، عمان، مؤسسة فردريش ايبيرت، ٢٠١٧، ص٤٠-٤١-٤٢.
- ٢٠- المصدر السابق، ١٣٨-١٣٩.
- ٢١- المصدر السابق (فتوى المرجع السيستاني
- ٢٢- خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف-نسخة
- من خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة فضيلة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (٢٦ ربيع الأول/ ١٤٣٩ هـ) الموافق (١٥/١٢/٢٠١٧ م): (<https://www.sistani.org/arabic/statement/25875/>)
- ٢٣- احمد لعبي، ملحمة حشداش تاريخ لا يكتبه الاخرون، ط١، بغداد، دارقناديل، ٢٠١٨، ص٩٢.
- ٢٤- احمد العبيدي، عمليات التحرير وامن المواطن، عن مجلة حماة الوطن، مصدر سابق، ص٢٨.
- ٢٥- خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف / مصدر سبق ذكره.
- ٢٦- المصدر نفسه.
- ٢٧- المصدر نفسه.

١- الشيخ نمر باقر نمر، المرجعية أهميتها ومواصفاتها، موقع الالكتروني-

<http://www.alshirazi.com/roaa/books/alhekmaah/part1/1.htm>

٢- سماحة السيد عبد الكريم الجزائري كتب في /

مايو ١٩، ٢٠١٥ / بحث شارك في المؤتمر الثاني لإحياء التراث الفكري والعملية

لشهادة آية الله السيد محمد باقر الحكيم، الموقع الالكتروني-

٣- السيد منير الخباز // السيد السيستاني قائد استثنائي يحمل روح الإبداع في

مواقفه القيادية / الموقع الالكتروني

<https://www.kitabat.info/subject.php?id=76457>

٤- المرجع الأخير / مهدي خليجي معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى مراجعة

وترجمة: فراس طارق مكية

٥- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية / إعداد حامد

الخفاف دار المؤرخ العربي بيروت ٢٠٠٧ الطبعة الأولى.

٦- ديناميكيات النزاع في العراق، فريق أبحاث معهد الدراسات الإستراتيجية، العراق

الطبعة الأولى ٢٠٠٥ بغداد - بيروت

٧- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية / إعداد حامد

الخفاف دار المؤرخ العربي بيروت ٢٠٠٧ الطبعة الأولى.

٨- نعيم راضي العتابي، مجلة حماة الوطن، مديرية التوجيه العقائدي، ٢٠١٦، ص ٣.

٩- المصدر / فتوى المرجع السيستاني ضد تنظيم "داعش" الإرهابي نموذج لحفظ وحدة

المسلمين / موقع الوقت التحليلي

الخميس ٣ ذي القعدة ١٤٣٨

<http://alwaght.com/ar/News/105059/%D9%81%D8%AA%D9%8>

١٠- خالد محي الدين الحلبي، موسوعة الفتاوى التكفيرية الوهابية للامة الاسلامية، ط ١، القاهرة، مركز القلم للابحاث والدراسات، ٢٠١٤، ص ٣٣٦.

١١- محمد ابو رمان واخرون، عاشقات الشهادة تشكلات الجهادية النسوية من القاعدة الى الدولة الاسلامية، عمان، مؤسسة فردريش ايبرت، ٢٠١٧، ص ٤٠-٤١-٤٢.

١٢- خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف نسخة

من خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة فضيلة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (٢٦ ربيع الأول/ ١٤٣٩ هـ) الموافق (١٥/١٢/٢٠١٧ م):

<https://www.sistani.org/arabic/statement/25875/>

١٣- احمد لعبيبي، ملحمة حشداش تاريخ لا يكتبه الاخرون، ط ١، بغداد، دار قناديل، ٢٠١٨، ص ٩٢.

١٤- احمد العبيدي، عمليات التحرير وامن المواطن، عن مجلة حماة الوطن، مصدر سابق، ص ٢٨.

(الدور السياسي للمرجعية الدينية وأثره على أمن المجتمع)

م.د. سعد عبد الحسين نعمته / جامعة الكفيل / كلية القانون

م.د. ابوطالب هاشم احمد / جامعة الكفيل / كلية القانون

المقدمة

يعد الدين الاسلامي من الاديان التي لها القدرة على تنظيم وإدارة البناء الاجتماعي - السياسي، لما يمتلكه من مبادئ واهداف ثابتة ومنظومات فكرية وفلسفية وعقائدية واخلاقية تستهدف بناء الانسان وتمكينه في حسن ادارة عائلته او المجتمع او الدولة، وكذلك تأخذ المؤسسات دورا هاما في ذلك، لما تمتلكه من مكانه مرموقة في المجتمع الاسلامي، وانها قادرة على تحريك وتعبئة الجماهير بالاتجاه الذي تراه وتعتقد انه صحيح.

ومن خلال طرح الدور السياسي للمرجعية وما له من تأثير في الحفاظ على امن المجتمع، فقد اتخذ هذا الدور فكرة تنظيمية قائمة على مبدأ (التدخل السياسي _ ولاتدخل السياسي _ والتأثير)، فبخصوص عدم التدخل فهو يشير الى موقف من خلال قياس جميع الخيارات وما تحققه من مكاسب فخير عدم التدخل ربما يشير الى تحقيق مكاسب اكثر من التدخل وتاره اخرى نراها تتدخل في التأثير والمساهمة في الجانب السياسي، خاصة اذا تعلق بالشأن العام والصالح العام.

ويظهر هذا بشكل واضح من خلال الدور التاريخي اذا نجدها حاضره في الجهاد ضد الانجليز، وكذلك مواقفها في العهود الجمهورية، وكذلك مواقفها بعد عام ٢٠٠٣، واخيرا فتوى المرجعية في الجهاد الكفائي وما لها من تأثير على حاضر ومستقبل البلاد كحضارة شعب ودوله ومقدسات.

اهمية البحث

تكمن اهمية البحث في الدور السياسي الذي تمارسه المرجعية وما له من تأثيرات في امن المجتمع، من خلال ما تصدره من فتوى اذا كان لها الدور البارز في ارساء معالم الدولة . فضلا عما لها من اثر الواضح في نفسية الفرد العراقي بسبب فاعلية الواعز الديني ويتجلى هذا الدور قبل نشوء الدولة العراقية وفي صيرورتها حتى وقتنا الحالي.

اشكالية البحث

ان السياسات الأمنية في العراق شهدت تعثرا واضحا منذ قيام الدولة العراقية بسبب مجموعة من المتغيرات الداخلية والخارجية، خاصة بعد عام ٢٠٠٣ وما شهدها البلاد من فساد وضعف المؤسسات الامنية وضعف الانتماء الوطني للأغلب افرادها، لذا يتطلب الامر رفدها بأفراد يتمتعون بالكفاءة والنزاهة والانتماء الوطني.

فرضية البحث

ان المرجعية الدينية اخذت الدور الاساسي في سبيل انجاح السياسات الامنية والحفاظ على العملية السياسية كإشكالية من المشكلات الاخرى التي تعصف في امن المجتمع والتي تساهم المرجعية الدينية في سبيل حلها. ومن خلال هذا التقديم سنركز في هذا البحث على المحاور التالية:

اولا_ الدور التاريخي للمرجعية الدينية في الحفاظ على بنية المجتمع العراقي.

ثانيا_ المرجعية الدينية والحفاظ على الوحدة الوطنية بعد عام ٢٠٠٣.

ثالثا_ فتوى الجهاد الكفائي ومعادلة الامن

المبحث الاول: الدور التاريخي للمرجعية الدينية في الحفاظ على بنية المجتمع العراقي.

إن المرجعية الدينية تعد ظاهرة متقدمة وناضجة برزت أهميتها بحق في التاريخ الشيعي وتطورت بمرور الأزمان سواء كان ذلك على صعيد الفتوى أو على صعيد القيادة أو على صعيد المواقف في محاربة البدع والاختلالات والانحرافات،^(١) ونشر الافكار التحررية ضد التخلف السياسي والاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي^(٢) ولا يمكن فهم هذا الدور دون الرجوع إلى الأحداث والحركات والثورات السياسية والإصلاحية على الساحة العراقية التي حمل العراقيون كل تبعات تلك الحركات فأعطوا في سبيل ذلك الثمن غاليا من الدمار والآلام والمحن والتنكيل بشخصياتهم الرسالية.^(٣) لذلك سنتناول في هذا المبحث الآتي:

أولاً- دور المرجعية الدينية أثناء الغزو البريطاني

ثانياً- دور المرجعية الدينية في فترة الحكم الملكي

ثالثاً- دور المرجعية الدينية في فترة العهود الجمهورية

أولاً_ دور المرجعية الدينية أثناء الغزو البريطاني

ويمكن ملاحظة هذا الدور منذ اندلاع الحرب العالمية الاولى، منذ اندلاعها لم تتخذ الدولة العثمانية أي اجراءات لمواجهة الاحتلال البريطاني لحماية مصالحها في العراق، بل على العكس اعتمدت على العراقيين انفسهم بما يمتلكونه من اسلحة ومؤن في مواجهته^(٤).

لذلك وجد العراقيون انفسهم في مواجهة القوات البريطانية بالقرب من البصرة التي عدت ولا تزال تعد مصدرا اساسيا للاقتصاد البلاد وركيزة بارزة في امنه، ونتيجة لذلك ارسل وجهاء المدينة برقيات الى علماء الدين في المدن العراقية المقدسة (النجف كربلاء الكاظمية)، يستنجدون بهم من البريطانيين مؤكدين على حث العشائر العراقية بضرورة التصدي للاحتلال البريطاني خوفا على امن وسلامة المدن الاخرى

من ان يحل بها ما حل بالبصرة ووفقا لذلك تليت البرقيات في المساجد على الناس من قبل رجال الدين من الخطباء، عبر خطب تتسم بالحماس ولقيت اهتماما جماهيريا واسعا، وشرع رجال الدين بإصدار فتوى الجهاد في البلاد^(٥). خاصة عندما أطلقت السلطات التركية حملة دينية لكسب تأييد العلماء إذ صورت الحرب بأنها حرب إسلامية ضد الكفار، وطلب منهم إصدار فتوى للجهاد ضد الغزاة وقد أعلن الجهاد السيد (محمد سعيد الحبوبى) والشيخ (عبد الكريم الجزائري) والسيد (عبد الرزاق الحلو) وتبعهم الأصفهاني في إلان الجهاد^(٦).

إذ كان للمرجعية الدينية ومنذ نهاية القران الثامن عشر تقريبا دورا رئيسا وفعالا في تفعيل الأحداث وتوجيه مساراتها وصولا إلى كل القيادات الجماهيرية المتمثلة في اتحاد القبائل أو من سكان المدن وتعزز وترسخ ذلك الدور عندما أصدرت المرجعية الدينية فتوى شرعية بوجوب الجهاد ضد المستعمرين الإنكليز، وقامت بنفسها بحمل السلاح وقيادة المجاهدين رغم سياسات البطش والاضطهاد التي مارستها السلطات العثمانية الحاكمة في العراق^(٧).

اما في عام ١٩١٨ انقسم فئات وطبقات المجتمع العراقي بين مؤيد للاحتلال البريطاني نتيجة تحسن اوضاعهم الاقتصادية، ومعارض لإدارة البلاد من قبل البريطانيين نتيجة اخذ راي الشعب فيما اذا كانوا يرغبون بدولة موحدة يرأسها رئيس عربي وتكون تحت الوصاية البريطانية، وكذلك الحال في بداية الامر بالنسبة للمرجعيات الدينية فبعضها ايد بشرط ان يكفل البريطانيون ممارسة الدين الاسلامي بحرية والحفاظ على مكانة المجتهدين، والبعض الاخر فرض الادارة المباشرة او الوصاية البريطانية خاصه المرجعية الدينية في كربلاء وطالبت بإنشاء دولة ذات نظام ملكي دستوري يرأسه امير عربي مسلم مقيد بمجلس تشريعي^(٨).

وتجسد هذا الاتجاه بالمرجع الديني محمد تقي الحائري الشيرازي الذي كان من الانصار والمؤيدين والمؤكددين على تشكيل الحكومة الدستورية^(٩)،

وفي هذه الأثناء أصدر المرجع آية الله الشيرازي فتوى تحرم انتخاب غير المسلم واعتبار كل من يصوت للاحتلال الانجليزي مارقا عن الدين ويعرض نفسه للطرد من الجوامع^(١٠) ومن جانب آخر أصدر الإمام محمد تقي الشيرازي فتوى حرم فيها الدخول في وظائف الدولة فعمت موجة الاستقالات من الوظائف الحكومية امتثالاً لموقف المرجعية. وأخيراً تبع كل هذه الفتوى إعلان الثورة (مطالبة الحقوق واجب على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوصل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم)^(١١)

وعندما استطاع الإنكليز تصفية الثورة وإجهاضها وإقامة حكومة مؤقتة برئاسة (عبد الرحمن النقيب) قامت المرجعيات الدينية في النجف وكربلاء والكاظمية دوراً في بناء وازدياد التماسك الاجتماعي بين الطوائف المختلفة من جانب، وممارسة المعارضة الإسلامية من جانب آخر، إذ تواصل نشاطها السابق، فبعد وضع العراق تحت الانتداب أصدر الشيخ مهدي الخالصي فتوى تنصب على حرمة المشاركة في الانتخابات وكذلك حرمة الدخول في وظائف الدولة الجديدة وقد لقيت هذه الفتوى رواجاً واسعاً وحظيت بتأثير كبير في أوساط الشعب معتبرة ذلك بمثابة التعاون مع الكفار وبالتالي قضت على خطة المندوب السامي البريطاني إلى إغراء الشيعة بالوظائف الرسمية وإضعافهم^(١٢).

وبعد أن أعلن مؤتمر القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١، عن تسمية الأمير فيصل ملكاً لعرش العراق فعمدت المرجعية الدينية متمثلة بالسيد (أبو الحسن الأصفهاني) إلى صياغة موقفها والذي تلخص بمعارضة الترشيح للعرش قبل إنجاز استقلال العراق

استقلالاً تاماً، وعلى الرغم من موافقة الحكومة المؤقتة إلا أن فيصل لم يكن غافلاً عن مركز المعادلة السياسية فزار آية الله الشيخ الخالصي وأظهر له أنه جاء لإنقاذ العراق من الإنكليز وإن مهمته هذه لا تتم إلا بموافقة الشيخ ومبايعته له فأجابه الشيخ (يمكن أن نبايعك على أن تكون ملكاً على العراق مستقلاً منقطعاً عن أي سلطة أجنبية بأي اسم كان فإن تم ذلك يثبت في العراق ملكاً وإلا انصرفت وتركت العراقيين والإنكليز حتى يأخذوا حقهم ويبلغوا غايتهم) فوافق الملك فيصل وفي المقابل كتب الشيخ الخالصي كتاب البيعة ونشر في الصحافة الرسمية (١٣).

ثانياً_ دور المرجعية الدينية في فترة الحكم الملكي

بعد قيام ثورة العشرين أدرك البريطانيون خطورة الوضع في العراق لسببين الأول تجسد في توحيد العراقيين جميعاً ضد التهديدات الخارجية ومن ضمنها سلطة الانتداب البريطاني، والثاني هو التفاف عامة الشعب حول مرجعيتهم الدينية في النجف الأشرف، التي أثبتت إبان ثورة العشرين قدرتها على التأثير وتوجيه الرأي العام بالضد من الاحتلال البريطاني (١٤).

لذلك أدرك البريطانيون بعد انتهاء الثورة وجوب إيجاد تدابير جديدة تحكم العلاقة بينهم وبين العراق، لأجل استرضاء العراقيين الطامحين للاستقلال، وإضفاء الشرعية للتواجد البريطاني على الأراضي العراقية، بدل من نظام الانتداب والإدارة المباشرة للبلاد التي كانت تثير العراقيين ودفعتهم إلى الثورة (١٥)، لذلك عملت السلطات البريطانية إلى ضرب الروح الوطنية و الوحدة الوطنية، مستغلة في ذلك التنافر والتجاذب والانقسامات بين مؤيد ومعارض للوجود البريطاني، وعملت على إبعاد من يعارضهم (١٦).

ومن جملة هذه التدابير رشح السيد عبد الرحمن النقيب لرئاسة الحكومة المؤقتة، لقربة من البريطانيين ولاعتماد عليه بتنفيذ سياستهم، اذ يصفه بعض الكتاب من المواليين والمؤيدين للبريطانيين وسياساتهم في السيطرة وادارة البلاد، في حين كانت رغبة المرجعية الدينية بتشكيل مؤتمر عام للعراقيين بدل من حكومة مؤقتة يرأسها شخص يوصف بانه ضعيف وموالي، ومجلس وزراء معين من قبل الادارة البريطانية ومسير حسب توجيهاتها.

لذلك عارضت المرجعية الدينية عملية تشكيل الحكومة المؤقتة في تلك الفترة وعدت هذه الخطوة بانها مصادرة لدماء الشهداء الذين فجروا ثورة العشرين، واغفالا للتضحيات التي قدموها لأجل تغيير السياسة البريطانية في العراق، وانتهاج سياسة جديدة تراعي خصوصية الشعب العراقي.(١٧)

وكذلك لانسى دور المرجعية الدينية في دعمها للعشائر العراقية وبعض القيادات العسكرية في معارضتها للسلطة وقد عارض عدد من رجال السياسة الإحتماء بالمرجعية واستغلال شعبيتها في مشاريعهم السياسية وقد برز ذلك جليا في مرجعية الشيخ (محمد حسين كاشف الغطاء) وقد تأكد هذا الواقع وبرز عام ١٩٣٤ حيث أجرت وزارة (علي جودت الأيوبي) انتخابات برلمانية لم تكن نزيهة وقد أثار ذلك معارضة رؤساء العشائر العراقية في الفرات الأوسط فأقدمت الوزارة على خطوة مضادة كانت تهدف إلى إشعال حرب داخلية بين العشائر العراقية في الفرات الأوسط لشغلها فيما بينها عن معارضة الحكومة فأصدر الشيخ كاشف الغطاء فتواه الحاسمة التي أطفأت نار الفتنة المشتعلة ووحدت الكلمة وجمعت الشمل وأسفرت جهوده في توحيد المعارضة وإسقاط الوزارة، كانت أيضا للمرجعية موقف أثناء

حركة مايس ١٩٤١ أن أصدر الشيخ عبد الكريم الجزائري أحد رموز ثورة العشرين باستنهاض السيف العراقي ضد الاحتلال (١٨).

وكذلك كان للمرجعية الدينية دور بارز على الصعيدين العربي والاسلامي في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى والثانية بعد أن خلق الاستعمار العالمي عشرات المشاكل وابتدع مئات الأزمات التي لا حل لها لغرض إضعاف العالم الإسلامي وخلق المشاكل السياسية والاقتصادية والأمنية وتقسيم البلاد العربية لكن المرجعية كان لها الدور البارز والموقف الشجاع تجاه هذه القضايا خاصة تقسيم فلسطين إذ أصدرت المرجعية الفتوى بالجهاد وكان للمرجعية الدور في قضية طرابلس الغرب والجزائر وأحداث الفرنسيين في سوريا ولبنان وكذلك الموقف من أحداث عام ١٩٥٦ نتيجة الاعتداء الثلاثي على مصر من قبل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل (١٩).

ثالثاً_ دور المرجعية الدينية في فترة العهد الجمهوريّة

إن المواقف التي تتخذها المرجعية الدينية هي ليست عشوائية لأنها غير خاضعة لموازين المصالح الشخصية أو موقف نفسي أو تأثير بيئي أو عنصري بل هو ما يمليه الداعي الشرعي الذي هو ذو علاقة وثيقة للحياة اليومية الذي يستوجب بيان الصواب من الخطأ والسياسة هي جزء من هذا الواقع والمسألة السياسية هي مسألة شرعية تتضمن قوانين تسيير شؤون الجماهير وتحدد المصلحة العامة وتشخص كيفية الحفاظ على البلاد لذا فإن توصيات المرجعية العامة كانت تركز على نشر الأمن والاستقرار من خلال الفتوى التي حدثت على وجوب العمل بالأنظمة والقوانين (٢٠).

اتسمت الحياة السياسية بعد نهاية الحكم الملكي عام ١٩٥٨ بعدم الاستقرار السياسي نتيجة الاستبداد وعدم الاستقرار السياسي والاقصاء والتهميش السياسي والاجتماعي وما رافقها من حروب اقليمية وحصار اقتصادي اثرت بشكل كبير

على امن واستقرار البلاد، وتجلت أبشع صور الدكتاتورية منذ عام ١٩٧٩ إذ وصل البعث إلى دفعة الحكم وبطش بأبناء الشعب العراقي.

شهد حكم حزب البعث في هذه الفترة عدم استجابة لمطالب الشيعة والكرد، رغم أن لدى (الشيعة) قيادات بارزة في حزب البعث في بداية الستينات إلا أن مطالبهم لم تتجاوز طلبات أقلية صغيرة في البلاد إذ كانت تتمحور حول المناهج الدراسية والسماح بتدريس الفقه الجعفري ومساعدة المؤسسات الثقافية ورعاية الأوقاف، ومع بساطتها لم تحظ باهتمام السلطات أما الكرد كانوا مؤيدين للانقلاب ووقفوا إلى جانب حزب البعث، إلا أن مطالبهم أيضاً جوبهت بالرفض، لاسيما وأن حزب البعث لم يتطرق يوماً إلى ضرورة الاعتراف بالقوميات والأقليات الدينية والمذهبية، إذ أنكر حزب البعث وجود مثل هذه الأقليات مشيراً إلى أن كل الموجودين في العراق هم من الشعب العربي لا غير (٢١).

وسيطرة مجلس قيادة الثورة على السلطة التشريعية، وتجلى هذا الدور بشكل اكبر بعد الحرب العراقية - الإيرانية، وسيطرة حزب البعث على هذا المجلس، واخيراً سيطرة رئيس الحزب على الدولة بكل مؤسساتها، مما أدى إلى تغييب وانعدام المشاركة السياسية، وقمع الحقوق والحريات، مما نتج عنه اتباع سياسة اقصائية على كافة المستويات.

اذ اتبع هذا النظام سياسة اقصائية ضد الشيعة والكرد، نتيجة إلغاء الاتفاقية الحدودية مع العراق وتصادع التوتر الحدودي في منطقة خانقين فقام النظام بطرد العديد من العوائل الشيعية بحجة انتمائهم إلى أصول إيرانية وإسقاط الجنسية العراقية عنهم. (٢٢)

وحاول الرئيس أحمد حسن البكر إقناع كبير المجتهدين آية الله السيد محسن الحكيم بإدانة الحكومة الإيرانية لنزاعها مع العراق حول شط العرب في حين رفض الحكيم ذلك، وكنتيجة لهذا اتخذ البكر جملة من الإجراءات استهدفت رجال الدين الشيعة، وثم اعتقال وطرده طلاب الدين الإيرانيين، وأغلقت جامعة الكوفة المستقلة بالنجف وصودرت أملاكها، وشملت هذه الإجراءات إعدام عالم دين سني هو عبد العزيز البديري لدعمه للسيد للحكيم، وكانت هذه الحملة تحمل شعار (استئصال الخطر الشيعي)، وقوبلت برفض المرجعية الدينية في النجف الاشرف، اذ قاد ايه الله السيد محسن الحكيم مسيرة من النجف الى بغداد اجتمع فيها الالف الشيعة تعبيراً عن ولائهم له، مما قاد هذا الامر الى تخوف السلطات الحاكمة لتقوم باعتقال ابنه السيد مهدي الحكيم بحجة التجسس لإسرائيل، ثم استخدمت هذه التهمة لمنع زيارة المرجع الديني آنذاك، الا ان الاحتجاجات لم تتوقف وطالبت بوضع حد لاعتقالات العشوائية، واعمال التعذيب، وعمليات الاقصاء والتهجير، ومصادرة الاملاك. الا ان هذه الاعمال لم تتوقف ونتيجة اصدر السيد الحكيم فتوى حرم بموجبها الانتماء الى حزب البعث. الا ان البعث لم يكتفي واستمر في بطشه واستبداده وقام بإعدام السيد الصدر وقابل هذا الامر موجة غضب جماهيرية واسعة، لان النظام كان ينظر له بصفته قائداً شيعياً وناشطاً سياسياً وذات مكانة مرموقة تتجاوز الطائفة التي ينتمي اليها. (٢٣)

المبحث الثاني: المرجعية الدينية والحفاظ على الوحدة الوطنية بعد عام ٢٠٠٣.

المؤسسة الدينية في العراق ليست حديثة العهد بل أدت دوراً مؤثراً في تاريخ العراق، وما واكبها من أحداث وتطورات، ويعود السبب في ذلك لما تؤديه الحوزة الدينية، والمراجع في النجف من تأثير ديني وسياسي في تاريخ العراق.

اذ شهدت الساحة العراقية بعد الاحتلال الامريكي في ٢٠٠٣، فراغا سياسيا وهذا الامر وضع المرجعية الدينية امام مسؤوليتها الدينية والوطنية والتاريخية، وما نتج عن هذا الفراغ هو زوال الدولة لان السلطة السياسية اسقطت بفعل التدخل الامريكي، والاقليم احتل من قبل دول اخرى، والشعب خرج عن معادلة التأثير في الواقع السياسي.

التيارات السياسية واحزاب المعارضة التي انشأت او دخلت البلاد اثبتت عدم قدرتها على اعادة بناء الدولة فتوجهت الانظار الى المرجعية الدينية في النجف الاشرف والتي بادرت الى الاعلان عن موقفها من مسألة العراق وكيفية ادارة شؤنه.

وتصدى سماحة السيد (علي الحسيني السيستاني)، مرة اخرى اذ حرم الانتقام من البعثيين ولاسيما ممن كان له دور مباشر او غير مباشر في ايذاء الناس والاعتداء عليهم حيث افتى سماحته بهذا الصدد (القصاص انما هو حق لأولياء المقتول بعد ثبوت الجريمة في المحكمة الشرعية، ولا تجوز المبادرة اليه لغير الولي، ولا قبل الحكم به من قبل القاضي الشرعي)، وأيضا اكد سماحته بخصوص الذين يكتبون التقارير ضد بعض المؤمنين على (لا تجوز المبادرة الى اتخاذ أي اجراء) مثلاً قتله او اجباره على مغادرة المدينة او نحو ذلك (بصدد معاقبته بل لابد من تأجيل الامر الى حين تشكيل محكمة شرعية للنظر في مثل هذه القضايا)، كما اكد بخصوص من ورد اسمه في سجل المتعاونين مع الاجهزة الامنية هل يجوز التشهير به فأكد سماحته بهذا الصدد على (لا يجوز التشهير به حتى لو ثبت ذلك رعاية لمصلحة أهم) (٢٤)

كما اصدرت مرجعية السيد السيستاني بعد اقل من اسبوعين عن الاحتلال تصريحات حددت فيها المبادئ التي يجب ان يكون عليها العراق في المستقبل وهي: (٢٥)

اولا- حق الشعب العراقي في حكم نفسه بنفسه بحرية تامة واستقلال بعيد من ارادة المحتل وتدخله

ثانيا_ ارتباط حكم البلاد بأفضل ابنائها الموسومين بالكفاءة والنزاهة والوطنية
 ثالثا_ اعتماد مبدأ الانتخاب للاختيار الحكومة التي تمثل الشعب وترسم مستقبله
 كانت للمرجعية الدينية في النجف الاشرف موقف واضح ومميز في العملية السياسية في جميع المراحل التي مرت بها ابتداء من تشكيل مجلس الحكم، اذ وجه السيد السيستاني رسالة الى الامين العام للأمم المتحدة في ٦ حزيران ٢٠٠٤ طلب فيها عدم اضافة الشريعة الدولية على قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية لكون هذا القانون وضعه مجلس غير منخب في ظل الاحتلال وبتأثير مباشر منه.
 ونتيجة للإصرار المرجعة على ضرورة اجراء الانتخابات والضغط الشعبي الذي يتجسد في المظاهرات التي اندلعت في اغلب محافظات العراق اضطر بريمر الى السفر الى امريكا لبحث السبل لحل الازمة وقد نتج عن ذلك اللجوء الى الامم المتحدة للإعلان الموقف بعد اعلان المرجعية قبولها بالأشراف الدولي، وفي ٢٠٠٤/٢/١١ وصل السيد الاخضر الابراهيمي كممثل الى الامين العام لهذه المهمة، وتمثل موقف المرجعية من الانتخابات في ضرورة حث المواطنين على المشاركة الواسعة والفعالة في الانتخابات من اجل تشكيل الجمعية الوطنية التي تتولى اعداد مسودة الدستور الدائم.

اما من حيث موقفها من القوائم الانتخابية فقد اكدت المرجعية بانها ترعى الجميع، ودعه الى عدم تأجيل الانتخابات لان ذلك سوف يزيد الوضع سوء خاصة الوضع الامني، كما اكدت المرجعية على ضرورة اشراك جميع العراقيين في العملية السياسية بمختلف اتجاهاتهم وتوجهاتهم وانتماءاتهم واعطائهم كل الحقوق ويلتزمون بكل الواجبات من اجل احتواء الكل بعيدا عن اقصاء الاخر مما يترك الاثر الواضح على

استقرار العملية السياسية واستقرار السياسات الامنة لان الكل سوف ينضرب الى نفسه باعتباره شريك فعال في العمل السياسي مما يؤدي الى زيادة الترابط الوطني بعيدا عن الانتماءات الفرعية مما يخلق الاستقرار السياسي.

وقد تجلى هذا الدور المؤثر للمرجعية الدينية من خلال زخمها الروحي والاعتباري ورصيداها التاريخي في تحريك القاعدة الجماهيرية العريضة التي عجزت النخب السياسية التقليدية من التأثير فيها او الاتصال الطبيعي بها ووضوح برامجها اورؤاها، في حين فشلت الاحزاب السياسية والتنظيمات الوطنية لليبرالية والعلمانية ومؤخرا الاحزاب الاسلامية.

ويمكن ان نضيف سبب مهم في تنامي دور المرجعية الدينية في هذه الفترة هو الفراغ السياسي الذي تجسد في غياب الدولة التي تعد الحاضنة الاكبر للجماعة الوطنية لتعزز الاندماج بين مكوناتها نتج عن انهيار الدولة تفكك او تصدع الوحدة الوطنية وبرزت ظاهرة الاقتتال بين الاخوة وتهديد للسلم الاهلي وقريبا من الحرب الاهلية.

ففي غياب الحاضنة الوطنية أي الدولة يتراجع الافراد والجماعات صوب البنى والعلاقات التقليدية الاولى كحاضنات يلجؤون اليها ويحتمون بها(٢٦)

لذلك تعد الرموز الدينية جزء اساسي من البنية الثقافية لأي مجتمع مهما بلغ وعيه السياسي فكيف بمجتمع ثقافته السياسية تقليدية لا ترتقي الى مستوى الثقافة المشاركة السياسية، فمن الطبيعي ان تظهر مثل هكذا رموز ويصبح لها دور مؤثر في العمل السياسي الى حين الانتقال الى المستوى الثالث من الثقافة السياسية لتتزامن معها ظهور القيادات الوطنية بدل الرموز الدينية التي لجأ اليها الشعب نتيجة ضعف الشعور بالمواطنة وغياب المؤسسات الدستورية.

وما يؤكد هذا الاتجاه هو تقرير مجموعة دراسة العراق التي ضمت خمسة جمهوريين على راسهم وزير الخارجية الامريكي السابق لي (هاملتون) والمقدم الى الرئيس

الامريكي بوش فقد اشار الى دور المرجعية الدينية في النجف الاشرف ممثلة بالسيد السيستاني والسيد مقتدى الصدر على مستقبل العراق السياسي وذلك في توصية (٣٤) مفادها (ان العنف لن ينتهي مالم يبدأ الحوار ، والحوار يجب ان يشمل من يسيطرون على السلطة وعلى الولايات المتحدة الامريكية ان تحاول التحدث مباشرة مع ايه الله العظمى السيد علي السيستاني والتحدث مباشرة مع السيد مقتدى الصدر). (٣٧)

وهذه اشارته واضحة عن الدور الرئيسي للمرجعية ليس فقط في التأثير وتحريك الرأي العام انما المساهمة الحقة والحقيقية في السلم الاجتماعي والاهلي، اذا كان على صعيد العنف الاهلي او على صعيد استخدام القوى ضد القوات المحتلة فكلها ذات مساس واساس بالأمن الداخلي والاستقرار السياسي.

لقد جسدت الفتوى التي اصدرتها المرجعية الدينية حرصها على وحدة العراق واستقلاله، ومحاربة الافكار المتطرفة المسيئة الى مكونات المجتمع العراقي ونسيجة الاجتماعي، والدعوة الى التسليح بالتسامح والمحبة والالفة بين مكونات الشعب، لتؤكد ان العراق شعب واحد بتنوعاته القومية والدينية والاجتماعية، اذ ركزت الجهود والدعوات الوحدة ونبتذ التفرقة والاحتكام الى القانون، اذ قدمت المرجعية الدينية قراءة سديدة للواقع العراقي والذي مارسه خلال تأكيدها على حماية الاقليات الدينية وحققها المشروع في ممارسة شعائرها الدينية بحرية وتمتعها الكامل بحقوق المواطنة، ورفضها أي شكل من اشكال التمييز بحقها، واعتماد مبدأ التسامح الديني وضرورة اخضاع الحياة العراقية لقواعد التعايش السلمي، قاطعة بذلك كل التدخلات التي يسعى اليها التنظيمات الارهابية والتدخلات الخارجية والجماعات الداخلية التي لا بأمن ووحدة البلاد لأجل استثمارها في العراق.

كما تجسدت مواقف المرجعية الدينية في دعم الوحدة الوطنية من خلال رفضها المستمر على توزيع المناصب على اساس المكونات والمذاهب، لأنه يكرس للطائفية في النظام السياسي العراقي، ويعقد من طريق صنع وتنفيذ السياسات العامة والخطط الحكومية الازمة لأمن المواطنين واستقرارهم ورفاهيتهم، ويؤكد على مركزية الدولة وحصر السلاح بيدها، وتجنب اثاره النعرات الطائفية.

المبحث الثالث: الجهاد الكفائي ومعادلة الامن

تحظى المرجعية الدينية في العراق بالتأييد الشعبي الواسع ومن مختلف شرائح ومكونات المجتمع، وذلك لمواقفها الوطنية التي لم تفرق بين مكون وآخر، وتصديها لدعم القيادات السياسية في العراق تحقيقا لتوازن سياسي، وتحقيقا لسلم اجتماعي لعدم وقوع حرب طائفية او اهلية وصولا الى استقرار المجتمع العراقي داخليا، فقد دعت للتهدئة في العديد من الاحداث ومنها تفجير الإمامين العسكريين عليهم السلام، لقد كانت المرجعية الدينية واعية للمخططات الامريكية التي تحاك ضد العراق ومحاولة إثارة الحرب الطائفية فيه، فكان لهذا التأييد الشعبي الواسع لها بمثابة دعوة شعبية لتدخل المرجعية الدينية في الشؤون العامة للبلاد. بناء على هذا الدور الذي تقوم به المرجعية الدينية والاهمية التي تتمتع بها الدينية سيقسم هذا المبحث الى:

اولا- اسباب نشوء تنظيم داعش الارهابي في العراق.

ثانيا- البعد العسكري لفتوى الجهاد الكفائي ومعادلة الامن.

ثالثا- البعد الانساني لفتوى الجهاد الكفائي ومعادلات الامن.

اولا_ اسباب نشوء تنظيم داعش الارهابي في العراق.

لا يخفى عن اغلب المتخصصين والدارسين والمتابعين ان داعش ببساطة مجموعة من المجاميع الارهابية التي ظهرت بعد ٢٠٠٣ بشكل علني وساهمت تلك المجاميع الارهابية بقتل المواطنين العراقيين من خلال التفجيرات الارهابية والانتحاريين والاغتيالات المنظمة الجماعية والفردية فضلا عن تهجير العوائل واخذ الاتوات وارعاب الناس وعملت تلك المجاميع بشكل خاص على استهداف المؤسسات العامة والاسواق والقوات الامنية وتخريب البنى التحتية، وبعدما تطورت الاوضاع الامنية والسياسية ونتيجة عوامل داخلية وخارجية انصهرت هذه المجاميع تحت راية تنظيم داعش الارهابي.

شهد العراق بعد عام ٢٠٠٣، وضعاً اقتصادياً وامنياً صعباً مشفوعاً مع تفكك الدولة وانهايار مؤسساتها الرسمية وزوال سيادتها واحتلال اقليمها من قبل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، وظهور طبقات وقوى سياسية جديدة واحزاب وتيارات وحركات مختلفة الاتجاهات والتوجهات والاهداف، تزامن بروزها مع ارتفاع وتيرة اعمال العنف والاصطفاف الطائفي والتخندق المذهبي والقومي، مما اصاب الوحدة الوطنية العراقية بالتشظي والانهايار، مما دعى المرجعية الدينية وانطلاقاً من مهامها الشرعية بالتدخل والحفاظ على الوحدة الوطنية، لا سيما وانها وغيرها من المرجعيات الاخرى اصبحت الملاذ الامن للأفراد والجماعات من ابناء المجتمع بظل سيادة ظروف غياب الدولة وضعف القانون.

وهذا ما قامت به المرجعية الدينية المتمثلة بشخصية ايه الله السيد علي الحسيني السيستاني، الذي اختار للمرجعية دور الارشاد والتوجيه وملاحظة الاداء والتأكيد على البناء والتطوير، وترك مسألة القيادة والادارة الوطنية للأهل السياسة والادارة، وهذا الموقف دل على نضج وحكمة واعتدال المرجعية. (٢٨)

فلقد كانت مرجعية آية الله السيد علي السيستاني ترى بان الامور ستتحسن عند اجراء الانتخابات حيث سيأخذ كل ذي حق حقه، إلا أن ظهور تقصير واضح من قبل الذين تصدوا للعمل السياسي في العراق من مختلف المكونات، من خلال ظهور التقسيم الطائفي- المحاصصة الطائفية للحكم في العراق وليس على أساس الكفاءة والمؤهلات، كذلك استشرى الفساد المالي والإداري في كل مفاصل الدول وعلى مختلف المستويات الذي لم يشهده العراق خلال تاريخه السياسي، وأخيرا أدى هذا التناحر بين الكتل السياسية والفساد المالي إلى سوء الخدمات وتزايد مستويات الفقر وسرقة المال العام، ودخول مجموعات الإرهاب من خلال تنظيم داعش الإرهابي والاستيلاء على مساحات واسعة من العراق، وعلى الرغم من التحذير المستمر للمرجعية الدينية للسياسيين من خطورة هذه الأمور على مستقبل العراق، ودعواتها المستمرة إلى الالتزام بحرية الشعب وتوفير العيش السليم له والحفاظ على المال العام، ومطالبتها المواطنين وفي بداية أي انتخابات على مستوى النواب أو المحافظات، إلى الاختيار على أساس الكفاءة والنزاهة لتولي المناصب العليا في البلاد، وذلك في محاولة لتغيير الوضع القائم وإنهاء حالة الانقسام والفساد المستشري بالطرق الديمقراطية عن طريق الانتخابات، إلا إن الوضع بقي على حاله ولم يتغير^(٢٩)، كلها اسباب ادت الى ضعف الدولة العراقية ومؤسساتها خاصة المؤسسة العسكرية والامن، مما وفر الفرصة لعصابات داعش للسيطرة على مساحات واسعة من البلاد. بالإضافة الى هذه الاسباب التي تمثلت بهشاشة الداخل العراقي ووضع البلاد المضطرب هنالك عوامل اقليمية ودولية ساعدت التنظيم ومكنته من السيطرة على بعض الاراضي العراقية وتتمثل هذه العوامل الاقليمية بالدعم قوى كالدعم المالي المقدم من قبل السعودية، وطموح قطر لقيادة الدول العربية منافسة في ذلك السعودية، ودعم الولايات المتحدة الامريكية من اجل تضعيف الدول العربية والإسلامية مقابل

اسرائيل، لكن داعش ومثيلاته من التكفيريين لم يكونوا يوماً حلفاء على المستوى الاستراتيجي البعيد للقوى الكبرى، بل كانت هذه القوى تساند داعش، إذا كان عمله يتماشى ومصالحهم ومنافعهم السياسية.

ثانياً_ البعد العسكري لفتوى الجهاد الكفائي ومعادلة الامن

تجسد دور المرجعية الدينية من خلال فتوى الجهاد الكفائي، بعد سيطرة التنظيمات الارهابية على مناطق غرب العراق ووصولها بالقرب من العاصمة بغداد وبعض المناطق المقدسة في ظل عدم قدرة القوات العسكرية من ايقاف توسع انتشار تلك التنظيمات، حينها ادركت المرجعية خطورة الوضع واحتمالية انجرار البلاد الى حرب اهلية، لذا جاءت فتوى المرجعية لكل العراقيين للدفاع عن الوطن وتشكيل قوات الحشد الشعبي كجهة مساعدة وداعمة للقوات المسلحة العراقية، ولاقت هذه الفتوى استجابة واسعة من مختلف اطياف الشعب العراقي والتي لقيت ما لقيت من نجاحات مستمرة على صعيد مكافحة الارهاب ضد عصابات (داعش) الارهابية والحفاظ على امن وسلامة البلاد^(٣٠)، اذ تضمنت هذه الفتوى رسائل مهمة والتي تحمل في ثناياها العديد من الارشادات المهمة لمواجهة هذه العصابات الارهابية منها: (٣١)

١- حث الشباب الواعي على الولاء للوطن وللعقيدة الاسلامية والدفاع والحفاظ عليهما.

٢- محاربة الغلو والتطرف بكل اشكاله وايراد النصوص القرآنية المحذرة منه.

٣- نشر الوسطية والاعتدال عقيدة ومنهج وسلوك في الحياة.

٤- تعد الفتوى بمثابة خارطة طريق للمجاهدين الذين استجابوا لنداء المرجعية، وانهم يقاتلون في سبيل الله والوطن والمقدسات، وعليهم ان يتحلوا بأخلاق اهل البيت عليهم السلام، وان يسيروا على قيمهم.

٥- ان مسؤولية التصدي لهذه العصابات الارهابية هي مسؤولية جماعية لا تخص طائفة دون اخرى.

وعليه يمكن ان نذكر وصف العالم العراق الدكتور علي الوردي واصفا فتوى المرجع الديني ايه الله محمد تقي الحائري الشيرازي في عام ١٩١٨، اذ يمكن ان نقول هذه الفتوى جعلت بدل من التنافر الديني والقومي والطائفي بعد الاحتلال الامريكى للعراق انها (اي فتوى الجهاد الكفائي) جعلت من الدين والوطنية في اطار واحد بحيث اصبح الوطني متدين والمتدين وطني. (٣٢)

اذ كان للمرجعية الدينية رؤيتها الدقيقة لطبيعة المشهد الامني في البلاد وما الت الية الامور من اجتياح عصابات داعش مدينة الموصل ومدن اخرى قريبة منها وتمدها باتجاه بغداد والمدن المقدسة في العراق، فقد شخصت الواقع الذي تعيشه المؤسسات الامنية والعسكرية من انتشار الفساد والولاءات الفرعية وغير الوطنية وغياب العزيمة القتالية، وهذا الامر في الحقيقة يرتبط بتردي اوضاع البلد بمستوياتها المختلفة في المقابل قوة التنظيم وامكانيته مما يدعو الى الشك في إمكانية هذه المؤسسة والدولة عامه في حفظ الامن والوقوف في وجه الارهاب وصده. (٣٣)

لذلك وجدت المرجعية ان تنظيم داعش الارهابي يجب ان يكبح بشكل سريع والا فانه سوف يستمر في التمدد ومن ثم تصبح المعالجة معقدة ولا سيما ان أهدافه وتطلعاته دائما تبجح بإعلانه هي السيطرة على كل البلاد، لذا فان الشعب العراقي هو الاولى في الدفاع عن بلده من الآخرين ومن الخطأ التعويل على القوة

الخارجية خاصة بما تطرحه من شعارات وادعاءات ولا سيما ان بعض الجهات الخارجية ربما تكون غير صادقة في نواياها في محاربة الارهاب.(٣٤)

ثالثا. البعد الانساني لفتوى الجهاد الكفائي ومعادلات الامن.

دعت المرجعية الدينية الدينية إلى اخذ رأي الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداء من الدعوة لتشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة، ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين، والدعوة أيضا لإجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخابات أعضاء المجالس المختلفة، لذلك كان ولا يزال للمرجعية الدينية في النجف الاشرف دور مهم في المرحلة الراهنة لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي لتلك التيارات والأحزاب السياسية العراقية، ثم تصاعد هذا الدور وبشكل لافت للنظر بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على أجزاء مهمة في الموصل والانبار وكركوك وصلاح الدين، وخاصة فتوى الجهاد الكفائي لصد التنظيمات الإرهابية والدفاع عن الوطن والمقدسات وأخرها الوقوف مع الشعب في مطالبته بالتغيير ومحاسبة المسؤولين المقصرين والفاستدين وتوفير الخدمات للشعب.

قد تجسد معنى الإنسانية في هذه الفتوى، فليس المعنى هو مجرد قتال عصابات إجرامية متطرفة، بل هو لحماية الناس الأبرياء، وصون المقدسات، والذي أكده كلام المرجعية مخاطبة المقاتلين بالقول (اجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمة العراق ووحدته، وحفظ الأمن للمواطنين، وصيانة المقدسات من الهتك، ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح)(٣٥).

لاقت الفتوى استجابة رائعة من أبناء العراق، ومع اشتداد المعارك فإن عين المرجعية كانت تراقب المعركة، وتصدر التوجيهات تلو التوجيهات للمقاتلين في ما يخص أخلاقيات الحروب وفق النهج الإسلامي، فأصدرت توجيهاتها العشرين لحث المقاتلين

لأن يكون الشرع هو الحاكم في أرض المعركة، فلا اعتداء على أسير، ولا أخذ المدنيين بالجريمة ولا اعتداء على ممتلكات عامة أو خاصة أو تدمير الزروع والبساتين إلا بما يقتضي من ضروريات المعركة.

كذلك جعلت المرجعية خصوصاً مع بدء عمليات تحرير الموصل، ضابطة مهمة للعمل العسكري، وهو الحفاظ على أرواح المدنيين، وخصوصاً أولئك الذين أختطفهم داعش، واستخدمهم كدروع بشرية، حيث وجهت المقاتلين قائلة (واعلموا إن حفظ أرواح الأبرياء أولى من مقاتلة العدو) (٣٦).

وبعد اشتداد وتطرف جرائم داعش التي ارتكبت بحق المسلمين سنة وشيعة، وبحق مسيحيين وإيزديين في المناطق التي احتلها وأحكم سيطرته عليها ومارس القتل، وأجرى القصاص، إذ مارس هذا التنظيم، اعدامات جماعية، وتهديم الاضرحة والمقامات، والاعتداء على الكنائس، وتدمير المواقع الاثرية، واستخدام المدنيين كدروع بشرية، وما رافق هذه الامور وقبلها موجه نزوح كبيرة. (*)

وهنا ساهمت المرجعية الدينية في دعم النازحين وساكني المناطق المحتلة على مستويان:

المستوى الاول وتجسد على صعيد الخطاب الديني: إذ دعت المرجعية من خلال خطب الجمعة الى دعم النازحين فمثلاً نصت احدى خطب الجمعة على الاتي: (أوصيكم إخواني بالنازحين خيراً هؤلاء أبناء بلدنا هؤلاء نزحوا قسراً وتركوا ديارهم وأوطانهم ومدنهم، أوصيكم به خيراً، راعوا مشاعرهم وتعاملوا معهم بالحسنى). وهذه اشارة واضحة على ضرورة الاهتمام بالنازحين.

اما المستوى الثاني تجسد على صعيد التدخل المباشر (الواقعي): إذ حثت الحكومة العراقية ومختلف الفعاليات السياسية والاجتماعية، وخاصة ميسوري الحال،

واكدت على المسؤولين من مختلف الدرجات والأصناف الحضور الميداني في تجمعات النازحين ومعسكرات المقاتلين لمعيشة الواقع والاطلاع المباشر على احتياجاتهم والسعي لتلبيتها والإسراع في صرف التخصيصات المالية لهم، لاسيما توفير الأدوية والكوادر الطبية للنازحين، قد ساهمت مرجعية السيد السيستاني في تقديم مختلف الخدمات المادية والمعنوية، وتقديم المساعدات والمعونات المادية والعينية للنازحين والمناطق المحررة على حد سواء.

لذلك يمكننا القول ان فتوى الجهاد الكفائي رسمت إنسانية الدين الإسلامي الحنيف بأبهى صورها، وأوضحت للعالم إن الإسلام الحقيقي هو ما يمثله أبناء العراق الملبين لفتوى الجهاد، ولا تمثله عصابات داعش وغيرها من التنظيمات والمجاميع الارهابية ولا الافكار المتطرفة.

الخاتمة والاستنتاجات:

ختاماً يمكننا القول ان المرجعية الدينية في العراق حاضرة في كل محن العراقيين، لا سيما اذا ما تعلق الامر في الامور العامة، فدورها لا يتجسد على مستوى الخطاب الديني او تقديم النصح والارشاد فقط، انما نجدها في ظل سيادة ظروف معينة تتدخل بصورة مباشرة، وما يدل ذلك هو وقوفها بوجه الاحتلال الانجليزي، وقيادة حركات الجهاد للأجل تأسيس حكومة عراقية وادارة البلاد من قبل قيادات وطنية حفاظاً على الدين الاسلامي من جانب، وعلى موارد وثرواته التي يجب ان يتمتع بها ابناء البلد من جانب اخر.

وامام عدم استقرار البلاد امنياً واستبداد الانظمة السياسية خاصة في العهد الجمهوري الاخير قبل الاحتلال الامريكي كانت حاضرة، ووقفت بالضد من شموليته واستبداده، وقدمت العديد من التضحيات بسبب مواقفها المشرفة، وكذلك الحال بعد الاحتلال الامريكي وما رافقه من سياسات من قبل الاحتلال نفسه في

سبيل ظرب وتشوية الوحدة الوطنية العراقية، نجد ان المرجعية الدينية وما تمتعت به وما صدر منها من خطاب وسطي معتدل حافظت على وحدة الصف العراقي وافشلت سياسات المحتل وبعض البلدان الاقليمية والعربية، التي لا تريد للعراق ان ينهض، او بسبب خوفهم من طبيعة النظام السياسي الديمقراطي، وما له من تأثير على سلطتهم.

وكذلك يتجلى دور المرجعية الرشيدة في الحفاظ على النظام السياسي الجديد والعملية السياسية برمتها اذ انها اكدت في العديد من المناسبات على ضرورة بناء نظام سياسي يحقق السلم الاهلي ويبتعد كل البعد عن الاقصاء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وعلى ضرورة ادارة الدولة العراقية من قبل نخب وطنية عراقية، لأجل بناء البلد والاستفادة من خيرات لا سيما بعد معاناة الاستبداد والحصار وما رافقها من جوع وفقر وتهجير، الا ان سوء ادارة الدولة العراقية من قبل النخب الجديدة وزيادة وتيرة العنف والفساد السياسي والمالي والاداري تدخلت المرجعية الدينية وحثت هذه القوى بضرورة اصلاح نفسها وواقعها لما فيه خير وسعادة المجتمع، الا ان استمرار هذه الاعمال ادت الى ضعف الدولة العراقية وجميع مؤسساتها وعدم ايمان المواطنين وانعدام ثقتهم بهم في اصلاح واقعهم المرير، ادى هذا الامر بالإضافة الى عوامل خارجية اقليمية ودولية ادت استفحال ظاهرة الارهاب في البلاد ودخول عناصر من بلدان عربية واقليمية تتمتع بدعم دولي، الى السيطرة على ارضي واسعة من البلاد، كادت ان تؤدي الى عواقب وخيمة على مجمل الاوضاع وعلى الدولة والشعب وتاريخه وحضارته وتراثه ومقدساته، لولا تدخل المرجعية وبحكمة شديدة، في تحرير البلاد، وحفظ شعبه وكرامته، ليبقى على الشعب نفسه في حسن ادارة نفسه وموارده من عدمها.

من خلال هذا البحث يمكن استنتاج الاتي:

١- ان للمرجعية الدينية دور اساسي في حفظ امن المجتمع، ومحاربة الطائفية والفساد والدعوى للانتخاب الاصلح، ويتجلى ها الدور سواء في حالة الفراغ السياسي من عدمه او حتى في ضعف السلطة.

٢- تتمتع المرجعية الدينية بتأييد شعبي واسع لما لها من قدرتها على التأثير على الافراد والجماعات انطلاقا من ايمانهم بدورها وحكمتها الفعالة في ادارة الازمات بفاعلية وحكمة.

٣- المرجعية الدينية في العراق تعد ظاهرة متقدمة وناضجة سواء على صعيد الخطاب الديني، او على صعيد القيادة، او على صعيد المواقف.

٤- تعاملت المرجعية الدينية بحكمة وعقلانية خاصة بعد سقوط النظام السياسي في ٢٠٠٣، لا سيما بعد اخذها بسياسية التدخل ولا تدخل في الامور السياسية الداخلية، وكذلك تعاملت بعقلانية مع الاحتلال الامريكي ورفضت العمل المسلح، وكذلك لم تنحاز الى أي طرف من الاطراف الاقليمية والدولية التي ارادت من جعل العراق ساحة لتصفيت حساباتها وادارة مصالحها.

٥- امنت المرجعية الدينية بوحدة العراق وبتنوعه وبقوته بهذا التنوع، لذلك لم تفرض نظاما معيناً، لا بل دعت الى تأسيس دستور يتضمن الحقوق والحريات ويضمنها، لكل مكونات المجتمع العراقي. وبما يتواءم مع طبيعة ثقافة المجتمع العراقي، ولا يتعارض مع احكام الشريعة الاسلامية.

٦- ساهمت المرجعية الدينية في حفظ امن المجتمع وارجاع هيبة الدولة والحفاظ على العملية السياسية الديمقراطية، من خلال فتوى الجهاد الكفائي، والتي اعطت

الدعم المعنوي والمادي التي ساهمت بإرجاع الثقة والهيبة الى المؤسسة العسكرية. ولما لهذه الفتوى المباركة من اثار ايجابية على حاضر البلاد ومستقبلها.

الهوامش:

- (١) الشيخ محمد علي التشخيري، أصول حول الشيعة والمرجعية، المجمع العالمي لأهل البيت، طهران، ٢٠٠١، ص ١٣٧.
- (٢) مرتضى مطهري، الحركات الاسلامية في القرن الاخير، ترجمة صادق العبادي، دار الهادي، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٨.
- (٣) محمد عبد الحمزة خوان، النظام السياسي العراقي ما بعد ٢٠٠٣ الطبيعية، التوجهات، التحديات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٠٠.
- (٤) شكري نديم محمود، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ط ٨، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٦-١٧.
- (٥) رجاء زامل كاظم الموسوي، المرجعية الدينية في العراق في قيادة حركات الجهاد بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨، مجلة كلية التربية ابن رشد، العدد (٥٨)، جامعة بغداد، ٢٠١٧، ص ٣٧٥.
- (٦) وميض جمال عمر نظمي، الجذور الفكرية والسياسية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق، ط ١، بيروت، ١٩٥٨، ص ١٢٥.
- (٧) اذ حث السيد محمد سعيد الحبوبى العديد من زعماء العشائر والوجهاء والتجار في العديد من المدن العراقية خاصة عندما توجه الى السماوة والناصرية على الجهاد وحدث العديد من المعارك ضد القوات البريطانية منها معركة (باهيرة)، والبطنجة، ومعركة الروطة، والجهاد في الاحواز والشعبية، والتي فرضت القوات البريطانية غرامات على بعض العشائر العراقية نتيجة اعترافها بخسارتها في جزء من هذه المعارك، ينظر الى رجاء زامل كاظم الموسوي، المصدر السابق، ص ٣٧٧-٣٨٠، وينظر الى: محمد عبد الحمزة اخوان، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١.
- (٨) صلاح عبد الرزاق، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦-٢٧.
- (٩) يصف العالم علي الوردي تأثير هذه الفتوى في الوعي السياسي في العراق فيذكر (ان فتوى الشيرازي كانت عامل مهم في تطوير الوعي السياسي في العراق فهي جعلت الدين والوطنية في اطار واحد وهذا امر جديد لم يكن الناس يألفونه من قبل وبذا اصبح الوطني متدينا والمتدين وطنيا) ينظر الى: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، القسم الأول، ص ١٨٢.
- (١٠) صلاح عبد الرزاق، المصدر السابق، ص ٣٠-٣١.
- (١١) فريق المزمهرال فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونشئتها، بغداد، مطبعة النجاش، ١٩٥٢، ص ١٥٤، نقلا عن: محمد عبد الحمزة خوان، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

- (١٢) للمزيد من التفاصيل ينظر الى: علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٦، القسم الأول ، ص ٢٠٣
- (١٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨ .
- (١٤) فليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطور السياسة، ترجمة: جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩، ص ٢١٤
- (١٥) للمزيد من التفاصيل ينظر الى: هالة فتاح وفراك كاسو، خلاصة تاريخ العراق المعاصر، ترجمة: مصطفى نعمان احمد، بغداد، ٢٠١١، ص ١٩.
- (١٦) فليب ويلارد ايرلاند، المصدر السابق، ص ٢١٤.
- (١٧) غسان الحسني، العراق في الاستراتيجية البريطانية حتى عام ١٩٥٨، بيروت، ٢٠١٠، ص ٩٣
- (١٨) محمد عبد الحمزة خوان، مصدر سبق ذكره، ص ١١٠
- (١٩) محمد حسين علي الصغير ، علماء المرجعية العليا، موسسه البلاغ، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٣٠
- (٢٠) مهدي الفحام ، المرجعية الدينية واهمية الدور السياسي في العراق، صحيفة العدالة من المجلس الاعلى العراقي، العدد (٣٦٧)، ٤ نيسان ٢٠٠٥ المرجعية الدينية واهمية الدور السياسي في العراق، صحيفة العدالة من المجلس الاعلى العراقي، العدد (٣٦٧)، ٤ نيسان ٢٠٠٥
- (٢١) تمثلت مطالب الكرد بحقوقهم بالحكم الذاتي لمناطقهم وتأسيس قوات عسكرية كوردية ، نظام ضرائب خاص بهذه المناطق ، حصة ثابتة من عائدات النفط ، المشاركة في صنع القرار السياسي في بغداد . ينظر الى : علي طاهر الحمود ، العراق من صراع الهوية أي صحوة الهويات ، مؤسسة مسارات بغداد ، ٢٠١٢، ص ١٦٣.
- (٢٢) للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع أنظر الى : تشارلز تريب ، صفحات من تاريخ العراق ، ترجمة زينة جابر أدريس ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٦٨-٢٧٤ .
- (٢٣) تشارلز تريب، المصدر السابق، ص ٢٧٣-٢٧٤
- (٢٤) نقلا عن: حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٦-٢٧.
- (٢٥) سعد عبد الحسين نعمت، المشاركة السياسية والقرار السياسي (دراسة حالة العراق)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٨، ص ١٢١
- (٢٦) حسين علوان حسين، بناء الدولة والوحدة الوطنية في العراق، مجلة العلوم السياسية ، العدد (٢٦)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، حزيران ٢٠٠٨، ص ١٥٧
- (٢٧) تقرير بيكرهاملتون، في كانون الاول ٢٠٠٦، التوصية (٣٤)
- (٢٨) امل الخزعلي، المرجعية الدينية الشيعية والعمل السياسي قراءة في مواقف السيد علي السيستاني من العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة المنتدى، العدد (٩-١٩)، المجلد (١)، ٢٠١٢، ص ٥٠.

(٢٩) حمد جاسم محمد، تنامي دور المرجعية الدينية في الشؤون العراقية الاسباب والنتائج، منشورات شبكة النبا المعلوماتية، على الرابط الاتي:

<https://annabaa.org>

(٣٠) حسن سعد حميد، السياسات العامة لمكافحة الارهاب في العراق بعد ٢٠٠٣م، المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية، برلين-المانيا، ٢٠١٧، ص ١٦٨.

(٣١) ينظر الى فتوى المرجعية الدينية في ١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ، ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ م.

(٣٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، القسم الأول، ص ١٨٢.

(٣٣) عادل الجبوري، فتوى الجهاد الكفائي والرؤية العميقة للمرجعية الدينية، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الرابط الاتي:

<http://asrarmedia.com>

(٣٤) عادل الجبوري، المصدر السابق.

(٣٥) ينظر الى فتوى المرجعية الدينية في ١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ، ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ م.

(٣٦) ينظر الى فتوى المرجعية الدينية في ١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ، ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ م.

(*) إن أهم حادثة قتل جماعي ارتكبتها داعش هي حادثة الهجوم على القاعدة الجوية المعروفة باسم مجزرة سبايكر، والتي راح ضحيتها ما يزيد على ١٧٠٠ جندي بالجيش العراقي، وكلهم من المدن الوسطى والجنوبية في العراق بتهمة الانتماء الى الجيش **والتشيع** وقتل العديد من اهالي مدينة الانبار والموصل لاسيما الذين وقفوا في وجه داعش، تهديم الأماكن المقدسة كدور العبادة ونبش المقابر وإخراج الأجساد منها، هذا ناهيك عن تدمير العديد من المعالم التاريخية والأثرية في العراق.

المصادر:

- ١- امل الخزعلي، المرجعية الدينية الشيعية والعمل السياسي قراءة في مواقف السيد علي السيستاني من العملية السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، مجلة المنتدى، العدد (٩-١٩)، المجلد (١)، ٢٠١٢.
- ٢- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، ترجمة زينة جابر أدريس، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٦.
- ٣- تقرير بيكرهاملتون، في كانون الاول ٢٠٠٦.
- ٤- حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
- ٥- حسن سعد حميد، السياسات العامة لمكافحة الارهاب في العراق بعد ٢٠٠٣م، المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية، برلين- المانيا، ٢٠١٧.
- ٦- حمد جاسم محمد، تنامي دور المرجعية الدينية في الشؤون العراقية الاسباب والنتائج، منشورات شبكة النبأ المعلوماتية، على الرابط الاتي:
<https://annabaa.org>
- ٧- رجاء زامل كاظم الموسوي، المرجعية الدينية في العراق في قيادة حركات الجهاد بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨، مجلة كلية التربية ابن رشد، العدد (٥٨)، جامعة بغداد، ٢٠١٧.
- ٨- سعد عبد الحسين نعمة، المشاركة السياسية والقرار السياسي (دراسة حالة العراق)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٨.

٩- شكري نديم محمود، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ط٨، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤.

١٠- الشيخ محمد علي التشخيري، أصول حول الشيعة والمرجعية، المجمع العالمي لأهل البيت، طهران، ٢٠٠١.

١١- عادل الجبوري، فتوى الجهاد الكفائي والرؤية العميقة للمرجعية الدينية، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الرابط الاتي:

<http://asrarmedia.com>

١٢- علي الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٦، القسم الأول.

١٣- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٥، القسم الأول.

١٤- علي طاهر الحمود، العراق من صراع الهوية أي صحوة الهويات، مؤسسة مسارات بغداد، ٢٠١٢.

١٥- فتوى المرجعية الدينية في ١٤/ شعبان ١٤٣٥هـ، ١٣/٦/٢٠١٤م.

١٦- فريق المزهرا لفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونشئتها، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٢.

١٧- فليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطورة السياسي، ترجمة: جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩.

١٨- محمد حسين علي الصغير، علماء المرجعية العليا، مؤسسه البلاغ، بيروت، ٢٠٠٣.

١٩- محمد عبد الحمزة خوان، النظام السياسي العراقي ما بعد ٢٠٠٣ الطبعة، التوجهات، التحديات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٨.

٢٠- مرتضى مطهري ، الحركات الاسلامية في القرن الاخير، ترجمة صادق العبادي، دار الهادي، بيروت، ١٩٨٢.

٢١- مهدي الفحام ، المرجعية الدينية واهمية الدور السياسي في العراق، صحيفة العدالة من المجلس الاعلى العراقي، العدد (٣٦٧)، ٤ نيسان ٢٠٠٥.

٢٢- هالة فتاح وفراك كاسو، خلاصة تاريخ العراق المعاصر، ترجمة: مصطفى نعمان احمد، بغداد، ٢٠١١.

٢٣- وميض جمال عمر نظمي ، الجذور الفكرية والسياسية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق ، ط ١، بيروت ، ١٩٥٨.

SUMARY

The Islamic religion is one of the religions that has the ability to organize and manage the socio-political structure because of its principles, goals, intellectual, philosophical, ideological and moral systems that aim at building and empowering people in the good management of their family, society or state. From its place in the prestigious Islamic community, and it is able to mobilize and mobilize the masses in a direction that it believes and believes it is true.

By introducing the political role of the reference and its impact on maintaining the security of the society, this role took the organizational idea based on the principle of (political intervention, political intervention and influence). In regard to non-intervention, it refers to a position by measuring all options

and gains The choice of non-intervention may indicate more gains than intervention, and sometimes we see them intervening in influencing and contributing to the political side, especially if it is concerned with public affairs and the public interest.

This is clearly shown in the historical role if we find its present in the jihad against the English, as well as its positions in the republican covenants, as well as its attitudes after 2003, and finally the fatwa of the reference in the Kadhafi Jihad and its impact on the present and future of the country.

research importance

The importance of research in the political role exercised by the reference and its impact on the security of society, through its advisory opinion if it has a prominent role in setting the parameters of the state. As well as the obvious impact on the psyche of the Iraqi individual because of the effectiveness of religious goats and reflected this role before the emergence of the Iraqi state and the process until the present time.

Problematic search

The security policies in Iraq have witnessed a clear decline since the establishment of the Iraqi state because of a variety of internal and external variables, especially after 2003 and the country witnessed corruption and weak security institutions and weak national belonging to most of its members, so it is required to

provide individuals with competence, integrity and national belonging.

Search hypothesis

That the reference has taken the key role in the success of security policies and the preservation of the political process as a problem of other problems that affect the security of the community, which contribute to the religious reference to resolve. Through this presentation we will focus on this research on the following axes
First: The historical role of religious reference in preserving the structure of Iraqi society.

II. Religious reference and the preservation of national unity after 2003.

Third: Fatwa of Jihad and the equivalent of security

اثر السيد محسن الحكيم في توجهات الشيخ أسد حيدر السياسية والفكرية

م.د صفاء شارد ناصر الركابي.

م.د زمن حسن كريدي غزاوي

جامعة ذي قار / كلية الاداب

الملخص:

تتمحور فكرة البحث حول اثر المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم (قدس الله سره) في توجهات الشيخ أسد حيدر الفكرية والسياسية فالمرجعية الدينية الامتداد الحقيقي اللازم للإمامة، التي تشكل بدورها الامتداد الطبيعي للنبوة في أبعادها المختلفة، وخاصة في بعديها العقائدي والسياسي، فمن الطبيعي ان يتأثر رجال الدين الموالون لائمة اهل البيت بما يصدر من المرجع الديني الاعلى من أوامر وتوجيهات سواء كانت فكرية ام سياسية، وفي هذا البحث نحاول ان نوضح مدى تأثير الشيخ اسد حيدر في افكار وتوجهات المرجع الديني الاعلى السيد محسن الحكيم اذ كان من المعاصرين له والمقربين لديه وهو احد طلابه، الا انه لم يحظى بالاهتمام من قبل الباحثين لاسيما ما يتعلق بعلاقته بالسيد محسن الحكيم على الرغم انه كان من ضمن حاشيته واحد وكلائه، لذا أثرنا في هذا البحث ان نسلط الضوء على هذه الشخصية ونعطيها حقها من البحث، ضم البحث ثلاث محاور تناول الاول سيرة الشيخ اسد حيدر، وركز الثاني على اثر السيد محسن الحكيم في توجهاته السياسية، واختص الثالث في اثره في توجهاته الفكرية.

اولا: سيرة الشيخ اسد حيدر الشخصية

هو أسد بن الشيخ محمد بن الشيخ عيسى بن الشيخ محمد بن حيدر بن خليفة بن كرم الله بن دنانه بن مذكور بن غانم بن اوثال بن محمد بن جبر بن منصور بن مناع

(منيع) بن سالم بن زامل بن سيف بن أجود بن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العقيلي الجبري العامري القيسي، ونبغ من أسرته عدد من العلماء ومنهم الشيخ حيدر بن خليفة، ومنه اكتسبت أسرته لقبها، إذ عرفت ب(آل حيدر) نسبة له^(١) كان الشيخ حيدر ورعا تقيا محبا للعلم، هاجر إلى النجف لدارسة العلوم الدينية في الحوزة العلمية، صنف في الفقه وأصوله كتابا سماه (وافية الأصول)^(٢)، وبعد أن أكمل دراسته الحوزوية عاد إلى مدينته سوق الشيوخ، بقي فيها حتى وفاته (١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م) أعقبه أولاده من بعده ومنهم الشيخ عيسى جد أسد حيدر، ثم والده الشيخ محمد بن الشيخ عيسى، المولود في النجف سنة (١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م)، وقد نشأ وترعرع فيها، برعاية والده الذي لقنه مبادئ العلوم الدينية، ثم دخل الحوزة العلمية^(٣)، ودرس على يد كبار علماء عصره ومنهم الشيخ (محمد طه نجف)^(٤) الذي قرّبه منه واعتمد عليه في كثير من الأمور، حتى أرسله إلى مدينة الخضر^(٥) بناء على طلب أبناء هذه المدينة، بإرسال أحد رجال الدين، ليعمل على حل الخلاف الذي حصل بين أبنائها، ولما وصل الشيخ محمد تمكن من حل الخصومة بصورة أرضت المتخاصمين، فأحببه سكان مدينة الخضر وطلبوا منه البقاء عندهم، وافق الشيخ محمد على ذلك وبقي هناك يتولى مهام الإرشاد والوعظ كمرجع ديني يلجأ إليه الناس ليحل مشاكلهم^(٦)، كما أنه تمتع بمكانة ونفوذ واسعين تمكن بهما من التأثير على مجتمع مدينة الخضر وخصوصا في غرس روح الجهاد والتصدي لأي خطر يهدد وطنهم العراق، وتوفي الشيخ محمد سنة (١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م) وهي السنة التي ولد فيها أسد حيدر في مدينة الخضر^(٧)، إلا إن بعض المصادر التي ترجمت حياة أسد حيدر تحدثت بخلاف ما تقدم بخصوص ولادته، فبعضها ذكر أنه ولد في النجف سنة (١٣٢٧ هـ / ١٩١٠ م)^(٨) وبعضها الآخر أخ ولادته سنة (١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م)^(٩)

نشأ أسد حيدر يتيم الأب، في بيت جليل عامر بالعلم والأدب، فأسرته (آل حيدر) من الأسر العلمية العريقة، تولت والدته العلوية نجيبة السيد علي الحسيني شقيقة الخطيب المعروف (كاظم الحسيني^(١٠)) رعايته وكانت على درجة من الثقافة، تجيد القراءة والكتابة وتنظم الشعر الشعبي الخاص بالشعائر الحسينية والمناسبات الدينية^(١١) .

تعلم أسد على يد والدته قراءة القرآن الكريم، كما غرست في نفسه حب أهل البيت (عليهم السلام)، وشاركها في رعايته عمه عبد علي آل حيدر، الذي استقر في ناحية الخضر بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بن عيسى والد أسد، وتولى رعاية أبنائه طالب وعلي ومنصور، وقد حظي أسد برعاية خاصة من لدنه، لكونه ولد يتيما إذ علمه بعض العلوم الدينية، ويذكر أنه درس (المقدمات^(١٢)) على يده، وإلى جانب هؤلاء كان لخاله الخطيب كاظم الحسيني دور في تعليمه الأول لما تمتع به من مميزات جعلت منه فقيها ورعا وخطيبا بارعا، فكان يصطحبه معه إلى المجالس الحسينية التي تقام في مدينة الخضر وغيرها من المدن^(١٣)، ويتضح لنا مما تقدم إن لصلته به أثرا كبيرا في صقل موهبته الخطابية، لذا تعد أسرته المنهل الأول الذي نهل منه تعليمه، أما المصدر الثاني من مصادر تعليمه الأولى، فهو دخوله مدرسة الخضر الابتدائية، ويذكر أنه قد دخلها في سنة (١٣٣٤هـ/١٩١٥م)^(١٤) ويبدو إن هذا التاريخ قريب من الصحة، لاسيما وإن حكومة الإدارة البريطانية كانت قد عنت بالتعليم عناية فائقة في الحقبة الممتدة (١٣٣٤-١٣٣٧هـ/١٩١٥-١٩١٨م) إذ أنشأت العديد من المدارس في العراق، وأتاحت التعليم لأبناء المذهب الشيعي^(١٥) اضطر أسد حيدر إلى ترك المدرسة الابتدائية بعد أن أنهى الصف الخامس بنجاح^(١٦) دراسته الحوزوية

دخل أسد حيدر الحوزة العلمية سنة (١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م) ودرس على يد عدد من علمائها الفقه والأصول ومنهم السيد أبو الحسن الأصفهاني^(١٧) اذ كانت علاقة أسد حيدر به علاقة متينة تسودها المودة والاحترام ،وقد تلقى على يده دروسا في الفقه^(١٨)، ولشدة تأثيره بوفاته سنة (١٣٦٦هـ / ١٩٤٦ م) رثاه بقصيدة عنوانها (يوم النحر) نذكر منها :

لرزئك وقع في الورى دونه الحشر وفقدك أبقى الحزن وارتفع الصبر^(١٩)
اما الشيخ حسين بن السيد محمود القمي^(٢٠)، فقد حضر أسد حيدر دروسه في الفقه والأصول، وقد أثر الشيخ القمي في تعميق نزعة الزهد لديه ،إذ كان من أكثر العلماء التزاما بالمسؤولية ومحافظة على الدين ورعاية للناس ،احتفظ أسد حيدر بعد وفاة الشيخ حسين القمي سنة (١٣٦٧هـ / ١٩٤٧ م) بذكره العطرة ،واتصل الشيخ اسد حيدر بالشيخ محمد رضا آل ياسين وكانت تجمعهم معه علاقة حميمة درس على يده الفقه والأصول وتوفي عام (١٣٧٠هـ / ١٩٥٠ م) ،، ومن شيوخه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، كانت بداية أسد حيدر الأدبية معه^(٢١)، إذ كان خطيبا قل نظيرة من حيث بلاغة الكلام وفصاحة اللفظ ،ونفوذ معانيه إلى قلوب مستمعيه^(٢٢) ، واليه يرجع الفضل في تطوير موهبته الشعرية أيضا ، فكان من المقربين جدا له ، ويتولى الإشراف على الاحتفالات التي تقيمها مدرسته. ومن أصحاب الحلقات فيها^(٢٣) ، وبقي على اتصال وثيق به حتى وفاته سنة (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤ م)، وتعد بداية أسد حيدر العلمية مع الشيخ حسين الحمادي (ت ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩ م) إذ أجاز به علم الأصول، وكان منه بمثابة الابن لأبيه^(٢٤)، ودرس على يد الشيخ عباس الرميثي (ت ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩ م) (بحث الخارج^(٢٥)) وأفاد منه في تأليفه لكتابه (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) بدرجة كبيرة وبقي ملازما له حتى ٠ كما درس على يد

الشيخ محمد اليعقوبي وكان له اثرا مهما في تطوير موهبة أسد حيدر الشعرية والخطابية، اما الشيخ عبد الكريم الزنجاني فقد تلقى أسد حيدر منه دروسا في الفلسفة، وغيرهم وفيما يتعلق المرجع الديني السيد محسن بن مهدي بن صالح بن احمد الطباطبائي الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) فقد درس أسد حيدر على يده علم الفقه والأصول وأجيز من لدنه، وكان من ضمن حاشيته وتولى إدارة بعض أعمال المرجعية له، لاسيما الإشراف على المكاتب العامة التي اهتم السيد محسن الحكيم ببنائها وتزويدها بالكتب لغرض رفع المستوى العلمي، وبقي على اتصال وثيق به حتى وفاته سنة ٢٠٠٦^(٢٦)

اثر السيد محسن الحكيم في توجهاته السياسية

شهد عصر أسد حيدر (١٣٢١ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٠٣ - ١٩٨٥م) أحداثا سياسية وفكرية كان لها الأثر الواضح في توجهه السياسي، ولعل أهم تلك الاحداث ما يتعلق بانتشار الأفكار الشيوعية اذ بدأت هذه الأفكار منذ عام (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠م) تأخذ طريقها إلى الانتشار داخل العراق^(٢٧)، ساعدها على ذلك ما كان يعانيه الشعب من تردي في جميع نواحي الحياة، فلم يحظ العراقيون بالاهتمام خلال الحكم الملكي^(٢٨)، وزاد من سوء الوضع في العراق وفاة الملك فيصل (١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣م) وتولي ابنه الملك غازي العرش (١٣٥٢ - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٣ - ١٩٣٩م) ونتيجة لصغر سن هذا الأخير لم يتمكن من السيطرة على الوضع في العراق، مما جعله يركز على الجيش بدرجة كبيرة لغرض توفير قوة عسكرية للحفاظ على الدولة من الأخطار الخارجية والحد من الفتن الداخلية^(٢٩)، وهنا وجد الشيوعيون فرصة سانحة لإثبات وجودهم فانخرطوا في صفوف الجيش العراقي، وشاركوا في الانقلاب الذي قاده بكر صدقي (١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م) بهدف القضاء على وزارة ياسين الهاشمي^(٣٠)، والمهم

في الأمر إن العمل الشيوعي أصبح أكثر خطورة بعد هذا الانقلاب ، إذ اتيح للشيوعيين نشر أفكارهم بين صفوف الشباب وتمكنوا من كسبهم إلى جانبهم ، ودعواهم إلى الابتعاد عن الدين الإسلامي ، لأنه حسب قولهم يعد عقبة في طريق الإصلاح^(٣٢) ، وهكذا بدا واضحا إن تعاليم الدين الإسلامي ستتمحي فيما إذا استمر الشيوعيون بنشر أفكارهم ، التي كانوا يبثونها بشكل سري أول الأمر ، وشعر رجال الدين بخطورة هذا الوضع ، ونبه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٤٩-١٣٧٣ هـ / ١٨٧٧-١٩٥٤ م)^(٣٣) إلى ذلك داعيا إلى ضرورة الوقوف بوجه الدعاية الشيوعية^(٣٤) ، في الوقت الذي كان فيه الشيوعيين يحاولون التقرب إلى حكومة رشيد عالي الكيلاني والتي شكلت على اثر قيام حركة مايس (١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م) بغية تعزيز موقفهم في العراق ، لاسيما وإن موقفهم بات في خطر بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨-١٣٦٥ هـ / ١٩٣٩-١٩٤٥ م) التي من بين أهم أهدافها التخلص من الاتحاد السوفيتي (سابقا)^(٣٥) .

وكانت نتائج الحرب العالمية الثانية لصالح الاتحاد السوفيتي الداعم للشيوعيين ، مما زاد من قوتهم ، ودعاهم إلى المشاركة في وثبة (١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م) التي شارك فيها أبناء الشعب العراقي ، تعبيرا عن رغبتهم في التخلص من الأوضاع السيئة التي كانت تعانيها البلاد من جراء السيطرة البريطانية والتي سعت إلى فرض معاهدة بورتسموث (١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م)^(٣٦) لتحل محل معاهدة (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) في العراق^(٣٧) .

بدأت المجابهة الفعلية للحزب الشيوعي من قبل المنتسبين للحوزة العلمية في النجف الأشرف ، في العهد الجمهوري أي بعد قيام ثورة (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م)^(٣٨) والتي زادت من قوة الحزب الشيوعي لمشاركته فيها إلى جانب عبد الكريم قاسم^(٣٩)

،والذي اعتمد عليهم نظرا لمقدرتهم على تنظيم العمل في المناطق العراقية التي صعب على التنظيمات السياسية الأخرى تنظيمها^(٤٠) .

وزاد من حدة التوتر بين علماء الشيعة والحكومة العراقية، إصدار الرئيس عبد الكريم قاسم قوانين منافية لتعاليم الدين الإسلامي ومنها قانون الإرث الذي ساوى فيه حصة المرأة مع الرجل^(٤١) إزاء هذا الوضع تولى المرجع الديني آنذاك السيد محسن الحكيم مهمة محاربة الشيوعية ووقف إلى جانبه عدد من علماء الحوزة العلمية ومنهم أسد حيدر^(٤٢) ، وكان من نتيجة الحملة التي شنّها رجال الدين على الشيوعيين أن قل خطرهم ، وخاصة بعد الفتوى التي اصداها السيد محسن الحكيم وهذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم

"لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي ،فإن ذلك كفر والحاد ،وترويج للكفر والإلحاد أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك وزادكم إيماناً وتسليماً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"^(٤٣).

فضلا عن إدراك الرئيس عبد الكريم قاسم خطر الشيوعيين ومحاولته تقليص نفوذهم في الدولة العراقية^(٤٤) ،فشهد عام (١٣٨١هـ / ١٩٦١م) تراجعاً للنشاط الذي يمارسه الشيوعيون بسبب العزل السياسي الذي مارسه عبد الكريم قاسم ضدهم^(٤٥) ،وبتسلم البعثيون السلطة لأول مرة (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) بعد مقتل عبد الكريم قاسم من قبلهم، ومارس الرئيس عبد السلام عارف سياسة عدائية ضد عامة الشعب ،فتعرضت الحوزة العلمية في عهده إلى اعتداءات واعتقالات لعلمائها^(٤٦) ،وبعد مصرعه في حادث الطائرة (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) تولى الحكم أخوه عبد الرحمن عارف (١٣٨٦-١٣٨٨هـ/١٩٦٦-١٩٦٨م) تمكن من أبعاد البعثيين عن مناصبهم بحجة عدم تمكنهم من تحقيق وحدة عربية، واستمر الوضع كذلك حتى

تولى الرئيس أحمد حسن البكر (١٣٨٨-١٤٠٠هـ / ١٩٦٨-١٩٧٩م) السلطة، وبوصوله بدأ التعاون بين الحزبين الشيوعي وحزب البعث من أجل القضاء على الأنشطة الدينية، فلحق برجال الدين أذى كبير، ثم انقلب البعثيون بعد ذلك على الشيوعيين وبدأوا بإقصاء العناصر الشيوعية من مناصبها، وسعوا في الوقت نفسه إلى متابعة رجال الدين والتضييق عليهم^(٤٧)، كان لانتشار الأفكار الشيوعية صدى واسعا في العراق، لإتخاذها منذ البداية موقفا سلبيا من الظاهرة الدينية، وسعيها إلى الحد من الشعائر الدينية التي يمارسها أغلبية الشيعة في العراق كالمجالس الحسينية وزيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام)^(٤٨) .

اتخذ أسد حيدر موقفا صلبا من الشيوعيين، وعبر عن مدى استيائه من تزايد نشاطهم، وعن فرحته بوفاة رئيس الحكومة الروسية (ستالين) المسؤول عن تحركاتهم، داعيا إلى جعل تاريخ وفاته حدثا يؤرخ به بقوله :

”في يوم الخميس المبارك في شهر جمادى الثاني (١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م) توفي طاغية الغرب وجبار أوربا المارشال ستالين ٠٠٠ داعية المبادئ الشيوعية وخليفة للينين لعنهما الله ٠٠٠ ثم قال:

مات ستالين فأهوت به من هالك يهوى إلى الهاوية
يا لفتة الله على أمة لا توجب اللعن على الطاغية
ما أعظم البشرى فأرخ به“^(٤٩)

وبتزايد النشاط الشيوعي في العراق بعد ثورة تموز (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) نتيجة لدعم الرئيس عبد الكريم قاسم للشيوعيين، وإتباعه سياسة تنسجم مع مبادئهم، الأمر الذي استفز كل مسلم، وخاصة بعد أن تصاعدت شدة الهجمات الشيوعية ضد الحوزة العلمية^(٥٠)، مما تطلب المواجهة الفعلية لهذا الوضع، فانقسمت الحوزة

الدينية إلى قسمين: قسم أثر البقاء إلى جانب سلطة عبد الكريم قاسم، والقسم الآخر كان يرى العكس فنظم نفسه تحت أسم (جماعة العلماء^(٥١)) تجمع سياسي ديني علمائي تأسس في النجف الأشرف وكان أعضائها يمثلون الفئة التي تأتي بعد المراجع (مراجع التقليد) وتزعم الشيخ مرتضى آل ياسين هذه الجماعة، كانت الغاية من تأسيسها مواجهة المد الشيوعي، فانضم لها عدد كبير من العلماء المنتمين للحوزة العلمية، اصدر هؤلاء منشورات تعبر عن آرائهم في الأوضاع التي عاصروها وكان ذلك سنة (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م)^(٥٢) إدراكا من علماء الدين بضرورة التصدي للعمل السياسي والتفاعل مع الجماهير الشعبية من منطلق الحفاظ على الإسلام والمسلمين وعلى هذا الأساس تكونت جماعة العلماء وقد تبنى الإمام محسن الحكيم هذه الحركة وكان يقوم بالإنفاق على كافة النشاطات التي تقوم بها، كما سارع في اعطائها الشرعية والتأييد من خلال اصدار فتوة بهذا الخصوص دليل حرصه على هذه الجماعة لاعتقاده بانها راس الحرية الاسلامية والواجهة السياسية للمرجعية والطريقة المثالية للتعبير عن امانى الجماهير السياسية. لذا فان نشاطات هذه الجماعة لم تكن مستقلة انما كل القضايا التي يقومون بها كانت تحت مظلة الإمام الحكيم وموافقة، وأحيانا توجيهه، وكانوا يعملون على حفظ وحدة الحوزة والعلماء والأمة، وكان تنبيه ودعمه لهما واضحا وفي ارشادته وتوجيهاته ما يؤكد ذلك، وقد أخذت هذه الجماعة على عاتقها الدفاع عن الإسلام والوقوف بوجه المخططات المضادة له والمحافظة على عقيدة الأمة المسلمة من الانحراف^(٥٣).

وكان أسد حيدر احد أفراد جماعة العلماء، وكانوا يسهرون طول الليل في بيته يطوون كل منشور ويكتبون على ظهره عنوان المرسل إليه وهم يستخدمون دليل

مشاركي هاتف بغداد ويكتبون الأسماء التي فيه على غير تعيين، وتأتي جماعة أخرى تستلم المناشير وتقوم بتوزيعها^(٥٤) وقد تمكن أفراد هذه الجماعة من تأمين مسلك لهم في الإذاعة يمكنهم من مخاطبة الناس وتوعيتهم، وعلى الرغم من محاولة الشيوعيين لمنع إذاعة الخطاب الأول لجماعة العلماء، إلا إنهم تمكنوا من ذلك الأمر الذي أثار احتجاج الشيوعيين^(٥٥).

كانت الضغوط السياسية وأشكال المواجهة مع الشيوعيين، وتساعد نبرة النقد لرجال الدين والتجروء على تناول أفكار تمس العقيدة والتوحيد، قد دعت إلى ضرورة إصدار مطبوع دوري على شكل مجلة، وبعد أن اقتنعت أطراف الحوزة بذلك، بدأت المناقشة حول اسم المجلة فاقترح أسد حيدر أسم (أضواء^(٥٦)) وكتب فيها عددا من أبحاثه^(٥٧).

لم تلبث الأضواء حتى تألق نجمها وازداد عدد المقبلين على شرائها بسبب الشخصيات الفذة التي تطرح الحقيقة من خلالها الأمر الذي استفز الشيوعيين فشنوا هجمات عنيفة ضد العاملين فيها، لأنهم يعتبرون التيار الديني خصمهم اللدود^(٥٨) وأخذت حدة الشيوعية تتضاءل نتيجة لجهود جماعة العلماء، ولما أصدره الإمام السيد محسن الحكيم من فتوى تحرم الانتماء إلى الشيوعية^(٥٩).

وما إن تسلم البعثيون السلطة للمرة الأولى (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) حتى شنوا هجماتهم على الحوزة العلمية، واعتقلوا عددا من أفرادها واخذوا بمراقبة العلماء المشاركين في مجلة أضواء بعد أن شيع البعض أن هذه المجلة لا تعبر عن رأي جماعة العلماء وإنما هي تعبر عن نظام سياسي وديني يستغل اسم جماعة العلماء^(٦٠).

ولعل أسد حيدر قد تعرض إلى مضايقة السلطة ومطاردتها كونه من المنتمين إلى مجلة أضواء، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد مارست حكومة الرئيس عبد السلام

عارف سياسة عدائية مع عامة الشعب، مما اضطرت مرجعية السيد محسن حكيم التصدي لقيادة العمل السياسي بشكل مباشر^(٦١).

وبعد مصرع عبد السلام عارف بسبب حادث الطائرة سنة (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م)، وانتقال الحكم إلى أخيه عبد الرحمن عارف تحسنت العلاقة بين السلطة والمرجعية، فلم يشهد عهده إراقة دماء أو حملة اعتقال لذلك أطلق عليه (العهد الذهبي) ^(٦٢)، وعلى أي حال لم يدم حكم عبد الرحمن عارف طويلاً إذ قام البعثيون بانقلاب ١٧/ تموز ١٩٦٨ وتسلموا السلطة من جديد، وقاموا بحملة واسعة من الاعتقالات ضد رجال الدين لاسيما بعد تحالفهم مع الشيوعيين، فتصاعدت موجة الاعتداءات ضد العلماء، وظهرت انتفاضات تندد بسياسة السلطة القائمة على القتل والتنكيل لعلماء الدين، ولكن دون جدوى إذ استمرت الحملة الشرسة التي قادها البعثيون أيام الرئيس احمد حسن البكر ونائبه صدام حسين، ضد كل من يخالف أوامرهم، وخاصة بعد وفاة السيد محسن الحكيم سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، إذ اعدم خمسة من قيادات الحركة الإسلامية كذلك اعتقل عدد من رجال الدين البارزين^(٦٣).

وأخذت السلطة وأتباعها بمراقبة تحركات أسد حيدر وبدأت بتوجيه التهم إليه بدون دليل، الأمر الذي دعاه إلى هجرة بلده العراق إلى لبنان ومن ثم إلى الكويت حيث توفي هناك سنة المصادف ٢٨/٤/١٩٨٥^(٦٤).

أثره في توجهه الفكري

كان للتطورات السياسية في العراق والعالم، وتأثيراتها على الصعيد الإسلامي إذ أثرت على مجرى الأحداث وعلى تكوين اتجاهات فكرية^(٦٥)، ففي ظل هذه الظروف التي شهدتها العراق كان هنالك اتصال بين الدول العربي هدفه التعاون من

أجل التخلص من السيطرة الاستعمارية التي حاولت بكل الطرق زرع بذور التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة لتتمكن من السيطرة على خيراتها، وخاصة النفط الذي جعل من الدول العربية محط أنظار الدول الاستعمارية، و كان الخوف من الدعاية الشيوعية يمتلك الجميع لاسيما علماء الدين في العراق ومصر وإيران، فاخذوا يتبادلون الزيارات فيما بينهم، وبدأوا يتناقشون في أمور دينهم ويبحثون عن الأسباب التي ولدت الخلاف بين المذهب السني والمذهب الشيعي، ويدعون إلى ضرورة نبذ الخلافات الدينية والتقريب بين المذاهب الإسلامية لمواجهة ما يحيط بهم من خطر^(٦٦)، واتخذت المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد محسن الحكيم موقفا إيجابيا من مسألة التقريب^(٦٧)، بهدف إيجاد موقف موحد يجمع المسلمين لمواجهة ما يحيط بهم من تحديات^(٦٨) وكان من نتيجة التعاون بين الدول الإسلامية في هذا المجال أن ظهر في القاهرة أوسع مشروع تقريبي، وهو مؤسسة (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية)^(٦٩) ودعت هذه المؤسسة إلى ضرورة التعاون بين المسلمين وتوحيد صفوفهم لمواجهة التحديات الخارجية

ولتحقق هذه المؤسسة أهدافها أصدرت (مجلة رسالة الإسلام)^(٧٠)، والتي أكدت من خلال ما نشر فيها من مقالات على ضرورة دراسة التاريخ للوقوف على نقاط الالتقاء والافتراق بين المذاهب الإسلامية^(٧١) .

إن الأحداث التي شهدتها عصر أسد حيدر، فضلا عن إقامته في مدينة العلم (النجف الأشرف) وما حفلت به هذه المدينة من الاهتمام بالعلم والعلماء ابان مرجعية السيد محسن الحكيم اذ كان من المهتمين جدا بالجانب الفكري والمشجعين على حركة التأليف :- اذ يعتقد الإمام الحكيم ان المؤلفين هم العمود الفقري للمجتمع الإسلامي، فيجب تشجيعهم وتقويتهم بكل الوسائل والطرق وحثهم على الكتابة

، والتأليف والنشر^(٧٢). ونظرا للازدهار الثقافي الكبير الذي شهده العراق وبدعم من لدن السيد محسن الحكيم ، صنفنا الكثير من المؤلفات التي توضح حقيقة المذهب الشيعي وتبين صلته بالمذاهب الأخرى لتحقيق التقارب بين المذاهب الإسلامية ومنها كتاب (أصل الشيعة وأصولها) الإمام محمد حسين كاشف الغطاء وكتاب (عبد الله ابن سبأ) للعلامة العسكري وكتاب (الغدير في الكتاب والسنة) للعلامة الأميني^(٧٣)، وكتابي السيد محمد باقر الصدر (فلسفتنا) (واقصادنا)^(٧٤) ، وصدرت بمصر بعض الكتب التي تتعلق بهذا المجال ومنها كتاب (تاريخ المذاهب الإسلامية) للشيخ أبو زهرة وكان الهدف منه هو بيان أصل المذاهب الإسلامية بطريقة مبسطة^(٧٥) ، كل هذه المؤثرات كان لها دور بارز في تحفيز أسد حيدر وتأليفه كتابه (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) إذ أن هناك دعوات تقريبية وجهها أسد حيدر في كتابه انف الذكر تؤكد مدى تأثيره بأوضاع عصره لاسيما انتشار الأفكار الشيوعية نحو قوله : "إننا في أيامنا هذه يتهددنا عدو قد تزايد خطره ، عدو قد سطا على مبادئنا ومجتمعنا يبث سمومه ويستتر بمختلف الأثواب ويستعمل شتى الأساليب ، فجر بعض شبابنا بدعايته الكاذبة وأقواله الفارغة إننا أمام موجة إلحادية عارمة تسندها أمة ذات قوة وعدة ، وتحاول أن تفصل بيننا وبين قوتنا الروحية وعقيدتنا الإسلامية ، إنها قوة تنذر بالخطر وتدعو إلى الاهتمام واتخاذ التدابير في ردها ودفع خطرها ، ولا يمكن ذلك ونحن يكفر بعضنا بعض ويتهم بعضنا الآخر بأمور أكل الدهر عليها وشرب وتلك أشياء وجدت لغاية الفرقة بين المسلمين..."^(٧٦) ، ويبدو تأثير الشيخ أسد حيدر بما صدر من توجيهات من قبل السيد محسن الحكيم فقد أراد من كتابه هذا تنبيه المسلمين إلى ما يحيط بهم من أخطار ، فكان يركز على العوامل المشتركة بين أبناء المذاهب والتي تقربهم من بعض

وتمحي عوامل التعصب والتفرقة ليكونوا بذلك قادرين على مواجهة الهجمات التي يشنها أعداء الإسلام والدين، هناك مقوله لا نعرف على وجه التحديد قائلها، فبعضهم نسبها إلى السيد محسن الحكيم الآخر نسبها إلى (الإمام الخميني)^(٧٧) وهي: "إن العلم تحت عقل أسد حيدر لهذه المقولة إبعادا كبيرة لما تحمله من معانٍ، ولعل السيد محسن الحكيم قائلها نظرا لصلة أسد حيدر الوثيقة به، وبناء على ما يذكر من إنه كان إلى جانبه أثناء زيارة الوفد المصري إلى النجف، يجيب عن أسئلتهم حول المذاهب ونشأتها وقد تصور بعضهم إنه ليس من أصحاب الشأن، لكونه لا يرتدي العمامة فقال له: "اسكت يا حاج دعهم يتكلمون" فرد عليه السيد محسن الحكيم قائلا: "دعه يتكلم فهو صاحب كتاب (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة)"^(٧٨) مما يدل على إعجاب السيد محسن الحكيم بكتابه، فإذا كانت علاقته مع السيد محسن الحكيم لها إبعادها التاريخية والتربوية إلا إن علاقته بالإمام الخميني لا تحمل الإبعاد ذاتها، لكن السيد الخميني كان يكن له تقديرا كبيرا، فما إن حل بالنجف حتى وضع اسمه في سلم رواتب ذوي الشأن من كبار العلماء، حينما علم أسد حيدر بذلك توجه مسرعا إليه وقال له: "سيدنا أنا لست من مقلديك وقد أمرتم بأجراء راتب لي، ابتسم الإمام الخميني قائلا: أنا أعلم ولكن لك علينا حق"^(٧٩) ٠٠

- ١- أثبتت الدراسة ان الشيخ اسد حيدر كان من المتأثرين بفكر المرجع الديني السيد محسن الحكيم وان مبادرات السيد الحكيم في محاربة الشيوعية أخذت طريقها في توجهه الشيخ اسد حيدر اذ كان يعمل في الخفاء ضمن جماعة العلماء ليوضح للناس مخاطر الأفكار الشيوعية على تعاليم الدين الاسلامي.
- ٢- ان التشجيع على حركة التأليف والاهتمام الكبير بالمؤلفين حفز الشيخ اسد حيدر على تأليف كتابه الامام الصادق والمذاهب الاربعية، وهو من الكتب المهمة التي نالت إعجاب المرجع الديني السيد محسن الحكيم.
- ٣- بينت الدراسة ان الشيخ اسد لم يكن مجرد احد طلبة السيد محسن الحكيم بل كان من المقربين له وكان يتولى الاشراف على المكاتب التي اقامها سماحته .

الهوامش:

- ١- الدجيلي، الدرر البهية في انساب عشائر النجف العربية، ٨٢/٢
- ٢- الخاقاني: شعراء الغري، ٣٩٢/١٠
- ٣- الركابي، الشيخ اسد حيدر ومنهجه في كتابه الامام الصادق والمذاهب الاربعة، ص ٢٠
- ٤- وهو محمد بن الشيخ مهدي المولود في النجف سنة (١٢٤١هـ-١٨٢٥م) درس على يده عدد من علماء ومنهم الشيخ حسين نجل (صاحب الجوهر) والسيد عدنان الغريفي وغيرهم. تزعم الحركة الدينية بعد وفاة أستاذه الشيرازي، توفي سنة (١٩٠٥ م ١٣٢٣هـ) ينظر، آل محبوبة: ماضي النجف، ١٨٧/٢
- ٥- وهي قرية على نهر الفرات أصبحت بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة ناحية، ثم قضاء عام ١٩٦٩ وهي تابعة لمحافظة المثنى، ويرجع أصل تسميتها إلى ما يتداوله العامة من ان الخضر (عليه السلام) مر بها، فبنوا لها مقاما فيها
- ٦- الخاقاني: شعراء الغري، ٣٩٢/١٠
- ٧- الركابي، الشيخ اسد حيدر ومنهجه، ص ٢١
- ٨- الورد، باقر أمين: اعلام العراق الحديث ١/٢١٧؛ المطبعي، موسوعة اعلام العراق، ص ١٩
- ٩- الاميني، معجم رجال الفكر في النجف، ٤٦٠/١
- ١٠- كاظم السيد علي ينتهي نسبه إلى زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) ولد سنة ١٣١٠هـ/١٨٨٨م في قرية أبو غريب في الخضر، اهتم بالشعر الحسيني وحفظ الكثير منه، لاسيما الشعبي، درس في النجف الأشرف الفقه والأصول واللغة العربية، عاد إلى مدينة الخضر، وعلى الرغم من فقدان بصره إلا أنه ظل يمارس دوره كخطيب حتى وفاته ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠. ينظر، المرجاني، خطباء المنبر الحسيني، ٣٨-٣٧/٣
- ١١- الركابي، الشيخ اسد حيدر ومنهجه في كتابه الامام الصادق والمذاهب الاربعة، ص ٢٠-٢١
- ١٢- يقصد بها الدروس الأولية التي يتلقاها الطالب في بداية تعليمه الديني وتشمل النحو المنطق والصرف والبلاغة، وهناك كتب محددة لدراسة المقدمات وتعتبر في مستوى نظام التعليم في الثانوية في نظام التعليم الحديث. ينظر الأمين، طراد، الإمام أبو القاسم الخوئي، ص ٨١
- ١٣- السيد حسن، أدب المنبر الحسيني في الوجدان الشعبي، ١/٢٦-٢٧
- ١٤- الركابي، الشيخ اسد حيدر، ص ٢٦
- ١٥- الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ ص ٧٣
- ١٦- الركابي، الشيخ اسد حيدر، ص ٢٦
- ١٧- وهو أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد بن محمد الموسوي، ولد سنة (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) في مدينة أصفهان في إيران لهذا لقب بالأصفهاني، نشأ بها وتعلم مبادئ العلوم فيها، ثم هاجر منها إلى

النجف عام (١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م) فدرس على يد كبار علمائها، وأصبح بعدها المرجع الديني الأكبر فيها، وهو من المهتمين بطلبة العلم الفقراء كان يجري عليهم النفقات الشهرية، ينظر الورد اعلام العراق، ٥٨/١،

١٨- الركابي، الشيخ اسد،

١٩-

٢٠- وهو حسين بن السيد محمود بن السيد علي الطباطبائي الحائري، ولد سنة (١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م) في مدينة قم بإيران ونسبة لها أطلق عليه لقب القمي، درس المقدمات والسطوح، وأظهر تفوقا في دراسة العلوم العقلية والنقلية، هاجر إلى مدينة النجف سنة (١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م) وتعلم على يد علمائها، ثم عاد إلى وطنه إيران واشتغل بالتدريس والإمامة، وأعلن ثورة ضد السلطة الحاكمة في إيران آنذاك، ونفي إلى العراق

عقوبة على ذلك واختير لتولي مهام المرجعية بعد وفاة الشيخ أبو الحسن الأصفهاني سنة (١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م)، ينظر الاميني: معجم رجال الفكر، ١٠١٦-١٠١٧

٢١-

٢٢- السلامي، عمار عبد الأمير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٤ م، ص ٢٠.

٢٣- الناهي، غالب: دراسات أدبية، مطبعة النشر والتأليف (النجف، ١٩٥٤)، ١٠٥/١.

٢٤- الركابي،

٢٥- أطلق مصطلح بحث الخارج على المرحلة التي يتم فيها التدريس خارج متن الكتب فهو لا يعتمد رأي خاص ولا عبارة كتاب معين يتمرن الطالب خلال هذه المرحلة على الاجتهاد في الرأي، معتمدا على المحاور والمناقشة وتنقسم مرحلة بحث الخارج إلى ثلاث مراتب أعلى مرتبة فيها أن يتخذ الأستاذ منهجا خاص به في مسائل العلم من حيث الترتيب والتبويب والتحقيق، فانه يحلر المسائل من تلقاء نفسه ويوضح جهاتها وأقوالها حسب رأيه عن طريق ذكر النظريات وإلغاء الأدلة الضعيفة ولذلك يجب إن يكون الأستاذ على درجة كبيرة من العلم والثقافة ويراد بالخارج (البحث خارج كتب الدراسة المقررة)، ومدة الدراسة في البحث الخارج عدة سنوات أو دورة كاملة في الفقه والأصول، بعدها يعرض الطالب بحثه على أستاذه، فإذا نال قبوله منحه شهادة كتابية يقال لها (الاجتهاد) للتفاصيل ينظر: الأمين، حمادة: الإمام أبو القاسم الخوئي، ص ١١٦.

٢٦- الركابي

٢٧- لمزيد من التفاصيل ينظر، بطاطو، حنا: العراق والحزب الشيوعي، تعريب عفيفي الرزاز، ط ١، دار المتنبي للتوزيع والنشر، (بغداد، ٢٠٠٦)، ٦١/١.

٢٨- نعمت، كاظم: الملك فيصل الأول والانكليز، الدار العربية للموسوعات، ط ١، (بيروت، ١٩٨٨)، ص ١٥٦.

٢٩- الساموك ،حسام حمودي :الملك غازي ودوره في انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦، ط١، الدار العربية للموسوعات ، ط١، (بيروت لبنان ، ٢٠٠٥)، ص٥٢-٥٧ .

٣٠- يعود سبب هذا الانقلاب إلى السياسة التعسفية التي سار عليها ياسين الهاشمي اذ منع الاجتماعات وعطل الصحف وسخر الجيش للقيام بأعمال العنف ضد العشائر، مما أدى إلى توتر العلاقة بينه وبين حكمت سليمان رئيس جماعة الأهالي الذي حرض بكر صدقي على القيام بهذا الانقلاب . لمزيد من التفاصيل ينظر، المصدر نفسه، ص٩٥ وما بعدها .

٣١- بطاطو :العراق والحزب الشيوعي، ١/ ٦١ .

٣٢- المصدر نفسه، ١/ ٩٨ .

٣٣- وهو الشيخ محمد حسين بن علي بن رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء (١٢٩٤ هـ/ ١٣٧٣ م) درس الشيخ محمد حسين العلوم الدينية في معاهد النجف تخرج على يد كبار علمائها، تزعم الحوزة الدينية في النجف ، وقد اجتذبت رسالة الإصلاح وجمع شمل الأمة الإسلامية . ينظر، بصرى، مير :إعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ، مطبعة الجمهورية (بغداد، د.ت)، ١/ ١١٠ .

٣٤- بطاطو : العراق والحزب الشيوعي ، ١/ ٣٦٢ .

٣٥- الخرسان ،صلاح :صفحات من تاريخ العراق السياسي الحديث الحركات الماركسية ١٩٢٠- ١٩٩٠، ط١، مؤسسة العارف للمطبوعات (بيروت لبنان ، ٢٠٠١)، ص٢٨ .

٣٦- بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ و تأسيس هيئة الأمم المتحدة وجد العراقيون إن معاهدة ١٩٣٠ لم تعد ملائمة، لذا بدأت الحكومة العراقية بالتفاوض مع بريطانيا لعقد معاهدة جديدة أثناء وزارة صالح جبر ١٩٤٨ عقدت معاهدة بور تسموث، وقد رفض الشعب العراقي هذه المعاهدة وخرجت المظاهرات المنددة بسياسية صالح جبر و بسياسة الصهاينة اتجاه فلسطين ،في حين كان هناك تبادل برقيات التهنية حول توقيع المعاهدة بين الحكومة العراقية والبريطانية . ينظر، الجعفري : بريطانيا والعراق حقبة من الصراع، ص١٦٦- ١٧١ .

٣٧- الخرسان :صفحات من تاريخ العراق، ص٥٩ .

٣٨- ندلعت هذه الثورة بعد الأحداث التي شهدتها مصر عام ١٩٥٦ والمتمثلة بإعلان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ،وما ترتب على ذلك من عدوان ثلاثي على مصر ،وبدا في تلك الأثناء التفكير الجدي لدى العراقيين بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية والحكم الملكي فتعاونت الأحزاب الموجودة في العراق لأجل الإطاحة بالحكم الملكي ومن هذه الأحزاب الحزب الشيوعي وحزب البعث والحزب الوطني الديمقراطي . حسين، خليل إبراهيم: الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين دار الحرية للطباعة ،(بغداد ، ١٩٨٨)، ص٤٨ وما بعدها .

- ٣٩- خدوري، مجيد: العراق الجمهوري، ط ١، مطبعة الأمير، (إيران، ١٩٦٨)، ص ١٣٦-١٣٨؛ العلوي، حسن: الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، ط ١، دار روح الأمين (طهران، ١٤٢٦هـ)، ص ١٩٥.
- ٤٠- تريب، تشارلز: صفحات من تاريخ العراق، تعريب زينة جابر إدريس، ط ١، الدار العربية للعلوم (دمشق، ٢٠٠٦)، ص ٢١٣.
- ٤١- الناصري، عقيل: عبد الكريم قاسم، ط ١، دار الحصاد، (سوريا، ٢٠٠٣)، ص ١٧٢.
- ٤٢- الركابي،
- ٤٣- العلوي: الشيعة والدولة، ص ١٩٨-١٩٩.
- ٤٤- تشارلز: صفحات من تاريخ العراق، ص ٢٢١.
- ٤٥- العلوي، حسن: دولة الاستعارة القومية: دار الزوراء، (لندن، ١٩٩٣)، ص ٨٢.
- ٤٦- العلوي: الشيعة والدولة القومية، ص ٢٠٦.
- ٤٧- تشارلز: صفحات من تاريخ العراق، ص ٢٣٤-٢٦٨.
- ٤٨- الخرسان: صفحات من تاريخ العراق، ص ١٥٤.
- ٤٩- الركابي
- ٥٠- العلوي: دولة الاستعارة القومية، ص ٨١.
- ٥١- تزعم هذه الجماعة في النجف الأشرف الشيخ مرتضى آل ياسين، كانت الغاية من تأسيسها مواجهة المد الشيوعي، فانضم لها عدد كبير من العلماء المنتمين للحوزة العلمية، اصدر هؤلاء منشورات تعبر عن آرائهم في الأوضاع التي عاصروها، لمزيد من التفاصيل ينظر، الخرسان، صلاح: حزب الدعوة حقائق ووثائق، ط ١، المؤسسة العربية للموسوعات (دمشق، ١٩٩٩)، ص ١٠١.
- ٥٢- العلوي: الشيعة والدولة، ص ١٩٦.
- ٥٣- السراج، الامام محسن الحكيم،
- ٥٤-
- ٥٥- الخرسان: حزب الدعوة، ص ١٠١.
- ٥٦- الأضواء مجلة شهرية دينية تصدر في النجف الأشرف باللغة العربية والفارسية ويرجع تاريخ الامتياز لهذه المجلة إلى سنة ١٩٦٣ وتم إلغاؤها في العام نفسه، ينظر، وزارة الإعلام: دليل الصحافة العراقية (السلسلة الإعلامية، عدد ٢٤، ١٩٧١)، ص ١٠.
- ٥٧- الركابي
- ٥٨- الخرسان: حزب الدعوة، ص ١٠١.
- ٥٩- العلوي: الشيعة والدولة القومية، ص ١٩٨-١٩٩.
- ٦٠- الخرسان: حزب الدعوة، ص ١٠٢.
- ٦١- العلوي: دولة الاستعارة، ص ٢٠٨.

- ٦٢- محمد، ملا اصغر: الحياة السياسية للإمام الصدر، بحث ضمن كتاب: محمد باقر الصدر دراسات في حياته وفكره، ط ١، مؤسسة العارف للمطبوعات (بيروت-لبنان، ١٩٩٦)، ص ٢٨٠.
- ٦٣- هادي، محمد: لمحات عن حياة حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد العزيز الحكيم، ط ١، (د م، ٢٠٠٥)، ص ١٦-١٧.
- ٦٤- الركابي،
- ٦٥- الأمين، عبد الحسن، طراد حمادة: الإمام أبو القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، ط ١، دار النور (لندن، ٢٠٠٤)، ص ٩٩.
- ٦٦- لمزيد من التفاصيل ينظر، نص برقية الشيخ محمد تقي القمي إلى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، العدل الإسلامي (مجلة) العدد ٢، السنة الثالثة، (النجف، ١٣٦٨)، ص ١٠.
- ٦٧- يراد بالتقريب العمل على تقريب الأفكار، من خلال التأكيد على المشتركات وتقريب المواقف المختلف فيها، مما يتطلب جهداً ثقافياً مستمراً لتعريف بعض المسلمين ببعضهم الآخر، من خلال بيان الأصول المشتركة والراسخة في جميع المذاهب، لمزيد من التفاصيل ينظر الأمين، أحسان: مناهج التقريب بين المذاهب، بحث ضمن كتاب: الطائفية في العراق مقاربات في الجذور وسبل الخروج من المأزق، ط ١، العارف للمطبوعات، (لبنان ٢٠٠٨)، ص ٢٤.
- ٦٨- الحكيم، محمد باقر: الإمام الحكيم السيرة الذاتية، منشورات دار الحكمة، (بغداد، د ت)، ص ١٥-١٦.
- ٦٩- ظهرت هذه المؤسسة في القاهرة في بداية الخمسينات برئاسة الشيخ محمد تقي القمي، ضمت نخبة من العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية استمرت في عملها لغاية السبعينيات من القرن العشرين لمزيد من التفاصيل ينظر، الرضوي، مرتضى: مع رجال الفكر، ط ٤، مطبعة الإرشاد، (بيروت-لبنان ١٩٩٨)، ص ٢٧ وما بعدها.
- ٧٠- الأمين: مناهج التقريب، ص ٢٧.
- ٧١- فياض، محمود: التاريخ والتقريب، رسالة الإسلام (مجلة) العدد الأول، السنة الأولى، ١٩٤٩، ص ٢٨٦-٢٩٢.
- ٧٢- السراج، الامام محسن الحكيم، ص ٨١.
- ٧٣- لمزيد من التفاصيل ينظر داود، حامد حفي، نظرات في الكتب الخالدة، راجعة مرتضى الرضوي، ط ١، (القاهرة، ١٩٧٩).
- ٧٤- النقاش، إسحاق: شيعة العراق، ط ١، انتشارات المكتبة الحيدرية (قم - إيران، ١٤١٩هـ)، ص ١٨٦.
- ٧٥- الرضوي: مع رجال الفكر، ١/ ٢٧.

- ٧٦- حيدر، أسد: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، تح المجمع العالمي لأهل البيت، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، (قم، ٢٠٠٤)، ٤/ ١٦٥-١٦٦
- ٧٧- ولد الإمام الخميني في إيران سنة ١٩٠٩ وتلقى تعليمه على يد أخيه ثم اتجه إلى مدينة أراك، إذ انتقلت إليها الحوزة العلمية في إيران سنة ١٣٤٠ وبسبب مواقفه السياسية نفاه شاه إيران إلى تركيا، ثم إلى النجف الأشرف كانت تجمعه علاقة طيبة بالإمام محسن الحكيم، ومواقفه السياسية في العراق نفاه صدام حسين إلى فرنسا عاد بعدها إلى إيران، بقي على مواقفه وجهاده حتى وفاته ١٩٩٠م ينظر: المهري، محمد جواد: جوانب من أفكار الإمام الخميني ط ١، وزارة الإرشاد الإسلامي (طهران، ١٤٠٢)، ص ٤٣
- ٧٨- الركابي،

(موقف المرجعية من الآخر المختلف من " الأديان ، الطوائف ")

م.م هند كامل خضير

جامعة ذي قار / كلية الآداب

المقدمة:

حينما نتحدث عن الآخر؛ فإننا - قطعاً- نتحدث عن طبيعة العلاقة بين حيوية الذات الواعية من جانب وتلبية الحاجة الملحة للحياة المعاشة بكل نواحيها؛ وتأسيساً على هذا تستمد الحياة الفكرية قيمة مقدسة بنسبة ما للإنسجام والطبيعة البشرية واختلاف أنساقها.

من هنا نسلط الضوء على مفهوم الآخر وتمثلاته عبر تقنيات الخطاب الديني للمؤسسات الدينية، وتأتي أهمية المحور (موقف المرجعية من الآخر المختلف من " الأديان ، الطوائف ")، من خلال وصف ثيمة الاختلاف لكونها أبرز، بل أخطر المشكلات التي واجهت المنظومة البشرية منذ بدء الخليقة، كما نلاحظ أن الطروحات الفكرية تجاه المختلف غالباً ما ترتبط بالمظاهر التي لها مساس بالقضايا الدينية، ومن ثم فالاختلاف بين الناس سبب أزلية فطرها الله عليهم كما جاء في التنزيل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ سورة هود: ١١٨، ومن بدون الاختلاف تفقد الذات \ الإنسان ديمومة النشاط الفكري، وهنا تكون علاقة سلوك (الأنا) المفعم بشعور الوجود علاقة متكافئة بوجود الآخر؛ لأنهما ينهلان من معين واحد "التفكير الإنساني".

وبعد استقرار ميسير حسب ما ذكر في مصنفات الاستشراق والاجتماع ومختلف الحقول الإنسانية ومعاجم اللغة وأدبيات الخطاب الديني أقول : أولاً : إن مفهوم الآخر يعني كل ما هو غيري وخارج الذات، والذي عرفته المرجعية القرآنية بالدعوة إلى

الإيمان ما جاء في التنزيل العزيز: ﴿وَاقُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ سورة المائدة: ٢٧، ثانيا: الملفت أن الخطاب القرآني اكتفى بدعوة الآخر الديني إلى التوحيد من دون أي شيء آخر، دعوة للتلاقي مع الآخر في مراحل الخطاب الديني، فقد كرم الله الإنسان بوصفه إنسانا دون تحديد ، وفي ميزان التفاضل نجد التقوى هي بحث الحوار المشترك مع الآخر، وعند استعراض المسيرة الإسلامية المتمثلة بالرسول(ص) والأئمة من بعده، نجد الحوار ومنطق العقل خيارا يتبعونه مع الناس، ومن خاصهم أي منهج سياسة الأبواب المفتوحة والتعايش السلمي مع الآخر، التي لخصت في موقع (الولاية)، وهذا الدور ركز في (هداية الأمة، وحماية الأمة، وخدمة الأمة)، إذ مثل هذا المنهج إرھاصا لتوجه المؤسسات الدينية ومرجعياتها العليا ، فقد افترض (ابن طاووس) وهو أحد كبار العلماء في القرن السابع الهجري في مرحلة سياسية من تاريخ العراق بقوله: ((إن السلطان الكافر العادل أفضل من السلطان المسلم الجائر)) في ميزان التفاضل بين المسلم والآخر الكافر، وفي هذا الصدد قد أثر عن السيد محسن الحكيم (قدس سره) يقول: ((إذا جاء حاكم سني عادل فأنا أكون إلى جانبه، وإذا جاء حاكم شيعي ظالم فأنا أحاربه))، واتباعا لمنهج أهل البيت(ع) كان الحوار سمة علمائنا ومراجعنا على مر العصور، وهنا جاء موقف نصير الدين الطوسي عندما عد الأولوية في محاربة الخطر الذي يدهم المسلمين من الداخل أعظم من محاربته من الخارج المتمثل بالمغول والتتر عندما داهمهم لكسب الموقف وبسط العدالة السياسية ، فضلا عن هذا كان لعلماء العراق روح الدفاع عن المسلم المختلف وحمانيته ، فقد هبوا لنجدة العثمانيين عندما قرر الانكليز اجتياح العراق ،

ومن الانسجام والتفاني مارده الإمام موسى الصدر ((لا اختلاف ولا تناقض بين الشيعي والسني؛ فكلاهما من مذهبين يتبعان ديناً واحداً)).

وبروح إيجابية استقبل السيد محسن الحكيم (قدس سره) الآخر بدعوة التسامي والتفاني، فهو الذي أصدر فتوى بتحريم قتال الأكراد ، وهو الذي استنكر إعدام المفكر سيد قطب .

أما اليوم فيعد الموقف الوحدوي للسيد السيستاني (دام ظلّه) معلماً بارزاً في المسيرة التي صنعها أهل البيت (ع) ومن أهم المفردات الكريمة في جهوده لمناهضة الحساسيات المذهبية والطائفية قوله الشهير: ((لا تقولوا إخواننا السنة بل قولوا: أنفسنا السنة)) ، ومن المواقف الأخرى قراره في الإسهام ببناء الكنائس التي حرقها الإرهابيون، وهو الذي دعا إلى إنصاف الطائفية الإيزيدية ، وفي هذا الصدد رفض السيد السيستاني (دام ظلّه) واستنكر في أكثر موقف الاعتداءات التي تعرضت لها الطوائف الأخرى في داخل العراق وخارجه، ودعا إلى الاحترام المتبادل بين الأديان والمناهج الفكرية .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد الأمين وعلى آله الأطهار الميامين ، وصحبه المنتجبين .

- الآخر والمختلف : قراءة في التمثيل الديني

أصبح الآخر اليوم مفهوماً من المفاهيم الأكثر استعمالاً وتداولاً في خطابنا العربي المعاصر لتوصيف العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية، وهو من المفاهيم المستعملة في حقل الدراسات والعلوم الإنسانية؛ لأن العقل النقدي الفلسفي اعترف بظاهرة الاختلاف التي يتحدد بها وجود الإنسان وبدونها يصبح هذا الوجود مهدداً؛ لذلك رغب الباحث في تشريح هذا المفهوم (الآخر والمختلف) وتفكيكه من أجل الكشف عن ذاته الفعلية بوصفه موجوداً اجتماعياً نوعياً في حياته كلها،

والكشف عن تمثيلات هذا المفهوم - الآخر- في المرويات (المرجعيات الدينية) بوصفه تراثا إسلاميا والمرجع الديني بوصفه مرجعية دينية في الوقت المعاصر، وعن أثر هذه المؤسسات الدينية في إعادة إنتاج المختلف أو إدامة حياته .

لذا إن دراسة مرجعيات الاختلاف هو بحث في الخلفيات التي يستند إليها هذا المختلف \ الآخر ، وهي أيضا بحث في الأنساق التي تتأسس عليها منطلقات المنظومة الاجتماعية (القبيلة والعصبية) التي سمحت لها بالظهور في وقت ما أو ثقافة ما أو مرحلة تاريخية معينة ، وعليه، وجد هذا المختلف في جماعات لجأت إليه في محاولة منها للتعرف على ذاتها من خلال مقارنة نفسها معه .

واكتسب الاختلاف بعدا اصطلاحيا تداوليا لما له من الصلة بمفاهيم رديفة تثريه بطرق مباشرة وغير مباشرة ، ومن تلك المفاهيم (الآخر ، والمختلف ، والتحيز ، تتسم بحمولات دلالية ومعرفية جديرة بالاهتمام والدراسة .

فالآخر يتحدد في مختلف دوائر اهتمامات الإنسان ومجال تركيزه ، قد يكون في البيت الأسري وفي الدين أو في المذهب أو المسلك أو بين الزوجين أو بين الوالدين ... ومن ثم هو المختلف عنا في أي جانب من الجوانب التي نهتم بها (١) .

فالمختلف لا يعني الصورة البديهية بالمعنى المادي للكلمة ، اختلاف لغة عن لغة أو شعب عن شعب ، بل يتجاوز الجوانب الواضحة ويسوغ القول بوجود قطائع معرفية وثقافية على مستويات متعددة (٢)، والاختلاف - هنا - هو اختلاف تكامل لا اختلاف تضاد ، وتناقض ، وهذا الاختلاف الطبيعي يستتبع الأقدار بالتعدد أمرا واقعا ، لا مناص منه (٣) ، وجاء في ذلك قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا﴾ (٤) ، وهنا)) يستلزم الواقع الاعتراف بالآخر المختلف في العقيدة والمنهج وما ينتج عن ذلك من تعددية في أساليب التفكيك والحمل ، وهو ما يقود إلى الاعتراف بالآخر وقبوله

والتعايش معه في إطار المنافع المتبادلة والاختصاصات التكاملية وإقامة وحدة

المجتمعات البشرية من خلال تنوعها استنادا على المصالح والمنافع المتبادلة»^(٥).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ((وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ... ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعداونه))^(٦)، فالتنوع والتمايز والاختلاف سنة كونية مطردة في سائر عوالم المخلوقات أو من ثم فإن ((اختلاف الألسنة والألوان والأشكال والأعراق إنما هو علامة واضحة على حكمة الخالق وكمال قدرته))^(٧)، ومن ثم فالاختلاف - بكل أشكاله - سنة الحياة، ولا تقوم الحياة ولا تتطور إلا بالاختلاف، وقد قال تعالى: ﴿

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾^(٨)

فكل ثقافة من الثقافات تحمل تمثيلا للذات أو للآخر، بوصف التمثيل، إيقونة تعطي للجماعة صورة ما عن نفسها وعن الآخر، فضلا عن صنع معادل يتمثل بالهوية الثقافية لهذه الجماعة أن تمثل، بمعنى آخر أن تتحمل مسؤولية النطق بالنيابة عن الآخرين المتمثلين أي تمثل بالمعنى النيابي، وتلك الشيم لم تشهدها المنظومة للثقافة العربية إلا مع ظهور الإسلام، الذي دفع بالعرب إلى الواجهة، وأتاح لهم إمكانية التوسع والامتداد في بقاع العالم الوسيط، وكما وفر لها إمكانية تسييره لاحتضان الآخرين المختلفين واستيعاب ثقافتهم المتنوعة^(٩).

وعليه عبر القرآن الكريم عن نظرة متسامحة تجاه الآخر بصورة عامة، فالتصور الإسلامي للإنسان هو أفضل المخلوقات وأكرمها ومنه جاء التنزيل العظيم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١٠).

إذ ينبع الحوار والاختلاف مع الآخر في بادئ الأمر من التصور الشمولي للإنسان، ومن ثم الوصول إلى حالة من الانتماء المجتمعي، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١١) فالمستوحى من مفاد النص إنه إيدان لإقرار مبدأ التعايش السلمي بين الأديان المختلفة، وابتداء النص بذكر النهي وذلك لغاية حجاجية تتمثل في الاهتمام بنظرية الإسلام في السلم والمسالمة، وهذا ما رآه أهل التأويل كما ينقله الرازي من أن ((هذه الآية تدل على جواز البر بين المسلمين والمشركون، وإن كانت الموالة منقطعة (وتقسطوا إليهم) يريد الصلوة وغيرها))^(١٢)، رحمة منه تعالى بتيسير إسلام قومهم إذ رخص لهم في صلوة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم^(١٣).

وواقع أن ((التأمل الجامع في نصوص الدين وتعاليمه يؤدي إلى إحراز أن التأصيل العام في الشرع هو التعامل في إطار القسط بل الإحسان ورفض أية عصبية تجاه الآخر حتى ولو كان في الدين))^(١٤)

فالإسلام قائم على أساس العدل ومعرفة الحقوق والواجبات فمن أبرز مظاهر التعايش السلمي الذي ساد منظومته القيمية تلك حالة الاستيعاب في اختلاف الديانات السماوية لا بالتهوين من أمر الإسلام أو المهادنة العقيدية له؛ بل بما رسمه في باب المعاملات من تعاليم تسمح بالتواصل والتراحم ...^(١٥)، فبفضل تبنيه لوحدة الاعتقاد بين الأديان التوحيدية السماوية، تسامح مع أهل الكتاب من يهود ونصارى في المدينة.

وعندما نستجلي السيرة العطرة لسيد المرسلين نجدها تتجلى بأروع صور التعايش السلمي مع المختلف تلك التي مثلت منهاجاً للمسلمين في العلاقة مع الآخر المختلف،

إذ أعلن الرسول (ﷺ) بعد الهجرة إلى المدينة تشريع نظام المؤاخاة ، إذ يعد إحدى القواعد الفاعلة في البعدين الداخلي والخارجي من حيث الفقه السياسي وعليه بنيت أهم الأسس والأصول التي حكمت المجتمع الإسلامي في علاقته مع أتباع الديانات الأخرى هي قاعدة (التراحم والتآلف بين القلوب)، ومن ذلك أيضا تلك الوثائق الدستورية والمعاهدات الخاصة مع اتباع الديانات المختلفة ، ومنها ماجاء في معاهدته (ﷺ) مع نصارى نجران :

((لنجران وحاشيتها، جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم ، وأنفسهم ، وملتهم وغائبهم ، وشاهدهم وعشيرتهم ، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير... أن أحمى جانبهم ، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح، وأن أحرس دينهم وملتهم أين ما كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي؛ لأنني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم...)) (١٦) .

ولا يمكن غض النظر عن أئمة الهدى في الأخلاص للدين ونرى منهجهم مع المخالف في الدين والمذهب هو أسلوب الحوار ومنطق العقل في التلاقي مع الآخر، ومع كل المستويات مع السلطة ومع أتباع الديانات ومع جمهور الناس عامة، وما اروع كلام الإمام علي (عليه السلام) وهو يقول في كتاب إلى مالك الأشتر حين ولاه على مصر: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ...)) (١٧)

، وقد انصب اهتمامه عليه السلام على صيانة الأمة من الاختلاف وتنزيها النفوس مما يعتريه من البغضاء الذي يؤدي إلى الصدام والفتنة، فقد ورد في الأثر الروائي عنه عليه السلام ، ((... عن رجل مَرَّ به أمير المؤمنين مكفوف كبير يسأل ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ما هذا ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): " استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه ، انفقوا عليه من بيت المال ")) (١٨) ، وقد تواصلت عطاءات أهل البيت (ع) في هذا الاتجاه ، ومن ذلك حديث الأئمة لا سيما الإمامان الباقر والصادق (عليهما السلام) ومناظراتهم مع المخالفين والخصوم من المذاهب الأخرى وأصحاب النحل المختلفة (١٩) .

ومن خلال مواقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وتسامحهم وتقبلهم للآخر وللتعددية الفقهية في إطار المبادئ والأصول ، تنبع مشروعية المذاهب الإسلامية بوصفها اجتهادات ، وعند الرجوع إلى بعض روايات مكارم الأخلاق نجدها توضح طبيعة الصلة بالعلاقة مع الآخر (٢٠) ، من ذلك ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عندما قال له معاوية بن وهب : ((كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا من خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ فقال (عليه السلام) تنظرون إلى أنتمكم الذين تقتدون بهم ، فتصنعون ما يصنعون ، فوالله أنهم ليعودون مرضاهم ، ويشهدون جنائزهم ، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ، ويؤدون الأمانة إليهم)) (٢١)

- الآخر والمرجعيات الدينية : شمولية الدعوة : اقتران وتلازم

يرى أحد المراجع أن ((إطار المرجعية الدينية والحوزة العلمية هو الإطار الأوسع ، والقادر على ضم كل المفردات الأخرى العملية في منهج العمل الذي يمارسه ... وموقعها الطبيعي القيادي هو في التصدي لتحمل مسؤولية هموم الأمة وقضاياها المصيرية ...)) (٢٢).

والمرجع دور يمثل ((سلطة الأنبياء والأوصياء، بصفته خليفة الله سبحانه في الأرض، ومن كان بهذه المنزلة لا بد له من درجة عالية من الدرجة في الورع والتقوى، إلى جانب العلم والمعرفة)) (٢٣)، أي يختزل دور المرجع في من يرتقى للاجتهد، وحمل القدرة الكاملة على استباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، أي أن ((شخص المرجع دائما هو نائب الإمام، ونائب الإمام هو المجتهد المطلق العادل الأعلم الخبير بمتطلبات النيابة)) (٢٤) من هنا تعني المرجعية في مفهومها الواسع، قيام المجتهد الجامع للشرائط مقام الإمام المعصوم (عليه السلام) في مهماته الأساسية الثلاث (الولاية، والفتيا، والقضاء) (٢٥)؛ لذا تحتل المرجعية المرتبة الثالثة للرسالة السماوية من بعد القرآن والسنة (الرسول وآل البيت ع) وتمثلت إرهاباتها الأولى في دور النواب الأربعة) منذ زمن الغيبة، الذين يستند إليهم منصب المرجعية للمسلمين الشيعة في العالم أجمع (٢٦).

فكانت القيادة المرجعية بعد غيبة الإمام الكبرى تسلك النمطية الفردية في عملية الاتصال ما بين المرجع المجتهد والقواعد الشعبية في البلاد التي يقطنها أولئك العلماء من حيث الافتتاح، والإجابة عن الإشكالات في المسائل الشرعية في مختلف شؤون حياتهم، ثم تطور النمط الفردي ما بين المرجع والقاعدة الشعبية إلى مسار أو سلوك أوسع وأرحب تتمثل بإرسال وكلاء عنه إلى مختلف المناطق والأطراف ينقلون عنه الرأي في المسائل التي تهم الناس، وعليه بدأت ملامح جهاز المؤسسة الدينية يتشكل بالتدريج، وكان من أبرز المجتهدين الذي وضعوا أسس هذا التطور في المرحلة هو الشهيد الأول "محمد بن مكي (ت: ٧٨٦هـ) الذي أرسل عددا من وكلائه إلى مختلف مناطق بلاد الشام (٢٧) وعبر هذا التطور المتواصل لجهاز المرجعية أنشئ كيانا قويا للمسلمين (الشيعة) لأول مرة في تاريخ المرجعية، عند

السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، وكان هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى مقتله (٢٨)، إلى أن انتهى الدور للمرجعية الحكيمة في عصرنا الحالي والمتمثلة بالسيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)، لذا سوف نشير لما إلى بعض المراجع (سلطان) الذين تزعموا المؤسسات الدينية، وموقفهم تجاه الآخر المختلف، ولا سيما في العراق الذي تراكم عبر تاريخه الطويل الكثير من الحروب والاحتلال ودكتاتوريات اسهمت جميعها في دحض حرية الإنسان وأدت إلى استفحال القهر والإذلال في بنية المجتمع العراقي. ونتابع ذلك مع مراعاة الترتيب الزمني للمراجع في الدور والموقف وتسلمه زعامة المرجعية ، ونركز الحديث عند مقام مرجعية السيد علي السيستاني وموقفها الحكيم من الآخر في الدين والمذهب .

أولاً :- الآخر : المختلف المذهبي

مفهوم الآخر المذهبي لدى الكتاب المحدثين هو ((الآخر الداخلي أو الجواني ، وهو المختلف ضمن الإطار الديني والوطني ، حيث تعددت المدارس الفكرية ، والمذاهب ، التوجهات السياسية ، ضمن الأمة الإسلامية)) (٢٩)

إن المقوم الجوهرى لفكر المرجعية الدينية لا ينطوي على إطار فكري خاص ، ولا يقتصر على لون من التفكير ، ففي حقبة زمنية كانت الرحلة إلى الأقطار المختلفة وارتياح مراكز الحركة العقلية لتلقي الفكر الإسلامي من اهتمامات الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي ت: ٧٨٦ هـ) ، فقد كانت أسفاره مناطا يتيح له الاندماج في الأطر الثقافية المختلفة ، حيث التفاعل مع الاتجاهات الفكرية المتضاربة، فكان على صلة وثيقة بالاتجاهات السنية ، وكان كثير التردد على مجالس السنة وحلقاتهم . فضلا عن ذلك أنه تلقى من مشايخ السنة أمهات الكتب الحديثية والفقهية التي يتعاطاها أئمة السنة : من الصحاح والمسانيد والسنن (٣٠)

لذلك لم يكن بمنأى عن تمثيلات الفكر عند الآخر المختلف في المذهب. أي إن موقفه من الآخر \ السني ينبع من منظور الثقافة الإسلامية ، بل كان الاتصال بالآخر والانفتاح عليه يتسع إلى درجة يُعد فيها اتصاله مُفيدا ومستفيدا .

ولو وقفنا عند كل أحد من المراجع الإمامية لوجدنا سيرهم القيادية تستلهم أهدافا ، ومن تلك الأهداف هي (الوحدة أو الترابط في الأمة) وهنا نقف أمام رائد الوحدة الإسلامية ، والداعية لوعي الأمة (محمد حسين كاشف الغطاء فعلى صعيد الوحدة الإسلامية يقول : ((حرام وأفظع من كل حرام أن يحارب المسلم أخاه المسلم من أي عنصر كان ، ومن أي بلد يكون)) (٣١) . فعلى صعيد الوحدة الإسلامية ، وموقفه من الآخر / المسلم ، هو دعمه القوي لمشروع التقريب بين المذاهب ، فقد جسّد موقفه من الرسالة التقريبية التي هي من أهم وظائف علماء الأمة المخلصين حرصه الأكيد على وحدة الأمة، فقد جاء في رسالته إلى الشيخ محمود شلتوت: ((... وما برحنا منذ خمسين عاما نسعى جهدنا في التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وندعو إلى وحدة أهل التوحيد)) (٣٢)

عندما نركز في مواقف المرجعية وأدوارها وتمثيلات الآخر في سياقاتها المشرفة من قبل النخب الأولى لكبار المراجع ، سنجد ذلك الأثر الواضح للشيرازي صاحب ثورة العشرين (ت: ١٣٣٨ هـ) في التقارب بين المسلمين ، إذ كان يقول : ((نؤيد الصلات الأخوية بين المسلمين بكل قواه ، ويحث على التآلف والتآزر بين السنة والشيعة ليقف الجميع صفا بوجه الأجنبي ...)) (٣٣) .

ونجد السيد الحكيم قد تعامل مع الأديان وأصحاب المذاهب وفق مستويات متعددة ، نذكر منها في هذا الصدد - المختلف المذهبي - موقف سماحته يدعم نعمان عبد الرزاق السامرائي زعيم النشاط السياسي (السني) في العراق أبان حكم عبد

الكريم قاسم ، إذ لم يكن سماحته ذا تحفظ وتحسس من مجيء حاكم سني في العراق ما دام حكمه يتحلى بمنهج العدل ، إذ قال كلمته المشهورة: ((إذا جاء حاكم سني عادل فأنا أكون إلى جانبه ، وإذا جاء حاكم شيعي ظالم فأنا أحاربه)) (٣٤) .

وعلى ذلك جرى السيد حسين البروجردي (ت: ١٣٨٠ هـ) في مواقفه المشرفة ، فر (هو) الذي رعى تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة في ستينيات القرن الميلادي ، وله آراؤه المعروفة على صعيد الانفتاح والتقريب)) (٣٥)

فالأخوة والتضامن الإنساني مبادئ تأصيلية في التمثيل العلمي للحوزة، بل المؤسسة الدينية، والرؤى الأخلاقية للمنهج الإسلامي ، وهنا أصر الإمام الحكيم في رؤيته السمحة ، بل توطيد مبادئ الإخاء ، ومنه موقفه الودودي اتجاه المسلمين ، فقد حاول أن يثني الحكومة المصرية عن تطبيق حكم الإعدام الموجه للمفكر الإسلامي (سيد قطب) ورفاقه الذين اتهمتهم حكومة مصر بالتآمر لقلب لنظام الحكم ، إذ يراه - موقفاً- قضية إسلامية تجاه الآخر المذهبي ، إلا أن محاولة السيد الحكيم لم تنجح ونفذ الحكم مما دفعه للاحتجاج وانتقاد الرئيس جمال عبد الناصر (٣٦) .

وفي المنحى (السياسي) نفسه نقف على الأدوار الريادية تجاه الآخر العربي - إي مواقفه الخارجية- ما أثير عنه (قدس سره) الانفتاح على الأوساط المختلفة في المذهب الذي أكد الوحدة الإسلامية بين المسلمين من العمل الفلسطيني على موقف مقلديه في جبل عامل في لبنان ، الذين راحوا على خطى مرجعهم السيد الحكيم ووكيله السيد موسى الصدر ، وهنا طالب السيد بنصرة الشعب الفلسطيني والوقوف إلى جانبه (٣٧) ، فكان موقفه في إسناد القضية الفلسطينية قد مر على مرحلتين :

١- مرحلة إصدار فتوى بإسناد العمل الفدائي .

٢- مرحلة إصدار فتوى أجاز فيها صرف سهم الإمام (عليه السلام) للفصائل الفلسطينية المقاومة في مجال دعم ذلك العمل الجهادي الكبير (٣٨)

فضلا عن ذلك موقفه البارع في إخماد الفتنة الطائفية التي أثرت في العراق والتي كانت واحدة من القضايا المعقدة ، حول ضم بلاد الكويت إلى العراق عام (١٩٦١) في عهد رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم بعده قضاء تابعا إلى البصرة (٣٩)، وقف السيد محسن الحكيم ضد أي محاولة لاجتياح الكويت ، إذ كان ((يرى أن أي مشكلة بين البلدان العربية والإسلامية يجب أن تحل بالطرق السليمة وأن إراقة الدماء بين المسلمين حرام)) (٤٠) .

وعلى الصعيد الداخلي للعراق ، ومن خلال المنهج المتواصل أصبح واضحا أن الإمام الحكيم يدافع عن المظلومين ، ويطالب بإحقاق الحق وإقامة العدل ، من دون تحديد بين مذهب ومذهب آخر، ولذلك عندما ظلم الأكراد (الستة)، وقف الإمام الحكيم من أجل نصرتهم ، إذ دخل في مواجهات حادة مع حكام البلاد آنذاك أمثال عبد السلام عارف من أجل الدفاع عن الأكراد والستة ، وما زال الأخوة الأكراد يعرفون هذه الحقيقة (٤١) ، ومن أهم المنعطفات الوحدوية المناهضة للحساسيات الطائفية والمذهبية فتواه المشهورة بحرمة القتال بين العرب والأكراد، قائلا: لوفد النظام – آنذاك – قوله المعروف : ((كيف نعطي فتوى لمحاربة الكرد وهم أخوتنا في الوطن والدين)) (٤٢) ، فقد أسهم بدور أساسي وبين موقفه بهذا الخصوص بأن الأخوة الكرد مسلمون ولا يجوز قتالهم ، ودماؤهم لها حرمة ، ويجب أن تحل قضيتهم بالطرق السلمية (٤٣) .

وهكذا أسهمت مواقفه الشريفة من بذل قصارى جهوده في سبيل جمع شمل المسلمين من المذاهب المختلفة ، عن طريق المشاركة في كثير من الفعاليات التي كان يقيمها أهل السنة ، مشجعا إياهم في الوقت نفسه على حضورهم في المقابل بالمناسبات التي يقيمها الشيعة ، وقام فضلا عن هذا كل برفض أشكال التعصب والتمييز الطائفي والعنصري في العراق ، وخير شاهد على ذلك فتواه بخصوص الأخوان الكرد ، ولهذا فشل النظام العراقي في الحصول على فتوى شرعية لمحاربة الأكراد(٤٤).

ولعل ما يشابه هذا الموقف ما حدث في مرجعية الإمام المرجع الخوئي "قدس سره" ، وموقفه في احترام الآخر ، وبدافع الواجب الشرعي حزم التداول بما نهب من الكويت ، يوم غزو جيش صدام (١٩٩٠م)، والتعامل به بأي صفة كانت وأصر على إرجاعه لأصحابه(٤٥). كما كان له أدورع الموقف في احتضان أبناء الكويت المشردين والمنكوبين ، فقد أمر وكلاءه في كافة البلاد التي تواجدوا فيها ، لاحتضان أبناء الكويت المشردين وبدفع مبالغ كافية لرعاية شؤونهم وعوائلهم(٤٦).

حيث كان حريصا على أن يتابع الأزمات والمحن التي يتعرض لها المسلمين والمؤمنين في أنحاء القطر العربي وغيره ، ففي لبنان وفلسطين كان يشجب ويستنكر باستمرار أعمال أعداء الإسلام ، ويستنهض المسلمين لجمع صفوفهم في مواجهة عدوهم ، فقد كان يدهم الوجود الإسمي لهم بكل الوسائل الممكنة(٤٧)، فقد أقيم في النجف الأشرف مهرجانا وطنيا لنصرة القضية الفلسطينية على امستوى الشعبي والرسمي(٤٨).

فقد انبرت موافقه إلى مختلف بقاع العالم ، حيث كان درسة إخافية سيارة يجمع إلى جنب السميت الإلهي الوعي الإنساني ، فقد كان له موقفا من المحنة التي تعرض

لها المسلمين في افغانستان ، حيث قدم لهم كل الدعم ، كما أنه أجاز المؤمنين بدفع الحقوق الشرعية لتمويل عمليات الجهاد ضد الغزاة (٤٩) .

وعلى الرغم من تعدد المراجع ومعاصرة بعضهم لبعض (السيد محسن الحكيم ، والسيد أبو القاسم الخوئي) ، وتبعه الاختلاف في الفتيا لديهم في زمن معين من تاريخ العراق ، إلا إن بوصفها مؤسسة دينية تقوم بوظائف متشابه منها الوظائف الاجتماعية - كمسألة الآخر - والمشروع الوحدوي ، ومن أساطين هذا المشروع شخصية فذة من شخصيات الحوزة الخالدة (السيد محمد باقر الصدر " ت : ١٩٨٠ م) إذ بادر إلى إيجاد تنظيم منفتح ، مستوعب بعيد عن العقد الطائفية والمذهبية والحساسيات الضيقة ، حتى اتهمه أعداؤه لذلك بأنه ذو ميول سنية ... إلى أن برنامجه كان حافلا بالتركيز على وحدة الأمة وخير مثال على ذلك بحثه القيم : (رسالتنا قاعدة للوحدة) (٥٠) وقد جاء فيه : ((وأني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة ، بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء ، ومن أجل العربي والكردى على السواء ، حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعا وعن العقيدة التي تضمهم جميعا ، ولم أعش بفكري وكياني إلا للإسلام : طريق الخلاص وهدف الجميع ... فأنا معك يا أخي وولدي السني ! بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي ...)) (٥١) .

قد اتسع موضوع الانفتاح على الآخر ليشمل كل أقطاب المنظومة المؤسساتية للمراجع الراحلين والباقيين منهم ، من هنا وجدنا الحديث في المدونات فتاوى المراجع مستفيضا من قبول الآخر المذهبي ، وكان من ضمن الأسئلة التي طرحت على المرجع السيد محمد سعيد الحكيم :

كيف تنظرون إلى التعاون والانفتاح على باقي المذاهب الإسلامية ؟ وجاء مقام الجواب : ((إنها خطوة إيجابية جيدة حث عليها الإسلام ، ويفرضها الواقع القائم ، فإن

الأعداء كما يعادون خط أهل البيت (عليهم السلام) يعادون الإسلام بإطاره العام ، وكما كان خط أهل البيت حقا يجب الدفاع عنه ، كذلك الإسلام بإطاره العام حق يجب الدفاع عنه ... وقد ضرب أئمتنا (عليهم السلام) في سبيل ذلك المثل الأعلى في نكران الذات ...» (٥٢) ، ولنا في التأكيد على منهجية الانفتاح على الآخر في ميدان العلم والمعرفة فر ((كان الإمام الصادق (عليه السلام) يأمر تلامذته عند إفتائهم للناس بأن لا تتجاهلوا آراء المذاهب الأخرى عندما يكون السائل والمستفتي تابعا لأحدها ، فقد قال لتلميذه أبان بن تغلب وكان يجلس للإفتاء في مسجد المدينة : انظر ما علمت أنه من قوله فأخبرهم بذلك)) (٥٣) فر ((التعارف والانفتاح المتبادل بين المذاهب والاتجاهات الإسلامية هو الطريق إلى تحقيق وحدة الأمة ورص صفوفها أمام الأخطار أو التحديات الكبيرة)) (٥٤)

الآخر : المختلف الديني

عرف الآخر الديني بـ ((الآخر الخارجي المنتمي إلى حضارة أو كيان آخر)) (٥٥) ، وأود أن أشير أن الأختلاف الديني لا يعني الاختلاف في عين الدين نفسه ، بل الاختلاف في شريعة الدين ، فالدين واحد ، وإنما الاختلاف يقع في الشرائع أو المعاملات أو العبادات. ويمثل الانفتاح على الآخر الديني مبدأ رسخته العقيدة القرآنية بجملته من آيات الذكر الحكيم فالخطاب القرآني اعترف بمعتقدني الديانات الأخرى بـ يا أهل الكتاب ... ولم يشعر المخاطب بأي تغرس أو تعال في لهجات الخطاب ، وهنا فالآخر في وعي الإسلام أيا كان انتسابه الديني يتصف بالمواصفات الإنسانية نفسها في الحقوق والواجبات مع جميع المسلمين (٥٦) .

من الشواخص التي يمكن أن تكون محورا ومنطلقا لنا في هذا المجال - الآخر : المختلف الديني - ، ولذا فمهام المرجعية بوصفها مؤسسة دينية عند المسلمين لاسيما الشيعة لم

تحدد بقومية معينة، أو مكان مخصوص، أو زمن محدد، وإثما تنتقل بين مراجع: عرب، وفرس وأتراك وأذربايجانيين، فضلا عن تعدد محالها على صعيد أمكنة متنوعة تبعا لجواز تعدد المرجعية العامة عند الشيعة، ويكون لها شخوص أكبر، كما حدث في كثير من أدوار المرجعية خاصة في القرن الأخير (٥٧).

وهنا أسهمت المرجعية الدينية في هذا المناط بأدوار أساسية تتناسب وضرورة ظروف كل مرحلة وسنشهد تلك الأدوار في أنشاط المراجع العظام كالشيخ الطوسي، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد محسن الحكيم، والسيد السيستاني، والسيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم وغيرهم من المراجع رحم الله الماضين منهم وأيد الباقيين.

وفي مطلق القول إننا عندما نتحدث عن موقف المرجعية الدينية من الآخر الديني فإننا نتحدث عن القضية النظرية المسلم بها عند فقهاء الشيعة، إن الحاكم في قضية المرجعية والولاية هو القاعدة الفقهية والمستند الشرعي ومن ثم لا مكان للعصبية والانفعال (٥٨) مما جعل شخصية تاريخية إسلامية كشيخ الطائفة الشيعية، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) فقد يهتم في التأليف والتصنيف في مسائل الخلاف عارضا ومقارنا حتى أصبح ذلك لونا من ألوان المعرفة والدرس والبحث في ثقافة مرجعيته، فكان التفسير المقارن في كتابه العظيم (التيان في علوم القرآن) أبرز ملامح التقريبية بين وجهات النظر لدى المذاهب الإسلامية لاسيما في الكلام (الإمامية، والأشاعرة، والمعتزلة) (٥٩) فضلا عن وضع كتاب (الخلاف) منذ ما يزيد على ألف سنة في الفقه المقارن وتبعه العلامة الحلي في كتاب (التذكرة)، والفقه المقارن هو النواة الصالحة لاستنبات الوحدة الفقهية ولاكتمال وحدة الشريعة (٦٠) حيث جمع فيه آراء فقهاء المذاهب الإسلاميين، وقال فيه: ((إملاء مسائل الخلاف بيننا

وبين من خالفنا من جميع الفقهاء ممن تقدم منهم ومن تأخر ، وذكر مذهب كل مخالف على التعيين ، وبيان الصحيح منه ، وإن أقرن كل مسألة بدليل - نحتج على من خالفنا - موجب للعلم)) (٦١) .

ومن الطريف ذكره في قضية الانصهار مع الآخر ، أنه تتلمذ على يد جملة من العلماء والشيوخ ، وكان هؤلاء الشيوخ والأساتذة ينتمون إلى مذاهب إسلامية مختلفة ، ففيهم علماء الإمامية والزيدية وأهل السنة ، وهنا طبع على شخصيته شيء من الانفتاح ، ومنحها خاصية التحري والاستقصاء (٦٢)

ومن مظاهر المشروع الوحدوي المرجع الكبير كاشف الغطاء فمن كلماته الخالدة فيما يخص الآخر الديني يقول : ((وحدة الإيمان تدعو إلى وحدة اللسان ، ووحدة اللسان واللغة رابطة ، والرابطة أقاء ، وأخوة الأدب فوق أخوة النسب ، وهي التي توحد العناصر المختلفة والمذاهب المتغايرة ، فالنصراني واليهودي والمجوسي والصابئي الذين يخدمون لغتنا وثقافتنا ، يسالموننا ويواسوننا في السراء والضراء ... هم أخوان المسلمين ، وتجمعنا معهم الوحدة القومية ، والقرآن الكريم ينادي ويشهد بذلك كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٦٣))) (٦٤) ، فضلا عن ذلك مجالسته ومحاوراته مع أئمة اليهود ورهبان النصارى عند مباحثتهم معه في علم الأديان فقد جعل بحثا للنصارى وبحثا لليهود عصرا وصباحا (٦٥) .

وضمن المطالبة بحقوق الشيعة تمكن السيد محسن الحكيم أن يحفظ المواجهة والوحدة والاحترام الذي كان يحظى بها لدى الأوساط التي كانت تعادي هذا النوع من التحرك ، فضلا عن أوساط الأديان الأخرى كالمسيحية (٦٦) إذ كان يرسل

سماعته الوفود للتواصل وحضور المناسبات المهمة للمسيحيين ويتدخل لحل مشكلة هذه الطائفة أو تلك (٦٧)

كما قدمت مرجعية السيد محمد سعيد الحكيم تمثلات ثقافية لأحتواء الآخر الديني ، فقد جاء من خلال فقرات أسئلة وأجوبة التي ضمت بعض فتاواه :

السؤال : كيف تنظرون إلى الحوار مع باقي الأديان ، خاصة الدين المسيحي ؟

وجاء في جوابه : ((مع تطور وسائل الاتصال حتى صار العالم متشابك المصالح كأهل المدينة الواحدة ، يفترض تفاهم الجميع ، وفتح الحوار بينهم من أجل صلاحهم ، والتعايش بينهم على الوجه الأفضل ، وتذليل العقبات الناجمة عن اختلافهم دينيا أو قوميا أو فكريا أو غير ذلك . ولا سيما الأديان السماوية التي تشترك في الحقيقة المقدسة العليا ، والتي يفترض فيها الدعوة للمثل والأخلاق ...)) (٦٨) .

مرجعية السيد علي الحسيني السيستاني

انتهت زعامة الإمامية إلى السيد السيستاني مرجعا أعلى ، ومثلت مرجعيته حدثا عالميا فاصلا ، وكما وصفها الأستاذ شاهر سعد في بحث له بأنها : ((المرجعية العلمية المحضة التي تحظى بثقة العدد الأوفر من المسلمين في العالم ، الأمر الذي يجعل من هذه المرجعية معادلا قويا من شأنه أن ينعكس إيجابيا على واقع الناس وشؤون حياتهم)) (٦٩) ، إذ جاءت مرجعيته سليمة من المؤثرات الداخلية والخارجية إذ أن الدور الذي رسمه لنفسه هو (التوجيه) فكان نهجه (الاعتدال) ، وهو بطبعه لا يتدخل في الصراعات السياسية ، ولا يحب زج نفسه في الأمور السياسية أو الوقوع في مطبات سياسية أيا كان نوعها ، مجسدا بذلك تعاليم أستاذه الخوئي ، الذي رفض ، وفي عهد النظام السابق زج نفسه في الأمور السياسية مفضلا دور الأستاذ والمعلم (٧٠) ، ويقول أحد الباحثين والمقربين للمرجع الأعلى : ((السيد السيستاني لا يريد أن تتسلط عليه الأضواء ، فهو يقدم النصح والإرشاد ، ولا يعطي الأوامر . وهو يمتلك

السلطة الأخلاقية»^(٧١) فهو صمام الأمان ، والباعث للاستقرار في العراق ، وله قصب السبق في هذا المجال فضلا عن مواقفه الكريمة في وأد الفتن وحفظ وحدة الأمة^(٧٢) ، وعند الإشارة إلى مدى الاحترام الذي يحظى به من جانب رجال الدين من غير الدين الإسلامي من حيث حرصه على الوحدة الوطنية ، وما يظهر من روح تضامنية أخوية ، إذ يقول ساكو (رئيس طائفة الكلدان في العراق) : ((إن سماحة السيد هو علامة مضيئة وسط كل الضبابية الموجودة على أرض الوطن ونأمل أن يعمل الكل ويسمع إلى صوته وإلى عدالته وحكمته وإلى إرشاداته))^(٧٣)

الآخر المذهبي عند مرجعية السيد السيستاني :

إن ((الرؤية العميقة التي يقدمها السيد السيستاني للتعایش بين أبناء المذاهب الإسلامية ، ليس فكرة أثارها في ذهنه التطورات السياسية ، بل تنطلق من جذور دينية راسخة ، فهو خريج مدرسة حملت هم الوحدة الوطنية والتقريب بين المسلمين منذ عقود من الزمن، وهي مدرسة الأستاذ السيد حسين البروجردي وهو رعى تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية...))^(٧٤)

وقد تجلّى في هذا الموقف جهد المرجعية التوحيدي على مستوى الأمة قاطبة بمنأى عن النظر للحدود الدينية والجغرافية ، حيث لم تتوقف حملات المرجعية عند الأنا الشيعي والآخر السني العراقي، بل امتدت لتشمل الدول المجاورة للعراق ومساندتها ضد الظلم والطغيان نحو فلسطين ، إذ أصدر سماحته بيانا ، التمس فيه دعوات المجتمع الدولي لمساندة الأخوة الفلسطينيين من الاستعمار الغاشم قال فيه : ((إن استمرار جرائم الكيان الإسرائيلي ضد المدنيين في قطاع غزة ، وعدم تحرك المجتمع الدولي الإسلامي والعربي بما يناسب لوضع حد لهذه الجرائم يعدّ تقصيرا واضحا اتجاه الشعب الفلسطيني ، ولكن المؤسف أن هذا الشعب الشقيق يواجه الاحتلال والاعتداء والظلم بأشكاله كافة منذ عقود من الزمن ولا رادع ولا مانع))^(٧٥) ، إذ

مثل النصّ أعلاه النظرة الشاملة المتدفقة تسامحا ومحبة واندفاعا نحو الواجب الاخلاقي والديني وما عملته مرجعية السيد السيستاني على ترسيخها في الوعي الجمعي وضرورة التحام الأمة في الرباط الإنساني ومواجهة تحدياته القاسية التي تواجههم .

فلقد كان سماحته مشروعا إسلاميا وحدويا للخلاص ، بدت فيه صفات الرمز الديني الذي شكّل الضرورة الريادية في أخطر ظروف العراق، وأعدّد مشاكل الأمة وأقصى صعوباتها ومكابداتها مع المحن والفتن^(٧٦) . ومن معالم هذا المشروع ما كان بصدد علاقته مع الأخوة الكرد ، فقد كان يؤكد ضرورة وحدة العراق بقوله : ((من المؤكد أن ممثلي الشعب الكردي العزيز في مجلس كتابة الدستور سيتوصلون مع سائر إخوانهم العراقيين إلى صيغة مثلى تحفظ وحدة العراق كما تحفظ حقوق أعرافه وقومياته))^(٧٧) ، ويظهر لنا النصّ أعلاه إدراكا لطبيعة المجتمع العراقي ومكوناته ، فمن جانبه يضع حدودا مفهومة لشكل النظام السياسي ، وضرورة مراعاة الجميع في حقوقهم ، فهو يعبر عن رأي الأكثرية من الناس^(٧٨) ، فقد أيد السيد السيستاني جميع المبادرات واللقاءات التي تعزز من الوحدة الوطنية، وإشراك جميع المكونات السياسية ، ومنهم أهل السنة في العملية السياسية، وقد شدّد على مشاركة السنة العرب في لجنة صياغة الدستور على الرغم من أنهم غير ممثلين في الجمعية الوطنية^(٧٩) .

فكانت مساعيه التوحيدية الفذة وكلماته نابغة من صميم المحبة والتوافق مع الآخر المذهبي مبتدئا من الدرس الفقهي ، فالتقليد والاجتهاد ينساب في تحديد العلاقة مع الآخر في المذهب ، وينم هذا الانسياب ما جسّدته شخصية المرجع الأعلى عن وعي بالدور التاريخي لأئمتنا لاسيما في مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) عندما كان يأمر

تلامذته عند إفتائهم للناس بأن لا يتجاهلوا آراء المذاهب الأخرى ، فسماحته يؤكد ((
على أهمية إطلاع الفقيه الشيعي على آراء فقهاء السنة المعاصرين لأئمة أهل البيت
"عليهم السلام" ، وإن ذلك من مقومات الفقهية والأعلمية)) (٨٠).

ومن جانب آخر يرى السيد السيستاني أن المحافظة على وحدة العراق وتعزيزها
تتجلى في الصعيد العملي من خلال عدم تشجيع الأفكار والأقوال التي تزرع الحقد
الطائفي ، فقد جاء في معرض خطابه عندما عرض إليه بعض أئمة السنة شكواهم
في تهديم مساجدهم ، إذ أكد أنه : ((مستمر على مد يد المحبة إلى المسلمين السنة
في بناء مساجدهم أو إعادة تعميرها)) (٨١) ، وفي الوقت نفسه أعلن مؤكدا ((على
ضرورة عدم التجاوز على المساجد والعودة عن أي خطأ يرتكب ...)) (٨٢) فليس هناك
من معضلة أمضى وأقوى من التمرق الديني والطائفي ، وما يقدمه السيد السيستاني
من مودة وتقارب يأتي في سياق إنعاش النفس الوطني ، وإلغاء التمايزات غير القابلة
للتعايش ؛ ليلبور ظروفات في سبيل تحقيق أكبر قدر من التوافقات الوطنية (٨٣) ،
وقد بدا ذلك من خلال مفرداته الكريمة التي لمعت في المناهضة للحساسيات المذهبية
بقوله عن أهل السنة: ((لا تقولوا إخواننا بل قولوا أنفسنا)) (٨٤) ، وقد سرت تلك
الكلمات زاهرة في السعي نحو وحدة الأمة ، فضلا عن كونها أشارت إلى الدور
المميز لسماحته ، فـ ((النص يثير في كل عمقه مشكلة الهوية الوطنية كأمل
وخلاص وانعتاق من الماضي ... ويتواصل هذا النص مع الجميع بنبض وجداني نابذا
لغة التحدي الاستفزازية ...)) (٨٥) .

ويبدو جليا أن الفكرة (المذهب) تشكل جوهر النص في بيانات وفتاوى السيد
السيستاني ، مستوعبا الآخر بوصفه محورا أساس في جل خطابه ، فقد جاء في بيان
له ، وهو ينفي عن أهل السنة بغضهم لأهل البيت "عليهم السلام" : ((فإن الجميع
يؤمنون بالله الواحد الأحد وبمودة أهل البيت عليهم السلام ...)) (٨٦) ، فضلا عن ذلك

كانت نداءاته في تصفية الخلافات تسعى في نبذها بعيدا عن العنف ، ويتقدم هذه النداءات قبول الآخر السني بروح المودة والتسامح والسلام ، موصفا إياهم إن السنة ليسوا نواصب ؛ لأن النواصب ((هم المعلنون بعداوة أهل البيت عليهم السلام)) (٨٧)

وجاء في وصف بيانات السيد السيستاني ونصوص خطاباته ؛ لما فيها من رؤية عميقة لمعالجة المشكل الطائفي ، التي تضمنت موقف المرجعية نحو التعايش السلمي مع الآخر المذهبي فهي - أي البيانات كانت ((أساسا لبداية عمل مخلص لوأد الفتنة بين المسلمين ، كما يجب أن يبرز وينشر على نطاق واسع لما يتضمنه من المبادئ التي يمكن أن ترشد مواقف المسلمين الشيعة ، وتدخل الاطمئنان على السنة ، وتضع الخلاف بين المذهبين في مساره الحقيقي (...)) (٨٨) ، وفي بيانات أخر كانت المرجعية تؤكد أن ((التواصل مع أخواننا أهل السنة قائم سواء عن طريق اللقاءات المباشرة ، أو غيرها ، ووجهات النظر بيننا وبينهم متطابقة ، أو متقاربة في معظم القضايا الرئيسية ، والحوار هو الأسلوب الأمثل لحل الخلافات إن وجدت)) (٨٩) إن الآخر - المذهبي - حاضر بكل المرويات المرجعية من الخطب والبيانات ، وكان حضوره هو صلب قضيتها يكتسب أخريته من معيار الأخوة ، فمن المعروف أن الشرط الرئيس لوجود الآخر هو أن توجد الذات أولا ووجود الذات يستلزم الوعي بها ، ومن ثم فإن هذا الوعي يقتضي الوعي بالآخر بالضرورة ، فالنص يدلنا على أن الوعي بالآخر المذهبي أساسه عقلية التسامح والتعايش التي يروج لهما السيد السيستاني في ردم الفجوات القائمة بين طائفتي السنة والشيعة ؛ ((لأن العراقيين جميعهم سنة وشيعة وغيرهم حريصون على وحدة بلدهم ، والدفاع عن ثوابته الدينية والوطنية مثلما هم متفقون على تأسيس نظام جديد ، يقر مبدأ العدالة والمساواة بين الجميع إلى جانب التعددية واحترام الرأي الآخر...)) (٩٠) كما يبرز لنا في هذا المجال نداءاته إلى الشعب العراقي في

المناسبات الحساسة ، التي كان أبرزها اغتيال عدد من خطباء أهل السنة والاعتداء التي حصلت في منطقة الأعظمية ، وقد أصدر في هاتين الفاجعتين بيانين مهمين تضمننا ، دعوته الخالصة والصادقة إلى وحدة الكلمة بين أبناء الشعب العراقي ، ومن ثم تحكيم أوامر المحبة والإخاء بين كل قومياته وفصائله ، عدم تفويت الفرصة على الكائدين والمتربصين لعداء العراق ، وجاء في خطبته في الاعتداء الأول : ((في الوقت الذي ندين ونستنكر بشدة جريمة اغتيال عدد من خطباء وأئمة المساجد من إخواننا السنة في مدينة الزبير، الذين عرفوا بالاعتدال والوسطية وطالما دعوا إلى تكريس التعايش السلمي وتعزيز التواصل المبني على الاحترام المتبادل والمحبة بين مختلف مكونات الشعب العراقي خصوصا بين أبناء الطائفتين الكريمتين السنية والشيعية ، إدراكا ووعيا منهم بأن هذا النهج هو جوهر الدعوة المحمدية الأصيلة ... ندعو الأجهزة الأمنية إلى الإسراع في كشف الجناة والتحقيق من دوافعهم في ارتكاب هذه الجرائم ...))^(٩١).

وأما بيان خطبته في الاعتداء الآخر فتضمن قوله الآتي : ((في الوقت الذي نعرب فيه عن إدانتنا الشديدة وأسفنا البالغ لما حصل من اعتداءات في منطقة الأعظمية ... نشير إلى أن المأمول من القادة السياسيين ومن وسائل الإعلام التعامل مع مثل هذه الأحداث على مستوى المسؤولية الوطنية والدينية ، التي تفرضها الظروف الحساسة والاستثنائية للبلد وهو يواجه الإرهاب الداعشي ... إن هناك العديد من الاعتداءات المستمرة التي تقع باستمرار في بغداد وغيرها وتستهدف المواطنين الأبرياء وتخلّف من الضحايا بينهم ، ويقصد بها الانتقام أو إثارة الفتنة الطائفية ، فيفترض بالجميع أن يتعاملوا مع كل ما يحدث بوعي وحكمة بعيدا عن الإزدواجية أو الانجرار وراء العواطف والتشجّع في الخطاب الذي يحمل أحيانا في مطاويه طابع الاتهام المتسرع نحو عناوين طائفية ويستبطن الإثارة لمكون على مكوّن آخر ...))^(٩٢).

الآخر الديني عند مرجعية السيد السيستاني :

قد مثلت الأديان من منظور مرجعية السيد السيستاني بـ ((أهدافها ، وغايتها هي للرحمة والتعاطف ، والتوحيد ، وليس للتشطي والصراع والعداءات ، فالمكنون الذي يتضمنه الدين هو الإنسانية و رقيها ، و رفعتها وتعاونها المشترك...))^(٩٣) و مرجعية السيد السيستاني، ((مرجعية دينية بيد أنها عبر تاريخها الطويل تؤكد على العدل والتسامح واحترام الناس بشتى انتماءاتهم ومذاهبهم...))^(٩٤) ، فقد أثار سماعته طرحا إنسانيا في مسألة الحوارات ، والتقارب بين البشرية بمختلف قومياتها ومذاهبها وطوائفها ؛ لتعميق قيم العدالة والمحبة والتسامح ، ورأى سماعته: ((إن البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى العمل الجاد والدؤوب لا سيما من الزعامات الدينية والروحية لتثبيت قيم المحبة والتعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين اتباع مختلف الأديان والمناهج الفكرية ، نسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدي الجميع إلى مافيه صلاح الإنسانية وسعادتها ونتمنى لكم ولسائر المسيحيين في العالم الخير والسلام))^(٩٥) .

ومن الأعراف التي درج عليها سماعته استقباله ، بانتظام ممثلي المكونات الأخرى المسيح والصابئة ؛ لكي يتعرف على أوضاعهم وأحوالهم ، كما أنه يناقش معهم مختلف الشؤون السياسية والاجتماعية مما يعزز الوحدة الوطنية ، إذ إن البيانات والفتاوى الصادرة من مرجعية السيد السيستاني في المواقف والأحداث التي تطلبت منها عوائد التدبير الحكيم أكدت ضمان حقوق المكونات والمذاهب والقوميات بلا استثناء^(٩٦) ، ومؤكدا ((وجود دستور دائم للبلد يحفظ وحدته وحقوق أبنائه من جميع الأعراق والطوائف))^(٩٧) . وفي هذا الإطار فقد رفض سماعته في أكثر من موقف وأدان الاعتداءات والجرائم التي طالت الأقليات الدينية وطوائفها قائلا: ((أقول لمن يتعرضون بالسوء والأذى للمواطنين غير المسلمين من المسيحيين والصابئة وغيرهم

أما سمعتم أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام بلغه أن امرأة غير مسلمة تعرض لها بعض من يدعون الإسلام وأرادوا انتزاع حليها فقال عليه السلام: " لو أن أمراً مسلماً مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي جديراً فلماذا تسيئون إلى أخوانكم في الإنسانية وشركائكم في الوطن " ((٩٨)، فالملاح العامة للنص تتجلى فيها الروح التضامنية مع الطائفة المسيحية والصابئة التي زاخرة بها كلماته التي مثلت خطوة حضارية في توحيد كلمة الأمة في ضوء كلمة التوحيد ، فضلا عن ذلك فهي تتساقق في إبدائها للموقف الإنساني مع الروح المتسامية للإمام علي(عليه السلام) من النهج في التعامل مع الآخر الديني وكما أنه شجب واستنكر الجرائم التي طالت الكنائس في بغداد والموصل ، وفي ذلك أصدر بياناً جاء فيه : ((في مسلسل الاعتداءات الإجرامية التي يشهدها العراق العزيز وتستهدف وحدته واستقراره واستقلاله ، تعرض عدد من الكنائس المسيحية في بغداد والموصل إلى إعتداءات آثمة أسفرت عن سقوط عشرات الضحايا الأبرياء بين قتيل وجريح ... وإننا إذ نشجب وندين هذه الجرائم الفظيعة ونرى ضرورة تضافر الجهود وتعاون الجميع حكومة وشعباً ... ونؤكد وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الأقليات الدينية ، ومنها حقهم في العيش في وطنهم العراق في أمن وسلام)) (٩٩) .

فهو أب لكل العراقيين بكل طوائفهم وقومياتهم، فهو يحيط الحدث ويحاول للممة أي مشكل لحلها بأسرع وقت ، وهذا ما تيقظه السيد السيستاني في أحداث داعش وجرائمه الآثمة ، فلم يدع مجالاً دون أن يخوض في مسألة الوحدة والتسامح والشاركة بين أبناء البلد الواحد ، هنا جسد خطابه تلك المشاعر الإنسانية الفياضة أثر ما ناله الأخوة الشبك واليزيدون من جرائم داعش ، فقد جاء في بيانه : ((تمدد إرهابيو داعش إلى مناطق أخرى من محافظة نينوى وسيطروا على عدد من المدن التي

معظم سكانها من المواطنين الايزيديين والمسيحيين والشبك ، فقتلوا الكثير من الرجال وسبوا نساء عدة ، وتسببوا في نزوح عشرات الآلاف من العوائل ، وبعضهم ما يزالون محاصرين في الجبال يعانون من الجوع والعطش وفي مشاهد مروعة تقرح القلوب ، وتجري الدموع ... كما وقام الإرهابيون بزيادة على ذلك بهدم مراكز دينية عدة للأديان والطوائف المختلفة ، ودمروا ما نالته أيديهم من تراث المسلمين والمسيحيين والاييزيديين ...))^(١٠٠) ، كما بين في الخطاب نفسه استنكاره قائلا: ((إننا في الوقت الذي ندين ونشجب فيه بأشد العبارات كل ما ارتكبه داعش من أعمال إرهابية من قتل وسبي وتهجير وترويع بحق المواطنين العراقيين ، ولاسيما الأقليات الدينية والقومية ...))^(١٠١) ، وفي كل مرة تدور نصوصه حول تحقيق الاندماج المجتمعي وسيادة مفاهيم التسامح والتعايش السلمي بين المواطنين العراقيين كافة .

وفي هذا النص يعيد السيد السيستاني التذكير بما سبق ذكره ((فعلى العراقيين أن يوحدوا صفوفهم، ويكثفوا جهودهم في مواجهة هذا الخطر الكبير الذي يهدد حاضرهم ومستقبلهم ...))^(١٠٢) ، يضع أسس العدالة والتسامح والتعايش في مسؤولية الجميع من دون استثناء مفهوم المواطنة العراقية ، وكان التجسيد الأكبر لهذه الأسس والرؤية الاستيعابية لروح الاحتضان للأخر عندما استطاعت قوى الإرهاب السيطرة على محافظة نينوى ، التي فجرت على أثرها موجة عظيمة لكل المكونات العراقية ، وهنا انبرت مساعي المرجعية الحكيمة لاستيعاب آلاف النازحين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والمذهبية ، وقد نظمت حملات دعم وإسناد لهم ، وما جاء في بيانه : ((تتعاضم جرائم الإرهابيين في المناطق التي استولوا عليها في محافظة نينوى وغيرها ، وكان من آخرها استهداف المواطنين المسيحيين بإجبارهم على ترك مساكنهم ومصادرة ممتلكاتهم جميعها حتى أخذوا من النساء مصوغاتها الذهبية

وهو بصدد الخروج من الموصول، وهذا يذكرنا بما ورد في التاريخ من الإمام علي (عليه السلام) أبلغ بأن بعض من يدعون الإسلام اعتدوا على امرأة غير مسلمة وأرادوا انتزاع حليها فانزعج الإمام أشد الانزعاج وقال كلمته المشهورة: "لو أن أمراً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً" (١٠٣)، وفي الموقف نفسه أكد على الجهات المعنية من الدوائر التابعة للدولة والمنظمات الدولية ((الاهتمام أكثر بمسألة العناية الطبية للنازحين ... ونطالب أن تأخذ الأمم المتحدة دورها الذي يناسب الأهداف التي أنشأت من أجلها منظماتها الإنسانية...)) (١٠٤).

وأثار السيد السيستاني طروحات إنسانية متعددة المناحي، كانت كفيلة في تشكيل مسلك للتواصل نحو العيش المشترك الجامع لكل المكونات والطوائف، منها كانت في مسألة المناسبات الحزينة والسارة التي يرسلها لكبار الطوائف الأخرى في الأديان، وبعضها الآخر تضمنتها خطب الجمعة وبياناتها، وكانت تعبيراً حقيقياً عن الإنفتاح السلمي الذي أكدته مرجعيته العليا، وفي رساله له (دام ظلّه) إلى أتباع الكنسية الكاثوليكية (الكاردينال انجلو سودانو أمين سر حاضرة الفاتيكان)، والتي يعزي فيها بمناسبة وفاة الحبر الأعظم "يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان) واصفاً إياه بالرجل العامل الذي ((أدى دوراً متميزاً في خدمة قضايا السلام والتسامح الديني، وحظي بذلك باحترام الناس من مختلف الملل والنحل)) (١٠٥)

ظهر مما تقدم عبر الوقوف عند عينات نصوص المرجعيات الدينية وخطاباتها الآتي :

❖ إن الموجه الخطابى للنصوص هو التمثيل الواقعي لتاريخ الأمة عامة ولتاريخ العراق المعاصر خاصة منذ سقوط الصنم في بغداد وما تبعه من أحداث دامية وما تضمنته من بشاعة القتل التي روعت الشارع العراقي باعتبار الهوية الدينية .

❖ انبرى صوت المرجعية على مدى صيروتها التاريخية ، ومدى دورها التاريخي في مجال _ الآخر : الديني والمذهبي ، من جهتين : الأولى منهما النصوص الخاصة التي تضمنتها خطابات الجمع والفتاوى الصادرة ، التي كانت حصيلة ظروف تعرضت لها كيانات وقوميات أخرى من الأعمال الإرهابية ، والثاني منهما هو ما تضمنته النصوص الإرشادية عامة لاحتواء الآخر واحتضانه تناغما مع فلسفة التسامح لأنه جزء من النسيج الاجتماعي .

❖ فقد صاغت المرجعيات في خطابها عالما وجوديا متناميا ، ومتنوع الظلال يعكس في دلالاته حقيقة التهديد الثقافي للمنظومة الإسلامية التي رسمه الخط النبوي للمسلمين ليقف أئمة العلماء مقابل هذا الطرف المعارض عن طريق الحوار، بوصفه سلوكا يجدون فيه فرصة في بيان دورهم في الرسالة السماوية بوصفهم أشخاصا بلغوا دور النائب أو الزعامة وكان مستواهم العقدي قد بلغ درجة من العصمة من الإنحراف والزلل والخطأ.

❖ إن انفتاح المرجعية الدينية على الآخر المختلف ، كان انفتاحا على مستوى البلد وجميع الأمة قاطبة ، فقد قدمت الدعم المادي والمعنوي ، متخذة خطابا تحاكي فيه القانون وحقوق الإنسان .

❖ كما نجحت المرجعية من حيث إنها ذات ثنائية تؤثر في إفشال مخططات جر العراق إلى درب الفتن الطائفية وذلك من خلال الكلمات المضیئة التي أنارتها خطب العلماء وبياناتهم، ومثل ذلك : السنة أنفسنا ... وغير ذلك .

الهوامش :

- ١) ينظر : كيف نقرأ الآخر ، حسن موسى الصفار : ٢٠١٩ .
- ٢) ينظر : الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف ، سعد البازعي : ١٥ .
- ٣) ينظر : التعددية الدينية في الفكر الإسلامي ، حسن عز الدين بحر العلوم : ٤٥ .
- ٤) سورة البقرة : ١٤٨ ، قوله تعالى من سورة الإسراء : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرِيقٌ
- أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ آية : ٨٤ .
- ٥) التعددية الدينية في الفكر الإسلامي : ٤٥ .
- ٦) أعلام الموقعين ، ابن القيم الجوزية : ٥١٩١٢ .
- ٧) تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم : ١١٧ .
- ٨) سورة الروم : ٢٢ .
- ٩) ينظر : تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط : ١٦ .
- ١٠) سورة الإسراء : ٧٠ .
- ١١) سورة الممتحنة : ٨ .
- ١٢) ينظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، الرازي : ٣٠٥/٢٩ .
- ١٣) ينظر : الكشف ، الزمخشري : ٩٤/٦ .
- ١٤) اتجاه الدين في مناحي الحياة ، محمد باقر السيستاني : ١٩٥ .
- ١٥) ينظر : محورية العقيدة والتعايش السلمي في سيرة النبي (ص) ، حيدر حسن ديوان الأسدي ، مجلة العقيدة ، النجف الأشرف – العراق ، ٢٠١٧ : ١٧٢ - ١٧٣ .
- ١٦) البداية والنهاية ، ابن كثير : ٥٩/٥ ، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الرشيدة ، جمعها : محمد حميد الله ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ : ١٨٨ - ١٧٩ .
- ١٧) نهج البلاغة ، شرح : محمد عبده : ٤٠١ - ٤٠٠ .
- ١٨) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، الحر العاملي : ٦٦/١٥ .
- ١٩) ينظر : المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة ، حسين بركة الشامي : ٢١ .
- ٢٠) ينظر : العلاقة من الآخر في ضوء الوسطية في الإسلام ، فارس الحسنون : ٦٠ .
- ٢١) الكافي ، الكليني : ٤٦٤/٢ .

- ٢٢) الحوزة العلمية والمرجعية-الإمام الحكيم "قدس سره"، محمد باقر الحكيم: ١٨٢-١٨٤.
- ٢٣) النجف الأشرف والمرجعية الدينية، محمد بحر العلوم: ١٠٥.
- ٢٤) مطارحات في المرجعية الشيعية في العراق، إحسان الخفاجي: ٧١.
- ٢٥) ينظر: دور أهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة، محمد باقر الحكيم: ٣٥٣\١-٣٥٤.
- ٢٦) ينظر: المرجعية الدينية وقضايا أخرى، محمد سعيد الحكيم: ٣٨-٣٩، وينظر: النجف الأشرف والمرجعية الدينية، محمد بحر العلوم: ١٠٥.
- ٢٧) ينظر: المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة: ٣٦-٣٨.
- (سلطان) شيخ الطائفة الشيعية الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠ هـ)، والمرجع محمد بن مكي العاملي(ت: ٧٨٦ هـ)، والمرجع الشيخ محمد تقى الشيرازي(قدس ثراه) (ت: ١٣٣٨ هـ) والمرجع السيد حسين البروجردي (ت: ١٣٨٠ هـ)، والمرجع السيد محسن الحكيم (قدس سره) (ت: ١٣٩٠ هـ)، والمرجع السيد أبو القاسم الخوئي(ت: ١٤١٣ هـ) والمرجع السيد محمد باقر الصدر(قدس سره) (ت: ١٤٠٠ هـ)، والسيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله).
- ٢٨) ينظر: المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة: ٣٨.
- ٢٩) كيف نقرأ الآخر: ١٩-٢٠.
- ٣٠) ينظر: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، د. محمد حسين الصغير: ٥٩-٦٠.
- ٣١) دور الحوزة العلمية في وحدة الأمة الإسلامية، محمد جعفر النوري: ٧٨.
- ٣٢) مجلة رسالة الإسلام، السنة الأولى العدد الثالث، رمضان - ١٩٤٩ يوليو: ٣٣٩-٣٤٣.
- ٣٣) الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي، جعفر عبد الرزاق: ١٣٩. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١.
- ٣٤) موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية-الإمام الحكيم قراءة تحليلية في السيرة الذاتية، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ١٣/٤١٠٢٤١.
- ٣٥) تعايش السيستاني، جعفر عبد العزيز الصفار: ٣٢٨، بحث منشور ضمن كتاب: الإمام السيستاني أمة في رجل.
- ٣٦) ينظر: الحوزة العلمية وحركة الإسلام، محمد باقر الحكيم، مجلة الفكر الجديد، ع: ١٨، السنة السابعة، نيسان، ٢٠٠٠.
- ٣٧) ينظر: المرجعية وموقفها السياسي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، محمد الغروي: ٢٥٠٣، ٢٠٠٣.
- ٣٨) ينظر: سلسلة مقالات في المرجعية والتراث، محمود آل الشيخ العالي: ٥٣. ٢٠٠٣.
- ٣٩) ثورة ١٤/تموز في العراق ١٩٥٨، ليث عبد الحسن الزبيدي: ٥٥١.
- ٤٠) الإمام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق - أضواء على تحرك المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الأشرف ١٩٥٨، صلاح الخرسان: ٣٥٠.

- ٤١) ينظر: موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية-الإمام الحكيم "قدس سره": ٢٣٢-٢٣٣.
- ٤٢) العرب والاكراد مصير مشترك وعلاقات أخوية في الوطن والدين، منذر الفضل، الحوار المتمدن، بتاريخ ١١/١٢، ٢٠٠٢، وينظر: رؤية عربية من القضية الكردية، منذر الفضل، الحوار المتمدن-العدد: ٤١٤، ٢٠٠٣، ٣/٣.
- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=5809>
- ٤٣) ينظر: موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية-الإمام الحكيم "قدس سره": ٢٣٤.
- ٤٤) ينظر: علماء الأمة وفقهاء الملة، حسين عبد الأمير السلامي: ٣٦٤. تحقيق مركز المرتضى لأحياء التراث والبحوث الإسلامية- النجف الأشرف، الناشر: العتبة الحسينية المقدسة، ط ١، ٢٠١٣.
- ٤٥) ينظر: النجف الأشرف والمرجعية الدينية، محمد بحر العلوم: ١٣٤.
- ٤٦) ينظر: علماء الأمة وفقهاء الملة: ٣٨٦.
- ٤٧) المصدر نفسه، والصفحة نفسها
- ٤٨) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف: ٢٧٩.
- ٤٩) ينظر: علماء الأمة وفقهاء الملة: ٣٨٥-٣٨٦.
- ٥٠) دور الحوزة العلمية في وحدة الأمة الإسلامية: ١٢٥.
- ٥١) مقال: الشهيد محمد الصدر منهج متجدد وثورة أصلية، محمد حسين فضل الله، جريدة الدعوة السياسية، ع: ٩٨٧.
- ٥٢) المرجعية الدينية وقضايا أخرى: ٨٩.
- ٥٣) معجم رجال الحديث، السيد أبو قاسم الخوئي: ١٤٩١. ط ١، ١٤١٠ هـ
- ٥٤) الحوار والانفتاح على الآخر، حسن الصفار: ٢٠.
- ٥٥) كيف نقرأ الآخر: ١٩-٢٠.
- ٥٦) ينظر: إشكاليات التجديد، ماجد الفرباوي: ٤٦.
- ٥٧) ينظر: النجف الأشرف والمرجعية الدينية: ١٠٧-١٨٠.
- ٥٨) المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، حسين الشامي: ٤٥٧.
- ٥٩) ينظر: المرجعية الدينية في النجف الأشرف- مسيرة الف عام، د. محمد حسين الصغير: ٤٥.
- ٦٠) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣٣٤-٣٣٥.
- ٦١) الخلاف، الطوسي: ٢/١.
- ٦٢) ينظر: علماء الأمة وفقهاء الملة: ٥٤.
- ٦٣) سورة الممتحنة: ٨.
- ٦٤) الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية، محمد الحسين كاشف الغطاء: ٢٥٥/١.

- ٦٥) ينظر: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، د. محمد حسين الصغير ١٩٢-١٩٥،
وعلماء الأمة وفقهاء الملة: ٢٠٥.
- ٦٦) ينظر: الحوزة العلمية والمرجعية-الإمام الحكيم "قدس سره"، محمد باقر الحكيم: ٢٣٢.
- ٦٧) ينظر: علماء الأمة وفقهاء الملة: ٢٥٩.
- ٦٨) المرجعية الدينية وقضايا أخرى: ٩٨.
- ٦٩) صحيفة الشورى اليمنية، ع: ٣٩٩، الصادر في الأحد ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ، ١٨/٤، ٢٠٠٢.
- ٧٠) ينظر: أساطين المرجعية في النجف الأشرف: ٣٥٤-٣٥٨.
- ٧١) السيستاني.. (سيد البراني)، معد فياض، ٢٩/٣/٢٠٠٩ لندن (مقال نت)
- ٧٢) ينظر: تعايش السيستاني، جعفر عبد العزيز الصفار: ٣٢٧-٣٢٨، بحث منشور ضمن كتاب: الإمام السيستاني أمة في رجل.
- ٧٣) زيارة وفد الديانات المسيحية والإيزيدية والطائفة المندائية إلى المرجع السيستاني، موقع قناة الغدير الفضائية على الانترنت
- ٧٤) تعايش السيستاني، جعفر عبد العزيز الصفار: ٣٢٨، بحث منشور ضمن كتاب: الإمام السيستاني أمة في رجل.
- ٧٥) خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٤ م: الجمعة ١١ شوال ١٤٣٥ هـ، الموافق ٨ آب، ٢٠١٤ م: ٥٢/٢.
- ٧٦) ينظر: دور الحوزة العلمية في وحدة الأمة الإسلامية: ١٥٦.
- ٧٧) جواب مكتب السيد السيستاني إلى مراسل مجلة دير شبيغل الإنمانية بتاريخ ٢٤ ذي الحجة الموافق ٢٠٠٤/٢/١٦.
- ٧٨) ينظر: سلطة النص الديني وبناء الدولة - السيد السيستاني إنموذجا -، د. حيدر نزار السيد سلمان: ١٣٥.
- ٧٩) ينظر: المرجعية الدينية وقضايا أخرى: ١٣٠.
- ٨٠) التعايش المذهبي ورؤية السيد السيستاني، حسن الصفار: ١٠٢، بحث منشور ضمن كتاب: الإمام السيستاني أمة في رجل.
- ٨١) المرجعية ومواقفها السياسية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، محمد الغروي: ٦٩.
- ٨٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- ٨٣) ينظر: سلطة النص الديني وبناء الدولة - السيد السيستاني إنموذجا: ١٥٠-١٥١.
- ٨٤) خطب الجمعة، توثيق وتحقيق، لسنة ٢٠١٤ م مج: ١٠، ج: ١، الجمعة ٢١ شعبان ١٤٣٥ هـ، الموافق: ٢٠ حزيران ٢٠١٤ م: ٣٣٠.
- ٨٥) سلطة النص الديني وبناء الدولة - السيد السيستاني إنموذجا: ١٥١.

- ٨٦) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، حامد الخفاف، بيان: ١٤ / محرم ١٤٢٨.
- ٨٧) منهاج الصالحين: ١ / ١٣٩.
- ٨٨) حمزة قبلان المزيبي، جريدة الوطن السعودية، ٢٠٠٧/٢/٨.
- ٨٩) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ١٠٧.
- ٩٠) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٢٩٠.
- ٩١) خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٥ م: الجمعة ١٧ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ، الموافق ٩ كانون الثاني، ٢٠١٥ م: ٣١.
- ٩٢) خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٥ م: الجمعة ٢٦ رجب ١٤٣٦ هـ، الموافق ١٥ أيار، ٢٠١٥ م: ٢٧٣.
- ٩٣) سلطة النص الديني وبناء الدولة - السيد السيستاني إنموذجا: ١٤٠.
- ٩٤) مرجعيتنا الدينية للنجف الأشرف: لا تتنافى مع الإنتماء الوطني، حوار: هاني حجي، حسين العايش: ٤٣٤، بحث منشور ضمن كتاب: الإمام السيستاني أمة في رجل.
- ٩٥) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٢٠٣.
- ٩٦) ينظر: المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية - دراسة في الدور السياسي للمرجعية في العراق المعاصر، د. صلاح عبد الرزاق
- ٩٧) استفتاء صادر من مكتب السيد السيستاني في ١٦ محرم ١٤٢٥ هـ، الموافق ٢٠١٠ / ٢٠٠٤.
- ٩٨) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٢٠٣ - ٢٠٤.
- ٩٩) بيان صادر من مكتب السيد السيستاني بتاريخ ١٥ جمادى الآخر ١٤٢٥ هـ، الموافق ٢٠٠٤ / ٨ / ٢ م.
- ١٠٠) خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٤ م: الجمعة ١١ شوال ١٤٣٥ هـ، الموافق ٨ آب، ٢٠١٤ م: ٧٣.
- ١٠١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- ١٠٢) المصدر نفسه: ٧٣.
- ١٠٣) خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٤ م: الجمعة ١١ شوال ١٤٣٥ هـ، الموافق ٨ آب، ٢٠١٤ م: ٤٩ - ٥٠.
- ١٠٤) المصدر نفسه: ٥١.
- ١٠٥) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٢٤٩.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

المصادر :

• خطب الجمعة - توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٤ - ٢٠١٥ ، الناشر: العتبة العباسية المقدسة مركز العميد للدولي لبحوث والدراسات دار الكفيل للطباعة والنشر ، ٢٠١٧ .

• منهاج الصالحين - مجموعة فتاوى سماحة الله العظمى محمد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١٤ ، ٢٠١٨ .

• النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ، إعداد حامد الخفاف ، دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان ، ط ٦ ، ٢٠١٥ .

المراجع :

١- إشكاليات التجديد ، ماجد الغرباوي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١ .

٢- اتجاه الدين في مناحي الحياة ، محمد باقر السيستاني ، ط ٢ ، ٢٠١٨ .

٣- الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف ، سعد البازعي المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط ١ ، ٢٠١١ .

٤- أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف ، د. محمد حسين علي الصغير ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر ، دار سلوني ، لبنان - بيروت ، ط ١ ، ٢٠١١ .

٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق : المحقق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن الجوزي النشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٣ .

٦- الإمام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق - أضواء على تحرك المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الأشرف ١٩٥٨، صلاح الخرسان، العراق - بغداد ، ٢٠٠٤ .

٧- الإمام السيستاني أمة في رجل ، حسين محمد علي الفاضلي ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .

٨- البدايات والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، د.ت.

٩- التعددية الدينية في الفكر الإسلامي ، حسن عز الدين بحر العلوم ، مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان، ط ١ ، ٢٠١١ .

١٠- التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) ، أبو عبد الله بن محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ .

١١- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، الحر العاملي ، مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث ، إيران - قم ، ط ٢ ، ١٤١٤ .

١٢- تمثيلات الآخر - صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .

١٣- ثورة ١٤ / تموز ١٩٥٨ في العراق، ليث عبد الحسن الزبيدي، بغداد ، ١٩٨١ .

١٤- الحوار والانفتاح على الآخر، حسن الصفار، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، ط ١ ، ٢٠٠٤ .

- ١٥- الحوزة العلمية والمرجعية-الإمام الحكيم "قدس سره" - ، محمد باقر الحكيم : ١٨٢-١٨٤ . مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، العراق - النجف ، ط ١ ، ٢٠٠٥ .
- ١٦- الخلاف ، الشيخ الطوسي ، المطبعة الإسلامية ، إيران - طهران ، ١٣٧٠ هـ .
- ١٧- الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ، جعفر عبد الرزاق ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ .
- ١٨- دور أهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة ، محمد باقر الحكيم ، مؤسسة تراث الحكيم (قدس سره) ، مطبعة العترة الطاهرة ، النجف الأشرف ، ٢٠٠٧ .
- ١٩- الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية ، محمد الحسين كاشف الغطاء النجفي ، تقديم وتعليق وتحقيق : محمد جاسم الساعدي ، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ط ١ ، ١٣٨٧ .
- ٢٠- سلسلة مقالات في المرجعية والتراث ، محمود آل الشيخ العالي ، (ب.ط) ، (ب.ت) .
- ٢١- سلطة النص الديني وبناء الدولة - السيد السيستاني إنموذجا - ، د. حيدر نزار السيد سلمان ، العارف لمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٥ .
- ٢٢- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١١ ، ١٩٩٦ .
- ٢٣- العلاقة من الآخر في ضوء الوسطية في الإسلام ، فارس الحسون ، الجامعة الإسلامية ، ٢٠١٤ .
- ٢٤- علماء الأمة وفقهاء الملة ، حسين عبد الأمير السلامي ، تحقيق : مركز المرتضى لأحياء التراث والبحوث الإسلامية - النجف الأشرف ، الناشر : العتبة الحسينية المقدسة ، ط ١ ، ٢٠١٣ .

- ٢٥- الكافي ، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩ هـ) : تحقيق ، صحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، مطبعة الحيدري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، طهران - إيران ، ط ٤ ، ١٣٦٢ شمسي.
- ٢٦- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : العلامة جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) ، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معرض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ ، ١٩٩٨.
- ٢٧- كيف نقرأ الآخر، حسن موسى الصفار، الدار العربية للعلوم ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤.
- ٢٨- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الرشيدة ، جمعها: محمد حميد الله ، دار النفائس، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧.
- ٢٩- المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية - دراسة في الدور السياسي للمرجعية في العراق المعاصر، د. صلاح عبد الرزاق، منتدى المعارف، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ٣٠- المرجعية الدينية في النجف الأشرف - مسيرة ألف عام - ، د. محمد حسين الصغير، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العراق - كربلاء ، ط ١ ، ٢٠١٦ .
- ٣١- المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، حسين بركة الشامي ، مؤسسة دار الإسلام، ط ١ ، ١٩٩٩ .
- ٣٢- المرجعية الدينية وقضايا أخرى ، محمد سعيد الحكيم ، ط ١ ، ١٩٩٨ .
- ٣٣- المرجعية ومواقفها السياسية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، محمد الغروي دار الرسول الأكرم ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

- ٣٤- مطارحات في المرجعية الشيعية في العراق، إحسان الخفاجي، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، لبنان - بيروت، ٢٠١٤.
- ٣٥- معجم رجال الحديث، السيد أبو قاسم الخوئي: ١٤٩١. ط ١، ١٤١٠ هـ.
- ٣٦- النجف الأشرف والمرجعية الدينية، محمد بحر العلوم، مؤسسة المعارف للطبوعات، لبنان - بيروت، ط ١، ٢٠١٥.
- ٣٧- نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، منشورات ذوى القربى، إيران - قم، ط ٢، ١٤٢٧.

الدوريات:

- ١- محورية العقيدة والتعايش السلمي في سيرة النبي (ص)، حيدر حسن ديوان الأسدي، مجلة العقيدة، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١٧: ١٧٢-١٧٣.
- ٢- موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية - الإمام الحكيم قراءة تحليلية في السيرة الذاتية، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ١٣٤١. النجف - العراق. ٢٠٠٥.
- ٣- الحوزة العلمية وحركة الإسلام، محمد باقر الحكيم، مجلة الفكر الجديد، ع: ١٨، السنة السابعة، نيسان، ٢٠٠٠.
- ٤- مجلة رسالة الإسلام، السنة الأولى العدد الثالث، رمضان - ١٩٤٩ يوليو: ٣٣٩-٣٤٣.
- ٥- صحيفة الشورى اليمنية، ع: ٣٩٩، الصادر في الأحد ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢/٨/٤.

شبكة الانترنت

- حمزة قبلان المزيبي، جريدة الوطن السعودية، ٢٠٠٧/٢/٨.

- رؤية عربية من القضية الكردية ، منذر الفضل ، الحوار المتمدن - العدد: ٤١٤ ، ٢٠٠٣/٣/٣ .

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=5809>

- زيارة وفد الديانات المسيحية والإيزيدية والطائفة المندائية إلى المرجع السيستاني ، موقع قناة الغدير الفضائية على الانترنت ،
- السيستاني.. (سيد البراني) ، معد فياض ، ٢٩/٣/٢٠٠٩ لندن (مقال نت)
- الشهيد محمد الصدر منهج متجدد وثورة أصلية ، محمد حسين فضل الله ، جريدة الدعوة السياسية ، العدد : ٩٨٧ .
- العرب والاكرد مصير مشترك وعلاقات أخوية في الوطن والدين ، منذر الفضل ، الحوار المتمدن ، بتاريخ ١٢/١١/٢٠٠٢ .

Abstract

When we talk about the other ,we defenitily talk about the nature of the relationship between the vitality of the conscious self from the one side and the meet of the life needs from the other. Consequently , the life gets its value because of its harmony with the nature of humans .

We shed light on the Concept of " the other" and its demonstrations through the techniques of religious speech in religious institusions .the importance of " the other" Comes through the description of the idea of the difference value because it is one of the basic problem since the beginning of life . the ideas on the difference are often related to the religious issues . As such, the

difference between people is everlasting feature we are Created with by Allah as it is mentioned in the Quran: ﴿If the lord had so willed, He could have mademan kind one people :but the will not cease to dispute﴾"Hud .118"

With out the difference, the mankind loses its vitality of humans mentalty and this is the relation between " ego" which is the feeling of existence with of the existence other .

After the induction as it is mentions in the book of orientalism ,psycology , lexicology and the religinos speech. T said firstly, the concept of " the other means everything which is different and outside the selfas it is mentioned in the story of the Quran "Recite to them the trath fo the story of the tow sons of Adarr. Behold! they each presented a sacrifice (to Allah) it was accepted from one but not from the other said the latter "Be sure l will slay thee". "surelly", said the former, ﴿Allah doth accept of the sarrifice of those who are righ teous﴾ (Al_Maeda. 27) secondly, the Quranic speech call for the unity and no thing else. Allah reward the man as a creature with out labeling him. We find piousness as the feature which makes the difference between people. As we can see from our prophet Mohammed and his message, logic and discussion are the most important thing Muslims did with their enemies in the policy of opened doors and peaceful living with the other which is summarized in "the state".

This is the concern of (guidance of Al_oma the portection of Al_oma and the service of Al_oma) and it's the method which is used in the roligious institutions Abna Tawoos who was one of the best scholar in the seventh century in the history of Iraq said that "the soltan who is dis believer but fair is better than the sultan who is mulim but un fain"

Said Muhsin Al.Hakeem said that " if aruler was fair but Sunni , I would be with him and if the ruler was Shiite but unfair , I would be against him " As a follower of Ahl al- beit , the discussion was the feature of our Muslim leaders in different centuries.

Naser Al.deen has own viewpoint on the recent topic when he gives the priority to the danger inside Muslim community rather than out it by the mongols and Al-tatter when he made a truce with them to settle down the situation and achieve the political justice. Further more, Iraqi religious leaders have a great role to defined and protect have people from other religions. The fight for the Turkish people when the English invaded the Iraqi land . Musa Al-Sader said ,there is no difference between Shia and Sunni because they are tow doctrines of one religion, said muhsin Al-Hakeem positively called for dedication and sublimation .He also was against fighting Kurds and he disagreed about SaidQatub's execution Today the role of Said Al-Sistany is Abood teacher of the message of Ahel Al-beit

One of the best words regarding the doctrinal and section sensitivities is his saying ,don't say Sunnis are our brothers but ourselves 'He also has appositive attitude regarding the establishment of the churches that are burnt by terrors . He also calls for using justice with yazidis . Said Ali-Al.sistany refused all the assaults against the non-Muslims inside and outside Iraq and called for mutual respect between religions and ideation methods. Finally praise is to Allah and peace be upon our prophet Mohammed ,his progeny and friends .

الاثار المكانية لنظرية التبادل الاجتماعي في المدن الدينية – دراسة في

العلاقات الدينية ودورها في النمو العمراني لمدينة النجف الاشرف

م.م احمد حسين علاوي / كلية التخطيط العمراني- جامعة الكوفة

المستخلص :

تعد العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين افراد اي مجتمع ذات اثر مباشر او غير مباشر في تكوين النسيج العمراني للبيئة المكانية التي يعيشون عليها سواء مدينة او قرية وغيرها وهذه العلاقات هي ما تعطي للاماكن شخصيتها وتركيبها المورفولوجي الذي يظهر من خلال مكونها الاجتماعي ، وان نظرية التبادل الاجتماعي تعتمد على حقيقة ان العلاقات القائمة بين اشخاص او مجتمعات على اسس عقلانية رشيدة تسهم في تفاعل وديموميه الحياه وخلق عملية جذب مكانية بمرور الوقت، وهو الامر الذي يناقشه البحث في امكانية تطبيق مفاهيم نظرية التبادل الاجتماعي في نشأة وتطور مدينة النجف كبعد اجتماعي – مكاني بالبحث وذلك في التساؤل التالي (هل ان للعلاقات الدينية التي يمتاز بها المجتمع النجفي منذ نشوء الحوزة العلمية دورا في النمو العمراني لمدينة النجف الاشرف ، وهل هنالك امكانية لتطبيق مؤشرات نظرية التبادل الاجتماعي على طبيعة تلك العلاقات) بفعل ديناميكيات اجتماعية مكانية لمدينة النجف الاشرف بمرور الاحقاب الزمنية ، لذا افترض البحث (امكانية تطبيق مبادئ نظرية التبادل الاجتماعي متمثلة بالعلاقات الدينية في تفسير التغيرات المكانية والنمو العمراني لمدينة النجف الاشرف) وذلك لتوضيح وتفسير الظواهر المكانية وطبيعة

التكوين العمراني لمدينة النجف وبيان طبيعة العلاقات المتبادلة بين المجتمع النجفي في الجانب الديني عن طريق المؤسسات الدينية متمثلة بالحوزة العلمية .

اولا : هيكلية البحث

١- المشكلة : هل ان للعلاقات الدينية التي يمتاز بها المجتمع النجفي منذ نشوء الحوزة العلمية دورا في النمو العمراني لمدينة النجف الاشرف ، وهل هنالك امكانية لتطبيق مؤشرات نظرية التبادل الاجتماعي على طبيعة تلك العلاقات .

٢- الفرضية : امكانية تطبيق اسس ومفاهيم نظرية التبادل الاجتماعي متمثلة بالعلاقات الدينية في تفسير التغيرات المكانية والنمو العمراني لمدينة النجف الاشرف.

٣- اهدف البحث : معرفة الاطر المفاهيمية لنظرية التبادل الاجتماعي ومدى توافق مؤشرات ومعاييرها في الهيكل المكاني والاجتماعي لمدينة النجف الاشرف القديمة، وتوضيح اثر العلاقات الدينية في نشأة وتطور المدينة واهم المراحل التاريخية التي مرت بها، اضافة الى الاستعراض المكاني للمؤسسات الدينية والاجتماعية ذات الاثر البارز في التطور الديني لمدينة النجف القديمة .

٤- المنهجية : اعتمد البحث على المنهج الوصفي لتحليل ووصف ظاهرة معينة متمثلة في مدى تطبيق نظرية التبادل الاجتماعي للعلاقات الدينية في النمو العمراني لمدينة النجف الاشرف ، فهو يتماشى مع الطريقة الاستقرائية التي تهتم بالجزئيات للوصول الى الكليات أي اعطاء فروض خاصة للوصول الى احكام عامة ، وان الواقع لا يجوز فرضه او تهذيبه بنظرية فالواقع لا يخضع بل يصح ويصبح النموذج عن التطابق ، والاستنتاج حدسي عقلي بناء على المعطيات الواقعية والنظرية من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة وتحليل واقع الحال فضلا عن

دراسة الادبيات المتعلقة بمواضيع التفاعلات الاجتماعية والعلاقات الدينية والتخطيط العمراني وفق رؤيا وتصور علمي .

ثانيا : المفاهيم العامة والعلاقات العلمية الخاصة بالبحث :

١- مفهوم العلاقات الاجتماعية :

ان العلاقات بصورة عامة هي الصلات او التفاعلات التي تربط الافراد بعضهم ببعض وتحقق اهدافهم وطموحاتهم الذاتية والمجتمعية (منهايم، ١٩٩٣، ص ٥٧)، وهي اتصال او تفاعل بين شخصين او اكثر يحتلون مراكز اجتماعية متساوية او مختلفة وذلك من اجل تحقيق مصالح او اهداف معينة او اشباع حاجات وتحقيق طموحات سواء كانت مادية او اعتبارية، او هي جزء من التفاعلات الاجتماعية التي تقع بين الناس وتهدف الى توثيق الصلات الاجتماعية بينهم وتحقيق الاهداف التي يصبون اليها بعيدا عن الاخطار والملازمات التي قد تعتري العلاقات الانسانية (الجبوري، ٢٠٠٦، ص ١٥).

وان أي علاقات تبادلية كانت سواء دينية او غيرها والتي تنشأ بين الافراد او الجماعات ضمن المجتمع تكون لها اسباب ونتائج والتي تختلف تلك النتائج تبعا للمردودات التي يجنيها الافراد المتفاعلون من هذه العلاقة ، فاذا كانت العلاقة متناغمة ومتجانسة بين الافراد فإنها تستمر وتنجح وتعزز ، سيما اذا ارتبطت تلك العلاقة بالجانب الديني الاسلامي والذي يرتبط مع الخالق عز وجل وتعاليم دينه الكريم فإنها ترتبط بجانب روحي ووجداني يكون فيه المكسب هو رضا الله تعالى فان مثل هذه العلاقات الدينية ترتبط بأواصر قوية بين الافراد او الجماعات المتفاعلين في علاقات متبادلة ، فالحوزة الشريفة كمدرسة دينية عظيمة هدفها ايصال التعاليم الدينية الى المتلقي من جهة وبين المجتمع الذي يمثل الجهة المتلقية

لتلك التعاليم وما تنشأ بينهم من علاقات بمواقف عديدة ، خاصة والمدينة النجف امتزجت بشموخ علمي متميز على طول الف سنة الماضية وتميزت جامعتها الدينية بتألق فكري بريادة الشيخ الكبير الطوسي حتى اضحت تتمتع بثقل علمي ونتاج غزير واستمرارية في الحضور الفاعل على جميع المستويات وخاصة الجانب العلمي وبجدارة .

٢- نظرية التبادل الاجتماعي :-

٢-١) المفهوم :

تعد نظرية التبادل الاجتماعي من النظريات الحديثة في علم الاجتماع وجزءا من النظرية التفاعلية طالما انها تنظر الى طبيعة التفاعل المتبادل بين الافراد والجماعات والمؤسسات والمجتمعات، وان هذه النظرية ترى ان الحياة الاجتماعية هي عملية تفاعلية تبادلية بين اطراف التفاعل الذين تتم بينهم عملية تبادل مع بعضهما البعض فكل طرف يأخذ ويعطي الى الطرف الاخر وان هذا الاخذ والعطاء هو حسب رؤية هذه النظرية ما يسبب ديموميه العلاقة التفاعلية واستمرارها وتعميقها. وترجع الجذور الفكرية لهذه النظرية الى ثلاث مصادر هي كل من الاقتصاد النفعي(المادي) والانثروبولوجيا وعلم النفس السلوكي. بالإضافة الى اسهامات علماء الاجتماع المعاصرين في تبني وتطوير هذه النظرية امثال (جورج هومانز) و(بيتر بلاو) ، وتقوم هذه النظرية على اساس ان الافراد يتفاعلون مع بعضهم البعض بطريقة عقلانية رشيدة نظرا لانهم يحصلون عن طريق هذا التفاعل على بعض المكافآت الاجتماعية التي تفوق التكلفة التي تترتب على هذا التفاعل ويتكون المجتمع من مجموعة من التبادلات التي تتم بين الافراد والتي تتخذ بمرور الوقت شكل

التنظيمات المعقدة والتي تعتبر اساس النظام الاجتماعي العام (لطفي والزيات، بدون سنة، ص ١٩١).

٢-٢) اهم المبادئ التي تقوم عليها نظرية التبادل الاجتماعي :

تستند النظرية التبادلية الى عدد من المبادئ الهامة والتي تعتبر الاساس الذي تعمل من خلاله وتسير عملها سواء بين افراد معدودين او مجتمعات معينة وضمن مكان معين ، فهي تمثل نقاط جوهرية في تفسير الظواهر الارتباطية داخل المجتمع ، ومن اهم هذه المبادئ :

أ- ان الحياة التي نعيشها هي عملية اخذ وعطاء وتبادل بين الافراد او الجماعات او المجتمعات.

ب- ان العطاء الذي يقدمه الفرد او الجماعة للفرد الاخر او الجماعة الاخرى هو الواجب الملحق على عاتقه اما الاخذ فيمثل الحقوق التي يحصل عليها بعد اداء واجباته .
ت- تستمر العلاقات وتزدهر اذا كان هناك توازن بين الاخذ والعطاء بين الحقوق والواجبات المناطة بالفرد او المجتمع .

ث- تتوتر العلاقات او تنقطع او تتحول الى علاقات ضعيفة اذا اختل مبدأ التوازن بين الاخذ والعطاء بين الاشخاص التفاعلين .

ج- لا تنطبق على العلاقات التفاعلية بين الافراد فقط بل ايضا على الجماعات والمجتمعات المحلية والمجتمعات الكبيرة .

تعتقد نظرية التبادل الاجتماعي ان الاختلال في التكاليف والارباح بين الاشخاص او الجماعات لا يؤدي الى قطع العلاقات في جميع الحالات انما استمراريتها وديمومتها وذلك ان الطرف الذي يأخذ اكثر مما يعطي يشعر ان عليه تقديم تنازلات للطرف

الاخر، وعندما يقوم بتقديم التنازلات فهذا يسبب بتقوية العلاقات كما يرى بيتر بلاو، رائد النظرية التبادلية (الحسن، ٢٠٠٥، ص ١٨٦).

ومن وجهة نظر العالم ذاته ان السلطة تشير الى التفاضلات والتفاوت بين أعضاء المجتمع في كمية التأثير الذي يمكن ممارسته وكلما زاد عدد الافراد الذين يمتلك فرد معين القدرة على التأثير بهم، كلما ارتفعت سلطته. ويرى البحث ان العلماء والمراجع الموجودين في مدينة النجف لهم القدرة على التأثير ليس على ابناء مدينة النجف بل على مجتمعات كبيرة من العالم الاسلامي، لذلك نجدهم حضوا بهذه المنزلة المرتفعة (السلطة) بين افراد المجتمع

وفي راي العالم هومانز ان تبادل الهدايا بين شخصين يؤدي الى صداقتهما ومزيد من التفاعل بينهما، وفي اطار التفاضل في القوة يستند هومانز في تحليله للقوة على مبدا (المصلحة الاقل) حيث ان الطرف القوي هو صاحب المصلحة الاقل بينما الطرف الخاضع او المعتمد هو يكون صاحب المصلحة الاكبر في استمرار العلاقة ولذلك فان الشخص يكون قادرا على املاء شروط العلاقة التي تحقق له مصلحة اقل، و تشير هذه النظرية الى ان التبادل لا يقتصر على التعامل المادي، بل ان الافراد قد يتبادلون مع بعضهم اشياء غير مادية مثل المشاعر والخدمات والعلم والمعرفة واي شيء يمكن ان يكون ذا منفعة لهم (الحوراني، ٢٠٠٨، ص ٥٢).

يمكن القول مما تقدم من توضيح نظرية التبادل الاجتماعي، ان التبادل هو عملية اجتماعية تحدث بين شخصين او جماعتين او مجتمعين شخص يعطي وشخص يأخذ الا ان الاخذ والعطاء يجب ان يكون متوازن ومتكافئ ويفضل ان يكون العطاء اكثر من الاخذ، وبالنتيجة فان ذلك يؤدي الى نمو واستمرار العلاقات بين الافراد بعضهم مع البعض الاخر او مع المجتمع بشكل ايجابي، وان عملية التبادل

ليست مادية فقط وانما معنوية وروحية ، وبما ان مدينة النجف ينظر اليها كمدينة دينية من المقام الاول فأن عالم الدين يكون مكلف بنشر العلم والمعرفة الى المجتمع وتكوين نسيج اجتماعي متعلم وواعي وفي المقابل فان الجزاء يكون ذات بعد روحي اكثر مما يكون ماديا .

٣- الخصائص العمرانية الاجتماعية:-

لكي تتضح طبيعة العلاقة بين العمارة والمجتمع لابد من دراسة الجوانب الاجتماعية لأي مدينة لان العمارة هي "فن المجتمع" او انها نص اجتماعي وهي ليست مجرد تلبية لحاجات فيزيائية بل هنالك حالة أشمل من ذلك تأتي من الظروف المحيطة من طبيعة السياق الموجود فيه. (شكارة، ١٩٩٨، ص ٨٣). والطابع العمراني هو مرآة للمجتمع ويعكس بيئته الطبيعية وهويته الثقافية ، إن العمارة كفن تؤثر في المجتمع كونه عنصرا أصيلا ومهم في تركيبة المجتمع، ولها تأثير يسهم في تكوين التراث الجماعي لمجتمعه. والفن يبدأ نشاطا فرديا ثم لا يلبث أن ينسجم في سياق الحياة الاجتماعية بعد أن يتعرف على خصائص خبرته ويبدأ بتخزينها في وجوده الجماعي ، ثم إن الغرض الأساسي للعمارة هو غرض اجتماعي، فالمجتمع يضع الأهداف ويقوم المختص بتحديد الوسائل والطرق لإنجاز وتحقيق ذلك الهدف (القزاز، ١٩٩٨، ص ٨٣).

وان العمل الفني بشكل عام لا يمكن أن يكون مجردا تعبيراً عن رغبة ذاتية ، وانما هو خبرة تنبثق من المجتمع وتوجهاته، ولهذا أصبح لكل حضارة فنا الخاص. وإن النتائج المعمارية والفنية تأخذ أبعادها الحقيقية والواقعية حسب درجة ارتباطها مع مقومات المجتمع الذي أنتجها (أبو عبيد، ١٩٩٩، ص ١٢٩).

وبذلك تأتي أهمية ارتباط الجوانب الاجتماعية بالعمارة، وضرورة دراسة العمارة ضمن المحتوى الاجتماعي من خلال التأثير والتأثر المتبادل بين العمارة والمجتمع وطبيعة العلاقات ضمن المجتمع فإذا كانت تلك العلاقات يسودها الطابع الديني كما هو الحال في مدينة النجف، فإن ذلك يظهر واضحا على طبيعة البنية العمرانية من مساجد ومكتبات ومدارس حوزوية بل وحتى طبيعة بناء الوحدة السكنية والتي تتأثر بالشكل الديني، فالعمارة هي بنية اجتماعية ومن الصعب جدا دراسة أحدهما دون تأثير العامل الآخر.

٤. عمارة المدن الإسلامية (مدينة النجف الاشراف نموذجا):

انعكست طبيعة الحياه الإسلامية على شكل المدينة وعمارتها التي اتصفت بفكر العمارة الخفية التي تخدم وظائف متعددة كما هو الحال بالفناء الواسع ذي الدواوين الاربعة الذي نجد في الجامع والقصر والسراي والوحدة السكنية، بمعنى هنالك انصهار للجوانب الروحية في المحتوى العمراني ووجود علاقات متبادلة ومتداخلة يقودها المجتمع في تكوين بعد شكلي في الكتلة البيئية المحيطة. فالعمارة الإسلامية تركز على فكرة كون الدين هو المنظم الرئيسي للحياة الاجتماعية، فنجد إن المبنى من الداخل يرتبط بالاستعمال الداخلي وهو من حق صاحبه المسلم، أما ما هو خارج المبنى فهو من حق المجتمع الإسلامي الذي تحكمه قيم المساواة والعلاقات التبادلية فيما يتعلق بالجوار والتكافل بالإضافة الى القيم الاقتصادية التي تشكل أساس البنية الاجتماعية للمجتمع، ثم تأتي القيم التشكيلية الداخلية والخارجية لتكوين الصورة الحضارية للمبنى، فالمظهر الخارجي للعمارة تحدده القيم والعلاقات العامة للمجتمع أما المظهر الداخلي فيتحدد

بالقيم الخاصة بالفرد. وان الإسلام حدد علاقة الفرد بالمجتمع فاعتبر ذاتية الفرد في باطنه أما ذاتية المجتمع ففي ظاهره. (النصراوي، ٢٠٠٤، ص ٣٧).

ان من اهم العوامل التي تؤثر على الشكل المعماري للمدن هو العامل الديني متمثلا بتوالد الحضارات المختلفة ومقترنا ببعض الافكار الفلسفية التي تعطي بعدا وظيفيا وشكليا للمدن وتمثل الارادة الحقيقية للمجتمع والتي هي بمثابة مرجع للنظام العمراني. فالهيكل الحضري بالنسبة الى مدينة النجف يتحدد اساسا بتأثير العلاقات المرتبطة اساسا بالقيم الدينية والمبادئ والقيم الاخلاقية والروحية التي انبثقت من الاسلام، وهو ما يتم ملاحظته من خلال اقامة المؤسسات الدينية التي تعتبر محور الحياه اليومية وفعاليتها الروحية والاجتماعية والاقتصادية بشكل انعكس على تخطيط المدينة من الناحية العمرانية وتوزيع استعمالات الارض ونظام الحركة والشوارع وهي ما تؤكد على اهمية تموضع تلك المؤسسات ودورها في خلق علاقات جوهرية اجتماعية دينية ضمن المدينة (كمونة، ٢٠٠٨، ص ٣٨).

٥- دور العلاقات الدينية في تنامي المدينة وعمارتها :

ان المدينة الاسلامية قد حظيت باهتمام المختصين في عمارة المدن وتخطيطها من عرب واجانب ، وان هنالك مقومات وخصائص اجتماعية دينية تمتاز بها هذه المدن اسهمت وبشكل واضح في نموها العمراني وبشكل مستمر كما هو الحال لمدينة النجف الاشرف فهي تعد من الحواضر الاسلامية ذات الارث الحضاري والديني والانساني ، وقد انعكس هذا الامر في تخطيطها الداخلي من فضاءات المدينة وساحاتها وشوارعها واسواقها وتصميم وحداتها السكنية.

تميزت مدينة النجف بالتسامح الديني الذي جعلها تنمو وتزدهر في ظل درجة عالية من التلاحم والتفاعل الاجتماعي الديني كان له دور مهم في زيادة التبادل بين

المجتمع النجفي من جهة وبين الوافدين اليه من اماكن اخرى سواء طلبا للدراسة الدينية او للزيارة المستمرة جعل من هذه البقعة المقدسة مركزا لتلاقي الافكار والتفاعلات الحضارية وذات طابع عمراني مميز ينبثق من الوظيفة الدينية وطبيعة العلاقات الاجتماعية (الكناني، ٢٠٠٧، ص ٥).

ان السبب الرئيسي في نشأة مدينة النجف وجود الضريح الشريف للإمام علي (ع) وبوجوده نمت وتطورت تحت تأثير الوظيفة الدينية وتوسعت تدريجيا مع ازدياد اعداد الساكنين والمجاورين والزائرين وما يرتبطون به من علاقات اجتماعية يسودها الجانب الديني ، ونتيجة حتمية للوظيفة الدينية ظهر النشاط العلمي كعامل جديد ومؤثر في ازدياد عدد المهاجرين الجدد الى النجف مما اسهم في سرعة التوسع العمراني للمدينة التي تزامنت مع نشوء الحوزة الدينية والتكامل الاكاديمي مع مدرسة النجف العلمية وظهور نظام الاجتهاد الديني الذي كان له الاثر الكبير في ازدياد مكانة النجف الدينية بما يتعهد به من تبادل العلم والنصيحة وتقديم المشورة الدينية جعل منها مقصد لقلوب العديد من الناس وملتقى افكارهم حتى اضحت تضم طبقة كبيرة من رجال الدين تأخذ على عاتقها الترويج لوظيفة النجف الدينية وتقديم الموعدة الارشاد وتبادل الخبرات والمعرفة العلمية والدينية .

ولا يخفى اثر العامل الديني في شكل وتخطيط عمارة مدينة النجف فمركزها الصحن الحيدري الذي يمثل القلب النابض لجميع اجزاء المدينة وهو الامر الذي ساهم في تحديد خطط المدينة وعمرانها فحتى عام ١٩٦٨ كانت المدينة القديمة تحتوي على (٢٦) جامع كبير و(٨٠) مسجد صغير و(١٥) حسينية و(٢٨٨) مقبرة خاصة و(٣٤) مدرسة دينية و(١٨) مكتبة عامة كبيرة و(٥٠) مكتبة خاصة كبيرة

مع المئات من المكتبات الخاصة الصغيرة فضلا عن مقامات الانبياء والاولياء والصالحين ، وهذه المؤسسات اقيمت ام لأغراض دينية مباشرة او لأغراض اجتماعية مرتبطة بالدين ولها علاقات مرتبطة بها كإقامة المآتم وتبادل التعليم الديني والاحتفالات الدينية وغيرها (الجنابي، ٢٠١٠، ص ٦٣-٦٤).

وتتميز الهياكل الاجتماعية لمدينة النجف بعلاقات انسانية متبادلة وبشكل حقيقي حيث نظمت الشريعة تلك العلاقة بين الانسان وخالقه بالإضافة الى تحديد العلاقة بين الانسان والانسان والتي تهدف الى تحقيق التماسك الاجتماعي في البنية المكانية (كمونة، ٢٠٠٨، ص ٢٩)

كما ان للعلاقات الدينية اثر واضح في البنية الاجتماعية لمدينة النجف ، حيث اثرت سلطة النخب من رجال الدين في رسم وتحديد الاطر العامة للمواقف المختلفة ومنها الاجتماعية وباتجاهات مختلفة محلية وقطرية وحتى اقليمية بالشكل الذي ادى الى تداخل مصير هذه المدينة بمصير النخب الدينية ، كما اثر هذا العامل في تكوين خط سكاني غريب سببه تجمع السكان من مختلف الجنسيات ويشتركون ويتبادلون بالأفكار والانشطة والرؤى اجتماعيا وثقافيا ودينيا مما اوصل النجف الى المرتبة الحجمية التي وصلت اليها وبالشكل الذي جعلها تعاني من ثقل سكاني لا يتناسب مع مساحتها وبنيتها (الجنابي، ٢٠١٠، ص ٢٣٦).

وقد وضعت لمدينة النجف عدد من المخططات الاساسية كان اولها مخطط عام ١٩٥٨ من قبل مؤسسة دو كسيادس التخطيطية اليونانية التي عهد لها مجلس الاعمار في ذلك الوقت لوضع دراسة تفصيلية لتطوير المدينة واستيعاب الزيادة السكانية القادمة الى النجف ومعالجة المشاكل التي عانت منها المدينة القديمة الشكل (١) ، اما المخطط الثاني فكان عام ١٩٧٣ من قبل مديرية التخطيط

والهندسة في وزارة البلديات الذي جاء بعد القصور في اداء المخطط الاول وعدم امكانية استمراره في ضل التوسعات العمرانية التي شهدتها المدينة الذي هدف الى تحسين مركز المدينة التي تضم المؤسسات الدينية والاجتماعية ووضع تصور دقيق لمخطط عمراني يحدد فيه الامكانيات والمشاكل والعقبات وحلها في اطار المخطط الاساس .

ونظرا الى الاعداد الكبيرة من الزائرين والمهاجرين والطلالين للعلم والمعرفة ، استمرت مدينة النجف بالتوسع وفي اتجاهات مختلفة ونشأة احياء سكنية جديدة وعديدة تضم الالاف من الوحدات السكنية ، وبذلك اضحت مدينة النجف مقصدا لمختلف الطبقات الاجتماعية ساعد في ذلك التطور الاقتصادي الذي شهدته المدينة في المجال التجاري بالإضافة الى مركزها الديني متمثلا بوجود المرجعية والحوزة الشريفة بجوار المرقد الشريف لأمر المؤمنين (ع) (الجزائري، ٢٠١٦ ، ص ٢٠-٣٥) . وبصورة ادق فان مدينة النجف قد مرت بخمس فترات تاريخية وحتى يومنا الحالي وهي :

١- الفترة الاولى : وتعتبر هذه الفترة المرحلة الاولى في نشوء مدينة النجف وظهور البيوتات السكنية منذ عام (٧٨٧م) وحتى عام (١٧٦٥م) ويجوار المرقد الشريف متمثلة محلة طرف المشارق وامتداد المحلات السكنية الى الغرب من مرقد الامام على (ع) ، كما ظهرت بعض المحلات السكنية كان موقعها بالقرب من جامع الهندي الحالي ، وهو تاريخ قديم لم يتم تحديده بصورة تامة ، وان مدينة النجف القديمة قد سورت بخمس اسوار حتى مجي الشيخ الطوسي عام (١٠٥٧م) وبعدها والذي كان لها اثارها في اعطاء مدينة النجف القديمة تخطيطها ومنه اصبحت مركزا للمدينة الحالية ، وهذه الاسوار هي (محبوبة، ١٩٥٨ ، ص ٢٣-٢٤) :

أ- السور الاول : والذي بناه محمد زيد الداعي حول المرقد .

بـ السور الثاني : قام بإنشائه ابو الهجاء عبد الله بن حمدان .

تـ السور الثالث : قام ببنائه عضد الدولة عام (٩٨٢م) بعد ان قام بتوسعة المدينة .

ثـ السور الرابع : بناه ابو الحسن الارجواني بأمر من وزير الدولة (بن بويه) الملقب بعميد

الجيوش عام ١٠١٠م، ومن خلاله اتخذ عمران النجف الشكل الدائري .

جـ. اما السور الخامس والذي بناه ويس الجلائري حول المرقد الشريف والمحلات المجاورة

له ، وكان يبعد عن السور الرابع مسافة ٧٥ متر وبمحيط دائري يصل الى

(١٧٢١متر) .

٢- الفترة الثانية : تمتد هذه الفترة بين عامي (١٧٦٥-١٩٢٥م) والتي كان لها اثرها

في توسع مدينة النجف وتبلور الاستعمالات الدينية والمناطق السكنية ذات

الشكل المعماري المتراص وظهور الشوارع الضيقة والتي يمثل المرقد الشيف مركزها

نحو تلك المحلات السكنية كما بدا المدارس الدينية والمساجد بالظهور والتوسع .

٣- الفترة الثالثة : استمرت هذه الفترة والتي امتدت بين عامي (١٩٢٥-١٩٥٨م)

بالحفاظ على شكلها العمراني من حيث النسيج المتضام والازقة المتعرجة وهيمنة

المرقد على المشهد الحضري والنقطة الاعلى ، الا ان الامر لم يقتصر على الاجزاء

القديمة فقد برزت توسعات جديدة وتطورت المدينة وظهور محلات سكنية اضافية

منها الغازية والשלطة والشوافع والصالحي كان ابرزها عام ١٩٣٨ وبشكل ملفت

للنظر حيث تم قلع السور وانشاء طريق دائري حول مدينة النجف عرف بشارع السور

، واستمرار هجرة المواطنين نحو المدينة وبشكل اسهم في ارتفاع اعداد السكان

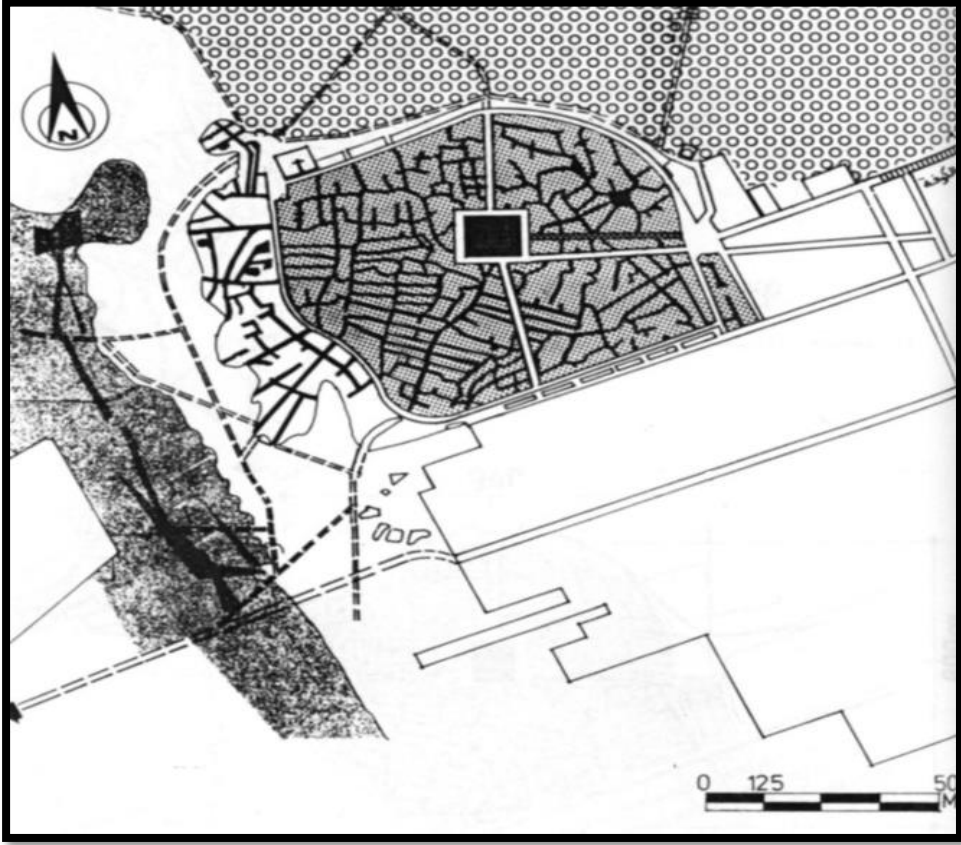
فيها وما رافقه من تغير في الشكل العمراني وتخطيط المدينة وشق الشوارع

المستقيمة في عام ١٩٤٩م مثل شارع الرسول والصادق وزين العابدين والطوسي وانشاء شاع دائري حول المرقد الشريف .

٤- الفترة الرابعة : من عام (١٩٥٨م) الى عام (١٩٧٣م) وفيها توسعت المدينة حضاريا وثقافيا ودينيا وعمرانيا ، فقد تم امتداد المدينة على الطرق الرئيسية التي ربطتها مع المدن والمحافظات المجاورة منها طريق نجف - كربلاء ونجف ديوانية ونجف - كوفة وظهور الاحياء السكنية الجديدة وبتصاميم حديثة تختلف عما كانت عليه في المدينة القديمة منها اتساع الوحدات السكنية واحتوائها على الحدائق والشوارع المستقيمة والعريضة ، كما ازدادت مركزية النجف الدينية كمحبر وقبلت تتجه نحوها انظار العالم رغبة في اكتساب تعاليم الدين الاسلامي بصورة عامة والمذهب الشيعي بصورة خاصة كونها تمثل مركز التشيع في العالم الاسلامي ومقرا للحوزة العلمية الدينية .

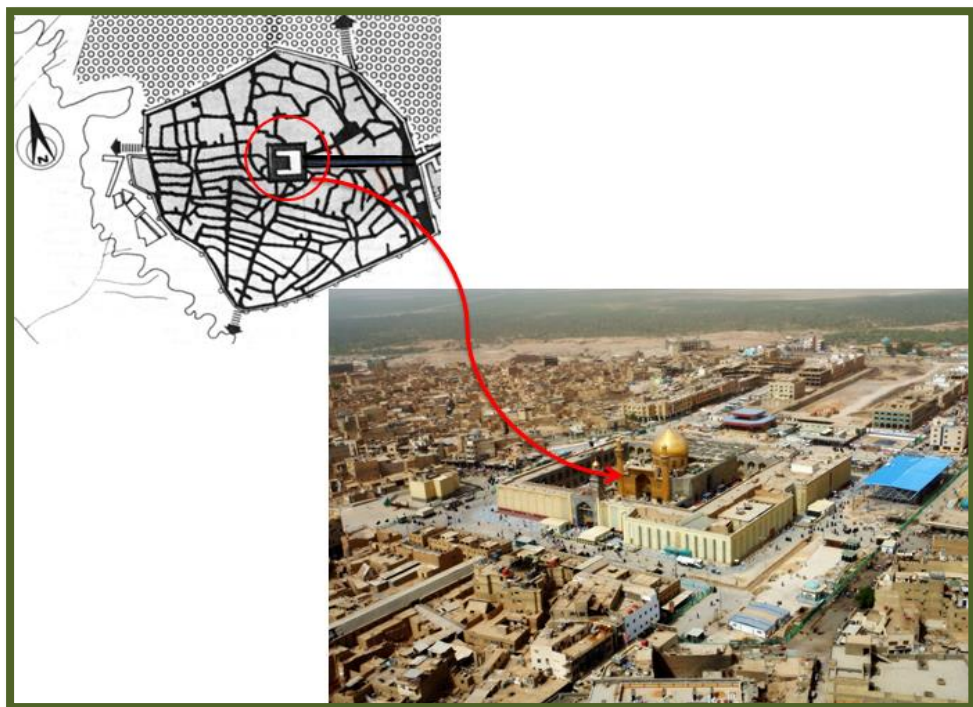
٥- الفترة الخامسة : والتي تمتد من عام ١٩٧٤م وحتى وقتنا الحالي ، وفي هذه الفترة شهد التخطيط العمراني لمدينة النجف اكبر عملية توسع وفي مختلف الاتجاهات واكبر زيادة سكانية سببها العديد من العوامل التي تزامنت مع العامل الديني قد تكون سياسية واقتصادية وغيرها .

الشكل (١) مدينة النجف الاشرف حسب توسعها العمراني لسنة ١٩٥٨



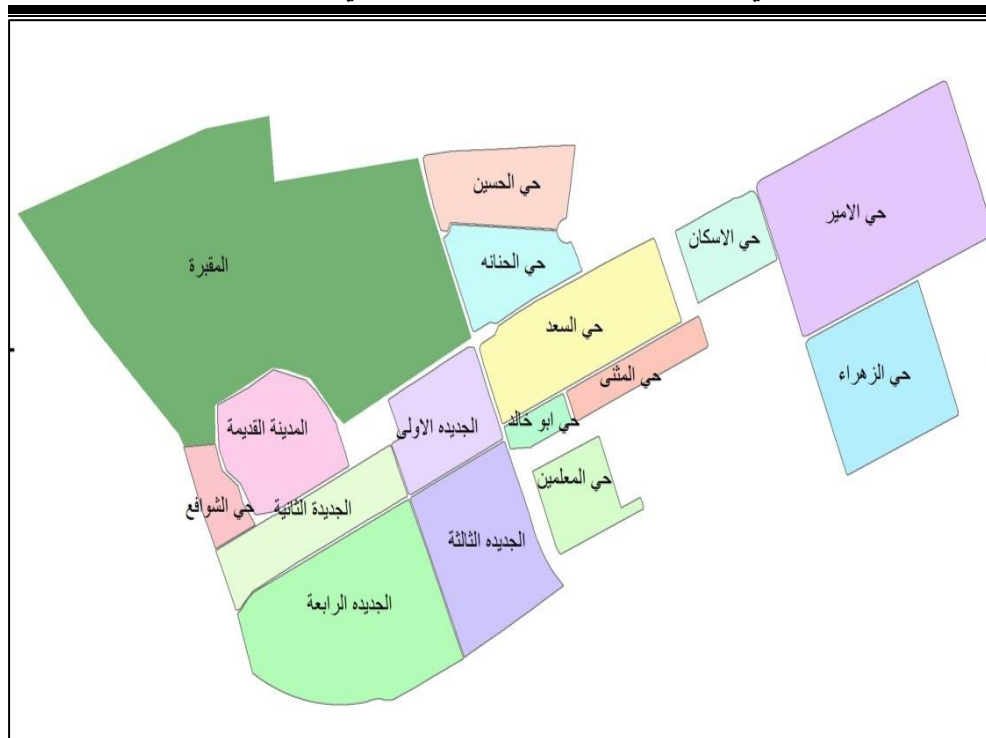
المصدر: رياض منير المظفر، فهم المدينة العربية الاسلامية بكونها نظاما، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٩٧.

الشكل (٢) صورة توضيحية لموقع المرقد الشريف للامام على (ع) من المدينة القديمة

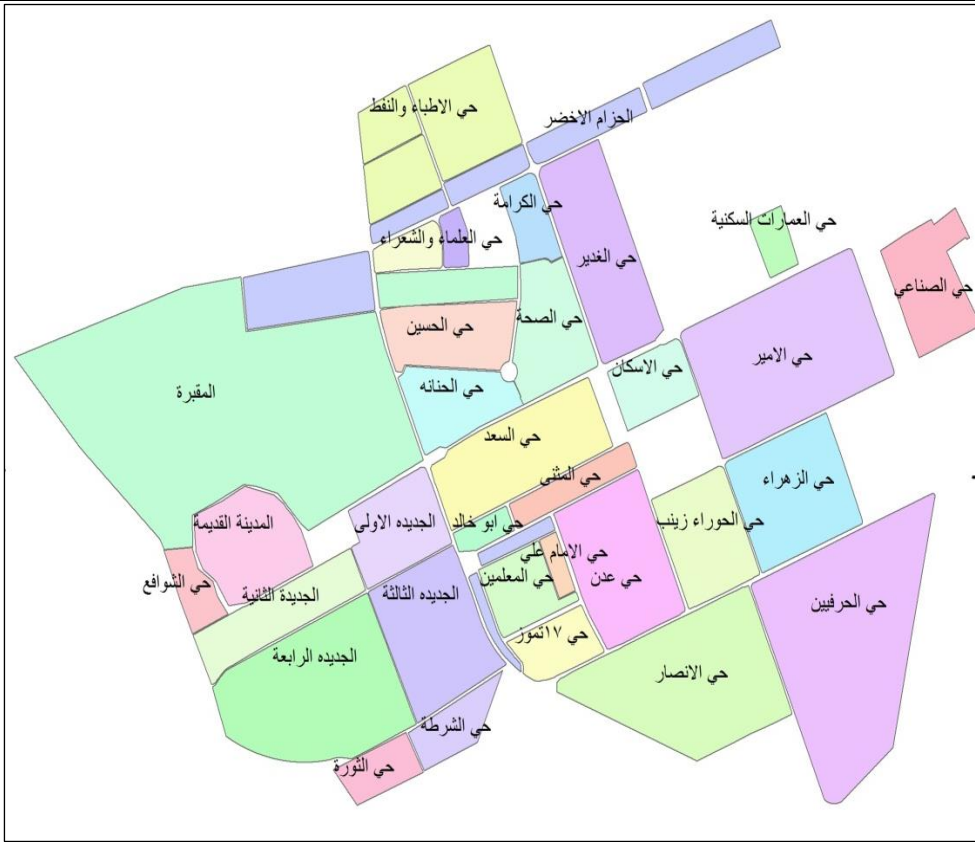


المصدر: الباحث بالاعتماد على- الشبكة العنكبوتية.

الشكل (٣) حدود مدينة النجف وعمرانها حتى عام ١٩٦٨



الشكل (٣) حدود مدينة النجف وعمرانها حتى عام ١٩٧٩



المصدر : محمد جواد جاسم الجزائري ، تاريخ مدينة النجف الاشرف الاجتماعي ١٩٦٨ -

١٩٧٩ ، مؤسسة مسجد السهلة المعظم ، ٢٠١٦ .

المرئية الفضائية توضح الحدود الحديثة والقديمة لمدينة النجف الاشرف



المصدر: الباحث بالاعتماد على: مديرية بلدية مدينة النجف ، قسم نظم المعلومات الجغرافية GIS، 2018.

وبذلك نجد ان للعلاقات الدينية بين المجتمع التي ترافقت مع مكانة النجف الدينية دورا مهما واثرا كبيرا في التوسع المورفولوجي والتطور العمراني للمدينة وازداد ذلك نتيجة البعد المكاني لتلك العلاقات الامر الذي جعلها تكتسب البعد الاقليمي وتجاوز الحدود المحلية حتى اصبحت مركزا للجذب الاجتماعي الديني ومركزا لتوافد الزوار والحجاج وطالبي العلم من مختلف دول العالم، اذ وصل عدد الزائرين الاجانب في عام ٢٠١٦ فقط اكثر من (١٠٦٦٠٧٤) منهم (٨٢١٥٩٣) ايرانيين و(٩٠٠٥٠) اجانب و(١٥٤٤٣١) عرب وتستمر هذه الحركة على مدار العام (الكرعاوي، ٢٠١٨، ص٣٥٨)، كما ان حجم السكان في مدينة النجف قد شهد

تطورا مستمرا نتيجة للمكانة التي تتمتع بها وهو ما نلاحظه في الجدول (١) والذي يمثل اعداد السكان لمدينة النجف على فترات مختلفة منذ عام ١٩٢٢ وحتى عام ٢٠١٨ ، اذ نلاحظ ان هذه الزيادة قد فاقت نسبة النمو الطبيعي للسكان المتعارف بها وشهدت قفزات كبيرة في حجمها السكاني نتيجة مكانتها الدينية والعلمية وما تشهده من علاقات تبادلية وعلى جوانب عديدة علمية ودينية وثقافية .

ونتيجة للحركة العلمية التي شهدتها مدينة النجف واستقرار عظماء الحوزة ومراجعتها فيها ادى ذلك الى ظهور العديد من المدارس الدينية تسودها نسيج قوي من العلاقات الدينية بين الطلبة والاساتذة امتدادا الى بناء المجتمع النجفي الذي تأثر بصورة واضحة بتلك العلاقات وكانت سببا في تدارس العلم وتنمية عقولهم واشتداد ارتباطهم بالمؤسسة الدينية التي اصبحت بغية طلاب العلم من كل حذب وصوب ومحط رجال العلم والارتقاء الديني والفكري والعلمي من مدارس دينية ومكتبات علمية وثقافية ومساجد عديدة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كما يمثلها الجدول (٢) والذي ما يزال بعضها قائما في حين اندثر بعضها الاخر.

الجدول رقم (١) عدد سكان مدينة النجف للسنوات ١٩٢٢-٢٠١٨

السنة	عدد السكان
١٩٢٢	٣٨٩١٧
١٩٣٠	٣٥٠٠٠
١٩٥٧	٥٦٢٦١
١٩٦٥	١٢٨٠٩٦
١٩٧٧	١٨٦٤٧٩
١٩٨٧	٣٠٤٨٣٢

٣٩٠٥٢٥	١٩٩٧
٤٧٩٠٨٢	٢٠٠٨
٧٧٥٩٢٤	٢٠١٨

المصدر : الباحث بالاعتماد على : عبد الستار شنين الجنابي ، تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢-١٩٦٨ ، مكتبة الذاكرة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٠ .

- وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ، مديرية احصاء محافظة النجف ، احصاءات وتقديرات مدينة النجف للسنوات ١٩٧٧-٢٠١٨ ، بيانات غير منشورة ، ٢٠١٨ .

الجدول (٢) يمثل المدارس الدينية وسنة تأسيسها والمكتبات والمساجد في مدينة النجف

المساجد	المكتبات الدينية	سنة التأسيس	المدرسة الدينية
مسجد عمران بن شاهين	مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة	١٨٨٢	المدرسة الرشدية العثمانية
مسجد الرأس	مكتبة الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء العامة	١٩٠٨	المدرسة العلوية
مسجد الخضراء	مكتبة مؤسسة كاشف الغطاء	١٩٠٩	المدرسة المرتضوية
مسجد الشيخ الطوسي	مكتبة الامام محسن الحكيم العامة	١٩٢٢	مدرسة الغري الاهلية

المدرسة الاميرية	١٩١٩	مكتبة أمير المؤمنين العامة	مسجد الهندي
المدارس الثانوية	١٩٢٦	مكتبة الامام الحسن العامة	مسجد آل كاشف الغطاء
المدرسة السليمية	١٨٣٤	مكتبة آغا بزرك الطهراني العامة	مسجد آل الطريحي
مدرسة الصدر	١٨٠٦	مكتبة الامام الصادق	مسجد الحنانة
مدرسة كاشف الغطاء	١٨٣٤	المكتبة الادبية	المسجد الحيدري
المدرسة المهدية	١٨٧٤	مكتبة جامعة النجف الدينية	مسجد الانصاري
مدرسة القوام (الفتحية)	١٨٨٣	مكتبة العلمين الطوسي وبحر العلوم العامة	مسجد آل الجواهري
مدرسة الايرواني	١٨٨٧	مكتبة كلية الفقه.	مسجد آل الجزائري
مدرسة الميرزا حسين الشيرازي	١٨٩٣	مكتبة الجواد العامة	مسجد البهبهاني
مدرسة الخليلي الكبرى	١٨٩٨	مكتبة مؤسسة التراث النجف الحضاري والديني	مسجد الاطرش
مدرسة الشربيني	١٩٠٢	مكتبة الملتقى الثقافي	مسجد المنتظر

المدرسة الكبرى	١٩٠٣	المكتبة الوثائقية التاريخية	مسجد الجوهري
مدرسة الخليلي الصغرى	١٩٠٤	مكتبة مدرسة الصدر الاعظم	مسجد رفيش
مدرسة القزويني	١٩٠٦	مكتبة الحسينية الشوشترية	مسجد آل سلمان
مدرسة البادكوبي	١٩٠٧	مكتبة مدرسة القوام	مسجد الصاغة
مدرسة الاخند الوسطى	١٩٠٨	المكتبة المرتضوية	مسجد المشهدي
المدرسة الصغرى	١٩١٠	مكتبة حنوش	مسجد الهمداني
مدرسة اليزدي	١٩٠٩	مكتبة مدرسة دار العلم	مسجد الرحباوي
مدرسة الهندي	١٩١٠	مكتبة مدرستي الخليلي	مسجد باب السيف
مدرسة البخاري	١٩١١	مكتبة محمد صالح الجوهري	مسجد السقاية
مدرسة البروجردي الكبرى	١٩٥٣	مكتبة الرحيم	مسجد جمال
مدرسة العاملين	١٩٥٧	مكتبة آل الطريحي	مسجد قفطان
مدرسة الجوهري	١٩٦٣	مكتبة الجزائري	مسجد الشوشتري

مدرسة الطاهرية	١٩٥٧	مكتبة السيد عبد العزيز الصافي	مسجد الشيرازي
مدرسة الرحباوي	١٩٥٨	مكتبة آل بحر العموم	مسجد المسابح
مدرسة جامعة النجف الدينية	١٩٥٦	مكتبة آل القزويني	مسجد عبيد الجبري
مدرسة البغدادية الدينية	١٩٦٣	مكتبة المرجع الديني الشيخ جعفر الكبير	مسجد الهاشمي
مدرسة الحكيم	١٩٤٥	مكتبة آل محيي الدين	مسجد آل نجم
مدرسة المنتدى الابتدائية	١٩١١		مسجد الزهراء
كلية الفقه	١٩٥٨		مسجد الساعدي
مدرسة التحرير الثقافي	١٩٥٨		مسجد الفرطوسي
مدرسة المنتدى الثانوي	١٩٦١		

المصدر: ينظر: ضياء الشيخ صالح كاشف الغطاء، موسوعة علي والنجف تاريخ

للتاريخ، مكتبة مطبوعات النجف الاشرف، عام ٢٠٠٠، ص ١١-٤٦.

- الشيخ جعفر محبوبية، ماض النجف وحاضرها، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٣.

- محمد باقر احمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الاشرف، المطبعة ستارة،

ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٨٣.

- الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ج ٢، ص ١٢٨-١٣٠.

- عبد الهادي الفضلي، دليل النجف الاشرف، مطبعة الادب، النجف، ١٩٦٥، ص ٧٠.

- جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ج ٧، القسم الثاني، ط ٢، بيروت، مؤسسة الاعمى للمطبوعات، ١٩٨٧، ص ٢٤٢-٢٦٧.

- الياسري، محمد حسن خلف، الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف واثرها في نشأة المكتبات العامة والخاصة، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، ٢٠١٣، ص ٤٨٩.

٥- الدين والمجتمع .. بعدان مترابطان وعلاقات متبادلة اجتماعيا ومكانيا :
يعتبر من المواضيع الحساسة والهامة التي تتطلب مراعاة الطرق العلمية في تحليله ودراسته بشكل موضوعي بعيد عن أي رؤيا ايديولوجية، فان الدراسات الدينية تعد جزء لا يتجزأ من الدراسات الاجتماعية كما ان القيم الدينية الاسلامية ليست فقط قيما مطلقة وانما هي ايضا قيما انسانية تهدف الى السمو والارتقاء بمكانة الافراد والجماعات ويرى العديدون عدم امكانية فصل مسألة الدين عن المجتمع واغفال دوره في تغيير المجتمع باعتباره نقطة جوهرية ومحورية تبني حوله عليه اغلب المجتمعات ونسقا مرجعيا لأغلب الفاعلين الاجتماعيين، فالدين من وجهة نظر الاجتماعيين ينصهر كليا بدلالاته ووظائفه الاجتماعية والسياسية والثقافية والرمزية داخل مجتمع معين، ومن خلال المنظور السوسيولوجي فان المجتمع بحاجة الى الدين والذي بدوره يحتاج الى التطور لمواكبة حركة المجتمع الحديث (بلهوي، بحث منشور على موقع الانترنت، ٢٠١٥).

ولا يخفى الحال ان الظاهرة الدينية لازمت الانسانية منذ نشأتها الاولى ولا يوجد مجتمع الا واما هيكله المكاني والاجتماعي على اساس ديني، فالنظام الديني يعد

من اهم النظم الاجتماعية واعظمها شانا في حياه الفرد والمجتمع نظرا للوظائف الهامة التي يؤديها ، كما ان العبادات والعقائد المشتركة التي يزاولها افراد المجتمع فإنها تسهم في ايجاد وحدة روحية تؤدي الى ترابط اجتماعي وروحي بين افراد المجتمع الواحد ، ويسهم الدين بصورة مباشرة في تنمية المجتمع وتطويره وحل العديد من المشكلات الاجتماعية واحداث الترابط والتبادل بين القيم الدينية من جهة وبين التنمية الاجتماعية من جهة اخرى ، كما يسهم الدين ورجاله في احداث تغييرات جوهرية في البنية الاجتماعية social change ويعد من اهم مصادر الضبط الاجتماعي social control من خلال الاشراف على سلوك افراد المجتمع واساليب تفكيرهم وطرق اعمالهم (القصاص، ٢٠٠٨، ص ٢٩).

ومما سبق نلاحظ ان الدين والمجتمع تجمعهما علاقات قوية وترابطات جوهرية ضمن الحيز المكاني الذي يجمعها وتنشا فيما بينهما تفاعلات متبادلة وفق نظم وضوابط يتولى ادارتها مؤسسات قائمة تجعل من المعرفة والسلوك امر منظما ، الامر الذي نشاهده جليا في مدينة النجف الاشرف من خلال الحوزة الدينية التي تمثل الضابط والموجه للسلوك الانساني ومصدرا للتبادل العلمي والثقافي والاجتماعي واساسا في الشكل والتخطيط العمراني للمدينة وبروز ظواهر عمرانية وابنية خاصة اعطت لمدينة النجف صفة تمتاز بها عن بقية المدن الاخرى.

٦- اثر العامل الديني في تصميم البيت النجفي والمحلة السكنية :

بصورة عامة كان للعلاقات الدينية الاسلامية دورا وتأثيرا مباشرا في الشكل العمراني للوحدة السكنية والمحلات السكنية في مدينة النجف وخاصة القديمة منها والمجاورة للمرقد الشريف ، كما ان الوظيفة السكنية تشكل عنصرا اساسيا في التكوين المورفولوجي للمدينة النجف الاشرف وتعتبر المحلة السكنية

النجفية بصفاتها وخصائصها انعكاسا للعلاقات والروابط الاجتماعية التي تسود المجتمع العربي الاسلامي وتعد الدار الوحدة الاساسية المكونة للمحلة السكنية التي تمتاز بالاحتوائية والتي تعني التقارب بين العناصر الرئيسية المكونة للفعالية السكنية والتي تتميز بالالفة والمودة بسبب المعرفة المتبادلة ، كما يمتاز البيت النجفي بالخصوصية وتحقيق حرمة السكن من خلال محاور رئيسة منها تجميع المنازل وفق نظام معين وخصوصية المنزل بالنسبة الى المنازل المجاورة وارتفاع الابنية وتحقيق الشرفية (الكناني، ٢٠٠٦، ص ٩٠).

ومن الناحية العمرانية البيت النجفي يمتاز بخصائص عديدة نظرا لقدمها والذي مر على قيامها اكثر من الف عام منها تكدس الدور بالقرب من المرقد الشريف الذي كان وما زال مركزا للجذب السكاني والذي يمثل المدرسة العلمية الاولى في التعليم الديني ، فتكدست الدور دون نظام على حساب سعة الشوارع واستقامتها وما نتج عنها ارتفاع في الكثافة السكانية على حساب الارض في المدينة القديمة في حين نشاهد في الوقت الحاضر سعة المنازل واتساع الشوارع في الاحياء والمحلات الحديثة التي تم انشائها بفعل الزيادة السكانية والهجرة متعددة الاسباب، الا انها مازالت تحتفظ بطابع الخصوصية والشرفية من حيث وجود الاسيجة العالية والاحتوائية ضمن الوحدة السكنية الواحدة.

ان يكون النسيج الحضري والعمل المعماري نابعا من ثقافة المكان وسلوكيات الساكنين والعلاقات المتبادلة فيما بينهم بما يكسب النتاج الحضري قيم متنوعة فيجعله معطيا قيما فعالة وايجابية (علي، ٢٠١٠، ص ١٤٩)، وهو الامر الذي نلاحظه ضمن المنطقة المجاورة للمرقد الشريف كم منطقة تفاعل والتقاء اجتماعي ديني فعال وان المدينة قد خضعت الى لمؤثرات التماسك والترابط الحضري والتي اهمها

العلاقات الناتجة عن الدين بكونه المحرك الاساس لعملية تبادل العلم والمعرفة وسبب في استهواء نفوس الالاف من الناس صوب هذه البقعة المباركة .
النتائج :

١- نظرا الى اهمية العلاقات الاجتماعية المتبادلة وخصوصا في الجانب الديني ، فان هنالك امكانية لتوظيف هذا المفهوم كمتغير مفسر يمكن من خلاله ان نفهم المنظومة المكانية وطبيعة التطور العمراني لمدينة النجف الاشرف منذ تأسيس الحوزة العلمية واهميه العلاقات الناشئة بين هذه المؤسسة الدينية وبين العديد من ابناء المجتمع النجفي بل وحتى ابناء مختلف البلدان القادمين لاكتساب العلوم والمعارف الدينية .

٢- ان العلاقات الدينية التي سادت المجتمع النجفي والتي كانت من اهم الاسباب التي ادت الى نمو وتوسع مدينة النجف وعلى فترات زمنية مختلفة واسهمت ايضا في تخطيط المحلة السكنية وتصميم الهيكل العمراني لها ، لا بد من تحليلها وفق النظريات الاجتماعية ومنها نظرية التبادل الاجتماعي والتي تعطي رؤية تصورية لطبيعة الارتباط داخل النسيج الاجتماعي ضمن الوحدة المكانية .

٣- هنالك ضرورة في دراسة كل من المجتمع والعلاقات الدينية السائدة فيه وتأثير ذلك على الشكل العمراني لمدينة النجف بصورة عامة وتصميم الوحدة السكنية ضمن المدينة في بدايات تكوينها بصورة خاصة ، فمن الملاحظ تداخل هذه الجوانب وظهور تأثير واضح في البنية العمرانية لمدينة النجف منذ نشوئها .

٤- من اهم ما تميزت به مدينة النجف هو التسامح الديني الذي جعلها تنمو وتزدهر في ظل درجة عالية من التلاحم والتفاعل الاجتماعي الديني كان له دور مهم في زيادة التبادل بين المجتمع النجفي من جهة وبين الوافدين اليه من اماكن اخرى سواء طلبا

للدراسته الدينية او للزيارة المستمرة جعل من هذه البقعة المقدسة مركزا لتلاقي الافكار والتفاعلات الحضارية وذات طابع عمراني مميز ينبثق من الوظيفة الدينية وطبيعة العلاقات الاجتماعية.

٥- كما ان السبب الرئيسي في نشاء مدينة النجف وجود الضريح الشريف للإمام علي (ع) وبوجوده نمت وتطورت تحت تأثير الوظيفة الدينية وتوسعت تدريجيا مع ازدياد اعداد الساكنين والمجاورين والزائرين وما يرتبطون به من علاقات اجتماعية يسودها الجانب الديني .

٦- تميزت مدينة النجف بوجود العديد من المدارس الدينية والمكتبات العلمية والمساجد نتيجة للحركة العلمية التي شهدتها واستقرار عظماء الحوزة ومراجعتها فيها تسودها نسيج قوي من العلاقات الدينية بين الطلبة والاساتذة امتدادا الى بناء المجتمع النجفي الذي تأثر بصورة واضحة بتلك العلاقات وكانت سببا في تدارس العلم وتنمية عقولهم واشتداد ارتباطهم بالمؤسسة الدينية .

المصادر :

- ١- منهايم، كارل، علم الاجتماع النظري، ترجمة الدكتور احسان محمد الحسن ، مطبعة التعليم العالي ، ١٩٩٣ .
- ٢- الجبوري ، على زيدان خلف ، التبادل واثره في توثيق العلاقات الاجتماعية ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ .
- ٣- لطفي، طلعت ابراهيم، الزيات ، كمال ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، دار غريب ، القاهرة .
- ٤- الحسن ، إحسان محمود ، النظريات الاجتماعية المعاصرة ، دار وائل للنشر ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٥ .

- ٥- الحوراني ، عبد الكريم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، جامعة اليرموك ، الطبعة الاولى ٢٠٠٨ .
- ٦- شكاره، عقيل عز الدين، تعبيرية العمارة في عصر الثورة المعلوماتية وتأثيرها على مفهوم الهوية، رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية جامعة بغداد، ١٩٩٨ .
- ٧- القزاز، ضحى عبد الغني عبد العزيز، النمطية في عمارة ما بعد الحداثة ، رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية الجامعة التكنولوجية ، بغداد ، ١٩٩٨ .
- ٨- أبو عبيد، نظير، المشهد المكاني لمفهوم سلوكي بيئي في تحليل التواصل بين العمارة والمجتمع ،مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، العدد ٢٤٨، أكتوبر، ١٩٩٩ .
- ٩- النصراوي ، اركان علي فتحي ، تأثير الفكر الغربي على عناصر النظام العمراني دراسة تحليلية وميدانية ، رسالة ماجستير ، مركز التخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ .
- ١٠- كمونته ، حيدر عبد الرزاق ، الهيكل الحضري لمدينة النجف القديمة .المشاكل والحلول ، مجلة افاق نجفية ، العدد ١٠ ، ٢٠٠٨ .
- ١١- الكناني، صباح خلف جبر، استعمالات الارض الدينية واثرها في تطور الاستعمالات الحضرية لمدينة النجف الاشرف ، اطروحة دكتوراه، كلية التربية- جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ .
- ١٢- الجنابي، عبد الستار شنين، تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢-١٩٦٨ ، مكتبة الذاكرة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
- ١٣- الجزائري، محمد جواد جاسم، تاريخ مدينة النجف الاشرف الاجتماعي ١٩٦٨-١٩٧٩ ، مؤسسة مسجد السهلة المعظم ، ٢٠١٦ .

١٤-محبوبة ،جعفر باقر ، " ماضي النجف وحاضرها" ، ط ٢ ، مطبعة الآداب ، النجف،١٩٥٨.

١٥-المظفر، رياض منير ، فهم المدينة العربية الاسلامية بكونها نظاما ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥.

١٦- الكرعاوي ، احمد حسين علاوي غزاي ، التجاور المكاني للمقومات الدينية الطبيعية ودورها في التنمية السياحية لمدينة النجف ومنطقة الظهير (منخفض بحر النجف) ، بحث منشور في مجلة البحوث الجغرافية ، العدد ٢٧ ، ٢٠١٨ .

١٧-بلهوي ، على ، تجليات العلاقات الاجتماعية بالدين كظاهرة سوسيولوجية ، <http://www.ssrcaw.org> -مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي ، بحث منشور على موقع الانترنت ، ٢٠١٥.

١٨-القصاص، مهدي محمد علم الاجتماع الديني ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، كتاب منشور في الانترنت ، ٢٠٠٨.

١٩-الكناني ، كامل، تخطيط المدينة العربية الاسلامية بين الخصوصية والحدثة ، مجلة المخطط والتنمية ، العدد ١٥ ، ٢٠٠٦ .

٢٠- علي ، هيثم عبد الحسين، طاقة الشكل المعماري ضمن السياق الحضري ، اطروحة دكتوراه، مركز التخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠.

٢١-وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للإحصاء ، مديرية احصاء محافظة النجف ، احصاءات وتقديرات مدينة النجف للسنوات ١٩٧٧-٢٠١٨ ، بيانات غير منشورة ، ٢٠١٨.

٢٢-مديرية بلدية مدينة النجف ، قسم نظم المعلومات الجغرافية GIS، 2018.